الروض الأنف

في تفسير السيرة النبوية لابن هشام

للفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
ابن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي
السهيلي
٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية

للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري
المتوفى سنة ٢١٣ هـ

قدم له وعلق عليه وضبطه
طه عبد الرءوف سعد

الجزء الأول

مطبوعات
مكتبة ومطبعة
الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون

طبعة جديدة

مضبوطة — منقحة

١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م

روجعت على عدد من الطبعات القديمة

وعلى نسخة قدوة الأمراء وحجة

العلماء مولانا : عبد الحفيظ

سلطان المغرب الأقصى سابقا

شركة الطباعة الفنية المتحدة
١٥ شارع العباسية
تليفون ٨٣٧٤٦٧

كتاب السيرة النبوية لابن هشام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه نستعين ﴾

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة كتاب الروض الأنف للسهيلي

حمداً لله المقدم على كل أمر ذى بال ، وذكره سبحانه حرِيٌّ ألا يفارق الخلد والبال ، كما بدأنا — جل وعلا — بجميل عوارفه قبل الضراعة إليه والابتهال ؛ فله الحمد ـ تعالى ـ حمداً لا يزال دائم الاقبال ، ضافىَ السربال ، جديداً على مر الجديدين غير بال . على أن حمده ـ سبحانه ـ وشكره على نعمه وجميل بلائه منة من مننه ، وآلاء من آلائه . فسبحان من لا غاية لجُوده ونعمائه ، ولا حد لجلاله ، ولا حصر لأسمائه . والحمد لله الذى ألحقنا بعصابة الموحدين[1] ، ووفقنا للاعتصام بعروة هذا الأمر المتين ، وخلقنا فى إبَّان الإمامة الموعود ببركتها على لسان الصادق الأمين ؛ إمامة سيدنا الخليفة أمير المؤمنين[2] ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ، الساطعة أنوارها فى جميع الآفاق ، المطفئة بصوْب سحائبها وجَوْب[3] كتائبها جمرات الكفر والنفاق .

فى دولة لحظ الزمان شعاعها * فارتد منتكصا بعينىْ أرمد
مَن كان مولده تقدَّم قبلها * أو بعدها فكأنه لم يُولد

فله الحمد ـ تعالى ـ على ذلك كله ، حمداً لا يزال يتجدد ويتوالى . وهو المسئول سبحانه أن يخص بأشرف صلواته وأكثف بركاته ـ المجتبى من خليقته ، والمهتدى بطريقته ، المؤدى إلى اللَّقم الأفيح[4] ، والهادى إلى معالم دين الله من أفلح ـ نبيه ـ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما قد أقام به الملة العوجاء ، وأوضح بهديه الطريقة البلجاء ، وفتح به آذانا صما ، وعيونا عميا ، وقلوبا غلفا ؛ فصلى الله عليه وعلى آله ، صلاة تحله أعلى منازل الزلفى .

سبب تأليف الكتاب : وبعد : فإنى قد انتحيت فى هذا الإملاء بعد استخارة ذى الطول ، والاستعانة بمن له القدرة والحول ـ إلى إيضاح ماوقع فى سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى سبق إلى تأليفها أبو بكر محمد بن إسحق المطلبى ، ولخصها عبد الملك بن هشام المعافرى المصرى النسابة النحوى ، مما بلغنى علمه ، ويسر لى فهمه : من لفظ غريب ، أو إعراب غامض ، أو كلام مستغلق ، أو نسب عويص ، أو موضع فقه ينبغى التنبيه عليه ،

---

(١) يقصد هنا دولة الموحدين بالمغرب .

(٢) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذى تولى إمارة الموحدين بالمغرب سنة ٥٥٨ هـ . ومن المعروف أن مؤلفنا عاش من سنة ٥٠٨ حتى سنة ٥٨١ هـ .

(٣) الجوب : الدلو الضخمة .

(٤) اللقم : معظم الطريق ، وقيل واضحه . والأفيح : الواسع .

أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته ، مع الاعتراف بكلول الحد ، عن مبلغ ذلك الحد ، فليس الغرض المعتمد أن استولى على ذلك الأمد ، ولكن لاينبغى أن يُدعّ الجحش من بذّه الأعيار[1] ومن سافرت فى العلم همته فلا يلق عصا التسيار ، وقد قال الأول :

افعل الخير ما استطعت وإن　　كان قليلا فلن تحيط بكله
ومتى تبلغ الكثير من الفضـ　　ـل إذا كنت تاركا لأقله ؟!

نسأل الله التوفيق لما يرضيه ، وشكرا يستجلب المزيد من فضله ويقتضيه .

إهداء الكتاب قال المؤلف أبو القاسم : قلت هذا لأنى كنت حين شرعت فى إملاء هذا الكتاب خيل إلىّ أن المرام عسير ، فجعلت أخطو خطوَ الحسير[2] وأنهض نهض البرق الكسير ، وقلت كيف أرِد مَشرَعا[3] لم يسبقنى إليه فارط[4] ، وأسلك سبيلا لم توطأ قبلى بخف ولاحافر . فبينا أنا أتردد تردد الحائر ، إذ سنح لى هنالك خاطر : أن هذا الكتاب سيرِد الحضرة العلية ، المقدسة الإمامية ، وأن الإمامة ستلحظه بعين القبول ، وأنه سيُكتتب للخزانة المباركة ـ عمّرها الله ـ بحفظه وكلاءته ، وأمدّ أمير المؤمنين بتأييده ورعايته ، فينتظم الكتاب بسلك أعلاقها[5] ، ويتسق مع تلك الأنوار فى مطالع إشراقها . فعند ذلك امتطيت صهوة الجد ، وهززت نبعة[6] العزم ، ومريت أخلاف[7] الحفظ ، واجتهرت[8] ينابيع الفكر ، وعصرت بلالة الطبع ، فألفيت بحمد الله الباب مُفتّحا ، وسلكتُ سبل ربى ذُللا ، فتبجست لى بمن الله تعالى من المعانى الغريبة عيونها ، وانثالت على من الفوائد اللطيفة أبكارها وعُونها[9] ، وطفقت عقائل الكلم يزدلفن إلى بأيتهن أبدأ ، فأعرضت عن بعضها إيثاراً للإيجاز ، ودفعت فى صدور أكثرها خشية الإطالة والإملال . لكن تحصّل فى هذا الكتاب ، من فوائد العلوم والآداب ، وأسماء الرجال والأنساب ، ومن الفقه الباطن اللباب ، وتعليل النحو وصنعة الإعراب ، ماهو مستخرج من نيّف على مائة وعشرين ديوانا ، سوى ما أنتجه صدرى ، ونفحه فكرى ، ونتجه نظرى ، ولقِنته عن مشيختى ؛ من نكت علية لم اسبق إليها ، ولم أزحم عليها . كل ذلك بيمن الله وبركة هذا الأمر المحيي لخواطر الطالبين ، والموقظ لهمم المسترشدين ، والمحرك للقلوب الغافلة إلى الاطلاع على معالم الدين . مع أنى قللت الفضول ، وشذبت أطراف الفصول ، ولم أتتبع شجون الأحاديث ـ والحديث شجون ـ ولاجمحت بى خيل الكلام إلى غاية لم أردها وقد عنّت لى منه فنون ، فجاء الكتاب من أصغر الدواوين حجما ، ولكنه كُنَيِّف[10] ملىء علما ، ولو ألسفه غيرى لقلت فيه أكثر من قولى هذا .

---

(١) الدع : الدفع بشدة ، والجحش : ولد الحمار . وبذه : سبقه . والأعيار : الحمير الوحشية والأهلية .
(٢) حسر : أعيا　(٣) المشرع : مورد الماء　(٤) الفارط : السابق المتقدم .
(٥) أعلاقها : نفائسها .　(٦) النبعة : شجرة يتخذ منها القسى ، ومن أغصانها السهام .
(٧) مريت : استخرجت ، والأخلاف مفردها خلف : ضرع الناقة .
(٨) اجتهر البئر : نقاها　(٩) العون : مفردها عوان المتوسطة فى العمر .
(١٠) تصغير كنف ، وعاء الراعى يجعل فيه آلته . وقد أشار بذلك إلى قول عمر بن الخطاب فى ابن مسعود : « كنيف ملىء علما » ، أى أنه وعاء للعلم . والتصغير هنا للتعظيم .

وكان بدء إملائى هذا الكتاب فى شهر المحرم من سنة تسع وستين وخمسمائة وكان الفراغ منه فى جمادى الأولى من ذلك العام .

سند الكتاب : فالكتاب الذى تصدينا له من السير هو ماحدثنا به الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربى سماعا عليه ، قال : ثنا أبو الحسن القرافى الشافعى ، قال : ثنا أبو محمد بن النحاس ، قال : ثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن الورد ، عن أبى سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم بن أبى زرعة[1] الزهرى البرقى، عن أبى محمد عبد الملك بن هشام .

وحدثنا به أيضا سماعا عليه : أبو مروان عبد الملك بن سعيد بن بونة القرشى العبدرى ، عن أبى بحر سفيان ابن العاص الأسدى ، عن أبى الوليد هشام بن أحمد الكنانى .

وحدثنى به أيضا : أبو مروان،عن أبى بكر بن بُرْآل ، عن أبى عمر أحمد بن محمد المقرى الطلمنكى ، عن أبى جعفر أحمد بن عون الله بن حُدَير[2] ، عن أبى محمد بن الورد ، عن البرقى ، عن ابن هشام .

وحدثنى به أيضا سماعا وإجازة : أبو بكر محمد بن طاهر الأشبيلى ، عن أبى على الغسانى ، عن أبى عمر النمرى وغيره ، عن أشياخه ، عن الطلمنكى بالإسناد المتقدم .

التعريف بابن إسحق : ونبدأ بالتعريف بمؤلف الكتاب .وهو:أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى بالولاء ؛ لأن ولاءه لقيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، وكان جده يسار من سبى عين التمر ، سباه خالد بن الوليد . ومحمد بن إسحق هذا رحمه الله ثبْت فى الحديث عند أكثر العلماء ، وأما فى المغازى والسير فلا تجهل إمامته فيهما .

قال ابن شهاب الزهرى : من أراد المغازى فعليه بابن إسحاق . ذكره البخارى فى التاريخ ، وذكر عن سفيان ابن عيينة أنه قال : ما أدركت أحداً يتهم ابن إسحق فى حديثه ، وذكر أيضا عن شعبة بن الحجاج أنه قال : ابن إسحاق أمير المؤمنين ، يعنى : فى الحديث .

وذكر أبو يحيى الساجى رحمه الله بإسناد له عن الزهرى أنه قال : خرج إلى قريته باذام ، فخرج إليه طلاب الحديث ، فقال لهم : أين أنتم من الغلام الأحول ، أو : قد خلفت فيكم الغلام الأحول يعنى ابن إسحق . وذكر الساجى أيضا قال: كان أصحاب الزهرى يلجئون إلى محمد بن إسحاق فيما شكوا فيه من حديث الزهرى ؛ ثقة منهم

---

(١) فى واحد من الأصول المطبوعة عنه هكذا : عبد الرحيم ، بن أبى زر   الزهرى البرقى ، بوجود بياض يسع كلمة، وفى الأصل الثانى:عبد الرحيم بن أبى زرعة الزهرى البرقى الخ . وفى مشيخة أبى بكر محمد بن خير الأموى الأشبيلى فى أسانيد روايته لهذا الكتاب خلاف ذلك ، ونصه بعد أن ساق سنده لأبى محمد بن الورد البغدادى قال: ثنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى عن عبد الملك بن هشام ، ثم ساقه من طريق آخر عن: محمد بن عبد الله، ابن عبد الرحيم بن سعد بن أبى زرعة الزهرى ، عن عبد الملك . فيكون البرقى غير الزهرى .

(٢) وقوله ابن حدير فى مشيخة ابن خير : ابن جدير بالجيم .

بحفظه . هذا معنى كلام الساجى ، نقلته من حفظى لا من كتاب . وذكر عن يحي بن معين وأحمد بن حنبل ويحي ابن سعيد القطان أنهم وثّقوا ابن إسحاق واحتجوا بحديثه . وذكر على بن عمر الدارقطنى فى السنن حديث القلتين[1] من جميع طرقه ومافيه من الاضطراب، ثم قال فى حديث جرى : وهذا يدل على حفظ محمد بن إسحاق وشدة إتقانه.

قال المؤلف : وإنما لم يخرّج البخارى عنه وقد وثقه ، وكذلك وثقه مسلم بن الحجاج ولم يخرج عنه أيضا إلا حديثا واحداً فى الرجم عن سعيد المقبرى عن أبيه؛ من أجل طعن مالك فيه ، وإنما طعن فيه مالك فيما ذكر أبو عمر ـ رحمه الله ـ عن عبد الله بن إدريس الأَوْدِي؛ لأنه بلغه أن ابن إسحاق قال: «هاتوا حديث مالك فأنا طبيب بعلله »؛ فقال مالك : «وما ابن إسحاق إنما هو دجال من الدجاجلة نحن أخرجناه من المدينة ؟ ! » يشير ـ والله أعلم ـ إلى أن الدجال لا يدخل المدينة . قال ابن إدريس : وما عرفت أن (دجال) يجمع على دجاجلة حتى سمعتها من مالك .

وذكر أن ابن إسحاق مات ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة ، وقد أدرك من لم يدركه مالك ، روى حديثا كثيرا عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمى ، ومالك إنما يروى عن رجل عنه . وذكر الخطيب أحمد بن على ابن ثابت فى تاريخه ـ فيما ذكر لى عنه ـ أنه ـ يعنى ابن إسحق ـ رأى أنس بن مالك وعليه عمامة سوداء ، والصبيان خلفه يشتدون ويقولون: هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يلقى الدجال . وذكر الخطيب أيضا أنه روى عن سعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد ، وأبى سلمة بن عبد الرحمن . وذكر أن يحي بن سعيد الأنصارى شيخ مالك روى عن ابن إسحق . قال : وروى عنه سفيان الثورى ، والحمادان : حماد بن سلمة بن دينار، وحماد بن زيد بن درهم ، وشعبة . وذكر عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق . فهذا ما بلغنا عن محمد بن إسحاق رحمه الله .

من رووا الكتاب عن ابن إسحاق : وأما الرواة الذين رووا هذا الكتاب عنه فكثير . منهم : يونس ابن بكير الشيبانى ، ومحمد بن فليح ، والبَكّائى ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن إدريس ، وسلمة ابن الفضل الأسدى ، وغيرهم .

ونذكر البكائى لأنه شيخ ابن هشام، وهو: أبو محمد زياد بن عبدالله بن طفيل بن عامر القيسى العامرى، من بنى عامر ابن صعصعة ، ثم من بنى البكاء . واسم البكاء : ربيعة ، وسمى البكاء لخبر يسمج ذكره ، كذلك ذكر بعض النسابين . والبكائى هذا ثقة، خرّج عنه البخارى فى كتاب الجهاد، وخرّج عنه مسلم فى مواضع من كتابه، وحسبك بهذا تزكية . وقد روى زياد عن حميد الطويل . وذكر البخارى فى التاريخ عن وكيع قال : زياد أشرف من أن يكذب فى الحديث، ووهم الترمذى فقال فى كتابه عن البخارى قال: قال وكيع: زياد بن عبدالله ـ على شرفه ـ يكذب فى الحديث ، وهذا وهم. ولم يقل وكيع فيه إلا ماذكره البخارى فى تاريخه، ولو رماه وكيع بالكذب ؛ ماخرج البخارى عنه حديثا ولا مسلم ، كما لم يخرجا عن الحارث الأعور ؛ لما رماه الشعبي بالكذب ، ولا عن أبان بن أبى عياش؛ لما رماه شعبة بالكذب . وهو كوفى توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة .

(١) يقصد حديث : « إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث » .

ذكر سرد النسب الزكى

من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى آدم عليه السلام

قال أبو محمد عبدالملك بن هشام: هذا كتاب سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب. واسم عبد المطلب : شَيْبة بن هاشم ، واسم هاشم: عمرو بن عبد مناف ، واسم عبد مناف : المغيرة

التعريف بابن هشام : وأما عبد الملك بن هشام فشهور بحمل العلم ، متقدم فى علم النسب والنحو ، وهو حميرى معافرى من مصر ، وأصله من البصرة ، وتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين . وله كتاب فى أنساب حمْير وملوكها ، وكتاب فى شرح ماوقع فى أشعار السيَر من الغريب فيما ذكر لى . والحمد لله كثيرا ، وصلواته على نبيه محمد وسلامه .

تفسير نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد ذكرنا فى كتاب [التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء الأعلام] معانى بديعة ، وحكمة من الله بالغة ، فى تخصيص نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذين الاسمين محمد وأحمد ، فلتنظر هناك . ولعلنا أن نعود إليه فى باب مولده من هذا الكتاب ـ إن شاء الله تعالى ـ .

جده عبد المطلب : وأما جده عبد المطلب ، فاسمه : عامر فى قول ابن قتيبة، وشيبة فى قول ابن إسحاق وغيره ، وهو الصحيح . وقيل: سمى شيبة؛ لأنه ولد وفى رأسه شيبة ، وأما غيره من العرب ممن اسمه شيبة فإنما قصد فى تسميتهم بهذا الاسم التفاؤل لهم ببلوغ سن الحنكة والرأى ، كما سموا بهرم وكبير . وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة ، وكان لدَة عُبيد بن الأبرص الشاعر ، غير أن عبيدا مات قبله بعشرين سنة ، قتله المنذر . ويقال : إن عبد المطلب أول من خَضَب بالسواد من العرب ، والله أعلم.

وقد ذكر ابن إسحاق سبب تلقيبه بعبد المطلب والمطلب مفتعل من الطلب .

هاشم : وأما هاشم فعمرو ، كما ذكر . وهو اسم منقول من أحد أربعة أشياء : من العَمر الذى هو العَمر أو العَمر الذى هو من عمور الأسنان ، وقاله القتبى ، أو العَمر الذى هو طرف الكم، يقال سجد على عَمريه أى على كميه أو العَمر الذى هو القُرط، كما قال التنوخى :

وعمرو هند كأن الله صوّره عمرو بن هند يسوم الناس تعنيتا (١)

وزاد أبو حنيفة وجها خامسا فقال فى العمر الذى هو اسم لنخل السكر : ويقال فيه : عمر أيضا . قال : يجوز أن يكون أحد الوجوه التى بها سمى الرجل عَمرا وقال: كان ابن أبى ليلى يستاك بعسيب العُمر .

عبد مناف : وعبد مناف اسمه المغيرة ، كما ذكر . وهو منقول من الوصف، والهاء فيه المبالغة ، أى أنه مغير على الأعداء ، أو مغير من: أغار الحبل إذا أحكمه ، ودخلته الهاء كما دخلت فى علامة ونسابة، لأنهم قصدوا قصد الغاية،

---

(١) يقصد بعمرو الأولى : القرط ، وبعمرو الثانية : عمرو بن هند أحد ملوك العرب المستبدين .

ابن قصى ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب

وأجروه مجرى الطامة والداهية. وكانت الهاء أولى بهذا المعنى؛ لأن مخرجها غاية الصوت ومنتهاه ، ومن ثم لم يكسّر ماكانت فيه هذه الهاء ، فيقال فى علامة : علاليم ، وفى نسابة : نساسيب ؛ كى لايذهب اللفظ الدال على المبالغة ، كما لم يكسّر الاسم المصغر كى لاتذهب بنية التصغير وعلامته . ويجوز أن تكون الهاء فى مغيرة للتأنيث ، ويكون منقولا من وصف كتيبة ، أوخيل مغيرة ، كما سموا بعسكر . وعبد مناف هذا كان يلقب : قمر البطحاء فيما ذكر الطبرى ، وكانت أمه حُبىّ قد أخدمته مناة ، وكان صنما عظيما لهم، وكان سُمى به عبد مناة ، ثم نظر قصى فرآه يوافق عبدمناة ابن كنانة ، فحوله : عبد مناف ، وذكره البرقى والزبير أيضا . وفى المعيطى عن أبى نعيم قال: قلت لمالك : ماكان اسم عبد المطلب ؟ قال : شيبة ، قلت : فهاشم ، قال : عمرو ، قلت : فعبد مناف ، قال : لاأدرى !! .

قصى : وقُصى اسمه زيد ، وهو تصغير قَصِى أى بعيد، لأنه بعد عن عشيرته فى بلاد قضاعة ، حين احتملته أمه فاطمة مع رابه [١] ربيعة بن حرام على ماسيأتى بيانه فى الكتاب إن شاء الله تعالى . وصغر على فُعيل وهو تصغير فَعيل لأنهم كرهوا اجتماع ثلاث ياءات فحذفوا إحداهن وهى الياء الزائدة الثانية التى تكون فى فَعيل نحو قضيب ، فبقى على وزن فُعيل . ويجوز أن يكون المحذوف لام الفعل فيكون وزنه فُعَيّا ، وتكون ياء التصغير هى الباقية مع الزائدة، فقد جاء ماهو أبلغ فى الحذف من هذا وهى قراءة قنبل يابُنَىْ ببقاء ياء التصغير وحدها ، وأما قراءة حفص يابنىّ فإنما هى ياء التصغير مع ياء المتكلم ، ولام الفعل محذوفة ، فكان وزنه فُعىّ، ومن كسر الياء قال يابنىِّ فوزنه يافعيل ، وياء المتكلم هى المحذوفة فى هذه القراءة .

كلاب : وأما كلاب فهو منقول إما من المصدر الذى هو معنى المكالبة ، نحو : كالبت العدو مكالبة وكلابا، وإما من الكلاب جمع كلب ، لأنهم يريدون الكثرة ، كما سمّوا بسباع وأنمار . وقيل لأبى الرقيش الأعرابى : لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو : كلب وذئب ، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو : مرزوق ورباح ، فقال: إنما نسمى أبناءنا لأعدائنا ، وعبيدنا لأنفسنا . يريد : أن الأبناء عدة الأعداء وسهام فى نحورهم ، فاختاروا لهم هذه الأسماء .

مرة : ومرة منقول من وصف الحنظلة والعلقمة ، وكثيرا مايسمون بحنظلة وعلقمة . ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة، فيكون منقولا من وصف الرجل بالمرارة ، ويقوى هذا قولهم : تميم بن مر ،وأحسبه من المسمين بالنبات، لأن أبا حنيفة ذكر : أن المرة بقلة تقلع فتؤكل بالخل والزيت ، يشبه ورقها ورق الهندباء .

كعب : وأما كعب فمنقول إما من الكعب الذى هو قطعة من السمن ،أو من كعب القدم، وهو عندى أشبه لقولهم : ثبت ثبوت الكعب. وجاء فى خبر ابن الزبير: أنه كان يصلى عند الكعبة يوم قتل، وحجارة المنجنيق تمر بأذنيه ،وهو لايلتفت كأنه كعب راتب [٢]. وكعب بن لؤى هذا أول من جمع يوم العروبة ، ولم تسم العروبة الجمعة إلا مذ جاء الإسلام فى قول بعضهم. وقيل: هو أول من سماها الجمعة، فكانت قريش تجتمع إليه فى هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويعلمهم أنه من ولده ، ويأمرهم باتباعه والإيمان به، وينشد فى هذا أبياتا منها قوله :

يا ليتنى شاهد فحواء دعوته　　إذا قريش تُبغِّى الحق خذلانا

وقد ذكر الماوردى هذا الخبر عن كعب فى كتاب الأحكام له .

---

(١) الراب : مربى أبناء زوجته من غيره .　　(٢) راتب : ثابت .

ابن لؤى ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خُزَيمة ، بن مدركة . واسم مدركة : عامر ، بن الياس

لؤي : وأما لؤى، فقال ابن الأنبارى : هو تصغير اللأى وهو الثور الوحشى ، وأنشد :

يعتاد أُدْحية بَقِـين بقفرة   ميثاء يسكنها اللأىَ والفرقد

قال أبو حنيفة : اللأى هى البقرة ، قال : وسمعت أعرابيا يقول : بكم لاءك هذه . وأنشد فى وصف فلاة :

كظهر اللأى لو يبتغى رِيّـة بها   نهاراً لأعيت فى بطون الشواجن

الشواجن: شعب الجبال . والرية : مقلوب من ورى الزند ، وأصله وِرْية ، وهو الُحراق الذى يشعل به الشررة من الزند ، وهو عندى تصغير لأى ، واللأى : البطء ، كأنهم يريدون معنى الأناة وترك العجلة ، وذلك أنى ألفيته فى أشعار بدر مكبراً على هذا اللفظ فى شعر أبى أسامة حيث يقول :

فدونـكم بنى لأى أخاكم   ودونك مالكا يا أم عمرو

مع ما جاء فى بيت الُحطيئة فى غيره :

أتت آل شماس بن لأى وإنما   أتاهم بها الأحلام والحسب العِد

وقوله أيضا :

فباتت أمُّ جارة آل لأى   ولـكن يضمنون لها قراها

وفى الحديث من قول أبى هريرة : « أحب إلى من شاء ولاء » فاللاء ههنا جمع اللائى ، وهو الثور ، مثل الباقر والجامل . وتوهم ابن قتيبة أن قوله لاء مثل ماء فخطأ الرواية . وقال إنما هو أُلْآء مثل ألعاع جمع لأى . وليس الصواب إلا ما تقدم وأنه لاء مثل جاءٍ .

فِهر وآباؤه (١) :وأما فِهر فقد قيل : إنه لقب ، والفهر من الحجارة الطويل ، واسمه قريش ، وقيل بل اسمه فِهر ، وقريش لقب له على ما سيأتى الاختلاف فيه إن شاء الله تعالى .

ومالك والنضر وكنانة لا إشكال فيها .

خزيمة : وخزيمة والد كنانة ، تصغير خزْمة ، وهى واحدة الخزم ،ويجوز أن يكون تصغير خزْمة وكلاهما موجود فى أسماء الأنصار وغيرهم ، وهى المرة الواحدة من الخزم، وهو شد الشىء وإصلاحه . وقال أبو حنيفة : الخزَم مثل الدوم تتخذ من سعفه الحبال ، ويصنع من أسافله خلايا للنحل،وله ثمر لا يأكله الناس ولكن تألفه الغربان وتستطيبه .

مدركة والياس : وأما مُدركة فذكور فى الـكتاب ، والياس أبوه .قال فيه ابن الأنبارى : إلياس بكسر الهمزة ، وجعله موافقا لاسم إلياس النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال فى اشتقاقه أقوالا منها : أن يكون فِعْيالا من الألس وهى الخديعة وأنشد :

من فهّة الجهل والألْسة

ومنها : أن الألس اختلاط العقل وأنشدوا :

إنى لضعيف العقل مألوس

---

(١) لم يذكر السهيلى فى نسب الرسول صلى الله عليه وسلم (غالبا) .

ومنها : أنه إفعال من قولهم رجل ألْـيَس وهو الشجاع الذى لا يفر. قال العجاج :

ألْـيَس عن حوبائه سخى

وقال آخر : أليس كالنشوان وهو صاح

وفى غريب الحديث للقتَبى «أن فلانا أليس أهيس ألدُّ مِلحس، إن سئل أزَّ وإن دُعى انتهز» ، وقد فسره ، وزعم أن أهيس مقلوب الواو، وأنه مرة من الهوس، وجعلت واوه ياء لازدواج الـكلام ، فالأليس : الثابت الذى لا يبرح . والذى قاله غير ابن الأنبارى أصح وهو أنه الياس، سُمى بضد الرجاء ، واللام فيه للتعريف ، والهمزة همزة وصل، وقاله قاسم بن ثابت فى الدلائل ، وأنشد أبياتا شواهد منها قول قصى :

إنى لدى الحرب رخى اللبب أمَّـهتى خندف والياس أبى

ويقال : إنما سمى السل داء ياس وداء الياس لأن الياس بن مضر مات منه . قال ابن هرمة :

يقول العاذلون إذا رأونى أُصبتَ بداء ياس فهو مودى

وقال ابن أبى عاصية :

فلو كان داء الياس بى وأعاننى طبيب بأرواح العقيق شفانيا

وقال عُروة بن حِزام :

بى الياس أو داء الهيام أصابنى فإياكِ عنى لا يكن بكِ ما بيا

ويُـذكر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : «لا تسبوا الياس فإنه كان مؤمنا» ، وذكر أنه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى صلى الله عليه وسلم بالحج ـ ينظر فى كتاب المولد للواقدى ـ والياس أول من أهدى البُـدن للبيت، قاله الزبير. وأم الياس الرباب بنت حُـيدة بن معد بن عدنان ، قاله الطبرى ، وهو خلاف ما قاله ابن هشام فى هذا الـكتاب .

مضر : وأما مضر فقد قال القتبى : هو من المضيرة ، أو من اللبن الماضر ، والمضيرة شىء يصنع من اللبن ، فسمى مضر لبياضه ، والعرب تسمى الأبيض أحمر ، فلذلك قيل مضر الحمراء . وقيل : بل أوصى له بقبة حمراء ، وأوصى لأخيه ربيعة بفرس ، فقيل مضر الحمراء وربيعة الفرس . ومضر أول من سن للعرب حداء الإبل ، وكان أحسن الناس صوتا فيما زعموا، وسنذكر سبب ذلك فيما بعد ـ إن شاء الله تعالى ـ وفى الحديث المروى : «لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين» ، ذكره الزبير بن أبى بكر .

نزار : وأما نِزار فمن النزر وهو القليل ، وكان أبوه حين وُلد له ونظر إلى النور بين عينيه ـ وهو نور النبوة الذى كان ينتقل فى الأصلاب إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرح فرحا شديدا به ، ونحر وأطعم ، وقال: إن هذا كله نزر لحق هذا المولود ، فسمى نزارا لذلك .

معد : وأما مَـعَـدٌّ أبوه فقال ابن الأنبارى : فيه ثلاثة أقوال ـ أحدها : أن يكون مفعلا من العد . والثانى : أن يكون فَـعَـلاًّ من مَعَد فى الأرض أى أفسد ، كما قال :

وخاربَيْن خربا فمَـعَـدا ما يحسبان الله إلا رقدا

وإن كان ليس فى الأسماء ما هو على وزن فَعل بفتح الفاء إلا مع التضعيف، فإن التضعيف يدخل فى الأوزان

ابن عدنان ، ابن أُدّ .

ما ليس فيها ، كما قالوا : شمِّر و قُشَعريرة ، ولولا التضعيف ما وجد مثل هذا ونحو ذلك . الثالث : أن يكون من المعدّين وهما موضع عقبي الفارس من الفرس، وأصله على القولين الأخيرين من المعْد بسكون العين وهو القوة، ومنه اشتقاق المعدة .

عدنان : وأما عدنان ففعلان من عدن إذا أقام ، ولعدنان أخوان : نبت وعمرو فيما ذكر الطبري .

من قبل عدنان واضطراب النسابين فيه : وأُدَدٌ مصروف . قال ابن السراج : هو من الوُد وانصرف ، لأنه مثل ثقب ، وليس معدولا كعُمر ، وهو معنى قول سيبويه . وقد قيل فى عدنان : هو ابن ميدعة ، وقيل : ابن يحثم، قاله القتبي . وما بعد عدنان من الأسماء مضطرب فيه ، فالذى صح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه انتسب إلى عدنان لم يتجاوزه ، بل قد روى من طريق ابن عباس ، أنه لما بلغ عدنان قال: « كذب النسابون مرتين أو ثلاثا » . والأصح فى هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود . وروى عن عمر ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : إنما ننتسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا ندرى ما هو . وأصح شيء روى فيما بعد عدنان ما ذكره الدولابى أبو بشر ، من طريق موسى ابن يعقوب ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة الزمعى ، عن عمته ، عن أم سلمة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « معد بن عدنان، بن أدد ، بن زند ـ بالنون ـ بن اليرَى، بن أعراق الثرى» . قالت أم سلمة: فزند : هو الهميسع ، واليرى: هو نبت، وإعراق الثرى هو: إسماعيل، لأنه ابن إبراهيم ، وإبراهيم لم تأكله النار ، كما أن النار لا تأكل الثرى . وقد قال الدارقطنى : لا نعرف زندا إلا فى هذا الحديث ، وزند بن الجون وهو أبو دلامة الشاعر .

قال المؤلف : وهذا الحديث عندى ليس بمعارض لما تقدم من قوله : « كذب النسابون » ، ولا لقول عمر رضى الله عنه ، لأنه حديث متأول يحتمل أن يكون قوله : ابن اليرى بن أعراق الثرى ، كما قال : « كلكم بنو آدم وآدم من تراب» . لا يريد أن الهميسع ومن دونه ابن لإسمعيل لصلبه ، ولا بد من هذا التأويل أو غيره ، لأن أصحاب الأخبار لا يختلفون فى بعد المدة ما بين عدنان وإبراهيم ، ويستحيل فى العادة أن يكون بينهما أربعة آباء أو سبعة كما ذكر ابن إسحاق ، أو عشرة أو عشرون ؛ فإن المدة أطول من ذلك كله ، وذلك أن معد بن عدنان كان فى مدة بختنصر ابن اثنتى عشرة سنة . قاله الطبرى .

وذكر أن الله تعالى أوحى فى ذلك الزمان إلى إرمياء بن حلقيا أن اذهب إلى بختنصر ، فأعلمه أنى قد سلطته على العرب ، واحمل معدا على البراق كيلا تصيبه النقمة فيهم ، فإنى مستخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ، فاحتمل معدا على البراق إلى أرض الشام ، فنشأ مع بنى إسرائيل ، وتزوج هناك امرأة اسمها : معانة بنت جوْشن من بنى دُب بن جُرهم ، ويقال فى اسمها : ناعمة . قاله الزبير ، ومن ثم وقع فى كتاب الإسرائيليين نسب معد ، ثبتّه فى كتبه رخيا ، وهو يورخ كاتب إرمياء . كذلك ذكر أبو عمر النّمرى، حدثت بذلك عن الغسانى عنه ، وبينه وبين إبراهيم فى ذلك النسب نحو من أربعين جدا ، وقد ذكرهم كلهم أبو الحسن المسعودى على اضطراب فى الأسماء ، ولذلك ـ والله أعلم ـ أعرض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن رفع نسب عدنان إلى إسماعيل ، لما فيه من التخليط ، وتغيير فى الألفاظ ، وعواصة تلك الأسماء ، مع قلة الفائدة فى تحصيلها . وقد ذكر الطبرى نسب عدنان إلى إسماعيل من وجوه ذكر فى أكثرها نحواً من أربعين أباً ، ولكن باختلاف فى الألفاظ ، لأنها نقلت من كتب

ويقال أُدَد ، بن مُقَوّم ، بن ناحور ، بن تَيرَح ، بن يعرب ، بن يشجب ، بن نابت ، بن إسماعيل ، بن إبراهيم — خليل الرحمن — ابن تارح — وهو آزر — بن ناحور ، بن ساروغ ، بن راعو ، بن فالخ ، بن عَيبر ، بن شالخ

عبرانية . وذكر من وجه قوى فى الرواية عن نُساب العرب ، أن نسب عدنان يرجع إلى قيذر بن إسماعيل ، وأن قيذر كان الملك فى زمانه ، وأن معنى قيذر : الملك إذا فُسر ، وذكر الطبرى فى عمود هذا النسب بورا بن شوحا ، وهو أول من عتّر العتيرة ، وأن شوحا هو : سعد رجب ، وأنه أول من سن رجباً للعرب . والعتيرة هى الرجبية[1] .

وذكر فى هذا النسب عُبيد بن ذى يزن بن هماذا ، وهو الطعان ، وإليه تنسب الرماح اليزنية . وذكر فيهم أيضاً دَوْس العُتُق ، وكان من أحسن الناس وجها ، وكان يقال فى المثل : أعتق من دوس ، وهو الذى هزم جيش قَطورا بن جرهم .

وذكر فيهم إسماعيل ذا الأعوج ، و(الأعوج) هو فرسه ، وإليه تنسب الخيل الأعوجية ، هذا هو الذى يشبه ، فإن بختنصر كان بعد سليمان بمئين من السنين ، لأنه كان عاملا على العراق « لكى لهراسب » ثم لابنه « كى بستاسب » إلى مدة بهمن قبل غلبة الإسكندر على دارا بن دارا بن بهمن ، وذلك قريب من مدة عيسى بن مريم فأين هذه المدة من مدة إسماعيل ؟ ! وكيف يكون بين معد وبنيه مع هذا سبعة آباء ، فكيف أربعة ؟! والله أعلم .

وكان رجوع معد إلى أرض الحجاز بعد مارفع الله بأسه عن العرب ورجعت بقاياهم التى كانت فى الشواهق إلى محالهم ومياههم بعد أن دوخ بلادهم بختنصر ، وخرب المعمور ، واستأصل أهل حضور[2] ، وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله : « وكم قصمنا من قرية » الآية ؛ وذلك لقتلهم شعيب بن ذى مهدم نبيا أرسله الله إليهم ، وقبره بصنين جبل باليمن ، وليس بشعيب الأول صاحب مدين . ذلك شعيب بن عَيفى ، ويقال فيه : ابن صيفون ، وكذلك أهل عدن ، قتلوا نبياً أرسل إليهم اسمه : حنظلة بن صفوان ، فكانت سطوة الله بالعرب لذلك ، نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه .

عود إلى النسب — مقوم وآباؤه : ثم نعود إلى النسب . فأما مقوم بكسر الواو ، وأبو أدد فمفهوم المعنى . وتيرح فيعل من الترحة إن كان عربيا . وكذلك ناحور من النحر ، ويشجُب من الشَّجَب ، وإن كان المعروف أن يقال : شجب بكسر الجيم يشجب بفتحها ، ولكن قد يقال فى المغالبة : شاجبته فشجبته أشجبه ، بضم الجيم فى المستقبل ، وفتحها فى الماضى ؛ كما يقال من العلم : عالمته فعلمته بفتح اللام أعلمه بضمها . وقد ذكرهم أبو العباس الناشىء فى قصيدته المنظومة فى نسب النبى — صلى الله عليه وسلم — إلى آدم ، كما ذكرهم ابن إسحاق .

ابراهيم وآباؤه وإبراهيم معناه : أب راحم ، وآزر قيل : معناه : ياأعوج ، وقيل : هو اسم صنم ، وانتصب على إضمار الفعل فى التلاوة ، وقيل : هو اسم لأبيه ؛ كان يسمى تارح وآزر ، وهذا هو الصحيح لمجيئه فى الحديث منسوبا إلى آزر ، وأمه : نونا ، ويقال فى اسمها : ليوثى ، أو نحو هذا . ومابعد إبراهيم أسماء سريانية فسر أكثرها بالعربية ابن هشام فى غير هذا الكتاب ، وذكر أن فالغ معناها : القسام ، وشالخ معناها : الرسول ، أو الوكيل . وذكر أن إسماعيل تفسيره : مطيع الله . وذكر الطبرى : أن بين فالغ وعابر أبا اسمه : قينن أسقط اسمه فى التوراة ؛ لأنه كان

---

(١) كان الرجل فى الجاهلية يقول إذا بلغت إبلى مائة عترت عنها عتيرة . أو طلب أحدهم طلبا فنذر إن ظفر به ليذبحن من غنمه شيئاً فى رجب وكان غالباً ما يضن الرجل منهم بغنمه

(٢) بلدة باليمن

ابن أرنخشذ ، بن سام ، بن نوح ، بن لَمْك ، بن مَتُّوشَلَخ ، بن أخنوخ وهو إدريس النبي ـ فيما يزعمون ـ والله أعلم . وكان أول بنى آدم أعطى النبوة ، وخط بالقلم ـ ابن يَرْد ، بن مهليل ، بن قَينن ، بن يانش ، بن شيث ، بن آدم ، صلى الله عليه وسلم .

ساحرا ، وأرنخشذ تفسيره : مصباح مضيء ، وشاذ مخفف بالسريانية : الضياء ومنه « حم شاذ » بالسريانية ، وهو رابع الملوك بعد « جيومرث » ، وهو الذى قتله الضحاك ، واسمه « بيوراسب بن إندراسب » والضحاك مُغيَّر من : ازدهاق . قال حبيب [1] :

وكأنه الضحاك فى فتكاته بالعالمين وأنت أفريدون

لأن أفريدون هو الذى قتل الضحاك ، بعد أن عاش ألف سنة فى جور وعتو وطغيان عظيم ؛ وذلك مذكور على التفصيل فى تاريخ الطبرى وغيره .

نوح وآباؤه ° وذكر نوحاً — عليه السلام — واسمه : عبد الغفار ؛ وسمى نوحا لنوحه على ذنبه ، وأخوه : صابىء بن لامك ؛ إليه ينسب دين الصابئين [2] فيما ذكروا والله أعلم .

وذكر أن لامك والد نوح عليه السلام . ولامك أول من اتخذ العود للغناء بسببٍ يطول ذكره ، واتخذ مصانع الماء . وأبوه : مَتُّوشَلَخ . وذكره الناشىء فى قصيدته [3] فقال : متوشلخ ، وتفسيره : مات الرسول ؛ لأن أباه كان رسولا وهو خنوخ . وقال ابن إسحاق وغيره : هو إدريس النبى — عليه السلام — وروى ابن إسحاق فى الكتاب الكبير عن شهر بن حوشب عن أبى ذر عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « أول من كتب بالقلم إدريس » وعنه — عليه الصلاة والسلام — أنه قال : « أول من كتب بالعربية إسماعيل » وقال أبو عمر : وهذه الرواية أصح من رواية من روى : أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل ، والخلاف كثير فى أول من تكلم بالعربية . وفى أول من أدخل الكتاب العربى أرض الحجاز ؛ فقيل : حرب بن أمية . قاله الشعبى . وقيل : هو سفيان بن أمية . وقيل : عبد بن قصى ، تعلمه بالحيرة ، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار .

إدريس ° قال المؤلف : ثم نرجع الآن إلى ما كنا بصدده . فنقول : إن إدريس — عليه السلام — قد قيل : إنه إلياس ، وإنه ليس بجد لنوح . ولاهو فى عمود هذا النسب . وكذلك سمعت شيخنا الحافظ أبابكر — رحمه الله — يقول — ويستشهد بحديث الإسراء — فإن النبى — صلى الله عليه وسلم — كلما لقى نبيا من الأنبياء الذين لقيهم ليلة الإسراء ، قال : مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح . وقال له آدم : مرحبا بالنبى

---

(١) أبو تمام الشاعر المشهور .

(٢) الصابئون: عبدة الكواكب والملائكة ، ومن يخرجون من دين إلى دين ، ويزعم الصابئون أنهم على دين نوح عليه السلام .

(٣) يقول أبو العباس عبد الله بن محمد الناشىء من قصيدة طويلة يذكر متوشلخ :

ومن قبل لمك لم يزل متوشلخ يذود العدا بالزائدات الشوارب

انظر باقى القصيدة فى : الأمم لابن عبد البر .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، بهذا الذى ذكرت من نسب محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى آدم عليه السلام ، وما فيه من حديث إدريس وغيره .

قال ابن هشام : وحدثنى خلاد بن قرة بن خالد السدوسى ، عن شيبان ابن زهير بن شقيق بن ثور ، عن قتادة ابن دعامة ، أنه قال :

إسماعيل بن إبراهيم ـ خليل الرحمن ـ ابن تارح ـ وهو آزر ـ بن ناحور بن أسرغ بن أرغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قاين بن أنوش بن شيث بن آدم ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

منهج ابن هشام فى عرضه للسيرة : قال ابن هشام : وأنا ـ إن شاء الله ـ مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من ولده ، وأولادهم لأصلابهم ، الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة ؛

الصالح ، والابن الصالح ، وكذلك قال له إبراهيم . وقال له إدريس : والأخ الصالح ، فلو كان فى عمود نسبه ، لقال له كما قال له أبوه إبراهيم ، وأبوه آدم ، ولخاطبه بالبنوة ، ولم يخاطبه بالأخوة . وهذا القول عندى أنبل ، والنفس إليه أميل لما عضده من هذا الدليل .

وقال : إدريس بن يرد ، وتفسيره : الضابط . ابن مهلائيل ، وتفسيره : الممدح ، وفى زمنه كان بدأ عبادة الأصنام . ابن قينان ، وتفسيره : المستوى . ابن أنوش ، وتفسيره : الصادق ، وهو بالعربية : أنش ؛ وهو أول من غرس النخلة ، وبوب الكعبة ، وبذر الحبة فيما ذكروا ، ابن شيث وهو بالسريانية : شاث . وبالعبرانية : شيث . وتفسيره : عطية الله ، ابن آدم .

آدم : وفيه ثلاثة أقوال : قيل : هو اسم سريانى وقيل : هو أفعل من الأدمة [1] . وقيل : أخذ من لفظ الأديم [2] ، لأنه خلق من أديم الأرض . وروى ذلك عن ابن عباس . وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل عن محمد بن المستنير ، وهو : قطرب أنه قال : لو كان من أديم الأرض لكان على وزن فاعل ، وكانت الهمزة أصلية ، فلم يكن يمنعه من الصرف مانع ، وإنما هو على وزن أفعل من الأدمة . ولذلك جاء غير مجرى [3] .

قال المؤلف : وهذا القول ليس بشىء ؛ لأنه لا يمتنع أن يكون من الأديم ويكون على وزن أفعل . تدخل الهمزة الزائدة على الهمزة الأصلية كما تدخل على همزة الأدمة . فأول الأدمة همزة أصلية . فكذلك أول الأديم همزة أصلية ، فلا يمتنع أن يبنى منها أفعل . فيكون غير مجرى . كما يقال : رجل أعين وأرأس من العين والرأس . وأسوق وأعنق من الساق والعنق . مع ما فى هذا القول من المخالفة لقول السلف الذين هم أعلم منه لسانا ، وأذكى جنانا .

التكلم فى الأنساب بين المجوزين والمانعين : قال المؤلف : وإنما تكلمنا فى رفع هذا النسب على مذهب من رأى ذلك من العلماء ، ولم يكرهه ، كابن إسحاق والطبرى والبخارى والزبيريين وغيرهم من العلماء . وأما مالك ـ رحمه الله ـ فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك ، قيل له : فإلى إسماعيل ، فأنكر ذلك أيضا ؛

---

(١) الأدمة : السمرة . (٢) الأديم : ما ظهر من أى شىء . (٣) أى ممنوع من الصرف .

للاختصار ، إلى حديث سيرة رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — وتارك بعض ماذكره ابن إسحق فى هذا الكتاب ، مماليس لرسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فيه ذكر، ولانزل فيه من القرآن شيء ، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولاتفسيراً له ، ولاشاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائى بروايته ، ومستقصٍ — إن شاء الله تعالى — ماسوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به .

سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام

أولاد إسماعيل عليه السلام :

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المُطَّلبي قال :

وَلَدَ إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ اثنى عشر رجلا : نابتا ـ وكان أكبرهم ـ وقيدر ، وأذبُل ،ومنشا، ومِسْمَعا ، وماشى ، ودِمَّا ، وأذر ، وطيما ، ويطورا ، ونبش ، وقَيذُما ، وأمهم : بنت مُضاض بن عمرو الجرهمى . قال ابن هشام : ويقال : مِضاض ، وجرهم بن قحطان ـ وقحطان أبو اليمن كلها ، وإليه يجتمع نسبها ـ ابن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح .

وقال : ومن يخبره به ؟ ! وكره أيضا أن يرفع فى نسب الأنبياء مثل أن يقال : إبراهيم ابن فلان ابن فلان ، قال : ومن يخبره به ؟ ! وقع هذا الكلام لمالك فى الكتاب الكبير المنسوب إلى المعيطى ، وإنما أصله لعبدالله بن محمد ابن حنين . وتممه المعيطى ، فنسب إليه . وقول مالك هذا نحو مما روى عن عروة بن الزبير أنه قال : ماوجدنا أحداً يعرف مابين عدنان وإسماعيل . وعن ابن عباس — رضى الله عنه — قال : بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لايعرفون .

ذكر إسماعيل ـ صلى الله عليه وسلم ـ واخوته وبنيه

وقد كان لإبراهيم ـ عليه السلام ـ بنون سوى إسحاق وإسماعيل منهم ستة من قطورا بنت يقطر وهم : مَديان وزَمران وسِرج بالجيم ونِقشان ـ ومن ولد نقشان البربر فى أحد الأقوال ـ وأمهم رِغوة . ومنهم : لشق، وله بنون آخرون من حَجُّون بنت أهين ، وهم : كيسان وسورج وأُمَيم ولوطان ونافس . هؤلاء بنو إبراهيم .

وقدذكر ابن إسحاق أسماء بنى إسمعيل ، ولم يذكر بنته ، وهى نَسْمة بنت إسمعيل، وهى امرأة عيصو بن إسحق وولدت له الرومَ وفارسَ — فيما ذكر الطبرى — وقال : أشك فى الأشبان هل هى أمهم ، أم لا ؟ وهم من ولد عيصو ، ويقال فيه أيضاً : عيصا ، وذكر فى ولد إسمعيل : طيما ، وقيده الدارقطنى : ظميا بظاء منقوطة بعدها ميم، كأنها تأنيث أظمى ، والظمى مقصور : سمرة فى الشفتين .

وذكر دِمَّا ، ورأيت للبكرى أن دومة الجندل عرفت بدوما بن إسماعيل وكان نزلها ، فلعل دِمَّا مُغيَّر منه ، وذكر أن الطور سمى بيطور بن إسماعيل ، فلعله محذوف الياء أيضاً — إن كان صح ماقاله — والله أعلم .

وأما الذى قاله أهل التفسير فى الطور ، فهو كل جبل ينبت الشجر ، فإن لم ينبت شيئا فليس بطور . وأما قيذر : فتفسيره عندهم : صاحب الإبل ، وذلك أنه كان صاحب إبل إسماعيل .

قال ابن إسحاق: جرهم بن يقطَن بن عَيْبَر بن شالخ، ويقطن هو: قحطان بن عيبر بن شالخ.

عمر إسماعيل وموطن أمه ووفاته: قال ابن إسحاق: وكان عمر إسماعيل ـ فيما يذكرون ـ مائة سنة وثلاثين سنة، ثم مات ـ رحمة الله وبركاته عليه ـ ودفن فى الحجر مع أمه هاجر ـ رحمهم الله تعالى.

قال ابن هشام: تقول العرب: هاجر وآجر، فيبدلون الألف من الهاء، كما قالوا: هراق الماء، وأراق الماء، وغيره. وهاجر من أهل مصر.

حديث الوصاة بأهل مصر وسببها: قال ابن هشام: حدثنا عبد الله بن وهب، عن عبد الله بن لهيعة، عن عمر مولى غُفْرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال:

الله الله فى أهل الذمة، أهل المَدَرة السوداء، السُّحْم الجِعاد، فإن لهم نسباً وصهراً.

هاجر. قال: وأمه: هاجر. ويقال فيها: آجر، وكانت سرية لإبراهيم، وهبتها له سارة بنت عمه، وهى سارة بنت تُوبيل بن ناحور، وقيل: بنت هاران بن ناحور، وقيل: هاران بنت تارح.

وهى بنت أخيه على هذا، وأخت لوط. قاله القتبى فى المعارف، وقاله النقاش فى التفسير، وذلك أن نكاح بنت الأخ كان حلالا إذ ذاك فيما ذكر، ثم نقض النقاش هذا القول فى تفسير قوله تعالى: «شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا»، أن هذا يدل على تحريم بنت الأخ على لسان نوح — عليه السلام — وهذا هو الحق، وإنما توهموا أنها بنت أخيه، لأن هاران أخوه، وهو هاران الأصغر، وكانت هى بنت هاران الأكبر، وهو عمه، وبهاران سُميت مدينة حَران، لأن الحاء هاء بلسانهم، وهو سريانى. وذكر الطبرى أن إبراهيم إنما نطق بالعبرانية حين عبر النهر فاراً من النمروذ، وكان النمروذ قد قال للطلب الذين أرسلهم فى طلبه: إذا وجدتم فتى يتكلم بالسريانية فردوه؛ فلما أدركوه استنطقوه، فحول الله لسانه عبرانياً، وذلك حين عبر النهر، فسميت العبرانية بذلك، وأما السريانية فيما ذكر ابن سلام فسميت بذلك؛ لأن الله — سبحانه — لما علم آدم الأسماء كلها، علمه سراً من الملائكة، وأنطقه بها حينئذ، وكانت هاجر قبل ذلك للملك الأردن، واسمه صادوق — فيما ذكر القتبى — دفعها إلى سارة حين أخذها من إبراهيم عجبا منه بجمالها، فصُرع مكانه، فقال: ادعى الله أن يطلقنى. الحديث، وهو مشهور فى الصحاح، فأرسلها، وأخدمها هاجر، وكانت هاجر قبل ذلك الملك، بنت ملك من ملوك القبط بمصر ذكره الطبرى من حديث سيف بن عمر أو غيره: أن عمرو بن العاص حين حاصر مصر، قال لأهلها: إن نبينا عليه السلام قد وعدنا بفتحها، وقد أمرنا أن نستوصى بأهلها خيراً، فإن لهم نسباً وصهراً، فقالوا له: هذا نسب لايحفظ حقه إلا نبى، لأنه نسب بعيد. وصدق، كانت أمكم امرأة لملك من ملوكنا. فحاربنا أهل عين شمس، فكانت لهم علينا دولة، فقتلوا الملك واحتملوها، فمن هناك تصيرت إلى أبيكم إبراهيم — أو كما قالوا.

وذكر الطبرى أن الملك الذى أراد سارة هو سِنان بن علوان، وأنه أخو الضحاك الذى تقدم ذكره، وفى كتاب (التيجان) لابن هشام أنه: عمرو بن امرىء القيس بن بابليون بن سبأ، وكان على مصر والله أعلم.

قال عمر مولى غُفْرة : نسبهم : أن أم إسماعيل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم . وصهرهم ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تسرر فيهم .

قال ابن لهيعة : أم إسماعيل : هاجر ، من « أم العرب » قرية كانت أمام الفَرَما من مصر .

وأم إبراهيم[١] : مارية سرية النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ التى أهداها له المقوقس من حفن ، من كورة أنْصِنا .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن شهاب الزهرى : أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك الأنصارى ، ثم السلمى ، حدثه : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « إذا فتحتم مصر ؛ فاستوصوا بأهلها خيرا ؛ فإن لهم ذمة ورحما » . فقلت لمحمد بن مسلم الزهرى : ما الرحم التى ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لهم ؟ فقال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم .

أصل العرب : قال ابن هشام : فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان ، وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل ، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها .

وهاجر أول امرأة ثُقبت أذناها ، وأول من خفض[٢] من النساء ، وأول من جرت ذيلها ؛ وذلك أن سارة غضبت عليها ، فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها ، فأمر إبراهيم — عليه السلام — أن تبر قسمها بثقب أذنيها وخفاضها ، فصارت سنة فى النساء . وممن ذكر هذا الخبر ابن أبى زيد فى نوادره .

وإسماعيل ـ عليه السلام ـ نبى مرسل ، أرسله الله تعالى إلى أخواله من جرهم ، وإلى العماليق الذين كانوا بأرض الحجاز ، فآمن بعض وكفر بعض .

وقوله : وأمهم بنت مضاض ، ولم يذكر اسمها ، واسمها : السيدة ، ذكره الدارقطنى . وقد كان له امرأة سواها من جرهم ، وهى التى أمره أبوه بتطليقها حين قال لها إبراهيم : قولى لزوجك فليغير عتبته . يقال اسمها : جداء بنت سعد ، ثم تزوج أخرى ، وهى التى قال لها إبراهيم فى الزورة الثانية : قولى لزوجك فليثبت عتبة بيته .. الحديث ، وهو مشهور فى الصحاح أيضاً . يقال اسم هذه الآخرة : سامة بنت مهلهل ، ذكرهما . وذكر التى قبلها الواقدى فى كتاب (انتقال النور) وذكرها المسعودى أيضاً ، وقد قيل فى الثانية : عاتكة .

هدايا المقوقس الى النبى صلى الله عليه وسلم : وقوله : فى حديث عمر : مولى غُفرة ، وغفرة هذه هى أخت بلال بن رباح : وقول مولى غفرة هذا : إن صهرهم لكون رسول الله — صلى الله عليه وسلم ـ تسرر منهم ، يعنى : مارية بنت شمعون التى أهداها إليه المقوقس ، واسمه : جُريج بن ميناء ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أرسل إليه حاطب بن أبى بلتعة وجبراً مولى أبى رُهْم الغفارى ، فقارب الإسلام وأهدى معهما إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — بغلته التى يقال لها دُلْدُل ، والدلدل : القنفذ العظيم ، وأهدى إليه مارية بنت شمعون ، والمارية : بتخفيف الياء : البقرة الفتية ، بخط ابن سراج ، يذكره عن أبى عمرو المطرز .

وأما المارِيَّة بالتشديد فيقال : قَطَاة مارية أى : ملساء ، قاله أبو عبيدة فى الغريب المصنف .

وأهدى إليه أيضاً قدحاً من قوارير ، فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يشرب فيه . رواه ابن عباس ،

---

(١) يقصد بإبراهيم هنا : ابن النبى صلى الله عليه وسلم . (٢) خفض الصبية : ختنها .

قال ابن إسحاق : عاد بن عَوْص بن إرَم بن سام بن نوح ، وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وطَسْم وعملاق وأمَيم بنو لاوَذ بن سام بن نوح . عرب كلهم . فولد نابتُ بن إسماعيل : يشجب بن نابت ، فولد يشجبُ : يعربَ بن يشجب : فولد يعرب : تيرَح بن يعرب ، فولد تيرح : ناحور بن تيرح ، فولد ناحور : مقوم ابن ناحور ، فولد مقوم : أدد بن مقوم ، فولد أدد : عدنان بن أدد . قال ابن هشام : ويقال : عدنان بن أُد .

قال ابن إسحاق : فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ فولد عدنان رجلين : معد ابن عدنان ، وعك بن عدنان .

فيقال : إن هرقل عزله لما رأى من ميله إلى الإسلام . ومعنى المقوقس : المطول للبناء ، والقَوْس : الصومعة العالية ، يقال فى مَثَل : « أنا فى القوس وأنت فى القرقوس ، متى نجتمع ؟ ! » .

وقول ابن لهيعة بالفرما من مصر ، الفرما : مدينة كانت تنسب إلى صاحبها الذى بناها ، وهو الفرما بن قيلقوس ، ويقال فيه : ابن قليس ، ومعناه : محب الغرس ، ويقال فيه : ابن بليس . ذكره المسعودى . والأول قول الطبرى ، وهو أخو الإسكندر بن قليس اليونانى . وذكر الطبرى أن الإسكندر حين بنى مدينة الإسكندرية قال : أبنى مدينة فقيرة إلى الله ، غنية عن الناس . وقال الفرما : أبنى مدينة فقيرة إلى الناس ، غنية عن الله ، فسلط الله على مدينة الفرما الخراب سريعا ، فذهب رسمها وعفا أثرها ، وبقيت مدينة الإسكندر إلى الآن .

وذكر الطبرى أن عمرو بن العاص حين افتتح مصر وقف على آثار مدينة الفرما ، فسأل عنها ، فحُدِّثَ بهذا الحديث ، والله أعلم .

مصر وسبب تسميتها : وأما مصر فسميت بمصر بن النبيط ، ويقال : ابن قبط بن النبيط من ولد : كوش بن كنعان

حفن : وأما حفن التى ذكر أنها قرية أم إبراهيم ابن النبى — صلى الله عليه وسلم — فقرية بالصعيد معروفة وهى التى كلم الحسن بن على — رضى الله عنهما — معاوية أن يضع الخراج عن أهلها ، ففعل معاوية ذلك حفظا لوصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهم ، ورعاية لحرمة الصهر ، ذكره أبو عبيد فى كتاب الأموال .

أنصنا : وذكر أنْصِنا وهى قرية بالصعيد يقال : إنها كانت مدينة السَّحَرَة . قال أبو حنيفة : ولا ينبت اللبخ إلا بأنصنا ، وهو عود تنشر منه ألواح للسفن وربما رعف [1] ناشرها ، ويباع اللوح منها بخمسين ديناراً ، أو نحوها ، وإذا شد لوح منها بلوح ، وطرح فى الماء سنة التأما ، وصارا لوحاً واحداً .

عك بن عدنان : وذكر عك بن عدنان ، وأن بعض أهل اليمن يقول فيه : عَكُّ بن عدنان ، بن عبد الله ، ابن الأزد . وذكر الدارقطنى فى هذا الموضع عن ابن الحباب أنه قال فيه : عك بن عبد الله ، بن عَدْثان بالثاء المثلثة ، ولا خلاف فى الأول أنه بنونين ، كما لم يختلف فى دَوس بن عدثان ، أنه بالثاء ، وهو قبيلة من الأزد أيضا ، واسم عك : عامر . والديث الذى ذكره هو بالثاء ، وقالَ الزبير : الذيب بالذال والياء ، ولعدنان أيضا ابن اسمه : الحارث ، وآخر يقال له المَذْهَب ، ولذلك قيل فى المثل : أجمل من المذهب . وقد ذكر أيضا فى بنيه

---

(١) رعف : خرج من أنفه الرعاف ، وهو الدم .

قال ابن هشام : فصارت عك فى دار اليمن ، وذلك أن عكا تزوج فى الأشعريين ، فأقام فيهم ؛ فصارت الدار واللغة واحدة . والأشعريون : بنو أشعر بن نبت بن أُدد بن زيد بن هَمَيْسَع بن عمرو بن عريب بن يشجب ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ويقال : أشعر: نَبْت بن أدد ، ويقال: أشعر: بن مالك، ومالك : مَذحج بن أدد بن زيد بن هميسع ، ويقال : أشعر: بن سبأ بن يشجب .

وأنشدنى أبو مُحرز خلف الأحمر ، وأبو عبيدة ، لعباس بن مرداس ، أحد بنى سُلَيم بن منصور بن عكرمة ابن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، يفخر بعك :

الضحاك ، وقيل فى الضحاك: إنه ابن معد ، لا ابن عدنان ، وقيل إن عدن الذى تعرف به مدينة عدن ، وكذلك أبين هما [1] : ابنا عدنان ، قاله الطبرى . ولعدنان بن إدد أخوان : نبت بن أدد ، وعمرو بن أدد . قاله الطبرى أيضا .

ذكر قحطان والعرب العاربة

أما قحطان فاسمه مهزم — فيما ذكر ابن ماكولا — وكانوا أربعة إخوة فيما روى عن ابن منبِّه : قحطان وقاحط ومقحط وفالغ . وقحطان أول من قيل له : أبيت اللعن [2] ، وأول من قيل له : عِمْ صباحا [3] ، واختلف فيه، فقيل: هو ابن عابر بن شالخ ، وقيل :هو ابن عبد الله أخو هود ، وقيل: هو هود نفسه ، فهو على هذا القول من إرم بن سام ، ومن جعل العرب كلها من إسماعيل قالوا فيه : هو ابن تَيْمَن بن قيذر بن إسماعيل . ويقال ، هو ابن الهميسع ابن يمن، وبيمن سميت اليمن فى قول ، وقيل : بل سميت بذلك لأنها عن يمين الكعبة. وتفسير الهميسع : الصرّاع .

وقال ابن هشام : يمن هو: يعرب بن قحطان ، سمى بذلك ؛ لأن هودا عليه السلام قال له أنت أيمن ولدى نقيبة [4] فى خبر ذكره . قال : وهو أول من قال القريض والرجز ، وهو الذى أجلى بنى حام إلى بلاد المغرب بعد أن كانوا يأخذون الجزية من ولد قُوطَة بن يافث ، قال : وهى أول جزية وخراج أُخذت فى بنى آدم . وقد احتجوا لهذا القول،أعنى : أن قحطان من ولد إسماعيل عليه السلام بقول النبى — صلى الله عليه وسلم — « ارموا يابنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا » قال هذا القول لقوم من أسلم بن أفصى ، وأسلم أخو خزاعة وهم بنو حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهم من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ولا حجة عندى فى هذا الحديث لأهل هذا القول ، لأن اليمن لو كانت من إسماعيل — مع أن عدنان كلها من إسماعيل بلاشك — لم يكن لتخصيص هؤلاء القوم بالنسبة إلى إسماعيل معنى ؛ لأن غيرهم من العرب أيضا أبوهم إسماعيل ، ولكن فى الحديث دليل - والله أعلم- على أن خزاعة من بنى قمعة أخى مدركة بن الياس بن مضر ، كما سيأتى بيانه فى هذا الكتاب عند حديث عمرو ابن لُحَى — إن شاء الله — وكذلك قول أبى هريرة — رضى الله عنه — « هى أمكم يابنى ماء السماء » يعنى : هاجر ، يحتمل أن يكون تأول فى قحطان ما تأوله غيره ، ويحتمل أن يكون نسبهم إلى : ماء السماء على زعمهم ، فإنهم ينتسبون إليه ، كما ينتسب كثير من قبائل العرب إلى حاضنتهم وإلى رابهم ، أى : زوج أمهم ، كما سيأتى بيانه فى باب قضاعة إن شاء الله .

سبأ وأميم ووبار : وسبأ اسمه : عبد شمس — كما ذكر — وكان أول من تتوج من ملوك العرب ، وأول من سَبَى فسمى سبأ ، ولست من هذا الاشتقاق على يقين ؛ لأن سبأ مهموز والسبى غير مهموز .

---

(١) الضمير : راجع إلى أبين وعدن .

(٢) أبيت أن تأتى ما تلعن عليه .

(٣) عم صباحا : تحية للصباح .

(٤) النقيبة : نفساً .

وغك بن غدنان الذين تلقبوا   بغسان حتى طُرِّدوا كل مطرد

وهذا البيت فى قصيدة له . وغسان : ماء بسد مأرب باليمن ، كان شرباً لولد مازن بن الأسد بن الغوث، فسموا به . ويقال : غسان : ماء بالمُشلل قريب من الجحفة ، والذين شربوا منه تحزبوا فسموا به قبائل من ولد مازن ابن الأسد ،بن الغوث، بن نبت ، بن مالك، بن زيد، بن كهلان ، بن سبأ ، بن يشجب ، بن يعرب ، بن قحطان .

ذكر نسب الأنصار

قال حسان بن ثابت الأنصارى، والأنصار بنو الأوس والخزرج،ابنَىْ حارثة،بن ثعلبة، بن عمرو، بن عامر،

وذكر أُمَيْماً ، ويقال فيه : أُميم : ووجدت بخط أشياخ مشاهير : أُمَّيم ، وأميم بفتح الهمزة وتشديد الميم مكسورة ، ولا نظير له فى الكلام ، والعرب تضطرب فى هذه الأسماء القديمة . قال المعرى :

يراه بنو الدهر الأخير بحاله   كما قد رأته جرهم وأَمِيمُ

فجاء به على وزن فعيل ، وهو الأكثر ، وأميم — فيما ذكروا — أول من سقف البيوت بالخشب المنشور ، وكان ملكا ، وكان يسمى : آدم ، وهو عند الفُرس : آدم الصغير ، وولده : وبار ، وهم أمة هلكت فى الرمل ، هالت الرياح الرمل على فجاجهم ومناهلهم فهلكوا . قال الشاعر :

وكر دهر على وبار   فأُهْلكت عَنْوَةً وبار

والنسب إليه أبَارِىٌّ على غير قياس . ومن العماليق : ملوك مصر الفراعنة ، منهم : الوليد بن مصعب صاحب موسى،وقابوس بن مصعب بن عمرو بن معاوية بن إراشة بن معاوية بن عمليق أخو الأول ، ومنهم : الريان بن الوليد صاحب يوسف عليه السلام ، ويقال فيه : ابن دَوْمع فيما ذكر المسعودى .

طسم وجديس : وأما طَسْم وجَديس فأفنى بعضهم بعضاً .قتلت طسم جديساً لسوء ملكتهم إياهم،وجورهم فيهم، فأفلت منهم رجل اسمه : رباح بن مرة ، فاستصرخ بتبع ، وهو حسان بن تُبَّان أسعد ، وكانت أخته اليمامة ، واسمها عَنْز ناكحاً فى طسم ، وكان هواها معهم ، فأنذرتهم ، فلم يقبلوا ، فصبحتهم جنود تبع فأفنوهم قتلا ،وصلبوا اليمامة الزرقاء بباب جوّ ، وهى المدينة ، فسميت جو باليمامة من هنالك إلى اليوم ، وذلك فى أيام ملوك الطوائف، وبقيت بعد طسم يبابا(١) لا يأكل ثمرها إلا عوافى(٢) الطير والسباع ، حتى وقع عليها عبيد بن ثعلبة الحنفى ، وكان رائداً لقومه فى البلاد ، فلما أكل الثمر قال: إن هذا لطعام ، وحجّر بعصاه على موضع قصبة اليمامة ، فسميت : حِجراً ، وهى منازل حنيفة إلى اليوم . وخبر طسم وجديس مشهور اقتصرنا منه على هذه النبذة لشهرته عند الإخباريين .

ذكر نسب الأنصار

وهم الأوس والخزرج ، والأوس : الذئب والعطية أيضاً ، والخزرج : الريح الباردة ، ولا أحسب الأوس فى اللغة إلا العطية خاصة ، وهى مصدر أُسته ،وأما أوس الذى هو الذئب فعلم كاسم الرجل ، وهو كقولك : أسامة فى اسم الأسد ، وليس أوس إذا أردت الذئب ، كقولك : ذئب وأسد ، ولو كان كذلك لُجمع وعُرِّف . قال : كما يفعل بأسماء الأجناس ، ولقيل فى الأنثى : أوْسة كما يقال : ذئبة .

---

(١) يبابا : خرابا .   (٢) العوافى : طلاب الرزق من الناس والحيوان .

ابن حارثة ، بن امرىء القيس ، بن ثعلبة ، بن مازن ، بن الأسد ، بن الغوث :

إما سألتِ فإنا معشر نجب ... الأسْدُ نسبتنا والماء غسان

وهذا البيت فى أبيات له .

فقالت اليمن ، وبعض عك ، وهم الذين بخراسان منهم : عك بن عدنان بن عبد الله بن الأسد بن الغوث . ويقال : عُدثان بن الديث بن عبد الله بن الأسد بن الغَوث .

قال ابن إسحاق : فولد معد بن عدنان أربعة نفر: نزار بن معد ، وقضاعة بن معد، وكان قضاعة بِكر معد الذى به يكنى ـ فيما يزعمون ـ وقنص بن معد ، وإياد بن معد .

وفى الحديث مايقوى هذا ، وهو قوله عليه السلام : « هذا أوَيْس يسألكم من أموالكم » فقالوا : « لاتطيب له أنفسنا بشى » ولم يقل : هذا الأوس فتأمله . وليس أوس على هذا من المسمين بالسباع، ولامنقولا من الأجناس إلا من العطية خاصة .

وفيه عمرو ، وهو مُزيقياء ، لأنه ـ فيما ذكروا ـ كان يمزق كل يوم حلة . ابن عامر ، وهو : ماء السماء . بن حارثة الغطريف، بن امرىء القيس، وهو : البُهْلول، بن ثعلبة الصنم، ابن مازن السَّراج ، ابن الأسد ، ويقال لثعلبة أبيه : الصنم ، وكان يقال لثعلبة بن عمرو جد الأوس والخزرج : ثعلبة العَنْقاء ، وكأنهم ملوك متوجون ، ومات حارثة بن ثعلبة العنقاء والد الأوس والخزرج بالمدينة بعد ظهورهم على الروم بالشام ، ومصالحة غسان لملك الروم[1] ، وكان موت حارثة وجِذع بن سنان من صيحة كانت بين السماء والأرض سُمع فيها صهيل الخيل . وبعد موت حارثة كان ماكان من نكث يهود العهود ، حتى ظهرت الأوس والخزرج عليهم بمن استنصروا به من ملوك جَفنة . ويقال فى الأسد : الأزد بالسين والزاى ، واسمه : الازدراء بن الغوث . قاله وثيمة بن موسى بن الفرات . وقال غيره : سمى أسداً لكثرة ماأسدى إلى الناس من الأيادى . ورفع فى النسب إلى كهلان بن سبأ ، وكهلان كان ملكا بعد حمير ، وعاش ـ فيما ذكروا ـ ثلاثمائة سنة ، ثم تحول الملك إلى أخيه حِمْيَر ، ثم فى بنيهم ، وهم : وائل ومالك وعمرو وعامر وسعد وعوف .

وذكر لطمة ولد عمرو بن عامر لأبيه ، وأنه كان أصغر ولده . قال المسعودى : واسمه : مالك ، وقال غيره : ثعلبة . وقال : ويقال إنه كان يتيما فى حجره .

وقول حسان[2] :

إما سألت فإنا معشر أنف ... الأسْد نسبتنا ، والماء غسان

ياأخت آل فراسٍ إننى رجل ... من معشر لهم فى المجد بنيان

واشتقاق غسان اسم ذلك الماء من الغَس ، وهو الضعيف كما قال :

غَس الأمانة صُنبور فصنبور .

ويروى غُسّى ، ويقال للمهر إذا زجر : غِس بتخفيف السين قاله صاحب العين. والغسيسة من الرطب : التى يبدأها الإرطاب من قِبَل مِعلاقها ، ولا تكون إلا ضعيفة ساقطة .

---

(١) فى طبعة أخرى: بعد حربهم للروم، وظهورهم على كل من حاربوه .

(٢) حسان بن ثابت شاعر مخضرم عاش فى الجاهلية فمدح الغساسنة والمناذرة ثم أسلم وصار الشاعر المنافح عن الدين والعقيدة .

فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ ـ وكان اسم سبأ : عبد شمس ـ وإنما سمى سبأ ؛ لأنه أول من سَبَى في العرب ـ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

قال ابن هشام : فقالت اليمن وقضاعة : قضاعة بن مالك بن حمير . وقال عمرو بن مرة الجهنى ، وجهينة ابن زيد ، بن ليث ، بن سَوْد ، بن أسلم ، بن الحاف ، بن قضاعة :

سبأ وسيل العرم : وذكر تفرق سبإ ، والعرب تقول : تفرقوا أيدى سبا وأيادى سبأ نصباً على الحال ، وإن كان معرفة فى الظاهر لأن معناه : مثل أيدى سبا والياء ساكنة فيه فى موضع النصب ، لأنه صار بمنزلة اسمين جعلا اسما واحداً مثل : معدى كرب ، ولم يسكنوها فى ثمانىَ عشرة ، لأنها متحركة فى ثمانية عشر .

وذكر سيل العَرِم ، وفى العرم أقوال . قيل : هو المُسَنَّاةُ أى : السد وهو قول قتادة ، وقيل : هو اسم للوادى ، وهو قول عطاء ، وقيل : هو الجُرَذُ الذى خرب السد ، وقيل : هو صفة للسيل من العرامة ، وهو معنى رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، وقال البخارى : « العرم : ماء أحمر حفر فى الأرض حتى ارتفعت عنه الجنتان ، فلم يسقهما ، حتى يبست ، وليس الماء الأحمر من السد ، ولكنه كان عذابا أرسل عليهم » انتهى كلام البخارى . والعرب تضيف الاسم إلى وصفه ، لأنهما اسمان ، فتعرف أحدهما بالآخر . وحقيقة إضافة المسمى إلى الاسم الثانى ، أى : صاحب هذا الاسم ، كما تقول . ذو زيد أى : المسمى بزيد ، ومنه سعد ناشِرَه ، وعمرو بطة .

وقول الأعشى :

ومأرب عفىّ عليها العرم

يقوى أنه السيل . ومأرب بسكون الهمزة : اسم لقصر كان لهم ، وقيل : هو اسم لكل ملك كان يلى سبأ ، كما أن تُبّعاً اسم لكل من ولى اليمن ، وحضرموت والشّحْر . قاله المسعودى . وكان هذا السد من بناء سبإ بن يشجب بن يعرب ، وكان ساق إليه سبعين واديا ، ومات قبل أن يستتمه ، فأتمه ملوك حمير بعده . وقال المسعودى : بناه لقمان بن عاد ، وجعله فرسخا ، وجعل له ثلاثين مثقبا .

وقول الأعشى : إذا جاء مَوّارُهُ لم يَرِمْ

من قوله تعالى : « يوم تمور السماء موراً » ، فهو مفتوح الميم ، وبعضهم يرويه مضموم الميم ، والفتح : أصح . ومنه قولهم : دم مائر أى : سائل . وفى الحديث : « أَمِرِّ الدم بما شئت » أى أرسله ، ورواه أبو عبيد أمر بسكون الميم ، جعله من مريت الضرع . والنفس إلى الرواية الأولى أميل من طريق المعنى ، وكذلك رواه النقاش ، وفسره .

وقوله : لم يرم ، أى : يمسكه السد حتى يأخذوا منه مايحتاجون إليه . وقوله : فأروى الزروع وأعنابها أى : أعناب تلك البلاد ، لأن الزروع لاعنب لها .

وأنشد لأمية بن أبى الصلت :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

وهذا أبين شاهد على أن العرم هو السد ، واسم أبى الصلت : ربيعة بن وهب بن علاج الثقفى ، وأمه : رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف .

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر   قضاعة بن مالك بن حمير
النسب المعروف غير المنكر   فى الحجر المنقوش تحت المنبر

قنص بن معد ونسب النعمان بن المنذر : قال ابن إسحاق : وأما قُنُص بن معد فهلكت بقيتهم ـ فيما يزعم نساب معد ـ وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة . قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى : أن النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص بن معد . قال ابن هشام : ويقال : قَنَص .

ذكر معد وولده

قوله : وولد معد أربعة نفر ، أما نزار فمتفق على أنه ابن معد ، وسائر ولد معد مختلف فيه ، فمنهم جُشَم ابن معد ، وسِلْهِم بن معد ، وجُنادة بن معد ، وقُناصة بن معد ، وقنص بن معد ، وسنام بن معد ، وعوف وقد انقرض عقبه ، وحَيْدان ، وهم الآن فى قضاعة ، وأوْد ، وهم فى مَذحِج ينسبون بنى أود بن عمرو ، ومنهم عُبيد الرِّماح وحَيدة وحيادة وجُنيد وقحم ، فأما قضاعة فأكثر النسابين يذهبون إلى أن قضاعة هو : ابن معد ، وهو مذهب الزبيريين ، وابن هشام ، وقد روى من طريق هشام بن عروة عن عائشة عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه سئل عن قضاعة ، فقال : هو ابن معد ، وكان بِكْره . قال أبو عمر : وليس دون هشام بن عروة من يحتج به فى هذا الحديث ، وقد عارضه حديث آخر عن عقبة بن عامر الجهنى . وجهينة : هو ابن زيد بن ليث بن سود ابن أسلُم — بضم اللام — ابن الحاف، بن قضاعة أنه قال : يارسول الله ، لمن نحن ؟ فقال : أنتم بنو مالك بن حمير. وقال عمرو بن مرة ، وهو من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويكنى أبامريم :

يأيها الداعى ادعنا وأبشر   وكن قضاعيا ولا تنزّر
نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر   قضاعة بن مالك بن حمير

قال ذو الحسبين : قال الزبير : الشعر لأفلح بن اليعبوب . وعمرو بن مرة هذا له عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حديثان . أحدهما : فى أعلام النبوة ، والآخر : « مَن ولى أمر الناس ، فسد بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة ، سد الله بابه دون حاجته وخلته ومسكنته يوم القيامة » ومما احتج به أصحاب القول الأول أيضا قول زهير :

قضاعية أو أختها مضرية   يُحَرَّق فى حافاتها الحطب الجزل

فجعل قضاعة ومضر أخوين . وأشعار كثيرة للبيد وغيره ، وقد قال الكميت يعاتب قضاعة فى انتسابهم إلى اليمن :

علام نزلتم من غير فقر   ولا ضراء منزلة الحميل ؟!

والحميل : المَسبِى لأنه يحمل من بلد إلى بلد . قال الأعمش : كان أبى حميلا فورّثه مسروق . أراد أن مسروقا كان يرى التوارث بولادة الأعاجم. وقال ابن الماجشون: كان أبى ومالك وابن دينار والمغيرة يقولون فى الحميل ـ وهو المسبى ـ بقول ابن هُرمز، ثم رجع مالك قبل موته بيسير إلى قول ابن شهاب ، وأنهم يتوارثون بشهادة العدول . ولما تعارض القولان فى قضاعة، وتكافأت الحجاج نظرنا فإذا بعض النسابين ـ وهو الزبير ـ قد ذكر ما يدل على صدق الفريقين. وذكر عن ابن الكلبى أو غيره أن امرأة مالك بن حمير : واسمها : عُكبُرة آمت منه[1] وهى تُرضع قضاعة ،

---

(١) آمت المرأة تئيم أيما : أقامت بلا زوج ، بكراً أو ثيباً .

. . . .

فتزوجها معد ، فهو رابه ، فتبناه ، وتكنى به ، ويقال : بل ولدته على فراشه ، فنسب إليه ، وهو قول الزبير . كما نسب بنو عبد مناة بن كنانة إلى على بن مسعود بن مازن بن الذئب الأسدى ، لأنه كان حاضن أبيهم ، وزوج أمهم ؛ فيقال لهم : بنو على إلى الآن ، وكذلك عُكْل ، وهو حاضن بنى عوف بن ود بن طابخة ، ولكن لا يعرفون إلا بعكل ، وكذلك سعد بن هُذَيم إنما هم بنو سعد بن زيد من قضاعة ، وهذيم كان حاضن سعد ، فنسب إليه ، وهذا كثير فى قبائل العرب ، وسيأتى منه فى الكتاب زيادة - إن شاء الله .

وتفسير قضاعة فيما ذكر صاحب العين : كلب الماء ، فهو اسم منقول منه ، وهو لقب له ، واسمه عمرو ، ويكنى أبا حسن . وكنيته : أبا حكم فيما ذكروا .

وقول ابن إسحق : كان بكر بن معد ، فالبكر أول ولد الرجل ، وأبوه بكر ، والثِّنى ولده الثانى ، وأبوه ثِنى ، والثِّلث ولده الثالث ، ولا يقال للأب ثاث ، ولا يقال فيما بعد الثالث شىء من هذا ، قاله الخطابى . ومما عوتبت به قضاعة فى انتسابهم إلى اليمن قول أعشى بن تغلب ، وقيل هى لرجل من كلب ، وكلب من قضاعة .

أزنَّيتم عجوزكم ، وكانت قديما لا يُشم لها خمار
عجوز لو دنا منها يمان للاقى مثل ما لاقى يسار

يريد : يسار الكواعب الذى همَّ بهن فخصينه . وقال بعض شعراء حمير فى قضاعة :

مررنا على حىٍّ قضاعة غدوة وقد أخذوا فى الزَّفْن والزفنان
فقلت لهم ما بال زفنكم كذا لعرس نرى ذا الزفن أو لختان ؟
فقالوا : ألا إنا وجدنا لنا أباً فقلت : ليهنئكم ! بأى مكان ؟
فقالوا : وجدناه بجرعاء مالك فقلت : إذاً ما أمكم بحصان
فما مس خُصيا مالك فرج أمكم ولا بات منه الفرج بالمتدانى
فقالوا : بلى والله حتى كأنما خُصياه فى باب استها جُعَلان

ذكره أبو عمر — رحمه الله — فى كتاب الإنباه له ، وقال جميل بن مَعْمَر ، وهو من بنى حُنّ بن ربيعة من قضاعة يصف بثينة ، وهى من حن أيضاً .

ربَتْ فى الروابى من معد ، وفُضِّلت على المحصنات البيض وهى وليد

وقال جميل أيضاً وهو يحدو بالوليد بن عبد الملك :

أنا جميل فى السَّنام من معدْ الضار بين الناس فى الركن الأشدّْ

ذكر قنص بن معد

وكان قُنُص بن معد قد انتشر ولده بالحجاز ، فوقعت بينهم وبين أبيهم حرب ، وتضايقوا فى البلاد ، وأجدبت لهم الأرض ، فساروا نحو سواد العراق ، وذلك أيام ملوك الطوائف ، فقاتلهم الأردانيون وبعض ملوك الطوائف ، وأجلوهم عن السواد ، وقتلوهم إلا أشلاء لحقت بقبائل العرب ، ودخلوا فيهم وانتسبوا إليهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن شيخ من الأنصار من بني زُرَيق أنه حدثه : أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين أتى بسيف النعمان ، بن المنذر ، دعا جبير بن مطعم بن عدى ابن نوفل بن عبد مناف بن قصى — وكان جبير من أنسب قريش لقريش ، وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب — فسلحه إياه ، ثم قال: ممن كانَ يا جبير : النعمان بن المنذر؟ فقال : كان من أشلاء قنص بن معد .

قال ابن إسحاق : فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلا من لخم ، من ولد ربيعة بن نصر ، فالله أعلم أى ذلك كان .

لخم بن عدى : قال ابن هشام : لخم : بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن هميسع بن عمرو ابن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال : لخم : بن عدى بن عمرو بن سبأ . ويقال : ربيعة ابن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر ، وكان تخلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن .

أمر عمرو بن عامر فى خروجه من اليمن

وقصة سد مأرب

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن ، فيما حدثني أبو زيد الأنصارى،أنه رأى جرذاً يحفر فى سد مأرب الذى كان يحبس عليهم الماء فيُصَرّفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك ، فاعتزم على النُّقلة من اليمن، فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه ، أن يقوم إليه فيلطمه ، ففعل ابنه ما أمره به ، فقال عمرو ، لا أقيم ببلد لطم وجهى فيه أصغر ولدى ، وعرض أمواله ، فقال أشراف من أشراف اليمن : اغتنموا غضبة عمرو، فاشتروا منه أمواله ، وانتقل فى ولده وولد ولده . وقالت الأزد : لا نتخلف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم ، وخرجوا معه ، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان . فحاربتهم عك ، فكانت حربهم سجالا . ففى ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذى كتبنا ، ثم ارتحلوا عنهم ، فتفرقوا فى البلدان ، فنزل آل جفنة

وذكر ابن إسحاق فى حديث جبير بن مطعم حين أُتى عمر بسيف النعمان بن المنذر ، وكان جبير أنسب الناس — الحديث . وذكر الطبرى أن سيف النعمان بن المنذر إنما أتى به عمر حين افتتحت المدائن ، وكانت بها خرائب كسرى وذخائره ، فلما غُلب عليها فر إلى إصطخر [1] ، فأخذت أمواله ونفائس عُدده ، وأخذ له خمسة أسياف لم ير مثلها . أحدها : سيف كسرى أَبَرْوَيز ، وسيف كسرى أنو شروان ، وسيف النعمان بن المنذر الذى كان استلبه منه ، حين قتله غضباً عليه ، وألقاه إلى الفيلة فخبطته بأيديها ، حتى مات . وقال الطبرى : إنه مات فى سجنه فى الطاعون الذى كان فى الفرس ، وسيف خاقان ملك الترك ، وسيف هرقل ، وكان تصيّر إلى كسرى أيام غلبته على الروم فى المدة التى ذكرها الله تعالى فى قوله : « ألم. غلبت الروم فى أدنى الأرض » الآية . فهذا كان سبب تَصَيّر سيف النعمان إلى كسرى أبرويز ، ثم إلى كسرى يزدجرد ، ثم إلى عمر — رضى الله عنه — وكان الذى قتل النعمانَ منهم أبرويز بن هرمز بن أنو شروان وكان لأبرويز فيما ذكر

---

(١) اصطخر : بلد بفارس .

ابن عمرو بن عامر : الشام ، ونزلت الأوس والخزرج : يثرب ، ونزلت خزاعة: مَرّاً ، ونزلت أزد : السَّراةِ السراة ، ونزلت أزد : عمانَ عمانَ . ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه ، ففيه أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ على رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم ، واشكروا له . بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم » .

والعرم : السد ، واحدته : عرمة ، فيما حدثنى أبو عبيدة .

قال الأعشى : أعشى بنى قيس ، بن ثعلبة، بن عُكابة ، بن صعب، بن على ، بن بكر ، بن وائل ، بن هِنب ، ابن أفصى ، بن جديلة ، بن أسد ، بن ربيعة ، بن نزار ، بن معد .

قال ابن هشام : ويقال : أفصى بن دُعْمِىّ بن جديلة ، واسم الأعشى : ميمون بن قيس، بن جندل ، بن شراحيل، ابن عوف ، بن سعد ، بن ضُبَيعة ، بن قيس ، بن ثعلبة :

وفى ذاك للمؤتسى أسوة ومأرب عَفّى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير إذا جاء مَوّارهُ لم يرم
فأروى الزروع وأعنابها على سعة ماؤهم إذ قُسم
فصاروا أيادىَ ما يقدرو ن منه على شرب طفل فُطم

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى ـ واسم ثقيف : قَسِىّ بن منبِّه، بن بكر، بن هوازن ، بن منصور، بن عكرمة، ابن خصَفة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

وهذا البيت فى قصيدة له . وتُروى للنابغة الجعدى ، واسمه : قيس بن عبد الله، أحد بنى جعدة ، بن كعب ، ابن ربيعة ، بن عامر ، بن صعصعة ، بن معاوية ، بن بكر ، بن هوازن .

وهو حديث طويل ، منعنى من استقصائه ما ذكرت من الاختصار .

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

رؤيا ربيعة : قال ابن إسحاق : وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ، فرأى رؤيا هالته ،

ألف فيل ، وخمسون ألف فرس ، وثلاثة آلاف امرأة — فيما ذكر الطبرى — وتفسير أنو شروان بالعربية : مجدد الملك — فيما ذكروا والله أعلم — وكذلك تفسير أبرويز : المظفر ، قاله المسعودى والطبرى أيضا ، وزاد الطبرى فى حديث جبير حين سأله عمر عن نسب النعمان قال : كانت العرب تقول إنه من أشلاء قنص بن معد ، وهو ولد عُجم بن قنص، إلا أن الناس لم يدروا ما عجم فجعلوا مكانه لخماً : فقالوا : هو من لخم ، ونسبوا إليه . وأبرويز وهو الذى كتب إليه النبى — صلى الله عليه وسلم — فمزق كتابه ، فدعا عليهم النبى — صلى الله عليه وسلم — أن يمزقوا كل ممزق .

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

وبعضهم يقول فيه : نصر بن ربيعة، وهو فى قول نُسَّاب اليمن : ربيعة بن نصر ، بن الحارث ، بن نمارة

وفَظِع بها ، فلم يدع كاهناً ، ولا ساحراً ، ولا عائفاً ، ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إنى قد رأيت رؤيا هالتنى ، وفظعت بها ؛ فأخبرونى بها وبتأويلها ، قالوا له : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها ، قال : إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها ، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشقٍّ ، فإنه ليس أحد أعلم منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه .

واسم سطيح : ربيع بن ربيعة ، بن مسعود ، بن مازن ، بن ذئب ، بن عدى ، بن مازن غسان .

وشق : بن صعب ، بن يشكر ، بن رُهْم ، بن أفْرَك ، بن قَسر ، بن عَبْقَر ، بن أنمار ، بن نزار . وأنمار أبو بَجيلة وخثعم .

نسب بجيلة : قال ابن هشام : وقالت اليمن : وبجيلة : بنو أنمار ، بن إراش ، بن لحيان ، بن عمرو ، بن الغوث ، ابن نبت ، بن مالك ، بن زيد ، بن كهلان ، بن سبأ . ويقال : إراش بن عمرو ، بن لحيان ، بن الغوث . ودار بجيلة وخثعم يمانية .

ابن لخم . وقال الزبير فى هذا النسب : نصر بن مالك بن شعوذ بن مالك بن عُجْم بن عمرو بن نمارة بن لخم ، ولخم أخو جذام ، وسمى لخما لأنه لخم أخاه ، أى : لطمه ، فعضه الآخر فى يده فجذمها ، فسمى جذاماً ، وقال قطرب : اللخم سمكة فى البحر بها سمى الرجل لخما . وأكثر المؤرخين يقولون فيه : نصر بن ربيعة ، وقد تقدم ما قاله سعيد بن جبير فى نسب النعمان ، وهو من ولد ربيعة ، وأن لخماً فى نسبه تصحيف من عُجم بن قَنَص .

وذكر رؤياه وسطيحاً الكاهن ونسبه ، وقد خالفه محمد بن حبيب النسابة فى شىء من هذا النسب فى كتاب المحبَّر .

وكان سطيح جسماً ملقى لا جوارح له — فيما يذكرون — ولا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ فجلس . وكان شِق شِقَّ إنسان — فيما يذكرون — إنما له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة . ويذكر عن وهب ابن منبه أنه قال : قيل لسطيح : أنّى لك هذا العلم ؟ فقال : لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى — عليه السلام — فهو يؤدى إلىَّ من ذلك ما يؤديه .

وولد سطيح وشق فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة ، امرأة عمرو بن عامر ، وهى بنت الخير الحميرية ، ودعت بسطيح قبل أن تموت ؛ فأتيت به ؛ فتفلت فى فيه ، وأخبرت أنه سيخلفها فى علمها وكهانتها ، وكان وجهه فى صدره ، لم يكن له رأس ولا عنق . ودعت بشق ؛ ففعلت به مثل ما فعلت بسطيح ؛ ثم ماتت ، وقبرها « بالجُحْفَة »[1] ، وذكر أبو الفرج أن خالد بن عبد الله القسرى كان من ولد شق هذا ، فهو : خالد بن عبد الله ابن أسد بن يزيد بن كرز ، وذكر أن كرزاً كان دَعِيًّا ، وأنه كان من اليهود ، فجنى جناية فهرب إلى بجيلة ، فانتسب فيهم . ويقال : كان عبداً لعبد القيس ، وهو ابن عامر ذى الرقعة — وسمى بذى الرقعة ؛ لأنه كان أعور يغطى عينه برقعة — ابن عبد شمس ، بن جوين ، بن شق الكاهن ، ابن صعب .

---

(١) كانت الميقات لإحرام أهل مصر والشام قبل أن تهجر ، وهى قريبة من رابغ الميقات الحالى .

قال ابن إسحاق : فبعث إليهما ، فقدم عليه سطيح قبل شق ، فقال له : إنى رأيت رؤيا هالتنى ، وفظعت بها ، فأخبرنى بها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها .

قال : أفعل . رأيت حُممة ،خرجت من ظُلمة ، فوقعت بأرض تَهمة، فأكلت منها كل ذات جمجمة .

فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئا ياسطيح ، فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرّتين من حنش ، لتهبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين أبْين إلى جُرَش ، فقال له الملك : وأبيك يا سطيح ، إن هذا لنا لغائظ موجع ، فتى هو كائن، أفى زمانى هذا ، أم بعده ؟ قال لا ، بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟ قال : لا ، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرَم ذى يَزَن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك من سلطانه ، أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع .

قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبى زكى ، يأتيه الوحى من قبل العلى ، قال : وممن هذا النبى ؟

قال : رجل من ولد غالب بن فِهْر بن مالك بن النضرَ ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر .

وقوله فى حديث الرؤيا : أكلت منها كلَّ ذات جمجمة ، وكل ، ذات نسمة . نصْب كلِّ أصح فى الرواية ، وفى المعنى ؛ لأن الحُمة نار ، فهى تأكل ، ولا تؤكل ، على أن فى رواية الشيخ برفع كل ، ولها وجه ، لكن فى حاشية كتابه : أن فى نسخة البرقى التى قرأها على ابن هشام : كلَّ ذات ، بنصب اللام .

وقوله : « خرجت من ظُلُمة » أى من ظُلْمة ، وذلك أن الحممة قطعة من نار ، وخروجها من ظُلُمة يشبه خروج عسكر الحبشة من أرض السودان ، والحُمَمَة : الفحمة، وقد تكون جمرة محرقة ، كما فى هذا الحديث، فيكون لفظها من الحميم ، ومن الحمى أيضاً لحرارتها ، وقد تكون منطفئة ، فيكون لفظها من الحُمَّة ، وهى السواد ، يقال : حَمَمْتُ وجهه إذا سودته ، وكلا المعنيين حاصل فى لفظ الحمة هنا .

وقوله : بين روضة وأكمة ؛ لأنها وقعت بين صنعاء وأحوازها .

وقوله : فى أرض تَهَمَة أى : منخفضة ، ومنه سميت تهامة .

وقوله : أكلتْ منها كل ذات جُمْجُمة ، ولم يقل كل ذى جمجمة ، وهو من باب قوله سبحانه : « ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وإن تدع مُثْقَلَةٌ إلى حِملها لا يُحْمَلْ منه شىء » .

لأن القصد إلى النفس والنسمة ، فهو أعم ، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح ، ولو جاء بالتذكير ، لكان إما خاصا بالإنسان ، أو عاماً فى كل شىء حى أو جماد ، ومنه قوله — صلى الله عليه وسلم — « كل بائلة تفيخ » ، أى : يكون منها إفاخة ، وهى الحدث . وقال النحاس : هو تأنيث الصفة والخلقة .

وقوله : ليهبطن أرضكم الحبش ، هم بنو حبش بن كوش بن حام بن نوح ، وبه سميت الحبشة .

وقوله : ما بين أبْين إلى جُرَش ، ذكره سيبويه بكسر الهمزة على مثال إصبع ، وجوَّز فيه الفتح ، وكذلك تقيد فى هذا الكتاب . وقال ابن ماكولا : هو أبين بن زهير بن أيمن بن الهَمَيْسَع من حمير ، أو من ابن حمير . سميت به البلدة ، وقد تقدم قول الطبرى أن أبين وعدن ابنا عدنان. سميت بهما البلدتان .

وقوله : بغلام لا دَنِىّ ولا مُدَنٍ . الدنى معروف ، والمدن الذى جمع الضعف مع الدناءة . قال صاحب العين .

قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تخبرنى ؟ قال : نعم . والشفق والغسق ، والفلق إذا اتسق ، إن ما أنبأتك به لحق .

ثم قدم عليه شق ، فقال له كقوله لسطيح ، وكتمه ماقال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان . فقال : نعم ، رأيت حُممة، خرجت من ظُلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة .

قال : فلما قال له ذلك ، عرف أنهما قد اتفقا ، وأن قولهما واحد .

إلا أن سطيحاً قال : « وقعت بأرض تهمة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة » .

وقال شق : « وقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة » .

فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئاً ، فما عندك فى تأويلها ؟

قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طفلة البنان ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران .

فقال له الملك : وأبيك يا شق ، إن هذا لنا لغائظ موجع ، فتى هو كائن ؟ أفى زمانى ، أم بعده ؟

قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشد الهوان .

قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام ، ليس بدَنِىّ ، ولا مُدَنّ ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم تجزى فيه الولاة ، ويدعى فيه من السماء بدعوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات .

قال : أحق ما تقول ؟ قال : إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ، ما فيه أمض

وقوله : لحق ما فيه أمْض : أى : ما فيه شك ولا مستراب ، وقد عمر سطيح زماناً طويلا بعد هذا الحديث ، حتى أدرك مولد النبى — صلى الله عليه وسلم — فرأى كسرى أنو شروان بن قُباذ بن فيروز ما رأى من ارتجاس الإيوان وخمود النيران ، ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام ، وسقطت من قصره أربع عشرة شرفة ، وأخبره المُوبَذان ، ومعناه : القاضى ، أو المفتى بلغتهم ـ أنه رأى إبلا صعابا ، تقود خيلا عِرابا ، فانتشرت فى بلادهم ، وغارت بحيرة ساوة ؛ فأرسل كسرى عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن نُفَيْلة الغسانى إلى سطيح . وكان سطيح من أخوال عبد المسيح ، ولذلك أرسله كسرى ـ فيما ذكر الطبرى ـ إلى سطيح يستخبره علم ذلك ، ويستعبره رؤيا الموبذان ، فقدم عليه وقد أشفى على الموت ، فسلم عليه فلم يحر إليه سطيح جوابا فأنشأ عبد المسيح يقول :

أصَمُّ أم يسمع غطريف اليمن　　　أم فاد فازْلَمّ به شأو العَنَنْ

يا فاصل الخُطَّة أعيت مَن و من　　　أتاك شيخ الحى من آل سَنَن

وأمه من آل ذئب بن حَجَنْ　　　أبيض فضفاض الرداء والبدن

قال ابن هشام : أمض . يعنى شكًا : هذا بلغة حمير . وقال أبو عمرو . أمْض أى : باطل .

فوقع فى نفس ربيعة بن نصر ما قالا ، فجهز بنيه ، وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له : سابور بن خُرَّزاذ فأسكنهم الحيرة .

رسول قَيْل العُجم يسرى للوسن لا يرهب الرعد، ولا ريب الزمن

تجوب بى الأرضَ عَلَنْداةٌ شزن ترفعنى وَجْنًا وتهوى بى وجن

حتى أتى عارى الجآجى والقَطَن تلفه فى الريح بوغاء الدِّمن

كأنما حُثحث من حِضْنَىْ ثكن (١)

ثكن : اسم جبل ، فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه ، فقال : عبد المسيح على جمل مشيح (٢) جاء إلى سطيح ، حين أوفى على الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى إبلا صعابا ، تقود خيلا عرابا ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت فى بلادها . يا عبد المسيح : إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وخمدت نار فارس ، وغارت بحيرة ساوة ، وفاض وادى السماوة فليست الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت . ثم قضى سطيح مكانه .

وقوله : فازلم به معناه : قبض ، قاله ثعلب ، وقوله : شأو العنن . يريد : الموت ، وما عنّ منه. قاله الخطابى. وفاد : مات . يقال منه : فاد يفود ، وأما يفيد فمعناه : يتبختر .

وقول ابن إسحاق فى خبر ربيعة بن نصر ، فجهز أهله وبنيه إلى الحيرة ، وكتب لهم إلى ملك يقال له : سابور ابن خُرّزاذ .

قال المؤلف الشيخ الحافظ أبو القاسم — عفا الله عنه — ولا يعرف خرزاذ فى ملوك بنى ساسان من الفرس ، وهم من عهد أزدشير بن بابك إلى يزدجرد الذى قتل فى أول خلافة عثمان — رضى الله عنه — معروفون مسمون بأسمائهم ، وبمقادير مددهم . مشهور ذلك عند الإخباريين والمؤرخين . ولكنه يحتمل أن يكون ابن خرزاذ هذا ملكا دون الملك الأعظم منهم ، أو يكون أحد ملوك الطوائف ، وهو الظاهر فى مدة ربيعة بن نصر ، لأنه جد عمرو بن عَدِى وابن أخت جذيمة الأبرش ، وكان ملك جذيمة أوله فيما أحسب فى مدة ملوك الطوائف ، وآخره فى مدة الساسانيين.

وأول من ملك الحيرة من الساسانية : سابور بن أزدشير ، وهو الذى خرب الحضر . وكانت ملوك الطوائف متعادين ، يغير بعضهم على بعض ، وقد تحصن كل واحد منهم فى حصن ، وتحوّز إلى حيز منهم عرب ، ومنهم

---

(١) النطريف : السيد الكريم . وازلم : قُبض . وشأو العنن : اعتراض الموت على الخلق . وفاصل الخطة : إذا نزل به أمر مشكل فصله برأيه . وأعيا عليه الأمر : أعجزه فلم يهتد وجهه . والقيل : هو الملك النافذ القول . والعلنداة : القوية من النوق . وشزن : تمشى من نشاطها على جانب . والوجن : أرض صلبة ذات حجارة . والجآجى جمع : جؤجؤ وهو الصدر . القطن : أصل ذنب الطائر ، وأسفل الظهر من الإنسان . البوغاء : التراب الناعم . والدمن : ما تدمن منه أى : تجمع وتلبد . وحثحث : يقال حثه على الشىء . وحثحثه يعنى : أسرع . وحضنى : جانبي . وثكن : اسم جبل بالحجاز .

(٢) المشيح : المقبل مسرعا .

. . . .

أشغانيون على دين الفرس، وأكثرهم ينتسبون إلى الفرس من ذرية دارا بن دارا ، وكان الذى فرقهم وشتت شملهم ، وأدخل بعضهم بين بعض ـ لئلا يستوثق لهم مُلك ، ولا يقوم لهم سلطان ـ الإسكندر بن فيلبش اليونانى ، حين ظهر على دارا ، واستولى على بلاد مملكته ، وتزوج بنته روشنك . بوصية أبيها دارا له بذلك حين وجده مثخناً فى المعركة ، ولم يكن الإسكندر أراد قتله ؛ لأنه كان أخاه لأمه ـ فيما زعموا ـ فوضع الإسكندر رأسه على فخذه ـ فيما ذكروا ـ وقال : يا سيد الناس لم أرد قتلك ، ولا رضيته، فهل لك من حاجة؟ قال : نعم: تزوج ابنتى روشنك، وتقتل من قتلنى، ثم قضى دارا ، ففعل ذلك الإسكندر ، وفرق الفرس ، وأدخل بينهم العرب فتحاجزوا ، وسمّوا: ملوك الطوائف ؛ لأن كل واحد منهم على طائفة من الأرض ، ثم دام أمرهم كذلك أربعمائة وثمانين سنة فى قول الطبرى ، وقد قيل أقل من ذلك ، وقال المسعودى : خمسمائة وعشرين سنة، وفى أيامهم بُعث عيسى بن مريم — عليه السلام — وذلك بعد موت الإسكندر بثلاثمائة سنة : فابن خرزاذ هذا والله أعلم — من أولئك . وبنو ساسان القائمون بعد ملوك الطوائف ، وبعد ملوك الأشغانيين : هم بنو ساسان بن بهمن ، وهو من الكينية ، وإنما قيل لهم الكينية ؛ لأن كل واحد منهم يضاف إلى كى ، وهو البهاء . ويقال معناه : إدراك الثأر . وأول من تسمى بكى : أفريذون بن أثفيان قاتل الضحاك بثأر جده جم ، ثم صار الملك فى عقبه إلى منوشهر الذى بُعث موسى — عليه السلام — فى زمانه إلى كى قاووس ، وكان فى زمن سليمان — عليه السلام — وسيأتى طرف من ذكره فى الكتاب إلى كى يستاسب الذى ولى بختنصر وملّكه ، وبخت نصر هو الذى حير الحيرة حين جعل فيها سبايا العرب ، فتحيروا هناك ، فسميت الحيرة ، وأخذ اسمه من بخت وهى النخلة ؛ لأنه ولد فى أصل نخلة .

ثم كان بعد كى يستاسب ، بهمن بن اسبندياذ بن يستاسب .

وكان له ابنان : دارا وساسان وكان ساسان هو الأكبر، فكان قد طمع فى الملك بعد أبيه، فصرف بهمن الأمر عنه إلى دارا لخبر يطول ذكره، حملته على ذلك « خمانا أم دارا» ، فخرج « ساسان » سائحاً فى الجبال، ورفض الدنيا ، وهانت عليه ، وعهد إلى بنيه متى كان لهم الأمر : أن يقتلوا كل أشغانى وهم نسل « دارا » ، فلما قام أزدشير ابن بابك ، وقيده الدارقطنى « أردشير » بالراء المهملة ، ودعا ملوك الطوائف إلى القيام معه على من خالفه ، حتى ينتظم له ملك فارس ، وأجابه إلى ذلك أكثرهم ، وكانوا يداً على الأقل ، حتى أزالوه ، وجعل « أزدشير » يقتل كل من ظهر عليه من أولئك الأشغانيين ، فقتل ملكا منهم يقال له : الأردوان ، واستولى على قصره ، فألفى فيه امرأة جميلة رائعة الحسن ، فقال لها : ما أنت ؟ فقالت : أمة من إماء الملك ، وكانت بنت الملك الأردوان، لاذت بهذه الحيلة من القتل؛لأنه كان لا يبقى منهم ذكراً ولا أنثى ، فصدق قولها ، واستسرها ، فحملت منه ؛ فلما أثقلت استبشرت بالأمان منه ، فأقرت أنها بنت الأشغانى الذى قُتل ، واسمه أردوان — فيما ذكروا ـ فدعا وزيراً له ناصحا ، وقد سماه الطبرى فى التاريخ[1] ، فقال : استودع هذه بطن الأرض ، فكره الوزير أن يقتلها وفى بطنها ابن الملك ، وكره أن يعصى أمره ، فاتخذها قصراً تحت الأرض ، ثم خصى نفسه ، وصبّر مذاكيره ، وجعلها فى حريرة ، ووضع الحريرة فى حق ، وختم عليه ، ثم جاء الملك فاستودعه إياه ، وجعل لايدخل إلى المرأة فى ذلك القصر سواه ، ولا تراها إلا عينه ، حتى وضعت المولود ذكراً ، فكره أن يسميه قبل أبيه ، فسماه : شاهبُور ، ومعناه : ابن الملك ، فكان الصبى يدعى بهذا ولا يعرف لنفسه اسماً غيره ، فلما قبل التعليم نظر فى تعليمه، وتقويم أوَدِه . واجتهد فى كل ما يصلحه إلى أن ترعرع الغلام ، فدخل الوزير يوماً على أزدشير ،وهو واجم ، فقال :

(١) ذكر الطبرى فى تاريخه أن اسمه « هرجبذا أبرسام » .

رأى آخر فى نسب النعمان بن المنذر : فمن بقية ولد ربيعة بن نصر : النعمان بن المنذر ، فهو فى نسب اليمن وعلمهم : النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ، ذلك الملك .

قال ابن هشام : النعمان بن المنذر ، بن المنذر ، فيما أخبرنى خلف الأحمر .

لا يسوءك الله أيها الملك ! فقد ساءنى إطراقك ووجومك ، فقال : كبرت سنى ، وليس لى ولد أقلده الأمر بعدى ، وأخاف انتثار الأمر بعد انتظامه ، وافتراق الكلمة بعد اجتماعها ، فقال له : إن لى عندك وديعة أيها الملك ، وقد احتجت إليها، فأخرج إلى الحقة بخاتمها ، ففض الخاتم ، وأخرج المذاكير منها ، فقال له الملك : ما هذا ؟ فقال : كرهت أن أعصى الملك حين أمرنى فى الجارية بما أمر ، فاستودعتها بطن الأرض حية ، حتى أخرج الله منها سليل الملك حيا ، وأرضعته وحضنته ، وهاهو ذا عندى ، فإن أمر الملك جئته به،فأمره أزدشير بإحضاره فى مائة غلام من أبناء فارس ، بأيديهم الصوالج[1] يلعبون الكرة ، فلعبوا فى القصر ؛ فكانت الكرة تقع فى إيوان الملك ، فيتهيبون فى أخذها حتى طارت للغلام ، فوقعت فى سرير الملك ، فتقدم حتى أخذها ، ولم يهب ذلك،فقال الملك: ابنى والشمس ! متعجباً من عزة نفسه وصرامته ، ثم قال له : ما اسمك ياغلام ؟ فقال له : شاهبور ، فقال له : صدقت؟ أنت ابنى ، وقد سميتك بهذا الاسم ، وبور : هو الابن ، وشاه ، الملك بلسانهم، وإضافتهم مقلوبة ، يقدمون المضاف إليه على المضاف،كما تقدم فى « الكى » الكلمة التى كانت فى أوائل أسماء الملوك الكينية ، فكانوا يضافون إلى الكى ، ثم إن أزدشير عهد إلى ابنه شاهبور ، وسيأتى فى الكتاب قول الأعشى :

أقام به شاهبورُ الجنودَ حولين يضرب فيه القدم

ثم غيرت العرب هذا الاسم ، فقالوا : سابور ، وتسمى به ملوك بنى ساسان. منهم : سابور ذو الأكتاف الذى وطىء أرض العرب ، وكان يخلع أكتافهم ، حتى مر بأرض بنى تميم ، ففروا منه ، وتركوا عمرو بن تميم . وهو ابن ثلاثمائة سنة ، لم يقدر على الفرار ، وكان فى قفة معلقا من عمود الخيمة من الكبر ، فأُخذ ، وجيء به الملك ، فاستنطقه سابور ، فوجد عنده رأيا ودهاء ، فقال له : أيها الملك ! لم تفعل هذا بالعرب ؟ فقال يزعمون أن مُلكنا يصل إليهم على يد نبى يبعث فى آخر الزمان ، فقال عمرو : فأين حلم الملوك وعقلهم ؟! إن يكن هذا الأمر باطلا فلا يضرك ، وإن يكن حقا ألفاك وقد اتخذت عندهم يدا يكافئونك عليها ، ويحفظونك بها فى ذويك ، فيقال : إن سابور انصرف عنهم ، واستبقى بقيتهم ، وأحسن إليهم بعد ذلك والله أعلم .

وأما أبرويز بن هُرمز — وتفسيره بالعربية : مظفر — فهو الذى كتب إليه النبى — صلى الله عليه وسلم — وسيأتى طرف من ذكره ، وهو الذى عرض على الله تعالى فى المنام ، فقيل له : سلم مافى يديك إلى صاحب الهراوة ، فلم يزل مذعوراً من ذلك ، حتى كتب إليه النعمان بظهور النبى — صلى الله عليه وسلم — بتهامة ، فعلم أن الأمر سيصير إليه ، حتى كان من أمره ماكان،وهو الذى سئل عنه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ماحجة الله على كسرى ؟ فقال : « إن الله تعالى أرسل إليه ملكاً ، فسلك يده فى جدار مجلسه ، حتى أخرجها إليه ،وهى تتلألأ نوراً، فارتاع كسرى ، فقال له الملك: لم ترع يا كسرى ؟! إن الله قد بعث رسوله ، فاسلم تسلم ، فقال : سأنظر » ذكره الطبرى، فى أعلام كثيرة من النبوة ، عرضت على أبرويز أضربنا عن الإطالة بها ، فى هذا الموضع ، وتسمى أيضا سابور

---

(١) الصوالج : جمع صولجة ، عصا يضرب بها الفارس الكرة .

استيلاء أبى كرب تُبَّان أسعد على ملك اليمن

وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق : فلما هلك ربيعة بن نصر، رجع مُلك اليمن كله إلى حسان بن تبان أسعد أبى كرب — وتبان أسعد هو : تبع الآخر ، ابن كَلْكِى كَرِبَ بن زيد ، وزيد هو تبع الأول بن عمرو ذى الأذعار

بعدهذا : سابور بن أبرويز أبو شيرويه ، وقد ملك نحوا من شهرين فى مدة النبى — صلى الله عليه وسلم — وملك أخوه شيرويه نحوا من ستة أشهر ، ثم ملكت بُوران أختهما ، فبلغ ذلك النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال : « لايفلح قوم ملكتهم امرأة » فملكت سنة وهلكت ، وتشتت أمرهم كل الشتات . ثم اجتمعوا على يزدجرد ابن شهريار ، والمسلمون قد غلبوا على أطراف أرضهم ، ثم كانت حروب القادسية معهم إلى أن قهرهم الإسلام ، وفُتحت بلادُهم على يدىْ عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — واستؤصل أمرهم ، والحمد لله .

وسابور تُنسب إليه الثياب السابرية، قاله الخطابى، وزعم أنه من النسب الذى غُيِّر ، فإذانسبوا إلى نيسابور المدينة ، قالوا : نيسابورى على القياس ، وزعم بعضهم أن : (نى) هى : القصب ، وكانت مَقْصَبة،فبناها سابور مدينة ، فنسبت إليه ، والله أعلم .

عود إلى حديث سطيح وذى يزن : وقول سطيح فى حديث ربيعة : إرَمَ ذى يزَنَ ، المعروفُ : سيفُ بن ذى يزن ، ولكن جعله إرماً ، إما لأن الإرم هو العلم فمدحه بذلك ، وإما شبهه بعاد إرم فى عظم الخلق والقوة ، قال الله تبارك وتعالى : « [ألم تر كيف فعل ربك] بعاد . إرم ذات العماد » .

وربيعة بن نصر هذا هو : أحد ملوك الحيرة، وهم آل المنذر ، والمنذر هو : ابن ماء السماء ، وهى : أمه، عرف بها ، وهى من النَّمر بن قاسط ، وابنه عمرو بن هند عرف بأمه أيضاً ، وهى بنت الحارث آكل المرار جد امرىء القيس الشاعر ، ويعرف عمرو بمحرّق لأنه حرَّق مدينة يقال لها : مَلْهَم ، وهى عند اليمامة . وقال المبرد والقُتَبى : سمى محرقاً ، لأنه حرَّق مائة من بنى تميم ، وذكر خبرهم .

وولدُ نصر بن ربيعة هو : عدى ، وكان كاتبا لجذيمة الأبرش ، وابنه : عمرو ، وهو ابن أخت جذيمة ، ويكنى جذيمة : أبا مالك فى قول المسعودى ، وهو منادم الفرقدين ، واسم أخت جذيمة : رَقاش بنت مالك ، بن فهم ، ابن غنم ، بن دَوْس ، وهو الذى اختطفته الجن ، وفيه جرى المثل : شب عمرو عن الطوق . وهو قاتل الزَّبَّاء بنت عمرو، واسمها : نائلة فى قول الطبرى ويعقوب بن السكيت ، وميسون فى قول دريد ، واستشهد الطبرى بقول الشاعر :

أتعرف منزلا بين المُنَقَّى وبين مُجَرّ نائلة القديم

وقد أملينا فى غير هذا الموضع ذكر نسبها وطرفاً من أخبارها .

وأخو عمر بن هند : النعمان بن المنذر ، وهو ابن مامة ، وكان ملكه بعد عمرو ، وفى مُلك عمرو ولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفى زمن كسرى أنو شروان بن قباذ .

وأسقط ابن إسحاق من هذا النسب رجلين ، وهما : النعمان بن امرىء القيس ، وأبوه : امرؤ القيس بن عمرو ابن عدى . وقد قيل ، إن النعمان هذا هو أخو امرىء القيس ، وملك بعده . وسيأتى ذكر النعمان بعد هذا عند ذكر صاحب الحضر إن شاء الله تعالى ، وأنه الذى بنى الخورنق والسدير .

وقوله فى نسب حسان : بن تبان أسعد : هو تبان أسعد . اسمان جعلا اسما واحداً ، وإن شئت أضفت كما تضيف معدى كرب ، وإن شئت جعلت الإعراب فى الاسم الآخر ، وتبان من التبانة ، وهى : الذكاء والفطنة . يقال : رجل تَبِن وطبن .

ابن أبرهة ذى المنار بن الرّيش — قال ابن هشام : ويقال : الرائش . قال ابن إسحاق : ابن عدى بن صيفى بن سبأ الأصغر ، بن كعب ، كهف الظلْم ، ابن زيد ، بن سهل ، بن عمرو ، بن قيس ، بن معاوية ، بن جشم ، بن عبد شمس، ابن وائل ، بن الغوث ، بن قطن ، بن عريب ، بن زهير ، بن أيمن ، بن الهميسع، بن الْعَرَنْجَج . والعرنجج : حِمْير بن سبأ الأكبر ، ابن يعرب ، بن يَشْجُب ، بن قحطان .

قال ابن هشام : يشجب : بن يعرب بن قحطان .

قال ابن إسحاق : وتبان أسعد أبو كرب الذى قدم المدينة ، وساق الحبرين من يهود المدينة إلى اليمن وعمّر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل مُلك ربيعة بن نصر .

وكلكى كرب : اسم مركّب أيضاً ، وسيأتى معنى الكرب فى لغة حمير عند ذكر معدى كرب — إن شاء الله تعالى — وكان مُلك كالكى كرب خمساً وثلاثين سنة ، وكان مُضْعَفاً ساقط الهمة لم يَغز قط .

وقوله فى نسب حسان : ابن تبان أسعد، وتبان أسعد : تبع الآخر . نقص من النسب أسماء كثيرة وملوكا ؛ فإن عمراً ذا الأذعار كان بعده ناشر بن عمرو، ويقال له : ناشر النعم ، وإنما قيل له ناشر ؛ لأنه نشر الملك، واسمه مالك. ملك بعد قتل رجعيم بن سليمان -عليه السلام- بالشام ، وهو الذى انتهى إلى وادى الرّمل، وماتت فيه طائفة من جنده جرت عليهم الرمال ، وبعده : تبع الأقرن ، وأفريقيس بن قيس الذى بنى أفريقية، وبه سميت ، وساق إليها البربر من أرض كنعان . وتبع بن الأقرن وهو التبع الأوسط ، وشَمِرُ بن مالك الذى سميت به مدينة سمرقند، ومالك هو الأملوك ، وفى بنى الأملوك يقول الشاعر :

فنقب عن الأملوك واهتف بيعفر وعش جار عز لا يغالبه الدهر

وقد قيل : إن الأملوك كان على عهد منوشهر ، وذلك فى زمن موسى — عليه السلام — كل هؤلاء مذكورون بأخبارهم فى غير هذا الكتاب .

وعمرو ذو الأذعار كان على عهد سليمان ، أو قبله بقليل ، وكان أوغر فى ديار المغرب ، وسبا أمّة وجوهها فى صدورها ، فذعر الناس منهم، فسمى : ذا الأذعار . وبعده ملكت بلقيس بنت هُداهد بن شرحبيل[1] صاحبة سليمان — عليه السلام — واسم أمها يَلْمَقَة بنت جنى ، وقيل : رواحة بنت سُكَيْن . قاله ابن هشام . وزعم أنها قتلت عمراً ذا الأذعار بحيلة ذكرها ، وأنه سمى ذا الأذعار لكثرة ما ذعر الناس منه لجوره ، وأنه ابن أبرهة ذى المنار بن الصعب ، وهو ذو القرنين بن ذى مراثل الحِميرى ، وأبوه : أبرهة ذو المنار ، سمى بذلك ؛ لأنه رفع نيرانا فى جبال ليهتدى بها .

وأما حسان الذى ذكَره فهو الذى استباح طَسما ، وصلب اليمامة الزرقاء ، وذلك حين استصرخه عليهم رباح ابن مرة أخو الزرقاء ، وهو من فَلّ جديس ، وقد تقدم الإيماء إلى خبرهم .

ومعنى تبع فى لغة اليمن : الملك المتبوع ، وقال المسعودى : لا يقال للملك : تبع حتى يغلب اليمن والشّحْر وحضرموت . وأول التبابعة : الحارث الرائش ، وهو ابن همال بن ذى شدد . وسمى : الرائش ، لأنه راش الناس بما أوسعهم من العطاء ، وقسم فيهم من الغنائم ، وكان أول من غنم ، فيما ذكروا .

---

(١) فى طبعة قديمة : هدهاد بن شرجيل .

قال ابن هشام : وهو الذى يقال له :

ليت حظى من أبى كرب أن يسد خيرُه خبَـله

تبان يغضب على أهل المدينة : قال ابن إسحاق : وكان قد جعل طريقه — حين أقبل من المشرق — على المدينة، وكان قد مر بها فى بدأته ، فلم يهج أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابناً له ، فقـُتل غيلة ، فقدمها ، وهو مجمع لإخرابها ، واستئصال أهلها ، وقطع نخلها ، فجمع له هذا الحى من الأنصار ، ورئيسهم عمرو بن طلّة أخو بنى النجار ، ثم أحد بنى عمرو بن مبذول ، واسم مبذول : عامر، بن مالك، بن النجار، واسم النجار : تيم الله بن ثعلبة، بن عمرو ، ابن الخزرج ، بن حارثة ، بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر ،

وأما العـَرَنـْجـَجُ الذى ذكره أنه حمير بن سبأ ، فمعناه بالحميرية : العتيق ، قاله ابن هشام . وفى عهد زمن تبع الأوسط ـ وهو حسان بن تبان أسعد ـ كان خروج عمرو بن عامر من اليمن من أجل سيل العرم ، فيما ذكر القتبى .

وأما عمرو أخو حسان الذى ذكر ابن إسحاق قصته ، وقتله لأخيه . فهو المعروف : بمَوْثـَبَان. سمى بذلك للزومه الوثاب وهو الفراش . وقلة غزوه . قاله القتبى .

وأما ما ذكره من غزو تبع المدينة ، فقد ذكر القتبى أنه لم يقصد غزوها، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزلوها معهم ، حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم ، فلم يف لهم بذلك يهود واستضاموهم ، فاستغاثوا بتبع ، فعند ذلك قدمها .

وقد قيل : بل كان هذا الخبر لأبى جبيلة الغسانى ، وهو الذى استصرخته الأوس والخزرج على يهود. فالله أعلم.

والرجل الذى عدا على عـَذْق الملك ـ وجدّه من بنى النجار ـ هو : مالك بن العجلان ، فيما قال القتبى ،ولا يصح هذا عندى فى القياس لبعد عهد تبع من مدة ملك ابن العجلان .

وخبر ملك ابن العجلان إنما هو مع أبى جبيلة الغسانى حين استصرخت به الأنصار على اليهود ، فجاء حتى قتل وجوهاً من يهود ، وأما تبع فحديثه أقدم من ذلك. يقال : كان قبل الإسلام بسبعمائة عام ، والصحيح فى اسم أبى جبيلة: جبيلة غير مكنى ، ابن عمرو بن جبلة بن جفنة . وجفنة : هو جد جبلة بن الأيهم آخر ملوك بنى جَفـْنة ، ومات جبيلة الغسانى من عـَلـَقـَة شربها فى ماء ، وهو منصرف عن المدينة .

وذكر أن تبعاً أراد تخريب المدينة ، واستئصال اليهود ، فقال له رجل منهم له مائتان وخمسون سنة : الملك أجل من أن يطير به نـَزَق . أو يستخفه غضب ، وأمره أعظم من أن يضيق عنا حلمه، أو نحرم صفحه ، مع أن هذه البلدة مُهاجر نبى يبعث بدين إبراهيم . وهذا اليهودى هو أحد الحبرين اللذين ذكر ابن إسحاق، قال: واسم الحبرين: سُحَيـْت، والآخر : منبـّه. ذكر ذلك قاسم بن ثابت فى الدلائل ، وفى رواية يونس عن ابن إسحاق ، قال: واسم الحبر الذى كلم الملك : بليامين .

وذكر أن امرأة اسمها : فُـكَـيْهة من بنى زريـْق كانت تحمل له الماء من بئر رومة[1] بعد ما قال له الحبران ماقالا ، وكف عن قتال أهل المدينة ، ودخلوا عسكره ، فأعطى فـكيهة ، حتى أغناها ، فلم تزل هى وعشيرتها من أغنى الأنصار حتى جاء الإسلام ، ولما آمن الملك بمحمد — صلى الله عليه وسلم — وأُعلم بخبره ، قال :

شهدت على أحمد أنه نبى من الله بارى النسم
فلو مُد عمرى إلى عمره لكنت وزيراً له ، وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل هم

---

(١) البئر التى اشتراها عثمان — رضى الله عنه — بالمدينة وجعلها للمسلمين .

عمرو بن طلة ونسبه : قال ابن هشام : عمرو بن طَلَّة : عمرو بن معاوية ، بن عمرو ، بن عامر ، بن مالك ، ابن النجار ، وطلة : أمه : وهى بنت عامر بن زريق ، بن عامر بن زريق ، بن عبد حارثة ، بن مالك ، بن غَضْب ، ابن جُشَم ، بن الخزرج .

قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة : قال ابن إسحاق : وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار ، يقال له : أحمر ، عدا على رجل من أصحاب تبع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجده فى عَذْق له يَجُده(١) فضربه بمنجله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أبره ، فزاد ذلك تبعاً حنقا عليهم ، قال : فاقتتلوا ، فتزعُم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويَقْرُونه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام !!

فبينا تبع على ذلك من قتالهم ، إذا جاءه حبران من أحبار اليهود ، من بنى قريظة ـ وقريظة والنضير والنَّجَّام وعمرو ـ وهو هدل ـ بنو الخزرج بن الصريح بن التومان ، بن السِّبط بن اليسع ، بن سعد ، بن لاوىّ ، بن خير ، ابن النجَّام ، بن تنحوم ، بن عازر ، بن عِزْرَى ، بن هارون ، بن عمران ، بن يصهر ، بن قاهث ، بن لاوىّ ، ابن يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ بن إسحاق ، بن إبراهيم خليل الرحمن ـ صلى الله عليهم ـ عالمان راسخان فى العلم ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيها الملك ، لا تفعل ، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا : هى مُهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان ، تكون داره وقراره ، فتناهى عن ذلك ، ورأى أن لهما علما ، وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف

وذكر ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور ، وذكره أيضاً أبو إسحاق الزجاج فى كتاب المغازى له ، أن قبرا حفر بصنعاء ، فوجد فيه امرأتان ، معهما لوح من فضة مكتوب بالذهب ، وفيه : هذا قبر لَمِيس وحُبَّى ابنتى تبع ماتا ، وهما تشهدان : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما . وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا أدرى أتبع لعين أم لا » وروى عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « لا تسبوا تبعاً فإنه كان مؤمنا » ، فإن صح هذا الحديث الأخير ، فإنما هو بعد ما أُعلم بحاله ، ولا ندرى : أى التبابعة أراد . غير أن فى حديث معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا تسبوا أسعد الحميرى ، فإنه أول من كسا الكعبة » فهذا أصح من الحديث الأول ، وأبين ، حيث ذكر فيه أسعد . وتبان أسعد الذى تقدم ذكره ، وقد كان تبع الأول مؤمناً أيضاً بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الرائش ، وقد قال شعرا ينبىء فيه بمبعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول فيه :

ويأتى بعدهم رجل عظيم ... نبىء لا يُرَخِّص فى الحرام

وقد قيل إنه القائل :

منع البقاءَ تَصَرُّفُ الشمس ... وطلوعها من حيث لا تمسى
اليوم أعلم ما يجىء به ... ومضى بفصل قضائه أمس
وطلوعها بيضاء مشرقة ... وغروبها صفراء كالورس
تجرى على كبد السماء كما ... يجرى حِمام الموت فى النفس(٢)

وقد قيل : إن هذا الشعر لتبع الآخر ، فالله أعلم .

---

(١) العذق : النخل ، ويجده يقطعه .

(٢) هكذا فى جميع النسخ التى بأيدينا وإن كانت تروى بترتيب آخر .

عن المدينة ، وأتبعهما على دينهما ، فقال خالد بن عبد العُزَّى بن غَزِيَّة بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك ابن النجار يفخر بعمرو بن طلة .

أصحا أم قد نهى ذُكَرَه | أم قضى من لذة وطره
أم تذكرتَ الشباب ، وما | ذِكرك الشباب أو عُصُره
إنها حرب رَباعِيَةٌ | مثلها آتى الفتى عِبَرَه
فاسألا عمران ، أو أسدا | إذ أتت عَدْواً مع الزُّهَرَة
فيلق فيها أبو كَرِبٍ | سُبَّغ أبدانها ذَفِرَه
ثم قالوا : من نؤم بها | أبنى عوف ، أم النَّجَرَه؟

ومن هذا أخذ أبو تمام قوله :

ألقى إلى كعبة الرحمن أرحله | والشمس قد نفضت ورساً على الأُصل

غريب حديث تبع

ذكر فيه : فجدَّ عَذق الملك . العذق : النخلة بفتح العين ، والعذق بالكسر : الكباسة بما عليها من التمر .

وذكر فى نسب قريظة والنضير: عمراً، وهو : هدل بفتح الدال والهاء ، كأنه مصدر هدل هدلا إذا استرخت شفته، وذكره الأمير ابن ماكولا عن أبى عبدة النسابة فقال فيه : هدل بسكون الدال .

وذكر فيه :ابن التومان على وزن فعلان ، كأنه من لفظ التُّوَم ، وهو الدُّرُّ أو نحوه .

وفيه ابن السبِّط بكسر السين ، وفيه ابن تنحوم بفتح التاء وسكون النون والحاء المهملة ،وهوعبرانى ، وكذلك عازر وعِزْرى بكسر العين من عزرى .

وقاهث ، وبالتاء المنقوطة باثنتين . وهكذا وقع فى نسخة الشيخ أبى بحر . وفى غيرها بالثاء المثلثة ، وكلها عبرانية . وكذلك إسرائيل، وتفصيله بالعربية : سَرِى الله .

وقوله فى شعر خالد بن عبد العزى : أصحا أم قد نهى ذُكَرَه . الذكر : جمع ذكْرة . كما تقول : بُكْرة وبُكَر ، والمستعمل فى هذا المعنى ذكرى بالألف ، وقلما يجمع فعلى على فُعَل ، وإنما يجمع على فِعال ، فإن كان أراد فى هذا البيت جمع : ذكرى ، وشبه ألف التأنيث بهاء التأنيث ، فله وجه : قد يحملون الشيء على الشيء إذا كان فى معناه .

وقوله : ذكرك الشباب أوعُصُرَه ، أراد : أوعَصْره . والعَصْر، والعصُر لغتان . وحرك الصاد بالضم قال ابن جنى : ليس شيء على وزن فَعْل بسكون العين ، يمتنع فيه فُعُل .

وقوله : إنها حرب رَبَاعِية . مثل . أى : ليست بصغيرة ولا جذعة بل هى فوق ذلك ، وضُرب سن الرباعية مثلا ، كما يقال : حرب عوان ؛ لأن العوان أقوى من الفتية وأدرب .

وقوله :عدْوا مع الزُّهَرَة . يريد : صبحهم بغلس قبل مغيب الزهرة [1] وقوله:أبدانها ذفرة،يعنى:الدروع. وذَفِرة من الذَّفَر . وهى . سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة ، وأما الدَّفْر ، بالدال المهملة ، فإنما هو

---

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل ، والزهرة نجم معروف شديد اللمعان .

بل بنى النجار إن لنا فيهم قتلى ، وإنّ تِرَه
فتلقتهم مسايفة مَدها كالغبية النَّثِرة
فيهم عمرو بن طلة ملّى الإله قومه عُمرَه
سيد سام الملوك ومن رام عمرا لايكن قَدَرَه

وهذا الحى من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تبع على هذا الحى من يهود الذين كانوا بين أظهرهم ، وإنما أراد هلاكهم ، فمنعوهم منه ، حتى انصرف عنهم ، ولذلك قال فى شعره :

حنقا على سبطين حلا يثربا أولى لهم بعقاب يوم مفسد

قال ابن هشام : الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع ، فذلك الذى منعنا من إثباته .

فيما كره من الروائح ، ومنه قيل للدنيا : أم دَفْر ، وذكره القالى فى الأمالى بتحريك الفاء ، وغلط فى ذلك . والدَّفْرُ بالسكون أيضا : الدفع .

وقوله : أم النَّجَرة . جمع ناجر ، والناجر والنجار : بمعنى واحد ، وهذا كما قيل المناذرة فى بنى المنذر والنجار ، وهم : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، وسمى النجار ؛ لأنه نجر وجه رجل بقدوم فيما ذكر بعض أهل النسب.

وقوله : فيهم قتلى وإنّ تره . أظهر إن بعد الواو . أراد : إن لنا قتلى وترة ، والترة : الوتر ، فأظهر المضمر ، وهذا البيت شاهد على أن حروف العطف يضمر بعدها العامل المتقدم نحو قولك : إن زيدا وعمرا فى الدار ، فالتقدير : إن زيدا ، وإن عمرا فى الدار ، ودلت الواو على ما أردت ، وإن احتجت إلى الإظهار أظهرت ؛ كما فى هذا البيت ، إلا أن تكون الواو الجامعة فى نحو اختصم زيد وعمرو ، فليس ثَمَّ إضمار لقيام الواو مقام صيغة التثنية ، كأنك قلت : اختصم هذان ، وعلى هذا تقول : طلع الشمس والقمر ، فتغلِّب المذكر ، كأنك قلت : طلع هذان النيران ، فإن جعلت الواو هى التى تضمر بعدها الفعل ، قلت : طلعت الشمس والقمر ، وتقول فى نفى المسئلة الأولى : ماطلع الشمس والقمر ، ونفى المسئلة الثانية : ماطلعت الشمس ولا القمر ؛ تعيد حرف النفى ؛ لينتفى به الفعلُ المضمرُ . ويتفرع من هذا الأصل فى النحو مسائل كثيرة ، لانطوِّل بذكرها .

وقوله : فتلقتهم مسايفة ، بكسر الياء أى كتيبة مسايِفة. ولو فتحت الياء ، فقلت : مسايَفة لكان حالا من المصدر التى تكون أحوالا مثل : كلمته مشافهة ، ولعل هذه الحال أن يكون لها ذكر فى الكتاب ، فنكشف عن سرها ، ونبين ماخفى على الناس من أمرها ، وفى غير نسخة الشيخ : فتلقتهم مسابقة بالباء والقاف. والغَبْيَة الدَّفعة من المطر ، وقوله : النَّثِرة أى : المنتثرة ، وهى التى لاتمسك ماء . وقوله : [ملى] الإله من قولهم : تمليت حيناً ، أى : عشت معه حيناً ، وهو مأخوذ من الملاوة والملَوَين [1] قال ابن أحمر :

ألا ياديار الحى بالسَّبُعَان أمَلَّ عليها بالبلى الملوان
ألا ياديار الحى لا هجر بيننا ولاكنَّ روعات من الحدثان
نهار وليل دائب ملواهما على كل حالِ الناس يختلفان

---

(١) فى القاموس : ملاَّك الله حبيبك تملية : متعك به ، وتملى عمره : استمتع فيه ، والملا : الصحراء ، والملوان : الليل والنهار .

تبع يعتنق النصرانية ويدعو قومه إليها : قال ابن إسحاق : وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فتوجه إلى مكة ، وهى طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسفان ، وأَمج ، أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد ، فقالوا له : أيها الملك ، ألا ندلك على بيت مال داثر ، أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ، ويصلون عنده . وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ؛ لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغَى عنده . فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الحبرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ماأراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك . مانعلم بيتا لله اتخذه فى الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت مادعوك إليه ، لتهلكن ، وليهلكن من معك جميعا ، قال : فماذا تأمرانى أن أصنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قالا : تصنع عنده مايصنع أهله : تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده وتذل له ، حتى تخرج من عنده ، قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله إنه لبيت أبينا

معنى قول الشاعر : دائب ملواهما . والملوان : الليل والنهار . وهو مشكل ؛ لأن الشىء لا يضاف إلى نفسه . لكنه جاز ههنا لأن الملا هو : المتسع من الزمان والمكان ، وسمى الليل والنهار : ملوين لانفساحهما ، فكأنه وصف لهما ، لاعبارة عن ذاتيهما ؛ ولذلك جازت إضافته إليهما ، فقال : دائب ملواها أى: مداهما وانفساحهما . وقد رأيت معنى هذا الكلام فى هذا البيت بعينه لأبى على الفسوى فى بعض مسائله الشيرازية .

وقوله : لايكن قَدرَهَ . دعاء عليه : والهاء عائدة على عمرو . أراد لايكن قدر عليه . وحذف حرف الجر ، فتعدى الفعل ، فنصب ، ولايجوز حذف حرف الجر فى كل فعل ، وإنما جاز فى هذا ، لأنه فى معنى : استطاعه ، أو أطاعه ، فحمل على ماهو فى معناه ، ونظائره كثيرة ، والبيت الذى أنشده :

ليت حظى من أبى كرب ... أن يسد خيرُه خبلَه

قال البرقى : نسب هذا البيت إلى الأعشى ، ولم يصح ، قال : وإنما هو لعجوز من بنى سالم . أحسبه قال فى اسمها : جميلة ، قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تبع ، فدخل سرا ، فقال لقومه : قد جاء تبع ، فقالت العجوز البيت .

وقوله فى حديث تبع : وقوم يزعمون أن حنقه إنما كان على هذين السبطين من يهود يقوى ماذكرناه قبل هذا عنه . والشعر الذى زعم ابن هشام أنه مصنوع قد ذكره فى كتاب التيجان ، وهو قصيد مطول أوله :

مابال عينك لاتنام ، كأنما ... كُحِلت مآقيها بسمّ الأسود

حنقاً على سبطين حلا يثرباً ... أولى لهم بعقاب يوم مفسد

وذكر فى القصيدة ذا القرنين ، وهو الصعب بن ذى مراثد ، فقال فيه :

ولقد أذل الصعب صعب زمانه ... وأناط عروة عزه بالفرقد

لم يدفع المقدور عنه قوة ... عند المنون ، ولاسموُّ المحتد

والصنعة بادية فى هذا البيت ، وفى أكثر شعره ، وفيه يقول :

فأتى مغار الشمس عند غروبها ... فى عين ذى خُلُب وثاط حَرْمَد

والخلب : الطين ، والثأط الحرمد : وهو الحمأ الأسود . وروى نقلة الأخبار أن تبعاً لما عمد إلى البيت يريد إخرابه رمى بداء تمخض منه رأسه قيحاً وصديداً يثج ثجا ، وأنتن ، حتى لايستطيع أحد أن يدنو منه قيد الرمح ،

إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله ، وبالدماء التي يهرقون عنده ، وهم نجس أهل شرك ـ أو كما قالا له ـ فعرف نصحهما وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ، ونحر عنده، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام ـ فيما يذكرون ـ ينحر بها للناس ويطعم أهلها ، ويسقيهم العسل ، وأُرِى في المنام أن يكسوَ البيت ، فكساه الخصف ثم أرِيَ أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المعافر ، ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه الملاء والوصائل، فكان تبع ـ فيما يزعمون ـ أول من كسا البيت ، وأوصى به وُلاته من جرهم ، وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دما ، ولا ميتة ، ولا مثلاتا ـ وهي المحايض ـ وجعل له بابا ومفتاحا ، وقالت سبيعة بنت الأحب، بن زبينة ، بن جذيمة ، ابن عوف ، بن معاوية ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور . بن عكرمة ، بن خَصَفَة ، بن قيس ، بن عيلان ، وكانت عند عبد مناف بن كعب، بن سعد ، بن تيم ، بن مرة، بن كعب ، بن لؤى ، بن غالب ، بن فهر، بن مالك ، ابن النضر، بن كنانة ، لابن لها منه يقال له : خالد : تعظم عليه حرمة مكة ، وتنهاه عن البغي فيها ، وتذكر تبعا وتذلله لها ، وما صنع بها :

وقيل : بل أرسلت عليه ريح كتَّعت منه يديه ورجليه، وأصابتهم ظلمة شديدة حتى دَفَّت خيلهم ، فسمى ذلك المكان : الدف . فدعا بالحزاة والأطباء ، فسألهم عن دائه ، فهالهم مارأوا منه ، ولم يجد عندهم فرجا . فعند ذلك قال له الحبران : لعلك هممت بشيء في أمر هذا البيت، فقال : نعم أردت هدمه . فقالا له : تب إلى الله مما نويت فإنه بيت الله وحرمه ، وأمراه بتعظيم حرمته ففعل فبرىء من دائه ، وصح من وجعه . وأخلق بهذا الخبر أن يكون صحيحا، فإن الله — سبحانه — يقول : «ومن يُرِدْ فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » أى : ومن يسهم فيه بظلم. والباء في قوله : بظلم تدل على صحة المعنى، وأن من همّ فيه بالظلم — وإن لم يفعل — عذب ، تشديداً في حقه وتعظيما لحرمته ، وكما فعل الله بأصحاب الفيل أهلكهم قبل الوصول إليه .

كسوة البيت : وقوله : فكسا البيت الخَصَف . جمع : خَصَفَة ، وهي شيء ينسج من الخوص والليف ، والخصف أيضاً ثياب غلاظ . والخصف لغة في الخزف في كتاب العين ، والخصف بضم الخاء وسكون الصاد هو: الجَوْز. ويروى أن تبعاً لما كسا البيت المسوح والأنطاع. انتفض البيت فزال ذلك عنه، وفعل ذلك حين كساه الخصف، فلما كساه الملاء والوصائل قبلها . وممن ذكر هذا الخبر: قاسم في الدلائل. وأما الوصائل فثياب موصلة من ثياب اليمن . واحدتها : وصيلة .

وقوله : ولا تقربوه بمثلات ، وهي : المحائض . لم يرد النساء الحيض ؛ لأن حائضا لا يجمع على محائض ، وإنما هي جمع محيضة ، وهي خرقة المحيض ، ويقال للخرقة أيضا : مئلاة ، وجمعها : المآلى . قال الشاعر :

كأن مصفَّحات في ذراه وأنواحاً عليهن المآلى

وهي هنا خرق تمسكهن النواحات بأيديهن ، فكأن المئلات كل خرقة دنسة لحيض كانت أو لغيره ، وزنها مفعلة من ألَوْتُ : إذا قصَّرت وضيعت ، وجعلها صاحب العين في باب الإلية والآلية ، فلامُ الفعل عنده ياء على هذا ، والله أعلم ، ويروى في هذا الموضع : مثلاثاً بثاء مثلثة . ومن قوله حين كسا البيت :

وكسونا البيت الذي حرم الله مُلاء مُعضدا وبرودا

فأقمنا به من الشهر عشراً وجعلنا لبابه إقليدا

ونحرنا بالشعب ستة ألف فترى الناس نحوهن ورودا

ثم سرنا عنه نؤم سُهَيلا فرفعنا لواءنا معقودا

أبُنَىَّ : لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها بُنَىَّ ولا يغرنك الغَرور
أبنى : من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
أبنى : يضرب وجهه ويَلُحْ بخديه السعير
أبنى : قد جربتها فوجدت ظالمها يبور
الله أمنها ، وما بنيت بعَرْصَتها قصور
والله آمن طيرها والعُصم تأمن فى ثبير
ولقد غزاها تبع فكسا بنيتها الحبير
وأذل ربى ملكه فيها فأوفى بالنذور
يمشى إليها حافيا بفنائها ألفا بعير
ويظل يُطعم أهلها لحم المهارى والجزور
يسقيهم العسل المصفى والرحيض من الشعير
والفيل أُهلك جيشه يرمون فيها بالصخور
والملْك فى أقصى البلا د وفى الأعاجم والخزير
فاسمع إذا حُدثت ، وافـ ـهم كيف عاقبة الأمور

قال ابن هشام : يوقف على قوافيها لا تعرب

أصل اليهودية باليمن : ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبَوْا عليه ، حتى يحاكموه إلى النار التى كانت باليمن .

قال ابن إسحاق : حدثنى أبو مالك بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة ابن عبيد الله يحدث : أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك ، وقالوا : لا تدخلها علينا ، وقد فارقت ديننا ، فدعاهم إلى دينه وقال : إنه خير من دينكم ، فقالوا : فحاكِمنا إلى النار قال : نعم . قال: وكانت باليمن ـ فيما يزعم أهل اليمن ـ نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديها ، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فذَمَرهم من حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم ، فأكلت الأوثان وماقرّبوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال حمير ، وخرج

وقال القتبى ، كانت قصة تبع قبل الإسلام بسبعمائة عام .

وقوله بنت الأحَبّ بالحاء المهملة ابن زبينة : بالزاى والباء والنون : فعليلة من الزّبْن[1] ، والنسب إليه زَبَانىٌّ على غير قياس . ولو سمى به رجل لقيل فى النسب إليه . زَبَنىٌّ على القياس . قال سيبويه . الأحب بالحاء المهملة . يقوله أهل النسب ، وأبو عبيدة يقوله بالجيم ، وإنما قالت بنت الأحب هذا الشعر فى حرب كانت بين بنى السَّبَّاق بن عبد الدار ، وبين بنى على بن سعد بن تميم حتى تفانَوْا . ولحقت طائفة من بنى السباق بعك . فهمُ فيهم . قال : وهو أول بَغْى كان فى قريش . وقد قيل : أول بغى كان فى قريش بغى الأقايش ، وهم بنو أقيش من بنى سهم ، بغى بعضهم على بعض ، فلما كثر بغيهم على الناس أرسل الله عليهم فأرة تحمل فتيلة ، فأحرقت الدار التى كانت فيها مساكنهم ، فلم يبق لهم عَقِب .

---

(١) الزبن : الدفع .

الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما ، فأصفقت عند ذلك حمير على دينه ، فمن هنالك ، وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى محدث أن الحبرين ، ومن خرج من حمير ، إنما اتبعوا النار ، ليردوها ،وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها ، فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ،ودنامنها الحبران بعد ذلك ، وجعلا يتلوان التوراة وتنكص عنهما ، حتى رداها إلى مخرجها الذى خرجت منه ، فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما . والله أعلم أى ذلك كان .

هدم البيت المسمى رئام :قال ابن اسحاق:وكان رئام بيتا لهم يعظمونه ،وينحرون عنده ، ويكلَّمون منه ، إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه ، قال : فشأنكما به ، فاستخرجا منه ـ فيما يزعم هل اليمن ـ كلبا أسود فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت، فبقاياه اليوم ـ كما ذكر لى ـ بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه .

مُلك حسان بن تبان وقتله على يد أخيه عمرو

فلما ملك ابنه حسان بن تبان أسعد أبى كرب ، سار بأهل اليمن ، يريد أن يطأ بهم أرض العرب ، وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق ـ قال ابن هشام : بالبحرين ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم ـ كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم ، فكلموا أخاً له يقال له عمرو ، وكان معه فى جيشه ، فقالوا له : اقتل أخاك حسان ، ونملكك علينا ، وترجع بنا إلى بلادنا ، فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعَين الحميرى ، فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه . فقال ذو رعين :

ألا من يشترى سهراً بنوم سعيد من يبيت قرير عين
فإما حمير غدرت ، وخانت فمعذرة الإله لذى رعين

وقولها : وكسا بنيتها الحبير . تريد الحِبرات، والرحيض من الشعير أى المنقّى والمصفى منه، وقال ابن إسحاق فى غير هذا الموضع : أول من كسا الكعبة الديباج : الحجاج ، وذكر جماعة سواه منهم الدارقطنى . نُتَيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب . كانت قد أضلت العباسَ صغيرا ، فنزرت :إن وجدته أن تكسوَ الكعبة الديباج، ففعلت ذلك حين وجدته . وكانت من بيت مملكة ، وسيأتى ذكر نسبها فيما بعد — إن شاء الله .

وقال الزبير النسابة : بل أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير .

ذكر البيت المسمى « رئام » : وذكر البيت الذى كان لهم يقال له : رِئام ، وهو فِعال من رَئمت الأنثى ولدها تَرْأمه رئما ورئاماً : إذا عطفت عليه ورحمته . فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسون فى عبادته ، والله أعلم .

وفى رواية يونس عن ابن إسحاق أن رئاما كان فيه شيطان ، وكانوا يملئون له حياضا من دماء القربان ، فيخرج فيصيب منها ويكلمهم ، وكانوا يعبدونه ، فلما جاء الحبران مع تبع نشرا التوراة عنده ، وجعلا يقرآنها ؛ فطار ذلك الشيطان حتى وقع فى البحر .

وقوله فى حديث عمرو أخى حسان وهو الذى كان يقال له:موثبان وقد تقدم : لم لقب بذلك ، وقول ذى رعين له فى البيتين : ألا من يشترى سهراً بنوم سعيد مَنْ يبيت قرير عين

ثم كتبهما فى رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بها عمراً ، فقال له : ضع لى هذا الكتاب عندك ، ففعل ، ثم قتل عمرو أخاه حسان ، ورجع بمن معه إلى اليمن . فقال رجل من حمير :

لاهِ عينا الذى رأى مثل حسان قتيلا فى سالف الأحقاب

قتلتْه مقاول خشية الحبس غداة قالوا : لبَابِ لبَاب

ميتُكم خيرنا وحيكم ربٌّ علينا ، وكلكم أربابى

قال ابن إسحاق : وقوله : لَباب لَباب : لا بأس لا بأس ، بلغة حمير . قال ابن هشام : ويروى : لِباب لِباب .

هلاك عمرو وتفرق حمير : قال ابن إسحاق : فلما نزل عمرو بن تبان اليمن منع منه النوم ، وسلط عليه السهر ، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة من الكهان والعرافين عما به ، فقال له قائل منهم : إنه ما قتل رجل قط أخاه ، أو ذا رحمه بغياً على مثل مافتلت أخاك عليه ، إلا ذهب نومه ، وسلط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن ، حتى خلص إلى ذى رعين ، فقال له ذو رعين : إن لى عندك براءة ، فقال ، وما هى ؟ قال : الكتاب الذى دفعت إليك ، فأخرجه فإذا البيتان ، فتركه ، ورأى أنه قد نصحه . وهلك عمرو ، فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا .

معناه : أَمَنْ يَشترى ، وحسن حذف ألف الاستفهام ههنا لتقدم همزة ألا . كما حسن فى قول امرىء القيس :

أحار ترى برقا أريك وميضه

أراد : أترى . وفى البيت حذف تقديره : بل من يبيت قرير عين هو السعيد . فحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه . وفى كتاب ابن دريد : سعيد أمْ يبيت . بحذف من ، وهذا من باب حذف الموصوف ، وإقامة الصفة مقامه ؛ لأن من ههنا نكرة موصوفة ، ومثله قول الراجز :

لو قلت ما فى قومها لم تأثم يَفْضُلها فى حسب وميسَم

أى : من يفضُلها ، وهذا ، إنما يوجد فى الكلام إذا كان الفعل مضارعا لا ماضيا ، قاله ابن السراج وغيره .

وذو رُعَين تصغير رَعْن ، والرَّعْنُ : أنف الجبل ، ورعين : جبل باليمن قاله صاحب العين ، وإليه ينسب ذو رعين .

وقوله فى الأبيات بعد هذا : « لاه من رأى مثل حسان » أراد لله وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل ، وهذا حذف كثير . ولكنه جاز فى هذا الاسم خاصة لكثرة دوره على الألسنة . مثل قول الفراء : لهِنَّك من برق علىّ كريم . أراد : والله إنك . وقال بعضهم : أراد لأنك وأبدل الهمزة هاء . وهذا بعيد ، لأن اللام لا تجمع مع إن ، إلا أن تؤخر اللام إلى الخبر ، لأنهما حرفان مؤكدان ، وليس انقلاب الهمزة هاء بمزيل العلة المانعة من اجتماعهما .

المقاول : وقوله : قتلته المقاول : يريد الأقيال ، وهم الذين دون التبابعة . واحدهم : قيْل وأصله قَيِّل مثل سيد ، ثم خفف

(خبر لخنيعة وذى نواس)

فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة ، يقال له : لَخْنيعة ينوف ذو شَنَاتر ، فقتل خيارهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، فقال قائل من حمير للخنيعة .

تُقَتِّلُ أبناها وتنفى سراتها   وتبنى بأيديها لها الذل حمير
تدمر دنياها بطيش حلومها   وماضيعت من دينها فهو أكثر
كذاك القرون قبل ذاك بظلمها   وإسرافها تأتى الشرورَ فتخسر

فسوق لخنيعة : وكان لخنيعة امرءا فاسقاً يعمل عمل قوم لوط ، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك ، فيقع عليه فى مَشْرَبة له قد صنعها لذلك . لئلا يُمَلك بعد ذلك ، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده ، قد أخذ مسوا كا ، فجعله فى فيه ، أى : فيعلمهم أنه قد فرغ منه ، حتى بعث إلى زُرعة ذى نواس بن تبان أسعد أخى حسان ، وكان صبيا صغيراً حين قتل حسان ، ثم شب غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل ، فلما أتاه رسوله ، عرف ما يريد منه ، فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً ، فخبأه بين قدمه ونعله ، ثم أتاه ، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نواس ، فوجأه حتى قتله ، ثم حز رأسه ، فوضعه فى الكوة التى كان يشرف منها ، ووضع مسوا كه فى فيه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذا نواس أرطْب أم يباس ، فقال : « سل نخماس استرطبان ذو نواس استرطبان لاباس» قال ابن هشام : هذا كلام حمير . ونخماس : الرأس . فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنيعة مقطوع ، فخرجوا فى إثر ذى نواس حتى أدركوه ؛ فقالوا : ما ينبغى أن يملكنا غيرك ، إذ أرحتنا من هذا الخبيث .

واستعمل بالياء فى إفراده وجمعه ، وإن كان أصله الواو ، لأن معناه : الذى يقول ويُسمع قوله ، ولكنهم كرهوا أن يقولوا : أقوال ، فيلتبس بجمع قول ، كما قالوا : عيد وأعياد ، وإن كان من عاد يعود ، لكن أماتوا الواو فيه إماتة ، كى لايشبه جمع العود ، وإذا أرادوا إحياء الواو فى جمع قيل ، قالوا : مَقاول كأنه جمع مِقول ، أو جمع : مقال ومقالة ، فلم يبعدوا من معنى القول ، وأمنوا اللبس ، وقد قالوا : محاسن ومذاكر لا واحد لها من لفظها ، وكأنهم ذهبوا أيضاً فى مقاول مذهب المرازب ، وهم ملوك العجم ، والله أعلم .

على أنهم قالوا : أقيال وأقوال ، ولم يقولوا فى جمع عيد إلا أعياد ، ومثل عيد وأعياد : ريح وأرياح فى لغة بنى أسد ، وقد صرّفوا من القيْل فعلا ، وقالوا : قال علينا فلان ، أى : ملك ، والقيالة : الإمارة ، ومنه قول النبى — صلى الله عليه وسلم — فى تسبيحه الذى رواه الترمذى : « سبحان الذى لبس العز ، وقال به » . أى ملك به وقهر . كذا فسره الهروى فى الغريبين .

خبر لخنيعة وذى نواس

وقال فيه ابن دريد : لخنيعة وقال : هو من اللَّخَع ، وهو استرخاء فى الجسم ، وذو شناتر . الشناتر : الأصابع بلغة حمير ، واحدها : شُنْتُرة ، وذو نواس اسمه : زُرْعة ، وهو من قولهم للغلام : زرعك الله ، أى أنبتك ، وسموا بزارع كما سموا بنابت ، وقال الله تعالى : « أأنتم تزرعونه » أم نحن الزارعون أى : تنبتونه .

ملك ذى نواس: فملكوه ، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير . وهو صاحب الأخدود ، وتسمى : يوسف ، فأقام فى ملكه زمانا .

سبب وجود النصرانية بنجران: وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل . أهل فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له : عبد الله بن الثامر .

وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران ، وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له : فيميون ، وقع بين أظهرهم ، فحملهم عليه، فدانوا به .

حديث فيميون: قال ابن إسحاق : حدثنى المغيرة بن أبى لبيد مولى الأخنس ، عن وهب بن منبه اليمانى أنه حدثهم: أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فيميون، وكان رجلا صالحاً مجتهداً زاهداً فى الدنيا ، مجاب الدعوة ، وكان سائحاً ينزل بين القرى ، لا يُعرف بقرية إلا خرج منها إلى

وفى مسند وكيع بن الجراح عن أبى عبد الرحمن الحُبُلىّ أنه كان يكره أن يقول الرجل : زرعت فى أرض كذا وكذا ، لأن الله هو الزارع . وفى مسند البزار ـ مرفوعا ـ إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ النهى عن ذلك أيضاً ، وقد تكلمنا على وجه هذا الحديث فى غير هذا الإملاء فقد جاء فى الصحيح : « ما من مسلم يغرس غرساً ،أو يزرع زرعا ، الحديث [1] وفى كتاب الله أيضاً قال : « تزرعون سبع سنين دأباً » ، وسمى ذا نواس بغديرتين كانتا له تَنُوسان ، أى ضفيرتان من شعر ، والنَّوْسُ : الحركة والاضطراب فيما كان متعلقاً . قال الراجز :

لو رأتنى والنعاس غالبى على البعير نائساً ذَباذِبى

يريد : ذباذب القميص . وقال ابن قتيبة : أراد بالذباذب مذاكيره ، والأول أشبه بالمعنى .

وذكر قول ذى نواس للحرس حين قالوا له : أرطب أم يباس، واليباس واليبيس : مثل الكبار والكبير ، فقال لهم : سل نخماس ، والنخماس فى لغتهم هو الرأس كما ذكر ، ووقع فى نسخة أبى بحر التى قيدها على أبو الوليد الوقشى : نخماس بنون وخاء منقوطة ، ولعل هذا هو الصحيح إذ يحتمل أن يكون النخماس فى لغتهم هو : الرأس، ثم صحف وقيده كراع بالتاء المنقوطة باثنتين من فوق والحاء المهملة ـ فيما ذكر لى ـ وقوله : استرطبان إلى آخر الكلام مشكل يفسره ما ذكره أبو الفرج فى الأغانى قال : كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة ، وقد لاط به قطعوا مشافر ناقته وذنبها : وصاحوا به: أرطب أم يباس ، فلما خرج ذو نواس من عنده ، وركب ناقة له يقال لها : السراب ؛ قالوا : ذا نواس أرطب أم يباس، فقال : « ستعلم الأحراس استَ ذى نواس است رطبان أم يباس » فهذا اللفظ مفهوم . والذى وقع فى الأصل هذا معناه ، ولفظه قريب من هذا ، ولعله تغيير فى اللفظ ـ والله أعلم ـ وكان ملك لخنيعة سبعاً وعشرين سنة ، وملك ذو نواس بعده ثمانياً وستين سنة . قاله ابن قتيبة .

حديث فيمئون [2]

ويذكر عن الطبرى أنه قال فيه : قيمئون بالقاف ، وشك فيه ، وقال القتبى فيه : رجل من آل جفنة

---

(١) وبقية الحديث : « . . . . . فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة ، إلا كان له به صدقة » .

(٢) يلاحظ أن ابن هشام سماه : فيميون .

قرية لايعرف بها ، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه ، وكان بنّاء يعمل الطين ، وكان يعظم الأحد، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً . وخرج إلى فلاة من الأرض يصلى بها حتى يمسى . قال : وكان فى قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له : صالح ، فأحبه صالح حبا لم يحبه شيئاً كان قبله . فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون ، حتى خرج مرة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض - كما كان يصنع - وقد اتبعه صالح، وفيميون لايدرى ؛ فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه ، لا يحب أن يعلم بمكانه ، وقام فيميون يصلى ، فبينما هو يصلى إذ أقبل نحوه التنين - الحية ذات الرءوس السبعة - فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها ، فخافها عليه ، فعِيلَ عَوْلُه ؛ فصرخ : يا فيميون ! التنين قد أقبل نحوك، فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها ، وأمسى ، فانصرف ، وعرف أنه قد عُرِف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه . فقال له : يا فيميون ! تعلم والله أنى ما أحببت شيئاً قط حبك ، وقد أردت صحبتك ، والكينونة معك حيث كنت ، فقال : ما شئت ، أمرى كما ترى ، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم ، فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبد به الضر دعا له فشفى ، وإذا دُعِى إلى أحد به ضر لم يأته ، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير ، فسأل عن شأن فيميون ، فقيل له : إنه لا يأتى أحداً دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك ، فوضعه فى حجرته ، وألقى عليه ثوباً ، ثم جاءه فقال له : يا فيميون ، إنى قد أردت أن أعمل فى بيتى عملا ، فانطلق معى إليه حتى تنظر إليه ، فأشارطك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال له : ما تريد أن تعمل فى بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ، ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبى ، ثم قال له : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى ، فادع الله له ؛ فدعا له فيميون ؛ فقام الصبى ليس به بأس .

وعرف فيميون أنه قد عُرِف ، فخرج من القرية ، واتبعه صالح ، فبينما هو يمشى فى بعض الشام ، إذ مر بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : يا فيميون ! قال : نعم . قال : ما زلت أنظرك ، وأقول : متى هو جاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرح حتى تقوم علىّ ، فإنى ميت الآن . قال : فمات ، وقام عليه حتى واراه ، ثم انصرف ، وتبعه صالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعدوا عليهما ، فاختطفتهما سيارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما ، حتى باعوهما بنجران ، وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد فى كل سنة ، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحلى النساء ، ثم خرجوا إليها ، فعكفوا عليها يوماً .

من غسان جاءهم من الشام، فحملهم على دين عيسى - عليه السلام - ولم يسمه ، وقال فيه النقاش : اسمه يحيى، وكان أبوه ملكا فتوفى ، وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه ، ففر من الملك ، ولزم السياحة . وذكر الطبرى قصة الرجل الذى دعا لابنه فشفى بأتم مما ذكرها ابن إسحق ، قال فيمئون حين دخل مع الرجل ، وكشف له عن ابنه : « اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك فى نعمتك ، ليفسدها عليه ، فاشفه وعافه وامنعه منه » ، فقام الصبى ليس به بأس، فتبين من هذا أن الصبى كان مجنوناً لقوله : دخل عليه عدوك ، يعنى : الشيطان ، وليس هذا فى حديث ابن إسحق.

وذكر ابن إسحق فى الرواية الأخرى عن محمد بن كعب القرظى ، وعن بعض أهل نجران ، وما ذكروه من خبر فيمئون ، قال : ولم يسموه لى بالاسم الذى سماه ابن منبه . قال المؤلف رحمه الله : يحتمل أنهم سمَّوْه : يحيى ، وهو الاسم الذى تقدم ذكره ، وما قاله النقاش والقتبى .

فابتاع فيميونَ رجل من أشرافهم ، وابتاع صالحاً آخر ، فكان فيميون إذا قام من الليل - يتهجد فى بيت له أسكنه إياه سيده - يصلى ، استسرج له البيت نوراً حتى يصبح ، من غير مصباح ، فرأى ذلك سيده ، فأعجبه ما يرى منه ، فسأله عن دينه ، فأخبره به ، وقال له فيميون : إنما أنتم فى باطل ، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلهى الذى أعبده ، لأهلكها ، وهو الله وحده لا شريك له ، قال : فقال له سيده : فافعل ، فإنك إن فعلت دخلنا فى دينك ، وتركنا ما نحن عليه . قال : فقام فيميون ، فتطهر وصلى ركعتين ، ثم دعا الله عليها ، فأرسل الله عليها ريحا فجعفتها[1] من أصلها فألقتها ؛ فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ،فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام ، ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض ، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران فى أرض العرب .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وَهْب بن مُنَبِّه عن أهل نجران .

خبر عبد الله بن الثامر

عبد الله بن الثامر والاسم الأعظم : قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى ، وحدثنى أيضا بعض أهل نجران عن أهلها : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان فى قرية من قراها قريباً من نجران - ونجران : القرية العظمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فيميون - ولم يسموه لى باسمه الذى سماه به وهب بن منبه ، قالوا : رجل نزلها - ابتنى خيمة بين نجران ، وبين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر ، يعلمهم السحر ، فبعث إليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ، ويسمع منه حتى أسلم ، فوحّد الله وعبده ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه، جعل يسأله عن الاسم الأعظم - وكان يعلمه - فكتمه إياه وقال له : يا ابن أخى! إنك لن

وفيه ذكر قرية نجران فى هذا الحديث ، ونجران اسم رجل كان أول من نزلها ، فسميت به ، وهو نجران ابن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قاله البكرى .

وذكر أصحاب الأخدود ، وما أنزل الله تعالى فيهم ، وقد روى ابن سنجر عن جبير بن نُفَيْر ، قال : الذين خددوا الأخدود ثلاثة : تبع صاحب اليمن ، وقُسطنطينُ بن هلانى -وهى أمه- حين صرف النصارى عن التوحيد ودين المسيح إلى عبادة الصليب ، وبختنصر من أهل بابل حين أمَر الناس أن يسجدوا إليه ، فامتنع دانيال وأصحابه ، فألقاهم فى النار ، فكانت برداً وسلاماً عليهم ، وحرق الذين بغوا عليهم .

خبر ابن الثامر

التفاضل بين أسماء الله الحسنى : وذكر فيه الاسم الأعظم ، وقول الراهب له : إنك لن تطيقه . أى : لن تطيق شروطه ، والانتهاض بما يجب من حقه ، وقد قيل فى قول الله تعالى : « وقال الذى عنده علم من الكتاب » إنه أوتى الاسم الأعظم الذى إذا دعى الله به أجاب ، وهو : آصف بن برخيا فى قول أكثرهم ، وقيل غير ذلك . وأعجب ما قيل فيه : إنه ضبة بن أد بن طابخة قاله النقاش ، ولا يصح .

---

(١) جعفتها : أسقطتها وذهبت بها .

تحمله ، أخشى عليك ضعفك عنه ـ والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتخوف ضعفه فيه ، عمد إلى قداح فجمعها ، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه فى قِدْح ، لكل اسم قدح ، حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً ، ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه ، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئا ، فأخذه ثم أتى صاحبه ، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذى كتمه ، فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع ، قال : أى ابن أخى ! قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل .

وهى مسئلة اختلف فيها العلماء ، فذهبت طائفة إلى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى ، وقالوا : لا يجوز أن يكون اسم من أسمائه أعظم من الاسم الآخر ، وقالوا : إذا مر فى خبر أو أثر ، ذِكْرُ الاسم الأعظم ، فمعناه : العظيم ؛ كما قالوا : إنى لأوْجَل أى : وجلا ، وكما قال بعضهم فى (أكبر) من قولك : الله أكبر : إن أكبر بمعنى كبير ، وإن لم يكن قول سيبويه ، وذكروا أن أهون بمعنى : هين من قوله عز وجل : « وهو أهون عليه » وأكثروا الاستشهاد على هذا . ونسب أبو الحسن بن بطال هذا القول إلى جماعة منهم : ابن أبى زيد ، والقابسى وغيرهما .

ومما احتجوا به أيضاً : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يكن ليحرم العلم بهذا الاسم ، وقد علمه من هو دونه من ليس بنبى ؛ ولم يكن ليدعو حين اجتهد فى الدعاء لأمته ألا يجعل بأسهم بينهم ، وهو رءوف بهم، عزيز عليه عَنَتُهم إلا بالاسم الأعظم، ليستجاب له فيه . فلما منع ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسماء الله إلا وهو كسائر الأسماء فى الحكم والفضيلة ، يستجيب الله إذا دعى ببعضها إن شاء ، ويمنع إذا شاء ،وقال الله سبحانه : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيامَّا تدعو ، فله الأسماء الحسنى » .

وظاهر هذا الكلام : التسوية بين أسمائه الحسنى . وكذلك ذهب هؤلاء وغيرهم من العلماء إلى أنه ليس شىء من كلام الله تعالى أفضل من شىء ، لأنه كلام واحد من رب واحد ، فيستحيل التفاضل فيه .

قال الشيخ الفقيه الحافظ أبو القاسم — عفا الله عنه : وجه استفتاح الكلام معهم أن يقال : هل يستحيل هذا عقلا ، أم يستحيل شرعا ؟ ولا يستحيل عقلا أن يفضل الله سبحانه عملا من البر على عمل ، وكلمة من الذكر على كلمة ؛ فإن التفضيل راجع إلى زيادة الثواب ونقصانه ، وقد فضلت الفرائض على النوافل بإجماع ، وفضلت الصلاة والجهاد على كثير من الأعمال والدعاء ، والذكر عمل من الأعمال ، فلا يبعد أن يكون بعضه أقرب إلى الإجابة من بعض ، وأجزل ثواباً فى الآخرة من بعض ، والأسماء عبارة عن المسمى ، وهى من كلام الله سبحانه القديم ، ولا نقول فى كلام الله : هو هو ، ولا هو غيره ، كذلك لا نقول فى أسمائه التى تضمنها كلامه : إنها هو ، ولا هى غيره ، فإن تكلمنا نحن بها بألسنتنا المخلوقة وألفاظنا المُحدثة ، فكلامنا عمل من أعمالنا ، والله — سبحانه وتعالى — يقول : « والله خلقكم وما تعملون » ، وقبحاً للمعتزلة ؛ فإنهم زعموا : أن كلامه مخلوق ؛ فأسماؤه على أصلهم الفاسد محدثة غير المسمى بها ، وسَوَّوا بين كلام الخالق وكلام المخلوق فى الغيرية والحدوث ، وإذا ثبت هذا ، وصح جواز التفضيل بين الأسماء إذا دعونا بها ، فكذلك القول فى تفضيل السور والآى بعضها على بعض ، فإن ذلك راجع إلى التلاوة التى هى عملنا ، لا إلى المتلو الذى هو كلام ربنا ، وصفة من صفاته القديمة .

عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد : فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال: يا عبد الله ، أتوحد الله ، وتدخل فى دينى ، وأدعو الله ، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ويُسلم ، ويدعو له فَيُشفَى ، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ، ودعا له فعوفى ، حتى رفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت علىّ أهل قريتى ، وخالفت دينى ودين آبائى ، لأمثلن بك . قال : لا تقدر على ذلك . قال : فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل ، فيُطرح على رأسه ، فيقع إلى الأرض ليس به

وقد قال — صلى الله عليه وسلم — لأُبىّ [بن كعب] : « أى آية معك فى كتاب الله أعظم ؟ فقال : الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، فقال : ليهنك العلم أبا المنذر » ، ومحال أن يريد بقوله : أعظم معنى عظيم ؛ لأن القرآن كله عظيم ، فكيف يقول له : أى آية فى القرآن عظيمة ، وكل آية فيه عظيمة كذلك ؟ وكل ما استشهدوا به من قولهم : أكبر بمعنى كبير ، وأهون بمعنى هين باطل عند حذاق النحاة ، ولولا أن نخرج عما نحن بصدده ، لأوضحنا بطلانه ، بما لا قبل لهم به ، ولو كان صحيحاً فى العربية ، ما جاز أن يحمل عليه قوله : « أى آية معك فى كتاب الله أعظم » لأن القرآن كله عظيم ، وإنما سأله عن الأعظم منه ، والأفضل فى ثواب التلاوة ، وقرب الإجابة .

وفى هذا الحديث دليل أيضاً على ثبوت الاسم الأعظم ، وأن لله اسماً هو أعظم أسمائه ، ومحال أن يخلوَ القرآن عن ذلك الاسم ،والله تعالى يقول : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، فهو فى القرآن لا محالة . وما كان الله ليحرمَه محمداً ، وأمته ، وقد فضله على الأنبياء ، وفضلهم على الأمم .

فإن قلت: فأين هو فى القرآن ؟ فقد قيل : إنه أخفى فيه ، كما أخفيت الساعة فى يوم الجمعة ، وليلة القدر فى رمضان؛ ليجتهد الناس ولا يتكلوا .

قال الفقيه الحافظ أبو القاسم — رضى الله عنه — فى قول النبى — صلى الله عليه وسلم — لأبى : « أى آية معك فى كتاب الله أعظم » ، ولم يقل : أفضل ، إشارة إلى الاسم الأعظم أنه فيها ، إذ لا يتصور أن تكون هى أعظم آية ، ويكون الاسم الأعظم فى أخرى دونها . بل : إنما صارت أعظم الآيات ؛ لأن الاسم الأعظم فيها . ألا ترى كيف هنأ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أُبيّاً ، بما أعطاه الله تعالى من العلم ، وما هنأه إلا بعظيم بأن عرف الاسم الأعظم والآية العظمى التى كانت الأمم قبلنا لا يعلمه منهم إلا الأفراد : عبد الله بن الثامر ، وآصف صاحب سليمان عليه السلام ، وبلعوم قبل أن يتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، وقد جاء منصوصاً فى حديث أم سلمة — رضى الله عنها — الذى خرجه الترمذى وأبو داود ، ويروى أيضاً عن أسماء بنت يزيد — وكنيتها : أم سلمة — فلعل الحديث واحد، أنها سألت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن الاسم الأعظم، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو فى هاتين الآيتين« الله لا إله إلا هو الحى القيوم »و« ألم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم(1)» . وقال سبحانه: « هو الحى لا إله إلا هو ، فادعوه مخلصين له الدين» الآية أى : فادعوه بهذا الاسم ، ثم قال : « الحمد لله رب العالمين» تنبيها لنا على حمده وشكره، إذ علـّمنا من هذا الاسم العظيم ما لم نكن نعلم .

فإن قلت : فقد روى أبو داود والترمذى أيضاً أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سمع رجلا — وهو زيد أبو عياش الزُّرقى — ذكر اسمه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده - يقول : « اللهم إنى أسألك ، بأن لك الحمد

---

(1) فى طبعة قديمة : « وإلهكم إله واحد » ، « والله لا إله إلا هو الحى القيوم » .

بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران ، بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك ، فيلق فيها ، فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ؛ قال له عبد الله بن الثامر : إنك والله لن تقدر على قتلي حتى توحد الله ، فتؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت ذلك ، سُلطت عليّ فقتلتني ، قال : فوحد الله تعالى ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصا في يده ، فشجه شجة غير كبيرة ، فقتله ، ثم هلك الملك مكانه ، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر، وكان على ماجاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحُكمه، ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران ، والله أعلم بذلك .

لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام ، فقال : لقد دعا الله باسمه الأعظم » ويروى أنه قال له في هذا الحديث : « غفر الله له . غفر الله له» . وروى الترمذي نحو هذا فيمن قال : « اللهم إني أسألك ؛ فإنك الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم تلد ولم تولد » وهذا معارض لحديث أم سلمة .

قلنا : لا معارضة بين هذا ، وبين ما تقدم ، فإنا لم نقل : إن الاسم الأعظم، هو الحي القيوم ، بل : الحي القيوم : صفتان تابعتان للاسم الأعظم ، وتتميم لذكره ، وكذلك المنان ، وذو الجلال والإكرام في حديث أبي داود ، وقد خرجه الترمذي أيضاً في الدعوات ، وكذلك الأحد الصمد في حديث الترمذي . وقولك : الله لا إله إلا هو : هو الاسم ، لأنه لا سَمِيّ له ، ولم يتسم به غيره ، وقد قال بعض العلماء في التسعة والتسعين اسماً : إنها كلها تابعة للاسم الذي هو الله ، وهو تمام المائة ، فهي مائة على عدد درج الجنة ، إذ قد ثبت في الصحيح أنها مائة درجة بين كل درجتين مسيرة مائة عام، وقال في الأسماء : «من أحصاها دخل الجنة» فهي على عدد درج الجنة، وأسماؤه تعالى لا تحصى، وإنما هذه الأسماء هي المفضلة على غيرها ، والمذكورة في القرآن . يدل على ذلك قوله في الصحيح : « أسألك بأسمائك الحسنى ما علمتُ منها وما لم أعلم ». ووقع في جامع ابن وهب : « سبحانك لا أُحصي أسماءك » .

ومما يدل على أنه الاسم الأعظم أنك تضيف جميع الأسماء إليه ، ولا تضيفه إليها . تقول : العزيز اسم من أسماء الله ، ولا تقول : الله اسم من أسماء العزيز ، وفخمت اللام من اسمه — وإن كانت لا تفخم لام في كلام العرب إلا مع حروف الإطباق نحو الطلاق ، ولا تفخم لام في شيء من أسمائه ، ولا شيء من الحروف الواقعة في أسمائه التي ليست بمستعلية إلا في هذا الاسم العظيم المنتظم من ألف ولامين وهاء . فالألف من مبدأ الصوت ، والهاء راجعة إلى مخرج الألف ، فشاكل اللفظ المعنى وطابقه، لأن المسمى بهذا الاسم منه المبدأ ، وإليه المعاد ، والإعادة أهون من الابتداء عند المخاطبين ، فكذلك الهاء أخف وألين في اللفظ من الهمزة التي هي مبدأ الاسم .

أخبرت بهذا الكلام أو نحوه في الاسم وحروفه عن ابن فَوْرَك رحمه الله . ذكره أبو بكر شيخنا في كتاب شرح الأسماء الحسنى له .

فإن قيل : فأين ما ذكروه عن الاسم الأعظم، وأنه لا يدعى الله به إلا أجاب ، ولا يسئل به شيئاً إلا أعطاه ؟

قلنا : عن ذلك جوابان . أحدهما : أن هذا الاسم كان عند من كان قبلنا — إذا علمه — مصونا غير مبتذل ، معظما لا يمسه إلا طاهر ، ولا يلفظ به إلا طاهر ، ويكون الذي يعرفه عاملا بمقتضاه متألهاً مُخْشِبتا ، قد امتلأ قلبه بعظمة المسمَّى به لا يلتفت إلى غيره، ولا يخاف سواه . فلما ابتُذل وتُكلم به في معرض البطالات والهزل ، ولم يُعمل بمقتضاه ذهبت من القلوب هيبته، فلم يكن فيه من سرعة الإجابة ، وتعجيل قضاء الحاجة للداعي ما كان قبل .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظى ، وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر ، والله أعلم أى ذلك كان .

ذو نواس يدعو أهل نجران إلى اليهودية : فسار إليهم ذو نواس بجنوده ، فدعاهم إلى اليهودية ، وخيرهم بين ذلك والقتل ؛ فاختاروا القتل ، فخدلهم الأخدود ، فحرق من حرق بالنار ، وقتل من قتل بالسيف ، ومثّل بهم ، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ، ففى ذى نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم : « قُتِلَ أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » .

تفسير الأخدود : قال ابن هشام : الأخدود : الحفر المستطيل فى الأرض ، كالخندق والجدول ونحوه ، وجمعه : أخاديد . قال ذو الرمة ـ واسمه : غيلان بن عقبة ، أحد بنى عدى بن عبد مناف بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر .

مِن العراقية اللاتى يُحيل لها   بين الفَلاةِ وبين النخل أخدود

يعنى : جدولا . وهذا البيت فى قصيدة له . قال : ويقال لأثر السيف والسكين فى الجلد ، وأثر السوط ونحوه : أخدود ، وجمعه أخاديد .

نهاية عبد الله بن الثامر : قال ابن إسحاق : ويقال : كان فيمن قتل ذو نواس ، عبد الله بن الثامر رأسهم وإمامهم.

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حُدِّث : أن رجلا من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حفر خَرِبة من خَرِب نجران لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله ابن الثامر تحت دَفْن منها قاعداً ، واضعا يده على ضربة فى رأسه ، ممسكا عليها بيده ، فإن أُخرت يده عنها تنبعث دما ، وإذا أرسلت يده ردها عليها ، فأمسكت دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : « ربى الله » فكتب فيه إلى عمر ابن الخطاب يُخبر بأمره ، فكتب إليهم عمر رضى الله عنه : أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذى كان عليه ، ففعلوا .

ألا ترى قول أيوب عليه السلام فى بلائه : « قد كنت أمر بالرجلين يتنازعان ، فيذكران الله — يعنى فى تنازعهما ، أى تخاصمهما — فأرجع إلى بيتى ، فأكفِّر عنهما كراهة أن يُذكر الله إلا فى حق » ، وفى الحديث عن النبي — صلى الله عليه وسلم : « كرهت أن أذكر الله إلا على طهر » . فقد لاح لك تعظيم الأنبياء له .

والجواب الثانى : أن الدعاء به إذا كان من القلب ، ولم يكن بمجرد اللسان استجيب للعبد . غير أن الاستجابة تنقسم كما قال — عليه السلام — إما أن يُعجل له ما سأل ، وإما أن يدخر له ، وذلك خير مما طلب ، وإما أن يصرف عنه من البلاء بقدر ما سأل من الخير ، وأما دعاء النبي — صلى الله عليه وسلم — لأمته ألا يجعل بأسهم بينهم ، فمُنعها ، فقد أعطى عوضاً لهم من ذلك : الشفاعة لهم فى الآخرة ، وقد قال : « أمتى هذه أمة مرحومة ، ليس عليها فى الآخرة عذاب ، عذابها فى الدنيا : الزلازل والفتن » . خرجه أبو داود . فإذا كانت الفتن سبباً لصرف عذاب الآخرة عن الأمة ، فما خاب دعاؤه لهم . على أننى تأملت هذا الحديث ، وتأملت حديثه الآخر حين نزلت : « قل : هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » . فقال : « أعوذ بوجهك » فلما سمع : « أو من تحت أرجلكم » قال : « أعوذ بوجهك » ، فلما سمع : « أو يلبسكم شيعاً ، ويذيق بعضكم بأس بعض » . قال : « هذه أهون » .

. . . .

فمن هاهنا — والله أعلم — أعيذت أمته من الأولى والثانية ، ومنع الثالثة ، حين سألها بعدُ . وقد عرضت هذا الكلام على رجل من فقهاء زماننا ، فقال : هذا حسن جداً ، غير أنا لا ندرى : أكانت مسألته بعد نزول الآية ، أم لا ؟ فإن كان بعد نزول الآية ، فأخلق بهذا النظر أن يكون صحيحاً . قلت له : أليس فى الموطأ أنه دعا بها فى مسجد بنى معاوية ، وهو فى المدينة ، ولا خلاف أن سورة الأنعام مكية ؟ فقال : نعم ، وسلم وأذعن للحق ، وأقر به ـ رحمه الله .

الشهداء أحياء فى قبورهم : وذكر من وجدان عبدالله فى خَرِبة من خَرِب نجران. يصدقه قوله تعالى: «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء » الآية . وما وجد فى صدر هذه الأمة من شهداء أحد ، وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدهور الطويلة كحمزة بن عبد المطلب — رضى الله عنه — فإنه وجد حين حفر معاوية العين صحيحاً لم يتغير ، وأصابت الفأس أصبعه ، فدميت ، وكذلك أبو جابر عبد الله بن حرام ، وعمرو بن الجموح ، وطلحة بن عبيد الله — رضى الله عنهم — استخرجته بنته عائشة من قبره حين رأته فى المنام ، فأمرها أن تنقله من موضعه ، فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير . ذكره ابن قتيبة فى المعارف . والأخبار بذلك صحيحة . وقد قال — عليه السلام — « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » . خرجه سليمان بن الأشعث . وذكر أبو جعفر الداوودى فى كتاب الناسى[1] هذا الحديث بزيادة ذكر : الشهداء والعلماء والمؤذنين ، وهى زيادة غريبة لم تقع لى فى مسند ، غير أن الداوودى من أهل الثقة والعلم . وفى المسند من طريق أنس — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « الأنبياء أحياء يصلون فى قبورهم » . انفرد به ثابت البُنَانىُّ عن أنس . وقد روى أن ثابتاً التمس فى قبره بعد ما دفن ، فلم يوجد ، فذكر ذلك لبنته . فقالت : كان يصلى فلم تَرَوْه ، لأنى كنت أسمعه إذا تهجد بالليل يقول . « اللهم اجعلنى ممن يصلى فى قبره بعد الموت » . وفى الصحيح : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « مررت بموسى ـ عليه السلام ـ وهو يصلى فى قبره » .

أصحاب الأُخدود : وحديث عبد الله بن الثامر إنما رواه ابن إسحاق موقوفاً على محمد بن كعب القرظى ، عن بعض أهل نجران ، ليصل به حديث فيميون ، وهو حديث ثابت عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من طريق ابن أبى ليلى عن صُهَيْب عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فهو أولى أن يعتمد عليه ، وهو يخالف حديث ابن إسحاق فى ألفاظ كثيرة . قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إذا حدث بهذا الحديث يعنى حديثاً تقدم قبل هذا الحديث، يحدث بهذا الحديث الآخر . قال : كان ملك من الملوك ، وكان لذلك الملك كاهن يَكْهُن له ، فقال الكاهن : انظروا لى غلاماً فَهِماً أو قال : فَطِناً لَقِناً ، فأعلمه علمى هذا ، فإنى أخاف أن أموت ؛ فينقطع منكم هذا العلم ، ولا يكون فيكم من يعلمه قال : فنظروا له غلاماً على ما وصف ، فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن وأن يختلف إليه ، فجعل يختلف إليه ، وكان على طريق الغلام راهب فى صومعة، قال معمر: أحسب أن أصحاب الصوامع يومئذ كانوا مسلمين ، قال : فجعل الغلام يسأل الراهب كلما مر به ، فلم يزل به حتى أخبره ، فقال : إنما أعبد الله ، قال : فجعل الغلام يمكث عند الراهب ، ويبطىء على الكاهن ، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام أنه لا يكاد يحضرنى ، فأخبر الغلام الراهب بذلك ، فقال له الراهب : إذا قال لك الكاهن : أين كنت ، فقل : كنت عند أهلى،

(١) فى طبعة قديمة : النامى . ولم أقف له على ذكر .

فرار دوس ذى ثعلبان من ذى نواس واستنجاده بقيصر

قال ابن إسحاق : وأفلت منهم رجل من سبأ ، يقال له دَوْس ذو ثُعْلبان على فرس له ، فسلك الرمل فأعجزهم ، فمضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قيصر ملك الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له : بعدت بلادك منا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

النجاشى ينصر دوسا : فقدم دوس على النَّجاشى بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة ، وأمَّر عليهم رجلا منهم يقال له : أرياط ـ ومعه فى جنده أبرهة الأشرم ـ فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ، ومعه دوس ذو ثعلبان .

فإذا قال لك أهلك أين كنت؟ فأخبرهم أنك كنت عند الكاهن،قال : فبينما الغلام على ذلك إذ مر بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابة ، فقال بعضهم : إن تلك الدابة كانت أسدا ، فأخذ الغلام حجرا، فقال : اللهم إن كان مايقول الراهب حقا فأسألك أن تقتله . قال : ثم رمى فقتل الدابة ، فقال الناس : من قتلها ؟! فقالوا : الغلام، ففزع الناس وقالوا : لقد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد ، قال : فسمع به أعمى، فقال له : إن رددت بصرى فلك كذا وكذا ،فقال له : لا أريد منك هذا، ولكن أرأيت إن رجع إليك بصرك أتؤمن بالذى رده ؟ قال : نعم، فدعا الله فرد عليه بصره، فآمن الأعمى ، فبلغ الملك أمرهم فبعث إليهم ، فأتى بهم ، فقال : لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه ، فأمر بالراهب ، وبالرجل الذى كان أعمى ، فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله ، ثم قتل الآخر بقتلة أخرى ، ثم أمر بالغلام فقال : انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه ، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل ، فلما انتهوا إلى ذلك المكان الذى أرادوا أن يلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ، ويتردَّون منه حتى لم يبق منهم إلا الغلام . قال : ثم رجع ، فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقونه فيه ، فانطلق به إلى البحر ، فغرَّق الله الذين كانوا معه وأنجاه . فقال الغلام للملك : إنك لا تقتلنى حتى تصلبنى وترمينى، وتقول إذا رميتنى : بسم الله رب هذا الغلام،قال : فأمر به فصلب ، ثم رماه، فقال : بسم الله رب هذا الغلام ، قال : فوضع الغلام يده على صدغه حين رمى، ثم مات . فقال الناس : لقد علم هذا الغلام علما ماعلمه أحد ، فإنا نؤمن برب هذا الغلام، قال : فقيل للملك : أجزعت إن خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك، قال : فخد أخدودا ، ثم ألقى فيه الحطب والنار ، ثم جمع الناس ، فقال : من رجع عن ذنبه تركناه ، ومن لم يرجع ألقيناه فى هذه النار ، فجعل يلقيهم فى ذلك الأخدود . قال : يقول الله — سبحانه — : «قتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود» حتى بلغ : «العزيز الحميد» قال : فأما الغلام فإنه دفن . قال : فيذكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — وأصبعه على صُدغه ، كما وضعها حين قتل. رواه الترمذى عن محمود بن غيلان عن عبد الرزاق عن مُعْمر . ورواه مسلم عن هَدَّاب بن خالد عن حماد بن سلمة ، ثم اتفقا عن ثابت ، عن ابن أبى ليلى ، عن صهيب . غير أن فى حديث مسلم أن الأعمى الذى شفى كان جليسا للملك ، وأنه جاءه بعد ما شفى ، فجلس من الملك كما كان يجلس فقال : من رد عليك بصرك ، قال : ربى ، قال : وهل لك رب غيرى ؟ ! فقال : الله ربى وربك ، فأمر بالمنشار فجعل على رأسه حتى وقع شِقَّاه ، وأمر بالراهب ففعل به مثل ذلك . وزاد مسلم فى آخر الحديث . قال : فأتى بامرأة لتلقى فى النار ، ومعها صبى يرضع فقال لها الغلام : يا أمَّه لا تجزعى ، فإنكِ على الحق . وذكر ابن قتيبة أن الغلام الرضيع كان من سبعة أشهر .

نهاية ذى نواس : وسار إليه ذو نواس فى حمير ، ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس مانزل به وبقومه ، وجه فرسه فى البحر ، ثم ضربه ، فدخل به فخاض به ضحضاح[١] البحر ، حتى أفضى به إلى غَـمْـرِه[٢] ، فأدخله فيه ، وكان آخر العهد به . ودخل أرياط اليمن ، فملكها .

حديث الحبشة

وذكر فيه دوساً ذا ثعلبان الذى أتى قيصر . ودوس : هو ابن تبع الذى قتله أخوه ، قاله ابن إسحاق فى غير رواية ابن هشام .

وذكر فيه قيصر وكتابه للنجاشى . وقيصر : اسم علم لكل من ولى الروم وتفسيره بلسانهم : البقير الذى بقر بطن أمه عنه ، وكان أول من تسمى به بُقَـيْراً ، فلما ملك وعرف به ، تسمى به كل من ملك بعده . قاله المسعودى. وإنما كتب بذلك إلى النجاشى ؛ لأنه على دينه ، وكان أقرب إلى اليمن منه . وذكر غير ابن إسحاق أن ذا نواس أدخل الحبشة صنعاء اليمن ، حين رأى أن لا قبل له بهم ، بعد أن استنفر جميع المَقَاوِل ، ليكونوا معه يداً واحدة عليهم ، فأبوا إلا أن يحمى كل واحد منهم حَوزته على حدته ، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله ، على أن يسالموه ومن معه ، ولا يقتلوا أحداً ، فكتبوا إلى النجاشى بذلك ، فأمرهم أن يقبلوا ذلك منهم ، فدخلوا صنعاء ودفع إليهم المفاتيح ، وأمرهم أن يقبضوا ما فى بلاده من خزائن أمواله ، ثم كتب هو إلى كل موضع من أرضه : أن اقتلوا كل ثور أسود ، فقتل أكثر الحبشة ، فلما بلغ ذلك النجاشى وجه جيشاً إلى أبرهة ، وعليهم أرياط وأمره أن يقتل ذا نواس ، ويخرب ثلث بلاده ، ويقتل ثلث الرجال ، ويسبى ثلث النساء والذرية ففعل ذلك أبرهة. وأَبْرهة بالحبشية : هو الأبيض الوجه ، وفى هذا قوة لقول من قال : إن أبرهة هذا هو أَبْرهَةُ بن الصَّبَّاح الحميرى، وليس بأبى يكسوم الحبشى ، وإن الحبشة كانوا قد أمَّروا أبرهة بن الصباح على اليمن ، وهذا القول ذكره ابن سلام فى تفسيره ، واقتحم ذو نواس البحر ، فهلك ، وقام بأمره من بعده ذوجدن ، واسمه : عَلَس بن الحارث أخو سبيع ابن الحارث ، والجدن : حسن الصوت ، يقال : إنه أول من أظهر الغناء باليمن فسمى به ، وجدن أيضاً : مفازة باليمن، زعم البكرى أن ذا جدن إليها يُنسب ، فحارب الحبشة بعد ذى نواس فكسروا جنده ، وغلبوه على أمره ، ففر إلى البحر كما فعل ذو نواس ، فهلك فيه ، وذكروا سبب منازعة أبرهة لأرياط ، وأن ذلك إنما كان ، لأن أبرهة بلغ النجاشى أنه استبد بنفسه ، ولم يرسل إليه من جباية اليمن شيئاً ، فوجه أرياطاً إلى خلعه ، فعند ذلك دعاه أبرهة إلى المبارزة — كما ذكر ابن إسحاق .

وذكر الطبرى أن عَتْوَدَة الغلام الذى قتل أرياطاً . والعتودة : الشدة ، وقد قيل فى اسمه أرنجدة . قال له أبرهة : احتكم علىَّ ، قال : أحتكم : أن لا تزف امرأة إلى بعلها ، حتى أكون أنا الذى أبدأ بها قبله ، ففعل ذلك أبرهة ، وغبر العبد زماناً يفعل ذلك ، فلما اشتد الغيظ بأهل اليمن ، قتلوا عتودة غيلة ، فقال لهم الملك : قد أنى لكم يأهل اليمن أن تفعلوا فعل الأحرار ، وأن تغضبوا لحرمكم ، ولو علمت أن هذا العبد يسألنى هذا الذى سأل ماحكمته ،

---

(١) الضحضاح من الماء : الذى يظهر قعره . (٢) الغمر : الماء الكثير .

فقال رجل من أهل اليمن ـ وهو يذكر ما ساق إليهم دوس من أمر الحبشة :

« لا كدَوْس ولا كأعلاق رَحْلِه »

فهى مثل باليمن إلى هذا اليوم .

قول ذى جدن الحميرى فى هذه القصة : وقال ذو جدن الحميرى :

هونكِ[1] ليس يرد الدمع ما فاتا ‏ ‏ ‏ ‏ لا تهلكى أسفاً فى إثر من ماتا

أبعد بَيْنون لا عين ولا أثر ‏ ‏ ‏ ‏ وبعد سَلْحِين يبنى الناس أبياتا؟!

ولكن والله لا يؤخذ منكم فيه دية ، ولا تطلبون بذحل[2] ، وحيثما وقع اسم أرياط فى رواية يونس ، لم يسمه بهذا الاسم ، إنما سماه رَوْزَنة أو نحو هذا .

وذكر الطبرى أن سيف بن ذى يزن لما فعل ذو نواس بالحبشة ما فعل، ثم ظفروا به بعث عظيمهم إلى أبى مرة سيف بن ذى يزن، فانتزع منه ريحانة بنت علقمة بن مالك ، وكانت قد ولدت له معدى كرب . فملكها أبرهة ، وأولدها مسروق بن أبرهة ، وعند ذلك توجه سيف إلى كسرى أنو شروان يطلب منه الغوث على الحبشة ، فوعده بذلك وأقام عنده سنين . ثم مات وخلفه ابنه معدى كرب فى طلب الثأر ، فأدخل على كسرى ، فقال له : من أنت ؟ فقال : رجل يطلب إرث أبيه وهو وعد الملك الذى وعد به، فسأل عنه كسرى : أهو من بيت مملكة أم لا؟ فأخبر أنه من بيت ملك فوجه معه وهْرَز الفارس فى سبعة آلاف وخمسمائة من الفرس ، وقال ابن إسحاق : فى ثمانمائة ، غرق منهم مائتان ، وسلم ستمائة ، والقول الأول قول ابن قتيبة وهو أشبه بالصواب ، إذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة، وإن كان قد جمع إليهم من العرب — كما ذكر ابن إسحاق — ما جمع . ثم إن معد يكرب بن سيف لما قتل الحبشة وملك هو ووهرز اليمن أقام فى ذلك نحو أربع سنين ، ثم قتلته عبيد له كان قد اتخذهم من أولئك الحبشة ، خرج بهم إلى الصيد فزرقوه[3] بحرابهم ، ثم هربوا فأتبعوا فقتلوا . وتفرق أمر اليمن بعده إلى مخالف عليها مقاول كملوك الطوائف لا يدين بعضهم لبعض إلا ما كان من صنعاء وكون الأبناء فيها ، حتى جاء الإسلام .

واستشهد ابن هشام فى هذا الخبر على الأخدود ببيت ذى الرُّمة ، وهو : غَيْلان بن عقبة بن بُهَيْش بضم الباء والشين ، وسمى ذا الرمة ببيت قاله فى الوتد :

أشعث باقى رُمَّة التقليد

وقيل إن مية سمته بذلك ، وكان قد قال لها : أصلحى لى هذا الدلو، فقالت له : إنى خرقاء ، فولى وهى على عنقه برمتها ، فنادته : ياذا الرمة إن كنت خرقاء فإن لى أمة صَنَاعاً ؛ فلذلك سماها بخرقاء ، كما سمته بذى الرمة .

وقوله : فخاض ضَحْضَاح البحر إلى غَمْره . الضحضاح من الماء : الذى يظهر منه القعر ، وكان أصله من الضح وهو حر الشمس ، كأن الشمس تداخله لقلته ، فقلبت فيه إحدى الحاءين ضاداً ، كما قالوا فى ثَرَّة ثَرْثارة، وفى تملَّل تَمَلْمل وهو قول الكوفيين من النحويين، ولست أعرف أصلا يدفعه ، ولا دليلا يرده ، ويقال له أيضاً : الرقراق والضَّهْل ، وقد يستعار فى غير الماء، كقول النبى — صلى الله عليه وسلم — فى عمه أبى طالب حين سئل عنه ، فقال : « هو فى ضحضاح من النار ، ولولا مكانى لكان فى الطمطام » وفى البخارى : وجدته فى غمرة من النار ، فأخرجته إلى الضحضاح ، والغمر هو الطمطام ، وأما قول ذى جدن :

هونك لن يرد الدمع ما فاتا[4]

---

(١) هونك : ترفق .

(٢) الذحل هنا : معناه الثأر .

(٣) زرقوه : رموه .

(٤) رواه ابن هشام هكذا : هونك ليس يرد الدمع مافاتا .

بينون وسلحين وغمدان : من حصون اليمن التى هدمها أرياط ، ولم يكن فى الناس مثلها . وقال ذو جدن أيضاً :

دعينى — لا أبالك — لن تطيق ... لَحاكِ الله ! قد أنزفْتِ ريقى
لدى عزف القيان إذ انتشينا ... وإذ نُسقى من الخمر الرحيق
وشُرب الخمر ليس علىّ عارا ... إذا لم يشكُنى فيها رفيقى
فإن الموت لا ينهاه ناه ... ولو شرب الشفاء مع النَّشُوق
ولا مترهب فى أسطوان ... يناطح جُدره بَيْض الأنوق
وغمدان الذى حُدثت عنه ... بَنوْه مُسَمَّكا فى رأس نيق
بِمَنْهَمَة ، وأسفله جُرُون ... وحُر المَوْحَلِ اللَّثق الذليق
مصابيح السليط تلوح فيه ... إذا يمسى كتوماض البروق
ونخلته التى غُرست إليه ... يكاد البُسْر يَهصر بالعذوق
فأصبح بعد جدته رَماداً ... وغيَّر حسنه لهب الحريق
وأسلم ذو نواس مستكينا ... وحذر قومه ضنق المضيق

وهكذا روى هذا القسيم نافصاً قاله الْبَرْقى ، وقد روى عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام : هو نكما لن يرد . قال : وهو من باب قول العرب للواحد : افعلا . وهو كثير فى القرآن والكلام .

وفيه :

أبعد بينون لا عين ولا أثر ... وبعد سلحين يبنى الناس أبياتا

فبَيْنون وسَلْحِين مدينتان خربهما أرياط كما ذكر . قال البكرى فى كتاب « معجم ما استعجم » : سميت بينون لأنها كانت بين عمان والبحرين . فهى إذاً على قوله : فعلون من البين ، والياء أصلية ، وقياس النحويين يمنع من هذا ؛ لأن الإعراب إذا كان فى النون لزمت الاسم الياء فى جميع أحواله ، كقِنَّسْرِين وفلسطين ألا ترى كيف قال فى آخر البيت : وبعد سلحين ، فكذلك كان القياس ، أن يقول على هذا : أبعد بينين ، وعلى مذهب من جعله من العرب بالواو فى الرفع ، وبالياء فى الخفض والنصب . يقول أيضاً : أبعد بينين ، وليس للعرب فيه مذهب ثالث، فثبت أنه ليس من البَيْن، إنما هو فَيْعول ، والواو زائدة من أبَنّ بالمكان ، وبنّ إذا أقام به ، لكنه لا ينصرف للتعريف والتأنيث . غير أن أبا سعيد السيرافى ذكر وجها ثالثا للعرب فى تسمية الاسم بالجمع المسلم ، فأجاز أن يكون الإعراب فى النون ، وتثبت الواو ، وقال فى زيتون : إنه فعلون من الزيت ، وأجاز أبو الفتح بن جنى أن يكون الزيتون فيعولا من الزيت ، ولكن من قولهم زتن المكان إذا أنبت الزيتون ، فإن صحت هذه الحكاية عن العرب ، وإلا فالظاهر أنه من الزيت ، وأنه فعلون ، وقد كثر هذا فى كلام الناس غير أنه ليس فى كلام العرب القدماء ، فمن المعروفين من أسماء الناس : سحْنون وعَبْدون قال الشاعر — وهو ابن المعتز :

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر ... ودير عَبْدُون هطال من المطر

ودير عبدون : معروف بالشام ، وكذلك دير فينون غير أن فينون يحتمل أن يكون فيعولا ، فلا يكون من هذا الباب ، كما قلنا فى بينون ، وهو الأظهر .

. . . .

وأما حَلَزون — وهو دود يكون بالعشب ، وأكثر ما يكون فى الرِّمْثِ[1] — فليس من باب فلسطين وقنسرين ، ولكن النون فيه أصلية ، كَزَرَجُون[2] ، ولذلك أدخله أبو عبيد فى باب فعلون ، وكذلك فعل صاحب كتاب العين أدخله فى باب الرباعى ، فدل على أن النون عنده فيه أصلية وأنه فَعَلُول بلامين .

وقول ذى جدن : وبعد سَلْحِين ، يقطع على أن بينون : فَيعول على كل حال ؛ لأن الذى ذكره السيرافى من المذهب الثالث إن صح ، فإنما هى لغة أخرى غير لغة ذى جدن الحميرى ، إذ لو كان من لغته ، لقال : سلحون ، وأعرب النون مع بقاء الواو ، فلما لم يفعل علمنا أن المعتقد عندهم فى بينون : زيادة الياء ، وأن النونين أصليتان كما تقدم . وقوله :

دعينى — لا أبالك — لن تطيق

أى : لن تطيق صرفى بالعذل عن شأنى ، وحذف النون من تطيقين للنصب أو للجزم على لغة مَنْ جزم بِلَنْ إن كان ذلك من لغته ، والياء التى بعد القاف : اسم مضمر فى قول سيبويه ، وحرف علامة تأنيث فى قول الأخفش، وللحجة لها وعليهما موضع غير هذا . وقوله :

قد أنْزَفْتَ ريقى

أى : أكثرت علىّ من العذل حتى أيبست ريقى فى فمى ، وقلة الريق من الحَصَرِ ، وكثرته من قوة النَّفْس ، وثبات الجأش : قال الراجز :

إنى إذا زَبَّبَتِ الأشداق
وكثر اللَّجاج واللَّقْلاق
ثَبْتُ الجَنَان مِرْجَم وَدَّاق

زببت الأشداق : من الزبيبتين ، وهو ما ينعقد من الريق فى جانبى الفم عند كثرة الكلام ، وقوله : وداق : أى يسيل كالودق[3]. يريد : سيلان الريق ، وكثرة القول ، كما قال أبو الشمخشخ فى ابنه : كان أشدق خُرْطُمانيًّا إذا تكلم سال لعابه .

وقوله : ولو شرب الشفاء مع النشوق . أى : لو شرب كل دواء يستشفى به ، وتنشق كل نشوق يجعل فى الأنف للتداوى به ، ما نهى ذلك الموت عنه .

وقوله : ولا مُتَرَهِّبٌ يجوز أن يكون رفعه عطفاً على ناه ، أى : لا يرد الموت ناه ، ولا مترهب . أى : دعاء مترهب يدعو لك ، ويجوز أن يكون مترهب رفعاً ، على معنى : ولا ينجو منه مترهب . كما قال :

تالله يبقى على الأيام ذو حيد البيت .

والاسْطَوانُ : أفعوال . النون أصلية ، لأن جمعه أساطين ، وليس فى الكلام أفاعين . وقوله :

يناطح جُدْرَه بيض الأنوق

جدره : جمع جدار ، وهو مخفف من جدر ، وفى التنزيل « أو من وراء جدر » هكذا تقيد بضم الجيم ،

(1) الرمث : مرعى للإبل من الحمض وأرض مرمثة : تنبت الرمث .

(2) الزرجون : الخمر . (3) الودق : المطر .

. . . .

والجدر أيضاً بفتح الجيم : الحائط ، ولكن الرواية فى الكتاب كما ذكرنا : والأنوق : الأنثى من الرخم ، يقال فى المثل : أعز من بيض الأنوق ، إذا أراد مالا يوجد ؛ لأنها تبيض حيث لا يُدرَك بيضها من شواهق الجبال . هذا قول المبرد فى الكامل ، ولا يوافَق عليه ؛ فقد قال الخليل : الأنوق : الذكر من الرخم ، وهذا أشبه بالمعنى ؛ لأن الذكر لا يبيض ، فمن أراد بيض الأنوق ، فقد أراد المحال ، كمن أراد : الأبلق العقوق(١) وقد قال القالى فى الأمالى : الأنوق يقع على الذكر والأنثى من الرَّخَم .

وقوله : وغمدان الذى حدثت عنه : هو الحصن الذى كان لهَوذة بن على ملك اليمامة ، وسيأتى طرف من ذكره . ومُسَمَّكا : مرفعاً من قوله : سمك السماء ، والنِّيق : أعلى الجبل . وقوله : بِمَنْهَمَة هو موضع الرهبان . والراهب يقال له : النَّهامِىّ ويقال للنجار أيضاً : نهامى ، فتكون المنهمة أيضاً على هذا موضع نجر .

وقوله : وأسفله جرون . جمع جرن ، وهو النقير من جرن الثوب : إذا لان .

ورواية أبى الوليد الوَقْشِى : جُروب بالباء . وكذلك ذكره الطبرى بالباء أيضا . وفى حاشية كتاب الوقشى : الجروب : حجارة سود . كذا نقل أبو بحر عنه فى نسخة كتابه ، فإن صح هذا فى اللغة وإلا فالجُروب : جمع جريب على حذف الياء من جريب ، فقد يجمع الاسم على حذف الزوائد ، كما جمعوا صاحبا على أصحاب. وقالوا : طَوِى وأطواء وغير ذلك . والجريب والجرْبَة : المزرعة .

وقوله : وحَرٌّ الموحل بفتح الحاء ، وهو القياس لأنه من وحِل يَوْحَل . ولو كان الفعل منه وحَل على مثل وعد ، لكان القياس فى الموحِل الكسر لا غير ، وقد ذكر القتبىُّ فيه اللغتين : الكسر والفتح ، والأصل ما قدمناه .

وقوله : وحُر بضم الحاء ، وهو خالص كل شىء ، وفى كتاب أبى بحر عن الوقشِى : وحر الموجل بفتح الحاء ، والجيم من الموجل مفتوحة ، وفسر الموجل ، فقال : حجارة مُلس لينة ، والذى أذهب إليه أن الموجل ههنا واحد المواجل ، وهى مناهل الماء ، وفتحت الجيم ، لأن الأصل : مأجل ، كذلك قال أبو عبيد هى : المآجل ، وواحدها : مأجل . وفى آثار المدونة سئل مالك - رحمه الله - عن مواجل بَرقَة ، يعنى : المناهل ، فلو كانت الواو فى الكلمة أصلا لقيل فى الواحد : موجل مثل موضع ، إلا أن يراد به معنى الوَجَل ، فيكون الماضى من الفعل مكسور الجيم والمستقبل مفتوحا ، فيفتح الموجل حينئذ ، ولا معنى له فى هذا الموضع .

وقوله : اللَّثِقُ الزّليق . اللَّثِق : من اللثَق ، وهو أن يختلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق ، قال بعض الفصحاء : غاب الشفق ، وطال الأرق ، وكثر اللثق ، فلينطق من نطق . وفى حاشية كتاب أبى بحر : اللبق بالباء المنقوطة بواحدة ، وذكر أنه هكذا وجد فى أصل ابن هشام ، ولا معنى للبق ههنا ، وأظنه تصحيفا من الراوى - والله أعلم .

وقوله فى الشعر : يكاد البُسْرُ يهصِر بالعُذوق .

أى : تميل بها ، وهو جمع عذق بكسر العين ، وهى الكِباسة أو جمع عذق بفتح العين ، وهى النخلة ، وهو أبلغ فى وصفها بالإيقار أن يكون جمع عذق بالفتح وقوله : وأسلم ذو نواس مستكينا . أى : خاضعا ذليلا ،وفى

---

(١) الأبلق : الأبيض وهو من صفات المذكر ، والعقوق من البهائم الحامل ، والأبلق لا يحمل .

قول ربيعة بن الذئبة الثقفي في هذه القصة: وقال عبد الله بن الذئبة الثقفى فى ذلك — قال ابن هشام: الذئبة أمه، واسمه: ربيعة بن عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حُطَيْط بن جشم بن قسى.

لعمرك ما للفتى من مقر مع الموت يلحقه والكبر
لعمرك ما للفتى صُحْرَةٌ لعمرك ما إن له من وَزَرْ
أبعد قبائل من حمير أبيدوا صباحا بذات العِبَر
بألف ألوف وحُرَّابة كمثل السماء قبيل المطر
يصم صياحهم المقْربات وينفون من قاتلوا بالذفر
سَعالِيَ مثل عديد الترا ب تيبس منهم رطاب الشجر

قول عمرو بن معدى كرب الزبيدى في هذه القصة: وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى شىء كان بينه وبين قيس بن مكشوح المرادى، فبلغه أنه يتوعده، فقال يذكر حمير وعزها، وما زال من مُلكها عنها:

أتوعدنى كأنك ذو رُعَيْن بأفضل عيشة ـ أو ذو نواس
وكائنْ كان قبلك من نعيم وملك ثابت فى الناس راسى
قديم عهده من عهد عاد عظيم قاهر الجبروت قاسى
فأمسى أهله بادوا، وأمسى يُحوَّل من أناس فى أناس

نسب زبيد ومراد: قال ابن هشام: زبيد بن سلمة بن مازن بن مُنَبِّه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج، ويقال: زبيد بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة، ويقال: زبيد بن صعب، بن سعد. ومراد: يحابر بن مذحج.

التنزيل: «فما استكانوا لربهم» قال ابن الأنبارى فيه قولان. أحدهما: أن يكون من السكون، ويكون الأصل: استكن على وزن افتعل، ومكنوا الفتحة، فصارت ألفا كما قال الشاعر:

وإننى حيثما يثنى الهوى بصرى من حيث ما سلكوا أدنو فأنظور

وقال آخر: يا ليتها جرت على الكلكال. أراد الكلكل. والقول الآخر: أن يكون استفعل من كان يكون مثل: استقام من قام يقوم.

قال المؤلف رحمه الله: هذا القول الأخير جيد فى التصريف، مستقيم فى القياس، لكنه بعيد فى المعنى عن باب الخضوع والذلة، والقول الأول قريب فى المعنى، لكنه بعيد عن قياس التصريف؛ إذ ليس فى الكلام فعل على وزن افتعال بألف، ولكن وجدتُ لغير ابن الأنبارى قولا ثالثاً: إنه استفعل من الكَيْن وكَيْنَ الإنسان: عَجُزُه ومُؤخَّرُه، وكأن المستكين قد حنا ذلك منه، كما يقال: صَلَّى، أى. حنا صَلاه، والصلا: أسفل الظهر، وهذا القول جيد فى التصريف، قريب المعنى من الخضوع.

وذكر قول ابن الذئبة، واسمه، وهو: ربيعة بن عبد ياليل، وقال فيه: لعمرك ما للفتى صُحرة. وهو المتسع، أخذ من لفظ الصحراء، والوَزَرُ: الملجأ، ومنه اشتقّ: الوزير؛ لأن الملك يلجأ إلى رأيه، وقد قيل من الوِزْر لأنه يحمل عن الملك أثقالا، والوزر: الثِّقَل، ولا يصح قول من قال: هو من أزره إذا أعانه، لأن فاء الفعل فى الوزير واو، وفى الأزر الذى هو العون همزة.

لماذا قال عمرو بن معدى كرب هذا الشعر : قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة ، قال: كتب عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إلى سلمان بن ربيعة الباهلى ، وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان . وهو بإرمينية يأمره أن يفضّل أصحاب الخيل العِراب على أصحاب الخيل المَقَارف فى العطاء ، فعرض الخيل ، فمر به فرس عمرو ابن معدى كرب ، فقال له سلمان ، فرسك هذا مُقرِف ، فغضب عمرو ، وقال : هجين عرف هجيناً مثله ، فوثب إليه قيس فتوعده ، فقال عمرو هذه الأبيات .

وذات الـعَـبَر أى : ذات الحزن ، يقال : عبر الرجل إذا حزن ، ويقال . لأمه العُـبْرُ ، كما يقال : لأمه الثُّـكل . والمُقرَبات : الخيل العتاق التى لا تسرح فى المرعى ، ولـكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو . وقوله : وينفون من قاتلوا بالذُفر . أى : بريحهم وأنفاسهم ينفون من قاتلوا ، وهذا إفراط فى وصفهم بالـكثرة .

قال البرقى : أراد ينفون من قاتلوا بذفر آباطهم ، أى بنتنها ، والذفر بالذال المعجمة تستعمل فى قوة الريح الطيبة والخبيثة . قال المؤلف — رحمه الله — فإن كان أراد هذا فإنما قصده ، لأن السودان أنتن الناس آباطا وأعراقا .

وقوله : سعالِىَ : شبهم بالسعالى من الجن جمع سِعْلاة . ويقال : بل هى الساحرة من الجن ، وقوله : كمثل السماء ، أى كمثل السحاب لاسوداد السحاب ، وظلمته قبيل المطر .

وقوله : عمرو بن معدى كرب ، ومعدى كرب بالحميرية : وجه الفَلاّح . المعدى هو : الوجه بلغتهم ، والـكرب هو : الفلاح ، وقد تقدم أبو كرب ، فمعناه على هذا : أبو الفلاح . قاله ابن هشام فى غير هذا الـكتاب . وكذلك تقدم كلـكى كرب ، ولاأدرى ماكلـكى .

وقوله : قيس بن مكشوح المرادى ، إنما هو حليف لمراد ، واسم مراد : يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج ، ونسبه فى بجيلة ، ثم فى بنى أحمس وأبوه مـكشوح اسمه : هُبَيْرة بن هلال ، ويقال : عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث ابن عمرو بن عامر بن على بن أسلم بن أحْمَس بن الغوث بن أنمار ، وأنمار : هو والد بجيلة وخثعم ، وسمى أبوه مـكشوحا ، لأنه ضرب بسيف على كَشْحه [١] ، ويـكنى قيس : أبا شداد ، وهو قاتل الأسود العنسى الـكذاب هو وذَادَوَيه وفيروز ، وكان قيس بطلا بئيساً [٢] قتل مع على — رضى الله عنه — يوم صفين ، وله فى ذلك اليوم مواقف لم يسمع بمثلها عن بهمة [٣] من البهم ، وكذلك له فى حروب الشام مع الروم وقائع ومواقف لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد .

وعمرو بن معدى كرب — رضى الله عنه — يـكنى : أبا ثور ، تضرب الأمثال بفروسيته وبسالته ، وفيه يقول الشاعر حين مات :

فقل لزُبَيْد بل لِـمَذْحِجَ كلها ... رزيتم أبا ثَـوْر قريعكم عمرا

وصمصامته [٤] المشهورة كانت من حديدة ، وجدت عند الكعبة مدفونة فى الجاهلية ، فصنع منها ذو الفقار [٥]

---

(١) الـكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلْف . (٢) البئيس : الشجاع .
(٣) البهمة : الشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى . (٤) الصمصامة : سيف يصنع من حديد لا ينثنى .
(٥) ذو الفقار : سيف العاص بن منبه أخذه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم صار إلى على .

تصديق قول شق وسطيح : قال ابن هشام : فهذا الذى عَنىَ سطيح الكاهن بقوله : « ليهبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين أبين إلى جُرَش » والذى عنى شِقٌ الكاهن بقوله : « لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طَفلة البنان ، وليملكن ما بين أبْـيَن إلى نجران » .

النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط

قال ابن إسحاق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين فى سلطانه ذلك، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشى، حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لا تصنع بأن تلق الحبشة بعضها ببعض ، حتى تفنها شيئاً ، فابرز إلى ، وأبرز إليك، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه أرياط : أنصفتَ ؛ فخرج إليه أبرهة — وكان رجلا قصيراً لحيما ، وكان ذا دين فى النصرانية — وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا ، وفى يده حربة له ، وخلف أبرهة غلام له ، يقال له : عَتْوَدَة ، يمنع ظهره ، فرفع أرياط الحربة ، فضرب أبرهة يريد يأفوخه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته ، فبذلك سمى : أبرهة الأشرم ، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، وَوَدَى أبرهة أرياط .

والصمصامة ، ثم تصيرت إلى خالد بن سعيد بن العاص . يقال إن عمراً وهبها له ليد كانت له عليه ، وذلك أن ريحانه أخت عمرو التى يقول فيها عمرو :

أمِن ريحانة الداعى السميع يؤرقنى وأصحابى هجوع

كان أصابها خالد بن سعيد فى سبي سباه ، فمنَّ عليها ، وخل سبيلها ، فشكر ذلك له عمرو أخوها ، وفى آخر الكتاب من خبر قيس بن مكشوح وعمرو بن معدى كرب أكثر مما وقع ههنا ، والشعر السينى الذى ذكره ابن إسحاق وأوله : أتوعدنى كأنك ذو رعين . ذكر المسعودى أن عمرا قاله لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حين أراد ضربه بالدِّرَّة فى حديث ذكره ، وفى الشعر زيادة لم تقع فى السيرة وهو قوله :

فلا يغررك ملكك ، كل ملك يصير لذلة بعد الشماس [1]

وذكر سلمان بن ربيعة حين هَجَّنَ فرس عمرو ، ونسبه إلى باهلة بن أعصر ، وكذلك هو عند أهل النسب : باهلى ، ثم أحد بنى قتيبة بن مَعْن ، وباهلة : أمهم وهى بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج ، وأبوهم يعصُر ، وهو : منبه بن سعد بن قيس بن عيلان ، وسمى : يعصرا لقوله :

أعمير إن أباك غير لونه مرُّ الليالى واختلاف الأعصر

فيقال له : أعصر ويعصر ، وكان سلمان بن ربيعة قاضياً لعمر بن الخطاب — رضى الله عنه — على الكوفة ، ويقال : سلمان الخيل ، لأنه كان يتولى النظر فيها ، قال أبو وائل : اختلفت إلى سلمان بن ربيعة أربعين صباحاً ، وهو قاض ، فما وجدت عنده أحدا يختصم إليه ، واستشهد سلمان بإرمينية سنة تسع وعشرين .

---

(١) شمس الفرس شموسا : منع ظهره .

غضب النجاشي على أبرهة : فلما بلغ النجاشي غضب غضباً شديداً وقال : عدا على أميري ، فقتله بغير أمرى ، ثم حلف :لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ، ويجز ناصيته . فحلق أبرهة رأسه ، وملأ جرابا من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشي ، ثم كتب إليه :

« أيها الملك ، إنما كان أرياط عبدك ، وأنا عبدك ، فاختلفنا فى أمرك ، وكلٌّ طاعته لك ، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة ، وأضبط لها ، وأسوس منه ، وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك ، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضى ؛ ليضعه تحت قدميه ، فيبر قسمه فىَّ » .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضى عنه ، وكتب إليه : أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى ، فأقام أبرهة باليمن .

« **القليس** » **أو كنيسة أبرهة** : ثم إن أبرهة بنى القُلَّيْس بصنعاء ، فبنى كنيسة لم يُر مثلها فى زمانها بشىء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي : أنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حجَّ العرب ، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي ، غضب رجل من النَّسأة ، أحد بنى فُقَيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .

النسأة : والنسأة : الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب فى الجاهلية ، فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، ويؤخرون ذلك الشهر ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : « إنما النسىء زيادة فى الكفر يُضَل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ، ويحرمونه عاما ؛ ليواطئوا عدة ما حرم الله » .

قال ابن هشام : ليواطئوا : ليوافقوا ، والمواطأة : الموافقة ، تقول العرب : واطأتك على هذا الأمر ، أى وافقتك عليه ، والإيطاء فى الشعر : الموافقة ، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد ، وجنس واحد ، نحو قول العجاج — واسم العجاج : عبد الله بن رؤبة أحد بنى سعد بن زيد مَناة بن تميم بن مر بن أُدّ بن طابخة بن الياس ابن مضر بن نزار .

فى أثعبان المنجنون المرسل(1)

ثم قال : مد الخليج فى الخليج المرسل

وهذان البيتان فى أرجوزة له

و ذكر خبر عتودة غلام أبرهة ، وقد فرغنا من حديثه فيما مضى ، ومازاد فيه الطبرى وغيره ، وأن العتودة : الشدة فى الحرب .

وذكر أن أرياطا علا بالحربة أبرهة ، فأخطأ يأفوخه . واليأفوخ : وسط الرأس ويقال له من الطفل : غاذِية بالذال ، فإذا اشتد وصلب سمى : يأفوخا بالهمز على وزن يفعول ، وجمعه : يآفيخ قال العجاج :

« ضَربٌ إذا صاب اليآفيخ حَفَر »

وقوله : شرم أنفه وشفته أى : شقهما .

---

(1) الأثعبان : مايندفع من الماء من مثعبه ، والمثعب : المجرى . والمنجنون : الدولاب التى يستق عليها .

أول من ابتدع النسىء : قال ابن إسحاق : وكان أول من نسأ الشهور على العرب ، فأحلت منها ما أحل ، وحرمت منها ما حرم : القَلَمَّس ، وهو حذيفة بن عبد بن فُقَيْم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك ابن كنانة بن خزيمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبَّاد بن حذيفة ، ثم قام بعد عباد : قَلَع بن عباد، ثم قام بعد قلع: أمية بن قلع ، ثم قام بعد أمية : عوف بن أمية ، ثم قام بعد عوف : أبو ثُمامة ، جنادة بن عوف وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام ، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه ، فحرم الأشهر الحرم الأربعة : رجبا ،

خبر القليس مع الفيل، وذكر بنيان أبرهة للقليس

وهو الكنيسة التى أراد أن يصرف إليها حج العرب ، وسميت هذه الكنيسة : القُلَّيْس لارتفاع بنائها وعلوها ، ومنه القلانس لأنها فى أعلى الرءوس ، ويقال : تقلنس الرجل وتقلس إذا لبس القلنسوة ، وقلس طعاما أى : ارتفع من معدته إلى فيه ، وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة ، وجشمهم فيها أنواعا من السُّخْر ، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المُجَزَّع ، والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان — عليه السلام — وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ ، وكان فيه بقايا من آثار مُلكها ، فاستعان بذلك على ما أراده فى هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها ، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ، ومنابر من العاج والآبُنُس ، وكان أراد أن يرفع فى بنائها حتى يشرف منها على عدن ، وكان حكمه فى العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ فى عمله أن يقطع يده ، فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس ، فجاءت معه أمه ، وهى امرأة عجوز ، فتضرعت إليه تستشفع لابنها ، فأبى إلا أن يقطع يده ، فقالت : اضرب بمعولك اليوم ، فاليوم لك ، وغدا لغيرك ، فقال : ويحك ما قلت ؟! فقالت : نعم كما صار هذا الملك من غيرك إليك ، فكذلك يصير منك إلى غيرك ، فأخذته موعظتها . وأعفى الناس من العمل فيها بعد . فلما هلك ومُزقت الحبشة كل ممزق ، وأقفر ما حول هذه الكنيسة ، فلم يعمرها أحد ، وكثرت حولها السباع والحيات ، وكان كل من أراد أن يأخذ شيئا منها أصابته الجن ، فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من المال ، لا يستطيع أحد أن يأخذ منها شيئا إلى زمن أبى العباس ، فذكر له أمرها ، وما يتهيب من جنها وحياتها ، فلم يَرُعه ذلك . وبعث إليها بابن الربيع عامله على اليمن معه أهل الحزم والجلادة[1] ، فخربها ، وحصلوا منها مالا كثيراً ببيع ما أمكن بيعه من رخامها وآلاتها ، فعفا بعد ذلك رسمها ، وانقطع خبرها ، ودرست آثارها . وكان الذى يصيبهم من الجن ينسبونه إلى كُعَيْب وامرأته صنمين كانت الكنيسة عليهما ، فلما كُسر كعيب وامرأته أصيب الذى كسره بجذام فافتتن بذلك رعاع اليمن وطغامهم [2] ، وقالوا : أصابه كعيب ، وذكر أبو الوليد الأزرقى أن كعيباً كان من خشب طوله : ستون ذراعا .

النسىء والنسأة : وذكر النسأة والنسىء من الأشهر . فأما النسأة فأولهم : القَلَمَّسُ ، واسمه : حذيفة بن عبد بن فُقَيم ، وقيل له : القلمس لجوده ، إذ القلمس من أسماء البحر ، وأنشد قاسم بن ثابت :

إلى نَضَد من عبد شمس ، كأنهم ... هضاب أجا أركانه لم تقصف[3]

قلامسة ساسوا الأمور فأحكمت ... سياستها حتى أقرت لمردف

---

(١) الجلاده : الصبر على المكروه . (٢) الرعاع من لا عقول لهم . والطغام من الناس : الأوغاد .

(٣) النضد : الشريف ، أجا : أحد جبلى طيىء .

وذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرم . فإذا أراد أن يحل شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ؛ ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم . فإذا أرادوا الصَّدَر قام فيهم فقال : « اللهم إنى قد أحللت لك أحد الصفرين ، الصفر الأول ، ونسأت الآخر للعام المقبل » . فقال فى ذلك عمير بن قيس ، جَذْلُ الطّعان ، أحد بنى فِراس بن غَنْم ابن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، يفخر بالنسأة على العرب :

لقد علمتْ معد أن قومى ... كرام الناس أنّ لهم كراما

فأى الناس فاتونا بوِتْر ... وأى الناس لم نُعْلِك لجاما

ألسنا الناسئين على معدٍّ ... شهور الحل نجعلها حراما

قال ابن هشام : أول الأشهر الحرم : المحرم .

الكنانى يحدث فى القليس : قال ابن إسحاق : فخرج الكِنانى حتى أتى القُلَّيْس فقعد فيها — قال ابن هشام : يعنى أحدث فيها — قال ابن إسحاق : ثم خرج فلحق بأرضه ، فأُخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك : « أصرف إليها حج العرب » غضب فجاء ، فقعد فيها ، أى أنها ليست لذلك بأهل .

خروج أبرهة لهدم الكعبة فغضب عند ذلك أبرهة وحلف : ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعتْ بذلك العرب ، فأعظموه وفظِعوا به ، ورأوا جهاده حقا عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة ، بيت الله الحرام .

أشراف اليمن يدافعون عن البيت : فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفْر ، فدعا قومه ، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فهُزم ذو نفر وأصحابه ، وأُخذ له ذو نفر ، فأتى به أسيراً ، فلما أراد قتله ، قال له ذو نفر : أيها الملك ، لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من قتلى ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده فى وثاق ، وكان أبرهة رجلا حليما .

وذكر أبو على القالى فى الأمالى : أن الذى نسأ الشهور منهم : نُعَيم بن ثعلبة ، وليس هذا بمعروف ، وأما نَسْؤُهم للشهر ، فكان على ضربين . أحدهما : ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات ، وطلب الثارات . والثانى : تأخيرهم الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية ، فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوما ، أو أكثر قليلا ، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة ، فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه السلام فى حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج إلى وقته ، ولم يحج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة ، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ، ولطوافهم بالبيت عراة — والله أعلم — إذ كانت مكة بحكمهم ، حتى فتحها الله على نبيه — صلى الله عليه وسلم .

قال شيخنا أبو بكر : نرى أن قول الله سبحانه : « يسألونك عن الأهلة قل : هى مواقيت للناس والحج » وخص

خثعم تجاهد أبرهة : ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نُفَيْل بن حبيب الخثعمى فى قَبِيلَىْ خثعم : شهران وناهس ، ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة، وأُخذ له نفيل أسيراً ، فأتى به ، فلما هم بقتله قال له نفيل : أيها الملك ، لاتقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب، وهاتان يداى لك على قبيلَىْ خثعم : شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فخلى سبيله .

الحج بالذكر دون غيره من العبادات المؤقتة بالأوقات ، تأكيداً لاعتباره بالأهلة دون حساب الأعاجم ، من أجل ما كانوا أحدثوا فى الحج من الاعتبار بالشهور العجمية ، والله أعلم .

وذكر ابن هشام قول العجاج :

فى أثعبان المنجنون المرسل

الأثعبان : مايندفع من الماء من شعبه . والمنجنون : أداة السانية[1] ، والميم فى المنجنون أصلية فى قول سيبويه، وكذلك النون ، لأنه يقال فيه : منجنين مثل عرطليل[2] وقد ذكر سيبويه أيضاً فى موضع آخر من كتابه أن النون زائدة ، إلا أن بعض رواة الكتاب قال فيه : مَنْحَنون بالحاء ، فعلى هذا لم يتناقض كلامه — رحمه الله — وفى أداة السانية : الدولاب بضم الدال وفتحها ، والشهرق ، وهو الذى يلقى عليه حبل الأقداس ، واحدها : قدس ، والعامة تقول: قادوس . والعصامير : عيدان السانية،قاله:أبوحنيفة . وقال صاحب العين : العصمور: عود السانية. وقوله : مد الخليج . الخليج : الجبل ، والخليج أيضاً : خليج الماء . وذكر اسم العجاج ولم يكنه ، وكنيته : أبو الشعثاء ، وسمى العجاج بقوله : حتى يعج عندها من عجعجا

وقال عمير بن قيس : كرام الناس أن لهم كراما

أى آباء كراما ، وأخلاقا كراما . وقوله :

وأى الناس لم نعلك لجاما

أى : لم نقدعهم ونكفهم ، كما يقدع الفرس باللجام . تقول: أعلكت الفرس لجامه : إذا رددته عن تَنَزُّعِه، فمضغ اللجام كالعِلْك من نشاطه ، فهو مقدوع . قال الشاعر :

وإذا احتبى قربوسه بعنانه علك اللجام إلى انصراف الزائر

وكان عمير هذا من أطول الناس ، وهو مذكور فى مقبلى الظعن ، وسمى جَذْل الطّعان لثباته فى الحرب ، كأنه جذل شجرة واقف ، وقيل: لأنه كان يُستشفى برأيه ، ويستراح إليه ، كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل[3] تحتك به . ونحو منه قول الحباب : أنا جُذَيلُها المحكك ، وعُذَيقُها المُرَجَّب وقول الأعرابى يصف ابنه : إنه لجذل حكاك ومِدْرَة لكاك، واللكاك: الزحام .

وذكر جنادة بن عوف من النسأة ، وعليه قام الإسلام ، ولم يذكر هل أسلم أم لا ، وقد وجدت له خبراً يدل على إسلامه ، حضر الحج فى زمن عمر ، فرأى الناس يزدحمون على الحج ، فنادى : أيها الناس إنى قد أجرته منكم ، فخفقه عمر بالدّرّة ، وقال : ويحك : إن الله قد أبطل أمر الجاهلية . وذكر البرقى عن ابن الكلبى ، قال . فنسأ

---

(١) السانية : الدلو العظيمة وأداتها . (٢) العرطليل : الضخم .

(٣) الجذل : عود ينصب للبهم الجرباء لتحتك به .

وخرج به معه يدله ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو ابن سعد بن عوف بن ثقيف فى رجال ثقيف .

نسب ثقيف : واسم ثقيف : قسى بن النَّبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دُعْمِىّ بن إياد ابن نزار بن معد بن عدنان .

قَلَمّع بن عباد سبع سنين ، ونسأ بعده أمية بن قلع إحدى وعشرين سنة ، ثم نسأ من بعده جنادة ، وهو أبو أمامة وهو القَلَمَّسُ أربعين سنة .

القول فى الأشهر الحرم : وقول ابن هشام : أول الأشهر الحرم : المحرم قول. وقد قيل: أولها ذو القعدة ، لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بدأ به حين ذكر الأشهر الحرم ، ومن قال : المحرم أولها ، احتج بأنه أول السنة ، وفقه هذا الخلاف أن من نذر صيام الأشهر الحرم ، فيقال له على الأول : ابدأ بالمحرم ، ثم برجب ثم بذى القعدة ، وذى الحجة ، وعلى القول الآخر يقال له : ابدأ بذى القعدة حتى يكون آخر صيامك فى رجب من العام الثانى .

القعود على المقابر وتفسيره : وقوله : خرج الكنانى حتى قعد فى القليس أى : أحدث فيها ، وفيه شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء فى تفسير القعود على المقابر المنهى عنه ، وأن ذلك للمذاهب[1] ، كما قال مالك ، والله أعلم .

نسب خثعم وسبب نسبتهم : وذكر قول نفيل الخثعمى : وهاتان يداى لك على شهران وناهس ، وهما قبيلا خثعم ، أما خثعم : فاسم جبل سمى به بنو عفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار ؛ لأنهم نزلوا عنده ، وقيل : إنهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم ، أى : تلطخوا ، وقيل : بل خثعم ثلاث : شهران وناهس وأكلب ، غير أن أكلب عند أهل النسب هو : ابن ربيعة بن نزار ، ولكنهم دخلوا فى خثعم ، وانتسبوا إليهم فالله أعلم . قال رجل من خثعم :

ما أكلب منا ، ولا نحن منهم ... وما خثعم يوم الفخار وأكلب؟!
قبيلة سوء من ربيعة أصلها ... فليس لها عم لدينا ، ولا أب

فأجابه الأكلبى فقال :

إنى من القوم الذين نسبتنى ... إليهم كريم الجد والعم والأب
فلو كنت ذا علم بهم ما نفيتنى ... إليهم ترى أنى بذلك أُثلب
فإن لا يكن عماى خُلْفاً وناهساً ... فإنى امرؤ عماى : بكر وتغلب
أبونا الذى لم تُركب الخيل قبله ... ولم يدر مرء قبله كيف يَركب

يريد أنه من ربيعة ، وربيعة كان يقال له : ربيعة الفرس .

ثقيف واختلاف النسابين فيهم : وأما ثقيف وما ذكر من اختلاف النسابين فيهم ، فبعضهم ينسبهم إلى إياد ، وبعضهم ينسبهم إلى قيس ، وقد نسبوا إلى ثمود أيضا . وقد روى فى ذلك حديث عنه — عليه السلام —

---

(١) للمتوضئين .

قال أمية بن أبى الصلت الثقفى :

قومى إياد لو أنهم أمم أو : لوأقاموا فتهزل النَّعَم
قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعاً والقط والقلم

وقال أمية بن أبى الصلت أيضا :

فإما تسألى عنى — لُبَيْنَى وعن نسبى — أخبرك اليقينا
فإنا للنبيت أبى قسى لمنصور بن يَقْدُم الاقدمينا

قال ابن هشام : ثقيف : قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، والبيتان الأولان والآخران فى قصيدتين لأمية .

ثقيف تهاود أبرهة : قال ابن إسحاق : فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذى تريد — يعنون اللات — إنما تريد البيت الذى بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه ، فتجاوز عنهم .

اللات : واللات : بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة النحوى لضِرار بن الخطاب الفِهْرى :

وفرت ثقيف إلى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر

وهذا البيت فى أبيات له .

أبو رغال ورجم قبره : قال ابن إسحاق : فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المُغَمِّس ، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك ، فرجمت قبره العرب ، فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمس .

رواه معمر بن راشد فى جامعه ، وكذلك أيضا روى فى الجامع : أن أبا رغال من ثمود ، وأنه كان بالحرم حين أصاب قومه الصيحة ، فلما خرج من الحرم أصابه من الهلاك ما أصاب قومه ، فدفن هناك ، ودفن معه غصنان من ذهب ، « وذكر أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مر بالقبر ، وأمر باستخراج الغصنين منه ، فاستخرجا » . وقال جرير أو غيره .

إذا مات الفرزدق فارجموه كرجمكم لقبر أبى رغال

ووقع فى هذه النسخة فى نسب ثقيف الأول : ابن إياد بن معد . وفى الحاشية أن القاضى أبا الوليد غيَّره ، فجعل مكان ابن معد : من معد ، وذلك — والله أعلم — لأن إياد هذا هو : ابن نزار ، وليس بابن معد لصلبه ، ولمعد ابن اسمه : إياد ،وهو: ابنه لصلبه ، وقد ذكره ابن إسحاق ، وقد قدمنا ذكره مع بنى معد فى أول الكتاب ، وهو عم إياد ، والإياد فى اللغة : التراب الذى يضم إلى الخباء ليقيه من السيل ونحوه ، وهو مأخوذ من الأيْد ، وهى القوة ، لأن فيه قوة للخباء ، وهو بين النُّؤْى والخباء ، والنؤى يشتق من النائى ، لأنه حفير ينأى به المطر ، أى : يبعد عن الخباء .

الأسود بن مقصود يهاجم مكة : فلما نزل أبرهة المغمس ، بعث رجلا من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال تِهامة من قريش وغيرهم ، وأصاب فيها مئتى بعير لعبد المطلب ابن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به ، فتركوا ذلك .

رسول أبرهة إلى مكة : وبعث أبرهة حُناطة الحميرى إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إنى لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لى بدمائكم ، فإن هو لم يرد حربى فأتنى به ؛ فلما دخل حناطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم ، فجاءه ، فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك

وأنشد لأمية بن أبى الصلت : واسم أبى الصلت : ربيعة بن وهب فى قول الزبير :

قومى إياد لو أنهم أمَم أو لو أقاموا . فتُهزل النَّعَم

يريد : أى : لو أقاموا بالحجاز ، وإن هُزلت نعمهم ؛ لأنهم انتقلوا عنها ، لأنها ضاقت عن مسارحهم ، فصاروا إلى ريف العراق ؛ ولذلك قال : والقط والقلم ، والقط : ما قط من الكاغد والرق[1] ونحوه ؛ وذلك أن الكتابة كانت فى تلك البلاد التى ساروا إليها . وقد قيل لقريش : ممن تعلمتم القط ؟ فقالوا : تعلمناه من أهل الحيرة ، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار . ونصب قوله : فتُهزلَ النعم بالفاء على جواب التمنى المضمَّن فى لو ، نحو قوله تعالى : « فلو أن لنا كرة فنكونَ من المؤمنين » وأما تسمية قسى بثقيف ، فسيأتى سبب ذلك فى غزوة الطائف — إن شاء الله تعالى .

المغمس — ضبطه واشتقاقه : وقوله : « فلما نزل أبرهة المغمس » هكذا ألفيته فى نسخة الشيخ أبى بحر المقيدة على أبى الوليد القاضى بفتح الميم الآخرة من المغَمَّس . وذكر البكرى فى كتاب المعجم عن ابن دريد وعن غيره من أئمة اللغة أنه المُغَمِّس بكسر الميم الآخرة ، وأنه أصح ما قيل فيه ، وذكر أيضاً أنه يروى بالفتح ، فعلى رواية الكسر هو : مغمس مفعِّل من غمست ، كأنه اشتق من الغميس وهو الغمير ، وهو النبات الأخضر الذى ينبت فى الخريف تحت اليابس ، يقال : غمس المكان وغمر إذا نبت فيه ذلك ، كما يقال : صوح ، وشجَّر[2] ، وأما على رواية الفتح ، فكأنه من غمست الشىء . إذا غطيته ، وذلك أنه مكان مستور إما بهضاب وإما بعضاه[3] ، وإنما قلنا هذا ؛ لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « إذ كان بمكة ، كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمس » وهو على ثلث فرسخ منها ، كذلك رواه على بن السكن فى كتاب السنن له ، وفى السنن لأبى داود أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « كان إذا أراد البراز أبعد » ولم يبين مقدار البعد ، وهو مبين فى حديث ابن السكن — كما قدمنا — ولم يكن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ليأتى مكانا للمذهب إلا وهو مستور منخفض » فاستقام المعنى فيه على الروايتين جميعاً .

---

(١) الكاغد : القرطاس : والرق : جلد رقيق يكتب فيه . وما قط : أى ما قطع .

(٢) صوح : يبس ، وشجر : صار شجرا . (٣) العضاه : كل شجر له شوك .

من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم — عليه السلام — أو كما قال — فإن يمنعه منه ، فهو بيته وحرمه ، وإن يُخَلِّ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال له حناطة : فانطلق معى إليه ، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك .

أنيس يشفع لعبد المطلب : فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذى نَفْر ، وكان له صديقا ، حتى دخل عليه وهو فى محبسه ، فقال له : ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غناء رجل أسير بيدَىْ ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا ؟ ! ماعندنا غَناء فى شىء مما نزل بك ، إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لى ، وسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأُعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك ، فتكلمه بما بدالك ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك . فقال : حسبى . فبعث ذو نفر إلى أنيس ، فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش ، وصاحب عير مكة ، يطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مئتى بعير ، فاستأذن عليه ، وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل .

فكلم أنيس أبرهة ، فقال له : أيها الملك : هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عير مكة ، وهو يطعم الناس فى السهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، فأذن له عليك ، فيكلمك فى حاجته ، قال : فأذن له أبرهة .

الإبل لى والبيت له رب يحميه : قال : وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان ، فقال : حاجتى أن يرد على الملك مئتى بعير أصابها لى ، فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى ، أتكلمنى فى مئتى بعير أصبتها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ، لاتكلمنى فيه ؟ ! قال له عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل ، وإن للبيت ربا سيمنعه ، قال : ما كان ليمتنع منى ، قال : أنت وذاك .

الوفد المرافق لعبد المطلب : وكان — فيما يزعم بعض أهل العلم — قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة ، حين بعث إليه حناطة ، يَعمرُ بن نُفاثة بن عدى بن الدُّئل بن بكر بن مناة بن كنانة — وهو يومئذ سيد بنى بكر — وخويلد بن واثلة الهذلى — وهو يومئذ سيد هذيل — فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم أكان ذلك ، أم لا . فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له .

وسامة عبد المطلب : وقوله فى صفة عبد المطلب : أوسم الناس وأجمله . ذكر سيبويه هذا الكلام محكيا عن العرب ، ووجهه عندهم أنه محمول على المعنى ، فكأنك قلت : أحسن رجل وأجمله ، فأفرد الاسم المضمر التفاتا إلى هذا المعنى ، وهو عندى محمول على الجنس ، كأنه حين ذكر الناس قال : هو أجمل هذا الجنس من الخلق ، وإنما عدلنا عن ذلك التقدير الأول ، لأن فى الحديث الصحيح : « خير نساء ركبن الإبل صوالح نساء قريش : أحناه على ولده فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده » . ولايستقيم هنا حمله على الإفراد ، لأن المفرد هنا امرأة ، فلو نظر إلى واحد النساء لقال : أحناها على ولده ، فإذاً التقدير : أحنى هذا الجنس الذى هو النساء ، وهذا الصنف ، ونحو هذا .

قريش تستنصر الله على أبرهة : فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبد المطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرز (١) فى شَعَف الجبال (٢) والشِّعاب (٣) : تخوفا عليهم من مَعَرَّة (٤) الجيش ، ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلْقة باب الكعبة :

لاهُمَّ إن العبد يمـ ـنع رحله فامنع حلالك
لايغلبن صليبهم ومِحالهم غدواً محالك
إن كنت تاركهم وقبـ ـلتنا فأمر ما بدالك

قال ابن هشام : هذا ماصح له منها .

عكرمة بن عامر يدعو على الأسود : قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى :

لاهُمَّ أخز الأسود بن مقصود الآخذ الهجمة فيها التقليدْ
بين حِراء وثبير فالبيد يحبسها وهى أُولات التطريدْ
فَضَمَّها إلى طماطم سود أخفره يارب وأنت محمودْ

وذكر قول عبد المطلب :

لاهُم إن المرء يمـ ـنع رحله فامنع حِلالَك

العرب تحذف الألف واللام من اللهم ، وتكتفى بما بقى ، وكذلك تقول : لاه أبوك تريد : لله أبوك ، وقد تقدم قول من قال فى « لاهنك » وأن المعنى : والله إنك ، وهذا لكثرة دور هذا الاسم على الألسنة ، وقد قالوا فيما هو دونه فى الاستعمال : أَجِنَّك تفعل كذا وكذا . أى من أجل أنك تفعل كذا وكذا . والحِلال فى هذا البيت : القوم الحُلُول فى المكان ، والحلال مركب من مراكب النساء . قال الشاعر :

بغير حلال غادرته بجحفل (٥)

والحِلال أيضا : متاع البيت ، وجائز أن يستعيره ههنا ، وفى الرجز بيت آخر لم يقع فى الأصل وهو قوله :

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وفيه حجة على النحاس والزبيدى حيث زعما ومن قال بقولهما ، أنه لايقال : اللهم صل على محمد وعلى آله ، لأن المضمر يرد المعتل إلى أصله ، وأصله : أهل ، فلايقال إلا ، وعلى أهله ، وبهذه المسألة ختم النحاس كتابه الكافى . وقولهما خطأ من وجوه ، وغير معروف فى قياس ولاسماع ، وما وجدنا قط مضمرا يرد معتلا إلى أصله إلاقولهم : أعطيتكموه برد الواو ، وليس هو من هذا الباب فى وِرْد ولاصَدَر ، ولانقول أيضا : إن آلا أصله : أهل ، ولاهو فى معناه ، ولانقول : إن أُهيلا تصغير آل ، كما ظن بعضهم ، ولتوجيه الحِجاج عليهم موضع غير هذا . وفى الكامل من قول الكتانى لمعاوية حين ذكر عبد الملك من آلك ، وليس منك .

---

(١) التحرز : التمنع . (٢) شعف الجبال : رءوسها .
(٣) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال . (٤) معرة الجيش : شدته (٥) جحفله : صرعه .

قال ابن هشام : هذا ماصح له منها، والطماطم : الأعلاج [١].

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها .

أبرهة يهاجم الكعبة : فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله ، وعبى جيشه — وكان اسم الفيل محمودا — وأبرهة مجمع لهدم البيت ، ثم الانصراف إلى اليمن . فلما وجهوا الفيل إلى مكة ، أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه ، فقال : ابرك محمود ، أو ارجع راشدا من حيث جئت ، فإنك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه . فبرك الفيل ، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فضربوا فى رأسه بالطبرزين [٢]، ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن [٣] لهم فى مَرَاقِّه [٤] فبزغوه [٥] بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك .

عقاب الله لأبرهة وجنده : فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان [٦] ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، ـ وليس كلهم أصابت ـ وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ، ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

وقول عكرمة بن عامر : الآخذ الهجمة فيها التقليد : الهجمة : هى ما بين التسعين إلى المائة ، والمائة منها : هُنَيْدَة ، والمائتان : هِند ، وقال بعضهم : والثلاثمائة أمامة ، وأنشدوا :

تبيَّنْ رويداً ما أمامة من هند

وكأن اشتقاق الهَجْمة من الهجيمة ، وهو : الثخين من اللبن ، لأنه لما كثر لبنها لكثرتها ، لم يمزج بماء ، وشرب صرفا ثخينا ، ويقال للقدح الذى يحلب فيه إذا كان كبيرا : هَجْم .

تفسير المفردات التى جاءت فى حديث الفيل : وقوله : أخفره يارب . أى انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه ، يقال : أخفرت الرجل ، إذا نقضت عهده ، وخفرته أخفره : إذا أجرته ، فينبغى أن لا يضبط هذا إلا بقطع الهمزة وفتحها ، لئلا يصير الدعاء عليه دعاء له .

وقوله : إلى طماطم سود . يعنى ، العلوج . ويقال لكل أعجمى : طمطمان ، ويذكر عن الأخفش : طمطم بفتح الطاء .

وقوله : عبى جيشه . يقال : عبيت الجيش بغير همزة ، وعبأت المتاع بالهمز ، وقد حكى عبأت الجيش بالهمز وهو قليل .

وقوله : فبرك الفيل . فيه نظر ؛ لأن الفيل لا يبرك ، فيحتمل أن يكون بروكه : سقوطه إلى الأرض ، لما جاءه

---

(١) الأعلاج : جمع علج ـ الرجل من كفار العجم . (٢) الطبرزين : آلة من الحديد.

(٣) محاجن : جمع محجن ـ عصا معوجة . (٤) المراق : أسفل البطن .

(٥) بزغوه : أدموه . (٦) أنواع من الطيور .

قال ابن هشام : قوله : « ليس الغالب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال نفيل أيضا :

ألا حُييت عنــا يارُدينــا نعمناكم مع الإصباح عينا
ردينة لو رأيت ـ ولا تريْه لذى جنْب المحصب ما رأينا
إذاً لعذرتنى وحمدت أمرى ولم تأسَىْ على مافات بينا
حمدت الله إذ أبصرت طيراً وخفت حجارة تلقى علينـا
وكل القوم يسأل عن نفيل كأن علىّ للحبشان دينا

من أمر الله سبحانه ، ويحتمل أن يكون فعل فعل البارك الذى يلزم موضعه ، ولايبرح ، فعبر بالبروك عن ذلك ، وقد سمعت من يقول : إن فى الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل ، فإن صح وإلا فتأويله ماقدمناه .

نسب الأسود صاحب الفيل : والأسود بن مقصود صاحب الفيل : هو الأسود بن مقصود بن الحارث بن منبه ابن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عِلَّة . ويقال فيه عُلَمَهْ على وزن عمر ، ابن خالد بن مذحج ، وكان الأسود قد بعثه النجاشى مع الفيلة والجيش ، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلا ، فهلكت كلها إلا محموداً ، وهو فيل النجاشى ؛ من أجل أنه أبى من التوجه إلى الحرم ، والله أعلم .

نسب نفيل : ونفيل الذى ذكره هو : نفيل بن عبدالله بن جزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلُب ابن ربيعة بن عِفرِس بن جلف بن أفتل ، وهو : خثعم . كذلك نسبه البرقى . وفى الكتاب : نفيل بن حبيب ، ونفيل من المسَمَّيْن بالنبات ، قاله أبو حنيفة . وقال : هو تصغير نفل وهو نبت مُسْلنطح (١) على الأرض .

صفة الطير والحجارة : وذكر النقاش أن الطير كانت أنيابها كأنياب السبع ، وأكفها كأكف الكلاب ، وذكر البرقى أن ابن عباس قال : أصغر الحجارة كرأس الإنسان ، وكبارها كالإبل . وهذا الذى ذكره البرقى ذكره ابن إسحاق فى رواية يونس عنه . وفى تفسير النقاش أن السيل احتمل جثثهم ، فألقاها فى البحر ، وكانت قصة الفيل أول المحرم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين .

وقوله : فضربوا رأسه بالطبرزين هكذا تقيد فى نسخة الشيخ أبى بحر بسكون الباء ، وذكره البكرى فى المعجم ، وأن الأصل فيه طبرزين بفتح الباء ، وقال : طبر هو الفأس وذكر طبَرْسَتَانَ بفتح الباء ، وقال : معناه: شجر قطع بفأس ؛ لأنها قبل أن تبنى كانت شجراء فقطعت ، ولم يقل فى طبرية مثل هذا . قال : ولكنها نسبت إلى طباراء ، وهو اسم الملك الذى بناها ، وقد ألفيته فى شعر قديم : طبرزين ـ بفتح الباء ـ كما قال البكرى ، وجائز فى طبرزين ـ وإن كان ما ذكر أن تسكن الباء ـ لأن العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعبا لايقرها على حال . قاله ابن جنى .

وقوله : فبزغوه : أى : أدموه ، ومنه سمى المِبْزَغ ، وفى رواية يونس عن ابن إسحاق أن الفيل ربض ، فجعلوا يقسمون بالله أنهم رادوه إلى اليمن ، فحرك لهم أذنيه ، كأنه يأخذ عليهم عهدا بذلك ، فإذا أقسموا له ، قام يهرول ، فيردونه إلى مكة ، فيربض ، فيحلفون له ، فيحرك لهم أذنيه كالمؤكِّد عليهم ، ففعلوا ذلك مرارا .

---

(١) مسلنطح : منبسط على الأرض .

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة : كلما سقطت أنملة ، أتبعتها منه مدة تَمُثُّ[1] قيحاً ودما، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ، فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة أنه حُدِّث : أن أول مارؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول مارؤى بها مرائر الشجر : الحرمل والحنظل والعُشَر ذلك العام .

الله - جل جلاله - يذكر حادثة الفيل ويمتن على قريش : قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تعالى محمدا — صلى الله عليه وسلم — كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال الله تبارك وتعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول » . وقال : « لإيلاف قريش إيلا فهم . رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » . أى لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها ، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .

وقوله : أمثال الحمص والعدس يقال: حِمَّص ، وحِمِّص ، كما يقال جلَّق وجلِّق قاله الزبيدى، ولم يذكر أبو حنيفة فى الحمص إلا الفتح وليس لهما نظير فى الأبنية إلا الحِلِّزة وهى القصير ، وقال ابن الأنبارى : الحلز : البخيل بتشديد الزاى ، وصوب القالى هذه الرواية فى الغريب المصنف ، لأن فِعَّلا بالتشديد ليس فى الصفات عند سيبويه . ويعنى بمماثلة الحجارة للحمص أنها على شكلها — والله أعلم — لأنه قد روى أنها كانت ضخاما تكسر الرءوس ، وروى أن مخالب الطير كانت كأكف الكلاب والله أعلم .

وفى رواية يونس عن ابن إسحاق قال : جاءتهم طير من البحر كرجال الهند ، وفى رواية أخرى عنه أنهم استشعروا العذاب فى ليلة ذلك اليوم، لأنهم نظروا إلى النجوم كالحة إليهم، تكاد تكلمهم من اقترابها منهم ففزعوا لذلك.

وقول نفيل :

ولم تأسَىْ على مافات بينا

نصب بينا نصب المصدر المؤكد لما قبله ، إذ كان فى معناه ، ولم يكن على لفظه . لأن فات معنى : فارق وبان . كأنه قال . على مافات فوتاً ، أو بان بينا ، ولا يصح لأن يكون مفعولا من أجله يعمل فيه تأسى ، لأن الأسى باطن فى القلب ، والبين ظاهر ، ولا يجوز أن يكون المفعول من أجله إلا بعكس هذا . تقول : بكى أسفاً ، وخرج خوفا ، وانطلق حرصا على كذا ، ولو عكست الكلام كان خلفا من القول ، وهذا أحد شروط المفعول من أجله ،ولعل له موضعا من الكتاب فنذكره فيه .

وقوله : نعمنا كم مع الإصباح عَيْنا : دعاء ، أى : نعمنا بكم ، فعدى الفعل لما حذف حرف الجر ، وهذا كما تقول : أنعم الله بك عينا . وقوله فى أول البيت : ألا حييت عنا ياردينا ، هو اسم امرأة ، كأنها سميت بتصغير درنة ، وهى القطعة من الردن وهو الحرير . ويقال نقدم الكم : رُدْن ، ولكنه مذكر ، وأما دُرَيْنة بتقديم الدال على الراء ، فهو اسم للأحمق ، قاله الخليل .

وقوله : فى خبر أبرهة : تبعتها مدة تَمُثُّ قيحاًودماً . ألفيته فى نسخة الشيخ : تمُث ، وتمِث بالضم والكسر.

---

(١) تمث : ترشح .

تفسير مفردات سورتى الفيل وقريش : قال ابن هشام : الأبابيل : الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه ، وأما السجيل، فأخبرنى يونس النحوى وأبو عُبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب،قال رؤبة بن العجاج :

ومسَّهم ما مس أصحاب الفيلْ ترميهم حجارة من سجيلْ

ولعبت طير بهم أبابيل

وهذه الأبيات فى أرجوزة له .

ذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحده ، وإنما هو سِنْج وجِلٌ يعنى بالسنج : الحجر ، وبالجل : الطين ، يعنى الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين . والعصف : ورق الزرع الذى لم يُقصّب ، وواحدته عصفة . قال : وأخبرنى أبو عبيدة النحوى أنه يقال له : العُصافة والعَصيفة . وأنشدنى لعلقمة بن عَبَدة أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :

فعلى رواية الضم يكون الفعل متعديا ، ونصب قيحا على المفعول ، وعلى رواية الكسر يكون غير متعد ، ونصب قيحا على التمييز فى قول أكثرهم ، وهو عندنا على الحال ، وهو من باب : تصبب عرقا ، وتفقأ شحما ، وكذلك كان يقول شيخنا أبو الحسين فى مثل هذا ، وقد أفصح سيبويه فى لفظ الحال فى :

ذهبن كلا َكلا وصدورا

وأشرق كاهلا ، وهذا مثله . ولكشف القناع عن حقيقة هذا موضع غير هذا . وإنما قلنا : إن من رواه تمثٌ بضم الميم ، فهو متعد ، كأنه مضاعف ، والمضاعف إذا كان متعديا ، كان فى المستقبل مضموما نحو : رده يرده إلا ماشذ منه ، نحو عَلَّ يَعُل ويَعِل ، وهر الكأس يهُر ويهِر ، وإذا كان غير متعد كان مكسورا فى المستقبل نحو : خف يخف، وفر يفر ، إلا ستة أفعال جاءت فيها اللغتان جميعا ، وهى فى أدب الكاتب وغيره ، فغنينا بذلك ذعن كرها . على أنهم قد أغفلوا : هب يُهب وخب يخب وأج يؤج إذا أسرع ، وشك فى الأمر يشك ، ومعنى تمث قيحا : أى تسيل ، يقال : فلان يمث كما يمث الزق .

وقوله : يسقط أنملة أنملة أى : ينتثر جسمه ، والأنملة : طرف الأصبع ، ولكن قد يعبر بها عن طرف غير الأصبع، والجزء الصغير . فى مسند الحارث بن أبى أسامة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : «إن فى الشجرة شجرة هى مثل المؤمن ، لاتسقط لها أنملة . ثم قال : هى النخلة ، وكذلك المؤمن لاتسقط له دعوة .

وقوله : مرائر الشجر ،يقال : شجرة مرة ، ثم تجمع على مرائر ، كما تجمع : حرة على حرائر ، ولا تعرف فُعْلَة تجمع على فعائل إلا فى هذين الحرفين ، وقياس جمعهما فُعَل نحو : دُرة ودُرر ، ولكن الحرة من النساء فى معنى الكريمة والعقيلة ، ونحو ذلك ، فأجرَوْها مجرى ما هو فى معناها من الفعيلة ، وكذلك المر قياسه أن يقال فيه : مرير ؛ لأن المرارة فى الشىء طبيعة ، فقياس فعله : أن يكون فَعُل كما تقول : عذب الشىء وقبح وعسر ، إذا صار عسيراً ، وإذا كان قياسه فَعُل فقياس الصفة منه أن تكون على فعيل ، والأنثى : فعيلة ، والشىء المر عسير أكله شديد ، فأجروا الجمع مجرى هذه الصفات التى هى على فعيل ؛ لأنها طباع وخصال ، وأفعال الطباع والخصال كلها تجرى هذا المجرى .

وذكر العُشَر . وهو شجر مر يحمل ثمراً كالأترُجّ ، وليس فيه منتفع ، ولبن العُشَر تعالج به الجلود قبل أن تجعل فى المَنِيئة ، وهى : المدبغة كما تعالج بالغَلْقة ، وهى شجرة ، وفى العشر : الخُرفع والخِرفع ، وهو

تَسقى مَذانب قد مالت عصيفتها حَدُورُها من أتِىِّ الماء مطموم

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الراجز :

فصُيِّروا مثلَ كعصف مأكول

قال ابن هشام : ولهذا البيت تفسير فى النحو .

شبه القطن ويجنى من العشر :المغافير ، واحدها : مُغفور . ومَغافِر ، وواحدها : مِغْفَر ، ويقال لها : سكر العشر ، ولا تكون المغافير إلا فيه ، وفى الرمث ، وفى الثُّمام ، والثُّمام : أكثرها لَثًى ، وفى المثل : هذا الجنى لا أن تُكَدّ المغفر من كتاب أبى حنيفة .

وذكر ابن هشام : الأبابيل ، وقال : لم يسمع لها بواحد ، وقال غيره : واحدها : إبّاله ، وإبول ، وزاد ابن عزيز : وإبّيل . وأنشد ابن هشام لرؤبة :

وصُيروا مثل كعصف مأكول

وقال : ولهذا البيت تفسير فى النحو ، وتفسيره : أن الكاف تكون حرف جر ، وتكون اسما بمعنى : مثل ، ويدلك أنها حرف : وقوعها صلة للذى ؛ لأنك تقول : رأيت الذى كزيد ، ولو قلت : الذى مثل زيد لم يحسن ، ويدلك أنها تكون اسما : دخول حرف الجر عليها ، كقوله :

ورحنا بكابن الماء ينفض رأسه

ودخول الكاف عليها ، وأنشدوا :

وصاليات ككما يُؤَثْفَين

وإذا دخلت على مِثل ، كقوله تعالى : « ليس كمثله شىء » فهى إذاً حرف ، إذ لا يستقيم أن يقال : مثلُ مثلِه ، وكذلك هى حرف فى بيت رؤبة : « مثل كعصف » لكنها مقحمة لتأكيد التشبيه ، كما أقحموا اللام من قوله : يا بؤس للحرب ، ولا يجوز أن يقحم حرف من حروف الجر سوى اللام ، والكاف . أما اللام : فلأنها تعطى بنفسها معنى الإضافة، فلم تغير معناها ، وكذلك الكاف تعطى معنى التشبيه ، فأقحمت لتأكيد معنى المماثلة ، غير أن دخول مثل عليها كما فى بيت رؤبة قبيح ، ودخولها على مثل كما فى القرآن أحسن شىء ؛ لأنها حرف جر تعمل فى الاسم ، والاسم لا يعمل فيها ، فلا يتقدم عليها إلا أن يقتحمها كما أقحمت اللام .

وأنشد شاهداً على العصيفة قول علقمة ، وآخره :

حَدُورها من أتِىّ الماء مطموم

وهذا البيت أنشده أبو حنيفة فى النبات . جدورها : هو جمع جَدْر بالجيم ، وهى الحواجز التى تحبس الماء ، ويقال للجدر حُباس أيضاً : وفى الحديث : « أمسك الماء حتى يبلغ الجدْرَ ، ثم أرسله » وقد ذكر غيره رواية الجيم ، وقال : إنما قال : جدورها من أتى الماء مطموم . وأفرد الخبر . لأنه رده على كل واحد من الجدر كما قال الآخر :

ترى جوانبها بالشحم مفتوقا

أى : ترى كل جانب فيها .

وإيلاف قريش : إلفهم الخروج إلى الشام فى تجارتهم ، وكانت لهم خَرْجتان : خرجة فى الشتاء ، وخرجة فى الصيف . أخبرنى أبو زيد الأنصارى : أن العرب تقول : ألِفت الشىء إلفا ، وآلفته إيلافا ، فى معنى واحد ، وأنشدنى لذى الرُّمَّة :

من المُؤْلفات الرمل أدماء حُرة   شعاع الضحى فى لونها يتوضح

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال مطرود بن كعب الخزاعى :

المنعمين إذا النجوم تغيرت   والظاعنين لرحلة الإيلاف

وهذا البيت فى أبيات له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى . والإيلاف أيضاً : أن يكون الإنسان ألف من الإبل ، أو البقر ، أو الغنم ، أو غير ذلك . يقال : آلف فلان إيلافا . قال الكُميت بن زيد ، أحد بنى أسد ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد :

بعام يقول له المؤلفو   ن هذا المُعيم لنا المُرْجِلُ

ويقال للعصيفة أيضا : أذَنة ، ولما تحيط به الجدور التى تمسك الماء دَبْرَةَ وحِبس ومَشارة ، ولمَفتَح الماء منها : آغية بالتخفيف والتثقيل .

وذكر إيلاف قريش للرحلتين ، وقال : هو مصدر ألِفْتُ الشىء وآلفْتُه فجعله من الإلف للشىء ، وفيه تفسير آخر أليق ، لأن السفر قطعة من العذاب ، ولا تألفه النفس ، إنما تألف الدعة والكينونة مع الأهل . قال الهروى : هى حبال ، أى : عهود كانت بينهم وبين ملوك العجم ، فكان هاشم يؤالف إلى ملك الشام ، وكان المطلب يؤالف إلى كسرى ، والآخران يؤالفان أحدهما إلى ملك مصر ، والآخر إلى ملك الحبشة ، وهما : عبدشمس ونوفل . قال ومعنى يؤالف : يعاهد ويصالح ، ونحو هذا . فيكون الفعل منه أيضا آ لف على وزن فاعل ، والمصدر إلافا بغير ياء مثل : قتالا ، ويكون الفعل منه أيضا آ لف على وزن أفعل مثل : آمن ، ويكون المصدر : إيلافا بالياء مثل : إيمانا ، وقد قرىء لإلاف قريش بغير ياء ، ولو كان من آ لفت الشىء على وزن أفعلت إذا ألفته لم تكن هذه القراءة صحيحة ، وقدقرأها ابن عامر ، فدل هذا على صحة ماقاله الهروى ، وقد حكاه عمن تقدمه . وظاهر كلام ابن إسحاق أن اللام من قوله تعالى : « لإيلاف قريش » متعلقة بقوله سبحانه : « فجعلهم كعصف مأكول » ، وقد قاله غيره . ومذهب الخليل وسيبويه : أنها متعلقة بقوله : « فليعبدوا رب هذا البيت » أى : فليعبدوه من أجل ما فعل بهم . وقال قوم : هى لام التعجب ، وهى متعلقة بمضمر ، كأنه قال : اعجب لإيلاف قريش ، كما قال — صلى الله عليه وسلم — فى سعد بن معاذ — رضى الله عنه — حين دفن : « سبحان الله لهذا العبد الصالح ضم فى قبره ، حتى فَرَّج الله عنه !! » وقال فى عبد حبشى مات بالمدينة : « لهذا العبد الحبشى جاء من أرضه وسمائه إلى الأرض التى خلق منها » أى : اعجبوا لهذا العبد الصالح .

وأنشد للكميت :

بعام يقول له المؤْلفو   نَ : أهذا المُعيم لنا المُرجِل

المؤلف : صاحب الألف من الإبل ، كما ذكر ، والمعيم بالميم : من العيمة أى : تجعل تلك السنة صاحب الألف من الإبل يعام إلى اللبن(١) ، وتُرْجله ، فيمشى راجلا ، لعجف الدواب وهُزالها .

---

(١) يشتاق ويشتهى اللبن .

وهذا البيت فى قصيدة له . والإيلاف أيضاً : أن يصير القوم ألفا ، يقال آلف القوم إيلافا . قال الكميت ابن زيد :

وآل مُزَيقياء غداة لاقَوْا بنى سعد بن ضبة مؤلفينا

وهذا البيت فى قصيدة له . والإيلاف أيضاً : أن تؤلف الشىء إلى الشىء فيألفه ويلزمه ، يقال : آلفته إياه إيلافا . والإيلاف أيضا : أن تصير مادون الألف ألفا ، يقال : آلفته إيلافا .

مصير قائد الفيل وسائسه : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد ابن زرارة ، عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : « لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس » .

ما قيل فى قصة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق : فلما رد الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة ، أعظمت العرب قريشا ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونة عدوهم ، فقالوا فى ذلك أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة ، وما رد عن قريش من كيدهم .

شعر عبدالله بن الزبعرى : فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن عدى بن قيس بن عدى بن سُعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر :

تَنَكَّلوا عن بطن مكة ، إنها كانت قديما لا يُرام حريمها
لم تخلق الشِّعرى ليالى حُرِّمت إذ لا عزيز من الأنام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى ولسوف ينبى الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يئوبوا أرضهم ولم يعش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

وذكر قول ابن الزِّبَعْرَى : تنكلوا عن بطن مكة . البيت ، ونسبه إلى عدى بن سُعيد بن سهم . وكرر هذا النسب فى كتابه مراراً وهو خطأ ، والصواب ، سعد بن سهم ، وإنما سُعيد : أخو سعد ، وهو فى نسب عمرو بن العاص بن وائل . وقد أنشد فى الكتاب مايدل على خلاف قوله ، وهو قول المُسْتَبرِق ، وهو عبد الله بن الحارث ابن عدى بن سعد :

فإن تك كانت فى عَدِى أمانة عدى بن سعد فى الخطوب الأوائل

فقال : عدى بن سعد ، ولم يقل : سُعيد ، وكذلك ذكره الواقدى والزبيريون وغيرهم .

وقوله : تنكلوا عن بطن مكة إنها . وهذا خرم فى الكامل[1] ، وقد وجد فى غير هذا البيت فى أشعار هذا الكتاب الخرم فى الكامل ، ولا يبعد أن يدخل الخرم فى متفاعل ، فيحذف من السبب حرف ، كما حذف من الوتد فى الطويل حرف ، وإذا وجد حذف السبب الثقيل كله ، فأحرى أن يجوز حذف حرف منه ، وذلك فى قول ابن مُفَرِّغ :

---

(١) الكامل : بحر من بحور الشعر العربى .

قال ابن إسحاق : يعنى ابنُ الزبعرى بقوله :

. . . بعد الإياب سقيمها

أبرهة ، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه ، حتى مات بصنعاء .

شعر ابن الأسلت . وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ثم الخَطْمِى : واسمه : صيفى . قال ابن هشام : أبو قيس : صيفى بن الأسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس :

ومن صُنْعه يوم فيل الحبو ش إذ كلما بعثوه رَزَم
محاجنهم تحت أقرابه وقد شرَّموا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه مِغْوَلاً إذا يمموه قفاه كُلِم
فولى وأدبر أدراجه وقد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصبا فلفهم مثل لف القُزُم
تحض على الصبر أحبارهم وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له . والقصيدة أيضا تروى لأمية بن أبى الصلت .

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس بن الأسلت :

فقوموا فصلوا ربكم ، وتمسَّحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعندكم منه بلاء مُصَدَّق غداة أبى يكسوم هادى الكتائب
كتيبته بالسهل تُمسى ورَجْلُه على القاذفات فى رءوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم جنود المليك بين ساف وحاصب
فولَّوا سراعا هاربين ولم يؤب إلى أهله مِلْحِبْشِ غير عصائب

هامة تدعو صدى بين الـمُشَقَّرِ واليمامة

وهو من المرفل ، والمرفل من الكامل . ألا ترى أن قبله :

وشربت بردا ليتنى من بعد برد كنت هامة

فالمحذوف من الطويل ـ إذا خرم ـ حرف من وتد مجموع ، والمحذوف من الكامل ـ إذا خرم ـ حرف من سبب ثقيل ، بعده سبب خفيف ، ولما كان الإضمار فيه كثيراً ، وهو إسكان التاء من متفاعلن ، فمن ثم قال أبو على : لا يجوز فيه الخرم ، لأن ذلك يؤول إلى الابتداء بساكن ، وهذا الكلام لمن تدبره بارد غثٌ ؛ لأن الكلمة التى يدخلها الخرم لم يكن قط فيها إضمار نحو : تنكلوا عن بطن مكة ، والتى يدخلها الإضمار ، لا يُتَصَوَّرُ فيها الخرم[1] نحو : لا يبعدن قوى ونحو قوله : « لم تُخْلَق الشّعرى ليالى حرمت » فتعليله فى هذا الشعر إذاً لا يفيد شيئاً ، وما أبعد العرب من الالتفات إلى هذه الأغراض التى يستعملها بعض النحاة ، وهى أوهى من نسج الخَزَرْنَق[2]

وقوله : لم تخلق الشعرى ليالى حرمت

---

(١) الخرم وغيره من الألفاظ المذكورة هى من مصطلحات علماء العروض .

(٢) الخزرنق : العنكبوت .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى قوله :

على القاذفات فى رءوس المناقب

وهذه الأبيات فى قصيدة لأبى قيس ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله . وقوله : « غداة أبى يكسوم » : يعنى : أبرهة ، كان يكنى أبا يكسوم .

شعر طالب بن أبى طالب . قال ابن إسحاق : وقال طالب بن أبى طالب بن عبد المطلب :

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس ... وجيش أبى يكسوم إذ ملئوا الشِّعْبا

فلولا دفاع الله لا شىء غيره ... لأصبحتم لا تمنعون لكم سَربا

قال ابن هشام . وهذان البيتان فى قصيدة له فى يوم بدر ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

شعر أبى الصلت الثقفى . قال ابن إسحاق : وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى فى شأن الفيل ، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام . قال ابن هشام : تروى لأمية بن أبى الصلت بن أبى ربيعة الثقفى :

إن آيات ربنا ثاقبات ... لا يُمارِى فيهن إلا الكفور

خلق الليل والنهار فكل ... مستبين حسابه مقدور

ثم يجلو النهار رب رحيم ... بمهاة شعاعها منشور

حُبس الفيل بالمغمس ، حتى ... ظل يحبو كأنه معقور

لازما حلقة الجران كما قُطِّـ ... ـر من صخر كبكب محدور

حوله من ملوك كِندة أبطا ... ل ملاويث فى الحروب صقور

خلّفوه ثم ابذعروا جميعاً ... كلهم عظم ساقه مكسور

كل دين يوم القيامة عند الله ... إلا دين الحنيفة بور

شعر الفرزدق : قال ابن هشام : وقال الفرزدق ـ واسمه همام بن غالب أحد بنى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ـ يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ، ويهجو الحجاج بن يوسف ، ويذكر الفيل وجيشه

إن كان ابن الزبعرى قال هذا فى الإسلام فهو منتزع من قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن الله حرم مكة ، ولم يحرمها الناس » . ومن قوله فى حديث آخر : « إن الله حرمها يوم خلق السموات والأرض » والتربة خلقت قبل خلق الكواكب ، وإن كان ابن الزبعرى قال هذا فى الجاهلية ، فإنما أخذه ـ والله أعلم ـ من الكتاب الذى وجدوه فى الحجر بالخط المسند[1] حين بنوا الكعبة ، وفيه : « أنا الله رب مكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض » الحديث .

وقوله : « ولم يعش بعد الإياب سقيمها » هكذا فى النسخة المقيدة على أبى الوليد المقابلة بالأصلين اللذين كانا عنده ، وقابلها أبو بحر ـ رحمه الله ـ بهما مرتين ، وحسب بعضهم أنه كسر فى البيت ، فزاد من قبل نفسه ، فقال : بل لم يعش . فأفسد المعنى ، وإنما هو خرم فى أول القسم من عجز البيت كما كان فى الصدر من أول بيت منها .

وقول قيس بن الأسلت : مثل لف القَزُم . القزم : صغار الغنم . ويقال : رذال المال ، ورزم : ثبت ولزم

---

(١) الخط المسند : خط حمير .

فلما طغى الحجاج حين طغى به ... غِنىً قال : إنى مُرتق فى السلالم
فكان كما قال ابن نوح : سأرتقى ... إلى جبل من خشية الماء عاصم
رمى الله فى جثمانه مثل ما رمى ... عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم ... هباء، وكانوا مُطْرِخِمّى الطراخم
نُصرتَ كنصر البيت إذ ساق فيله ... إليه عظيم المشركين الأعاجم

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

موضعه ، وأرزم : من الرزيم ، وهو صوت ليس بالقوى ، وكذلك صوت الفيل ضئيل على عظم خلقته، ويفرق من الهر وينفر منه ، وقد احتيل على الفيلة فى بعض الحروب مع الهند . أحضرت لها الهرة ، فذعرت وولت ، وكان سببا لهزيمة القوم . ذكره المسعودى ، ونسب هذه الحيلة إلى هرون بن موسى حين غزا بلاد الهند ، وأول من ذلل الفيلة — فيما قال الطبرى — أفريدون بن أثفيان ، ومعنى أثفيان : صاحب البقر ، وهو أول من نتج البغال واتخذ للخيل السروج والوكف (١) — فيما ذكروا — وأما أول من سخر الخيل وركبها « فطمهورث » وهو الثالث من ملوك الأرض - فيما زعموا - وثؤاج الغنم : صوتها ، ووقع فى النسخة : ثجوا ، وعليه مكتوب : الصواب : ثأجوا كثؤاج الغنم .

وقول ابن الأسلت : فقوموا ، فصلوا ربكم وتمسحوا : سيأتى شرح هذه الأبيات فى القصيدة حيث يذكرها ابن إسحاق بكمالها — إن شاء الله .

وذكر قول طالب بن أبى طالب : «فأصبحتم لا تمنعون لكم سَرْبا» ، ويروى سِرْبا بالكسر، والسرب بالفتح : المال الراعى ، والسرب بالكسر : القطيع من البقر والظباء ، ومن النساء أيضاً . قال الشاعر :

فلم تر عينى مثل سرب رأيته ... خرجن علينا من زقاق ابن واقف

وطالب بن أبى طالب كان أسن من عقيل بعشرة أعوام ، وكان عقيل أسن من جعفر بعشرة أعوام ، وجعفر أسن من على — رضى الله عنه — بمثل ذلك ، وذكروا أن طالبا اختطفته الجن ، فذهب ، ولم يذكر أنه أسلم .

وذكر شعر أبى الصلت ، واسمه : ربيعة بن وهب بن علاج : وفيه : حبس الفيل بالمُغَمَّس ، وأن كسر الميم الآخرة أشهر فيه . وفيه : بمهاة شعاعها منشور : والمهاة : الشمس ، سميت بذلك لصفائها ، والمها من الأجسام : الصافى الذى يرى باطنه من ظاهره . والمهاة : البلَّوْرة ، والمهاة : الظبية . ومن أسماء الشمس : الغزالة إذا ارتفعت ، فهذا فى معنى المهاة . ومن أسمائها : البُتَيراءُ . سئل على بن أبى طالب — رضوان الله عليه — عن وقت صلاة الضحى ، فقال : حتى ترتفع البتيراء . ذكره الهروى والخطابى ، ومن أسمائها : حَناذِ ، وبراح ، والضّح ، وذُكاء ، والجارية ، والبيضاء ، وبُوح ، ويقال : يوح بالياء ، وهو قول الفارسى ، وبالباء ذكره ابن الأنبارى ، والشَّرق، والسراج .

وقوله : « حلقه الجران » الجران : العنق، يريد : ألقى بجرانه إلى الأرض ، وهذا يقوى أنه برك كما تقدم ، ألا تراه يقول : كما قُطّر من صخر كَبْكَب ، وهو : جبل . محدور، أى : حجر حدر حتى بلغ الأرض .

---

(١) الوكف . البرادع .

شعر ابن قيس الرقيات: قال ابن هشام: وقال عبد الله بن قيس الرقيات. أحد بنى عامر بن لؤى بن غالب يذكر أبرهة — وهو الأشرم — والفيل:

كاده الأشرم الذى جاء بالفيـ ـل فولى وجيشُه مهزوم
واستهلت عليهم الطير بالجنـ ـدل حتى كأنه مرجوم
ذاك من يغزه من الناس يرجع، وهو فل من الجيوش ذميم

وهذه الأبيات فى قصيدة له.

ولدا أبرهة: قال ابن إسحاق: فلما هلك أبرهة، ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة، وبه كان يكنى، فلما هلك يكسوم بن أبرهة، ملك اليمن فى الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة.

وقوله: ابذَعَرُّوا: تفرقوا من ذُعر، وهى كلمة منحوتة من أصلين من البذر والذعر. وقوله: إلا دين الحنيفة. يريد بالحنيفة: الأمة الحنيفة، أى: المسلمة التى على دين إبراهيم الحنيف — صلى الله عليه وسلم — وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية، أى: عدل عنها. فسمى حنيفا، أو حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه.

وقوله فى شعر الفرزدق: كما قال ابن نوح. اسمه. يام، وقيل: كنعان.

وقوله: «مُطَرْخَمِىّ الطراخم» المطرخم: الممتلىء كبرا أوغضباً. والطراخم جمع: مُطرخم على قياس الجمع، فإن المطرخم اسم من ستة أحرف، فيحذف منه فى الجمع والتصغير ما فيه من الزوائد، وفيه زائدتان: الميم الأولى، والميم المدغمة فى الميم الآخرة؛ لأن الحرف المضاعف حرفان، يقال فى تصغير مطرخم: طُرَيخِم، وفى جمعه: طراخم، وفى مسبطر: سباطر، وذكره يعقوب فى الألفاظ بالغين، فقال: اطرغم الرجل، ولم يذكر الخاء.

وذكر عبد الله بن قيس الرقيات: واختلف فى تلقيبه: قيس الرقيات، فقيل: كان له ثلاث جدات كلهن: رقية، فمن قال فيه: ابن الرقيات، فإنه نسبه إلى جداته، ومن قال: قيس الرقيات دون ذكر ابن، فإنه نِسبة، وقيل: بل شبب بثلاث نسوة كلهن تسمى: رقية، وقيل: بل ببيت قاله وهو:

رقية ما رقية ما رقية أيها الرجل

وقال الزبير: كان يشبب برقية بنت عبد الواحد بن أبى السرح، من بنى ضباب بن حُجَيْر بن عبد بن معيص، وبابنة عم لها اسمها رقية، وهو ابن قيس بن شُرَيح من بنى حُجير أيضا، وحجير أخو حُجر بن عبد بن معيص بن عامر رهط عمرو بن أم مكتوم الأعمى.

وقوله: «حتى كأنه مرجوم» وهو قد رجم، فكيف شبهه بالمرجوم وهو مرجوم بالحجارة، وهل يجوز أن يقال فى مقتول: كأنه مقتول؟ فنقول: لما ذكر استهلال الطير، وجعلها كالسحاب يستهل بالمطر، والمطر ليس برجْم، وإنما الرجم بالأكف ونحوها، شبهه بالمرجوم الذى يرجمه الآدميون، أو من يعقل ويتعمد الرجم من عدو ونحوه، فعند ذلك يكون المقتول بالحجارة مرجوما على الحقيقة، ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك، وإنما أُمطروا حجارة فمن ثم قال: كأنه مرجوم.

خروج سيف بن ذى يزن وملك وهرز على اليمن

سيف يشكو لقيصر : فلما طال البلاء على أهل اليمن ، خرج سيف بن ذى يزن الحميرى وكان يكنى بأبى مرة ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا إليه ما هم فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه، ويليهم هو ، ويبعث إليهم من شاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِه .

النعمان يتشفع لسيف عند كسرى : فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر ـ وهو عامل كسرى على الحيرة ، وما يليها من أرض العراق ـ فشكا إليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى وفادة فى كل عام ، فأقم حتى يكون ذلك ، ففعل ، ثم خرج معه فأدخله على كسرى ، وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القَنْقَل العظيم ـ فيما يزعمون ـ يُضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة ، معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كشفت عنه الثياب ، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك ، إلا برك هيبة له ، فلما دخل عليه سيف بن ذى يزن برك .

معاونة كسرى لسيف : قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة : أن سيفا لما دخل عليه طأطأ رأسه ، فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل على من هذا الباب الطويل ، ثم يطأطىء رأسه ؟ ! فقيل ذلك لسيف ، فقال : إنما فعلت هذا لهمى ، لأنه يضيق عنه كل شىء .

سيف بن ذى يزن وخبره مع كسرى : وذكر سيف بن ذى يزن وخبره مع النعمان وكسرى ، وقد ذكرنا قصته فى أول حديث الحبشة ، وأنه مات عند كسرى ، وقام ابنه مقامه فى الطلب ، وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أصبَح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمَنَ بن الهميسع بن العرنجج وهو : حمير بن سبأ . وكسرى هذا هو : أنو شروان بن قُبَاذ ، ومعناه مجدد الملك ، لأنه جمع ملك فارس بعد شتات . والنعمان : اسم منقول من النعمان الذى هو الدم . قاله صاحب العين ، والقَنْقَل الذى شبه به التاج هو مكيال عظيم . قال الراجز يصف الكمأة :

مالك لا تجرفها بالقنقل ‏ ‏ ‏ لا خير فى الكمأة إن لم تفعل

وفى الغريبين للهروى : القنقل : مكيال يسع ثلاثة وثلاثين منا ، ولم يذكر : كم المن ، وأحسبه وزن رطلين ، وهذا التاج قد أتى به عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ حين استُلب من يزدجرد بن شهريار ، وتصيَّر إليه من قِبل جده أنو شروان المذكور ، فلما أُتى به عمر رضى الله عنه ، دعا سراقة بن مالك المُدْلِجى ، فحلاه بأسورة كسرى ، وجعل التاج على رأسه ، وقال له : « قل : الحمد لله الذى نزع تاج كسرى ، ملك الأملاك من رأسه ، ووضعه فى رأس أعرابى من بنى مدلج ، وذلك بعز الإسلام وبركته لا بقوّتنا » وإنما خص عمر سراقة بهذا ؛ لأن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان قال له : « يا سراق كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك وإسواره فى يديك » أو كما قال ــ صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق: ثم قال له: أيها الملك، غلبتنا على بلادنا الأغربة، فقال له كسرى: أى الأغربة: الحبشة أم السند؟ فقال: بل الحبشة، فجئتك لتنصرنى، ويكون ملك بلادى لك، قال: بعدت بلادك مع قلة خيرها، فلم أكن لأوَرِّطَ جيشا من فارس بأرض العرب، لا حاجة لى بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف، وكساه كسوة حسنة، فلما قبض ذلك منه سيف خرج، فجعل ينثر ذلك الورق للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال: إن لهذا لشأنا، ثم بعث إليه، فقال: عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس، فقال: وما أصنع بهذا؟ ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة ـ يرغبه فيها ـ فجمع كسرى مرازبته، فقال لهم: ماذا ترون فى أمر هذا الرجل، وما جاء له؟ فقال قائل: أيها الملك، إن فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذى أردت بهم، وإن ظفروا كان ملكا ازددته، فبعث معه كسرى من كان فى سجونه، وكانوا ثمانمائة رجل.

انتصار سيف: واستعمل عليهم رجلا يقال له وَهْرِز، وكان ذا سن فيهم، وأفضلهم حسبا وبيتا، فخرجوا فى ثمان سفائن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن، فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه، وقال له: رجلى مع رجلك حتى نموت جميعاً، أو نظفر جميعاً. قال له وهرز: أنصفت، وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن، وجمع إليه جنده، فأرسل إليهم وهرز ابنا له؛ ليقاتلهم، فيختبر قتالهم، فقُتل ابن وهرز، فزاده ذلك حنقا عليهم، فلما تواقف الناس على مَصَافِّهم، قال وهرز: أرونى ملكهم، فقالوا له: أترى رجلا على الفيل عاقداً تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء؟ قال: نعم، قالوا: ذاك ملكهم، فقال: اتركوه، قال: فوقفوا طويلا، ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحول على الفرس، قال: اتركوه. فوقفوا طويلا، ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحول على البغلة. قال وهرز: بنت الحمار، ذلّ وذل ملكه: إنى سأرميه، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا، فاثبتوا حتى أوذنكم، فإنى قد أخطأت الرجل، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به، فقد أصبت الرجل، فاحملوا عليهم. ثم وتَّرَ قوسه، وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها، وأمر بحاجبيه، فعُصبا له، ثم رماه، فصك الياقوتة التى بين عينيه، فتغلغلت النُّشَّابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه، ونكس عن دابته، واستدارت الحبشة ولاثت به، وحملت عليهم الفرس، وانهزموا، فقتلوا وهربوا فى كل وجه، وأقبل وهرز ليدخل صنعاء، حتى إذا أتى بابها، قال: لا تدخل رايتى منكسة أبدا، اهدموا الباب، فهدم، ثم دخلها ناصبا رايته.

شعر سيف بن ذى يزن فى هذه القصة: فقال سيف بن ذى يزن الحميرى:

وذكر قدوم سيف مع وهرز على صنعاء فى ستمائة، وقد قدمنا قول ابن قتيبة أنهم كانوا سبعة آلاف وخمسمائة، وانضافت إليهم قبائل من العرب.

دخول وهرز صنعاء: وذكر دخول وهرز صنعاء وهدمه بابها، وإنما كانت تسمى قبل ذلك أوال بفتح الهمزة وكسرها. قال ابن الكلبى: وسميت: صنعاء لقول وهرز حين دخلها. صَنْعة صنعة، يريد أن الحبشة أحكمت صنعها، قال ابن مقبل يذكر أوال:

عمد الحُداة بها لعارض قرية ... وكأنها سفن بسيف أوال[1]

(١) العارض ما اعترض فى الأفق من سحاب.

يظن الناس بالملكيـ ـن أنهما قد التأما
ومن يسمع بلأمهما فإن الخطب قد فَقُما
قتلنا القيل مسروقا وروَّيْنا الكثيب دما
وإن القَيْلَ قيل النا س وهرز مقسم قسما
يذوق مشعشعاً حتى يفىء السبي وَالنَّعما

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له . وأنشدنى خلاد بن قرة السدوسى آخرها بيتا لأعشى بنى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له ، وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له .

شعر أبي الصلت : قال ابن إسحاق . وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى ، قال ابن هشام : وتروى لأمية ابن أبى الصلت .

ليطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن ريَّم فى البحر للأعداء أحوالا
يمم قيصر لما حان رحلته فلم يجد عنده بعض الذى سالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرة من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببنى الأحرار يحملهم إنك عمرى لقد أسرعت قلقالا
لله درهم من عصبة خرجوا ما إن أرى لهم فى الناس أمثالا
بيضاً مرازبة ، غُلْبا أساورة أُسْداً تُربِّب فى الغيضات أشبالا
يرمون عن شُدُف كأنها غُبُط بزمخر يُعجل المرمىَّ إعجالا

وقال جرير :

وشبهت الحدوج غداة قَوٍّ سفين الهند رَوَّح من أوالا[1]

وقال الأخطل :

خوص كأن شكيمهن معلق بقنا ردينة ، أو جذوع أوال[2]

وقد قيل إن صنعاء اسم الذى بناها ، وهو : صنعاء بن أوال بن عبير بن عابر بن شالخ ، فكانت تعرف تارة بأوال ، وتارة بصنعاء .

شرح قصيدة أمية بن أبى الصلت : وقوله فى شعر أمية بن أبى الصلت : ريَّم فى البحر . أى : أقام فيه ، ومنه الروايم ، وهى الأثافى ، كذلك وجدته فى حاشية الشيخ التى عارضها بكتابى (أبى الوليد الوقشى) ، وهو عندى غلط ، لأن الروايم من رأمت إذا عطفت ، وريَّم ليس من رأم ، وإنما هو من الريم ، وهو الدرج ، أو من الريم الذى هو الزيادة والفضل ، أو من رام يريم إذا برح ، كأنه يريد : غاب زمانا ، وأحوالا ، ثم رجع للأعداء ، وارتقى فى درجات المجد أحوالا إن كان من الرَّيم الذى هو الدرج ، ووجدته فى غير هذا الكتاب : خيَّم مكان ريم ، فهذا معناه : أقام .

---

(١) الحدوج: مراكب للنساء كالمحفة. وقو : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة ، ويقال إنها واد بين اليمامة وهجر .

(٢) الخوص : الخيول الغائرة العيون من طول السفر ، والشكيم : جمع شكيمة : حديدة اللجام المعترضة فى فم الفرس . قنا : رماح . وردينة : قرية تصنع فيها الرماح .

أرسلت أُسداً على سود الكلاب فقد ... أضحى شريدهم فى الأرض فُلّالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقاً ... فى رأس غُمدان داراً منك محلالا
واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم ... وأسبل اليوم فى برديك إسبالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن ... شِيبا بماء فعادا بَعْدُ أبوالا

قال ابن هشام : هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها ، إلا آخرها بيتا قوله :

تلك المكارم لا قعبان من لبن

فإنه للنابغة الجعدى . واسمه : حِبَّان بن عبد الله بن قيس ، أحد بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فى قصيدة له .

شعر عدى بن زيد : قال ابن إسحاق : وقال عدىّ بن زيد الحِـيرى ، وكان أحد بنى تميم . قال ابن هشام : ثم أحد بنى امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، ويقال : عدى من العباد من أهل الحيرة :

ما بعد صنعاء كان يعمرها ... ولاة مُلك جزل مواهبها
رفعها من بنى لدى قزع الـمزن ... وتندى مسكا محاربها
محفوفة بالجبال دون عرى الـكائد ... ما تُرتقى غواربها
يأنس فيها صوت النُّهام إذا ... جاوبها بالعشى قاصبها

وقوله : عمرى . أراد : لعمرى وقد قال الطائى :

عمرى لقد نصح الزمانُ ، وإنه ... لمن العجائب ناصح لا يشفق

وقوله : أسرعت قلقالا بفتح القاف وكسرها ، وكقول الآخر : «وقلقل يبغى العز كل مقلقل» وهى شدة الحركة .

وقوله : «يرمون عن شُدُف كأنها غبط» الشدَف : الشخص ، ويجمع على شُدُف ، ولم يرد ههنا إلا القسى ، وليس شدُف جمعا لشدَف ، وإنما هو جمع شدوف ، وهو النشيط المرح يقال : شدف ، فهو شدف ، ثم تقول : شدوف ، كما تقول مروح ، وقد يستعار المرح والنشاط للقسى لحسن تأتيها وجودة رميها وإصابتها ، وإنما احتجنا إلى هذا التأويل ، لأن فـعَلاً لا يجمع على فُـعُل إلا وثن ووثن ، فإن قلت : فيجمع على فُعول مثل : أسود ، فتقول : شدوف ، ثم تجمع الجمع ، فتقول : شُدُف ، قلنا : الجمع الكثير لا يجمع ، وإنما يجمع منه أبنية القليل. نحو : أفعال وأفعُل وأفعِلة ، وأشبه ما يقال فى هذا البيت : إنه جمع على غير قياس ، هذا إن كان الشدف : القسى، ويجوز أن يكون جمع شَدَفا على شُدْف مثل : أسد وأسد ، ثم حرك الدال ، وجائز أن يكون أراد : المرح من الخيل كما تقدم . وجعلها كالغبط لإشراف ظهورها وعلوها .

وقوله : يرمون عن شدف أى : يدفعون عنها بالرمى ، ويكون الزخر : القسى ، أو النبل . والغبط : الهوادج ، والزخر : القصب الفارسى وقوله : فى رأس غـُمدان . ذكر ابن هشام أن غمدان أسسه : يعرب بن قحطان وأكمله بعده ، واحتله : واثل بن حمير بن سبأ ، وكان ملكا متوجا كأبيه وجده .

وقوله : شالت نعامتهم ، أى : هلكوا ، والنعامة : باطن القدم ، وشالت : ارتفعت ، ومن هلك ارتفعت رجلاه ، وانتكس رأسه ، فظهرت نعامة قدمه ، تقول العرب : تَنَعَّمْتَ إذا مشيت حافياً ، قال الشاعر :

تنعمت لمـا جاءنى سوء فعلهم ... ألا إنمـا البأساء للمتنعم

ساقت إليه الأسباب جند بنى الـ　　أحرار فرسانها مواكبها
وفـوّزت بالبغال توسق بالـــحتف وتسعى بها توالبها
حتى رآها الأقوال من طرف الـــمَنْقَل مخضرة كتائبها
يوم ينادون آل بربر والـــيكسوم لا يفلحن هاربها
وكان يوم باقى الحديث وزا　　لت إمة ثابت مراتبها
وبُدل الفيْج بالزرافة والأيا　　م جون جمٌ عجائبها
بعد بنى تبع نخاورة　　قد اطمأنت بها مرازبها

والنعامة أيضاً : الظلة، والنعامة : الدّعامة التى تكون عليها البكرة ، والنعامة : الجماعة من الناس ، وابن النعامة : عرق فى باطن القدم .

النابغة الجعدي : وذكر النابغة الجعدى واسمه : قيس بن عبد الله ، وقيل إن اسمه : حبان بن قيس بن عبد الله ابن وَحْوَح ، والوحوح فى اللغة : وسط الوادى ، قاله أبو عبيد وأبو حنيفة ، وهو أحد النوابغ ، وهم ثمانية ذكرهم البكرى ، وذكر الأعاشى وهم خمسة عشر . والنابغة شاعر معمر عاش مائتين وأربعين سنة أكثرها فى الجاهلية ، وقدومه على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإنشاده إياه ، ودعاء النبى - صلى الله عليه وسلم - ألا يَفْضُضّ الله فاه مشهور ، وفى كتب الأدب والخبر مسطور ، فلا معنى للإطالة به .

شعر عدى بن زيد : وذكر شعر عدى بن زيد العِبادى ، نسب إلى العِباد ، وهم من عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، قيل : إنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح ، وعبد كُلال ، وعبد الله ، وعبد ياليل ، وكذلك سائرهم فى اسم كل واحد منهم : عبد ، وكانوا قدموا على ملك فتسموا له ، فقال : أنتم العِباد فسموا بذلك ، وقد قيل غير هذا . وفى الحديث المسند : أبعد الناس عن الإسلام الروم والعباد ، وأحسبهم هؤلاء ؛ لأنهم تنصروا ، وهم من ربيعة ، ثم من بنى عبدالقيس ، والله أعلم . والذى ذكره الطبرى فى نسب عدى بن زيد أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عُصَيّة بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم . وقد دخل بنو امرىء القيس بن زيد مناة فى العِباد . فلذلك ينسب عدى إليهم .

وقوله : صوت النهام ، يريد ذكر البوم ، وقاصبها : الذى يزمر فى القصب .

وقوله فيها : دون عُرى الكائد ، يريد : عرى السماء وأسبابها ، ووقع فى نسخة الشيخ : عَرى بفتح العين ، وهى الناحية ، وأضافها إلى الكائد ، وهو الذى كادهم ، والبارى — سبحانه وتعالى — كيده متين .

وقوله : فوّزَت بالبغال أى : ركبت المفاوز[1] .

وقوله : تُوسق بالحتف ، أى : أوسق البغال الحتوف ، وتوالبها : جمع تولب ، وهو ولد الحمار ، والتاء فى تولب بدل من واو ، كما هى فى تومم وتولج وفى توراة على أحد القولين ، لأن اشتقاق التولب من الوالبة ، وهى ما يولده الزرع ، وجمعها : أوالب .

---

(١) المفاوز : الصحارى .

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له ، وأنشدنى أبو زيد الأنصارى ، ورواه لى عن المفضل الضبى ، قوله :

يوم ينادن آل بربر واليكسوم

وهذا الذى عنى سطيح بقوله : « يليه إرم ذى يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن » . والذى عنى شق بقوله : « غلام ليس بدنى ولا مُدن ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن » .

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

مدة ملك الحبشة باليمن: قال ابن إسحاق: فأقام وهرز والفرس باليمن، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس: الأبناء الذين باليمن اليوم. وكان ملك الحبشة باليمن، فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروقَ بن أبرهة وأخرجت الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة.

أمراء الفرس باليمن : قال ابن هشام : ثم مات وهرز ، فأمَّر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ، ثم مات المَرْزُبان ، فأمَّر كسرى ابنه التَّيْنُجان بن المرزبان على اليمن، ثم مات التينجان، فأمَّر كسرى ابن التينجان على اليمن ، ثم عزله وأمَّر باذان ، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمدا النبى — صلى الله عليه وسلم .

وقوله : من طرف المُنْقَل أى : من أعالى حصونها ، والمنقال : الخرج ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية ، فكأن المنقل من هذا ، والله أعلم .

وقوله : مخضرة كتائبها . يعنى من الحديد ، ومنه الكتيبة الخضراء .

وقوله : ينادون آل بربر ؛ لأن البربر والحبشة من ولد حام . وقد قيل إنهم من ولد جالوت من العماليق . وقد قيل فى جالوت إنه من الخزر ، وإن أفريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بربرة ، وهى اختلاط الأصوات ، فقال . ما أكثر بربرتهم ! فسموا بذلك ، وقيل غير هذا .

وقوله : والغرب ، أراد : الغرُب بضم الراء جمع : غراب ، وإن كان المعروف : أغربة وغربان ، ولكن القياس لا يدفعه ، وعنى بهم السودان .

وقوله : وبدل الفَيْح بالزرافة ، وهو المنفرد فى مشيته ، والزرافة : الجماعة وقيل فى الزرافة التى هى حيوان طويل العنق: إنه اختلط فيها النسل بين الإبل الوحشية ، والبقر الوحشية ، والنعام ، وإنها متولدة من هذه الأجناس الثلاثة . وكذلك ذكر الزبيدى وغيره ، وأنكر الجاحظ هذا فى كتاب الحيوان له ، وقال : إنما دخل هذا الغلط عليهم من تسمية الفُرْس لها « اشتر — كاو — هى ماه » والفرس إنما سمته بذلك ، لأن فى خلقتها شبها من جمل ونعامة وبقرة ، فاشتر هو : الجمل ، وكاو : النعامة ، وماه : البقرة ، والفرس تركب الأسماء وتمزج الألفاظ إذا كان فى المسمى شبه من شيئين ، أو أشياء ، ويقال : زرافّة بتشديد الفاء حكاه أبو عبيد عن القنانى .

وقوله : بعد بنى تبع بجاورة . هكذا فى نسخة سفيان بن أبى العاص الأسدى مصححا عليه ، وقد كتب فى الحاشية : نخاورة فى الأمين ، وفى الحاشية النخاورة : الكرام ، وكذلك فى المسموعة على ابن هشام يعنى نسختى أبى الوليد الوقشى اللتين قابل بهما مرتين ، ويعنى بالحاشية حاشية « تينك الأمين » وأن فهما : نخاورة بالنون والخاء المنقوطة ، وهم الكرام كما ذكر .

محمد (صلى الله عليه وسلم) يتنبأ بموت كسرى : فبلغنى عن الزهرى أنه قال :

كتب كسرى إلى باذان : أنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة ، يزعم أنه نبى . فسر إليه فاستتبه ، فإن تاب ، وإلا فابعث إلىّ برأسه، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكتب إليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا من شهر كذا » فلما أتى باذانَ الكتابُ توقف لينظر ، وقال : إن كان نبياً ، فسيكون ما قال ، فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال ابن هشام : قتل على يدى ابنه شيرويه، وقال خالد بن حِق الشيبانى :

وكسرى إذ تقسمه بنوه　　بأسياف كما اقتسم اللحام

تمخضت المنون له بيوم　　أنى ، ولكل حاملة تِمام

باذان وكسرى : وذكر قصة باذان ، وما كتب به إلى كسرى ، وكسرى هذا هو : أبرويز بن هرمز ابن أنو شروان ، ومعنى أبرويز بالعربية : المظفَّر ، وهو الذى غلب الروم حين أنزل الله : « ألم . غُلبت الروم فى أدنى الأرض » وهو الذى عُرض على الله فى المنام ، فقال له : سلم ما فى يديك إلى صاحب الهراوة ، فلم يزل مذعوراً من ذلك ، حتى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور — النبى صلى الله عليه وسلم — بتهامة ؛ فعلم أن الأمر سيصير إليه ، حتى كان من أمره ما كان ، وهو الذى كتب إليه النبى — صلى الله عليه وسلم — وحفيده : يزدجرد ابن شهريار بن أبرويز ، وهو آخر ملوك الفرس ، وكان سَلْب ملكه ، وهدم سلطانه على يدى عمر بن الخطاب، ثم قتل هو فى أول خلافة عثمان ، وجد مستخفياً فى رحى فقتل وطرح فى قناة الرحى ، وذلك بمرو من أرض فارس .

وذكر حديث باذان ومقتل كسرى ، وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ، وأسلم باذان باليمن فى سنة عشر ؛ وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبناء [1] يدعوهم إلى الإسلام ، فمن الأبناء : وهب بن مُنبِّه بن سَيْج بن ذُكبار ، وطاووس وذادَوْيه وفيروز اللذان قتلا الأسود العنسى الكذاب ، وقد قيل فى طاووس : إنه ليس من الأبناء ، وإنه من حمير ، وقد قيل : من فارس ، واسمه : ذكوان بن كيسان ، وهو مولى بحير بن ريسان ؛ وقد قيل : مولى الجَعْد ، وكان يقال له : طاووس القراء لجماله .

وقول خالد بن حقّ :

تمخضت المنون له بيوم　　أنى ؛ ولكل حاملة تِمام

المنون : المنية ، وهو أيضاً من أسماء الدهر ، وهو من مننت الحبل إذا قطعته ، وفعول إذا كان بمعنى فاعل ، لم تدخل التاء فى مؤنثه لسر بديع ذكرناه فى غير هذا الكتاب ، فيقال : امرأة صبور وشكور ، فمعنى المنون : المقطوع ، وتمخضت أى : حملت ، والمخاض : الحمل ، ووزنه : فَعال ، ومخاضة الماء . ومخاضة وزنه : مفعل من الخوض .

---

(١) الأبناء : أبناء الفرس الذين استوطنوا اليمن .

إسلام باذان : قال الزهرى : فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه ، وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت الرسل من الفرس لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى من نحن يارسول الله ؟ قال : « أنتم منا وإلينا أهل البيت » .

قال ابن هشام : فبلغنى عن الزهرى أنه قال : فمن ثم قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت » .

قال ابن هشام : فهو الذى عنى سطيح بقوله : « نبى زكى ، يأتيه الوحى من قبل العلى » . والذى عنى شق بقوله : « بل ينقطع برسول مرسل ، يأتى بالحق والعدل ، من أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل »

كتاب الحجر الذى فى اليمن : قال ابن إسحاق : وكان فى حَجَر باليمن — فيما يزعمون — كتاب بالزبور

وقوله : أنى أى : حان ، وقد قلبوه ، فقالوا : آن يئين ، والدليل على أن آن يئين مقلوب من : أنَى يأنِى ، قوله : آناء الليل ، وواحدها : إنًى وأنًى وإنْىٌ ، فالنون مقدمة على الياء فى كل هذا ، وفى كل ما صرف منه نحو : الإناء ، والآنى : الذى بلغ أناه أى : منتهى وقته فى التسخين . وهذا المعنى كقولهم فى المثل : الدهر حُبلى لا يدرى ما تضع ، إن كان أراد بالمنون فى البيت : الدهر ، وإن كان أراد بالمنون : المنية ، فبعيد أن يقال : تمخضت المنون له بهذا اليوم الذى مات فيه ، فإن موته : منيته ، فكيف تتمخض المنية بالمنية إلا أن يريد أسبابها ، وما مُنِى له ، أى : قُدّر من وقتها ، فتصح الاستعارة حينئذ ، ويستقيم التشبيه .

وقول ابن حق : وكسرى إذ تقسمه بنوه . وإنما كان قتله على يدى ابنه شيرويه ، لكن ذكر بنيه لأن بدء الشر بينه وبينهم أن ابنه فرخان رأى فى النوم : أنه قاعد على سرير الملك فى موضع أبيه، فبلغ أباه ذلك،فكتب إلى ابنه شهريار — وكان والياً له على بعض البلاد : أن اقتل أخاك فرخان ، فأخفى شهريار الكتاب من أخيه ، فكتب إليه مرة أخرى ، فأبى من ذلك ، فعزله وولى فرخان ، وأمره بقتل شهريار ، فعزم على ذلك ، فأراه شهريار الكتاب الذى كتب له أبوه فيه . فتواطآ عند ذلك على القيام على أبيهما ، وأرسلا إلى ملك الروم يستعينان به فى خبر طويل ، فكان هذا بدء الشر ، ثم إن الفرس خلعت كسرى لأحداث أحدثها ، وولت ابنه شيرويه ، فكان كسرى أبرويز ربما أشار برأى من محبسه ، فقالت المرازبة لشيرويه : لا يستقيم لك الملك إلا أن تقتل أباك ، فأرسل إليه من يقتله ، فيقال : إنه كان يضرب بالسيف ، فما يعمل فيه شيئا ، ففتش فوجد على عضده حجر معلق كالخرزة ، فنزع فعملت فيه السلاح ، وكان قبل يقول لابنه : يا قصير العمر ، فلم يدم أمره بعده إلا أقل من ستة أشهر — فيما ذكروا — والله أعلم .

كتاب الحجر الذى فى اليمن : وقوله : وجد بحجر باليمن : لمن مُلْكُ ذِمار .

وحكى ابن هشام عن يونس ذمار بفتح الذال ، فدل على أن رواية ابن إسحاق بالكسر ، فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف ؛ لأنه اسم لمدينة ، والغالب عليه التأنيث ، ويجوز صرفه أيضا ؛ لأنه اسم بلد ، وإذا فتحت الذال ، فهو مبنى مثل : رقاش وحذام ، وبنو تميم يعربون مثل هذا البناء فيقولون : رَقاشُ وحذامُ فى

كتب فى الزمان الأول : « لمن مُلْك ذِمار ؟ لحمير الأخيار ، لمن ملك ذمار ؟ للحبشة الأشرار ، لمن ملك ذمار ؟ لفارس الأحرار ، لمن ملك ذمار ؟ لقريش التجار » .

وذمار : اليمن أو صنعاء ، قال ابن هشام : ذمار : بالفتح ، فيما أخبرنى يونس .

الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح : قال ابن إسحاق : وقال الأعشى — أعشى بنى قيس بن ثعلبة فى وقوع ما قال سطيح وصاحبه :

ما نظرتْ ذات أشفار كنظرتها حقا كما صدق الذئبيُّ إذ سجعا

وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبي ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب .

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له .

الرفع ، ورقاشَ وحذامَ فى النصب والخفض يعربونه ، ولا يصرفونه ، فإذا كان لام الفعل راء اتفقوا مع أهل الحجاز على البناء والكسر . وذمار : من ذمرت الرجل إذا حرَّضته على الحرب .

وقوله : لحمير الأخيار ؛ لأنهم كانوا أهل دين ، كما تقدم فى حديث فيميون وابن الثامر .

وقوله : لفارس الأحرار ؛ فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت فى زعمهم إلى أن جاء الإسلام ، لم يدينوا للملك من غيرهم ، ولا أدوا الإتاوة لذى سلطان من سواهم فكانوا أحراراً لذلك .

وأما قوله للحبشة الأشرار : فلما أحدثوا فى اليمن من العيْث والفساد وإخراب البلاد ، حتى هموا بهدم بيت الله الحرام ، وسيهدمونه فى آخر الزمان[1] إذا رفع القرآن ؛ وذهب من الصدور الإيمان ، وهذا الكلام المسجع ذكره المسعودى منظوما :

حين شيدت ذَمَار قيل : لمن أنـ ـت فقالت : لحـمـير الأخيار

ثم سيلت : من بعد ذاك؟ فقالت : أنا للحبش أخبث الأشـرار

ثم قالوا من بعد ذاك : لمن أنـ ـت ؟ فقالت : لفارس الأحرار

ثم قالوا من بعد ذاك : لمن أنـ ـت ، فقالت: إلى قريش التجَّار

وهذا الكلام الذى ذكر أنه وجد مكتوبا بالحجر هو — فيما زعموا — من كلام هود — عليه السلام — وجد مكتوبا فى منبره ، وعند قبره حين كشفت الريح العاصفة عن منبره الرمل ، حتى ظهر ، وذلك قبل ملك بلقيس بيسير ، وكان خطه بالمُسْنَد ، ويقال : إن الذى بنى ذمار هو شمر بن الأملوك ، والأملوك هو : مالك ابن ذى المنار . ويقال : ذمار وظفار ، ومنه المثل : من دخل ظفار حَمَّر ، أى تكلم بالحميرية .

زرقاء اليمامة : وذكر قول الأعشى :

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها . البيت

يريد : زرقاء اليمامة ، وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام ، وقد تقدم طرف من ذكرها فى خبر جديس وطسم ، وقبل البيت :

---

(١) يشير بذلك إلى حديث : « اتركوا الحبشة ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة » . وقد رواه أبو داود بسند ضعيف .

قصة ملك الحضر

قال ابن هشام : وحدثنى خلاّد بن قُرّة بن خالد السدوسى عن جنّاد ، أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب : أنه يقال : إن النعمان بن المنذر من ولد ساطِرون ملك الحضر . والحضر : حصن عظيم كالمدينة ، كان على شاطىء الفرات ، وهو الذى ذكر عدى بن زيد فى قوله :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـلة يُجبى إليه والخابور

شاده مرمراً وجلله كِلْساً فللطير فى ذراه وكور

لم يَهَبْه ريب المنون فبان الـملك عنه فبابه مهجور

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

والذى ذكره أبو دواد الإيادىّ فى قوله :

وأرى الموت قد تدلى من الحضـر على رب أهله السّاطرون

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إنها لخلف الأحمر ، ويقال : لحماد الراوية .

سابور يستولى على الحضر : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون ملك الحضر ، فحصره سنتين ، فأشرفت بنت ساطرون يوما ، فنظرت إلى سابور ، وعليه ثياب ديباج ، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلا ، فدست إليه : أتتزوجنى إن فتحت لك باب الحضر؟ فقال : نعم ، فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر . وكان لا يبيت إلا سكران ، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه ، فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب ، فدخل

قالت : أرى رجلا فى كفه كتِف أو يخصف النعل لهفى أيّة صنعا

فكذبوها بما قالت ، فصبّحهم ذو آل حسان يُزجى الموتَ والسّلعا[1]

وكان جيش حسان هذا قد أمروا أن يُخيّلوا عليها بأن يمسك كل واحد منهم نعلا كأنه يخصفها ، وكتفاً كأنه يأكلها ، وأن يحملوا على أكتافهم أغصان الشجر ، فلما أبصرتهم ، قالت لقومها : قد جاءتكم الشجر ، أو قد غزتكم حمير ، فقالوا : قد كبرت وخرفت ، فكذبوها ، فاستبيحت بيضتهم[2] ، وهو الذى ذكر الأعشى .

خبر الحضر والساطرون

ذكر فيه قول من قال : إن النعمان من ولد الساطرون ، وهو صاحب الحضر . قال المؤلف : فنذكر شرح قصة الحضر وصاحبه ، وما قيل فى ذلك ملخصا بعون الله . الساطرون بالسريانية : هو الملك ، واسم الساطرون : الضّيزَن بن معاوية . قال الطبرى : هو جُرْمُقانى ، وقال ابن الكلبى : هو قضاعى من العرب الذين تنخّوا بالسواد ، فسموا : تنوخ ، أى : أقاموا بها ، وهم قبائل شتى ، ونسبه ابن الكلبى ، فقال : هو ابن معاوية بن عبيد ، ووجدته بخط أبى بحر : عُبيد بضم العين بن أجرَم من بنى سَليح بن حُلْوان بن الحاف بن قضاعة ، وأمه : جَيْهَلَة ، وبها كان يعرف ، وهى أيضا قضاعية من بنى تَزيد الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية .

وذكر قول أبى دواد :

وأرى الموت قد تدلى من الحضـر على رب أهله الساطرون

---

(١) يخصف النعل : يصلحها . والسلع : شجر مر ينبت باليمن . (٢) بيضتهم : حماهم .

سابور ، فقتل ساطرون ، واستباح الحضر وخربه ، وسار بها معه فتزوجها ، فبينا هى نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تتململ لا تنام ، فدعا لها بشمع ، ففتش فراشها ، فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها سابور : أهذا الذى أسهرك ؟ قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك؟ قالت : كان يفرش لى الديباج ، ويلبسنى الحرير ، ويطعمنى المخ ، ويسقينى الخمر ، قال : أفكان جزاء أبيك ماصنعت به ؟ أنت إلىّ بذلك أسرع ، ثم أمر بها ، فربطت قرون رأسها بذنب فرس ، ثم ركض الفرس ، حتى قتلها ، ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

واسم أبى داود : جارية بن حجاج ، وقيل : حنظلة بن شرقىّ وبعد هذا البيت :

صرعته الأيام من بعد مُلك ونعيم وجوهر مكنون

وكان الضيزن من ملوك الطوائف ، وكان يقدمهم إذا اجتمعوا لحرب عدو من غيرهم ، وكانت الحضر بين دجلة والفرات ، وكان ملكه يبلغ أطراف الشام ، وكان سابور قد تغيب عن العراق إلى خراسان ، فأغار الضيزن على بلاده بمن معه من العرب ، فلما قفل سابور ، وأخبر بصنع الضيزن نهد إليه ، وأقام عليه أربع سنين .

استيلاء سابور على الحضر وسببه : وذكر الأعشى فى شعره ٭ حولين لا يقدر على فتح الحصن ٭ وكان للضيزن بنت اسمها : النضيرة ، وفيها قيل :

أقفر الحضر من نضيرة فالمـ ـرباع منها فجانب الثرثار[1]

وكانت سنتهم فى الجارية إذا عَرَكت أى : حاضت ، أخرجوها إلى ربض المدينة[2] ، فعركت النضيرة ، فأخرجت إلى ربض الحضر ، فأشرفت ذات يوم فأبصرت سابور — وكان من أجمل الناس — فهويته فأرسلت إليه أن يتزوجها ، وتفتح له الحضر ، واشترطت عليه ، والتزم لها ما أرادت ، ثم اختلف فى السبب الذى دلت عليه ، فقال ابن إسحاق مافى الكتاب ، وقال المسعودى : دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء إلى الحضر ، فقطع لهم الماء ، ودخلوا منه .

وقال الطبرى : دلته على طلسم كان فى الحضر ، وكان فى علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء ، وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ، ثم ترسل الحمامة ، فتنزل على سور الحضر ، فيقع الطلسم ، فيفتح الحضر ، ففعل سابور ذلك ، فاستباح الحضر ، وأباد قبائل من قضاعة كانوا فيه ، منهم : بنو عبيد رهط الضيزن ، لم يبق منهم عقب ، وحرق خزائن الضيزن ، واكتسح ما فيها ، ثم قفل بنضيرة معه ، وذكر الطبرى فى قتله إياها حين تململت على الفراش الوثير . ولين الحرير : أنه قال لها : ما كان يصنع بك أبوك ؟ فقالت : كان يطعمنى المخ والزبد وشُهْد أبكار النحل وصفو الخمر . وذكر أنه كان يرى مخها من صفاء بشرتها ، وأن ورقة الآس أدمتها فى عكنها ، وأن الفراش الذى نامت عليه كان من حرير حشوه القز . وقال المسعودى : كان حشوه زغب الطير ، ثم اتفقوا فى صورة قتلها كما ذكر ابن إسحاق غير أن ابن إسحاق قال : كان المستبيح للحضر سابور ذو الأكتاف ، وجعله غير سابور بن أزدشير بن بابك ، وقد تقدم أن أزدشير هو أول من جمع ملك فارس ، وأذل ملوك الطوائف ، حتى دان الملك له ، والضيزن : كان من ملوك الطوائف ، فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذى الأكتاف ، وهو

---

(١) المرباع : الوادى ينبت فى أول الربيع . والثرثار : نهر .

(٢) ربض المدينة : ما حولها .

قول أعشى قيس فى قصة الحضر :

ألم تر للحضر إذ أهله بنُعْمَى ، وهل خالد مَن نَعِم
أقام به شاهبور الجنو د حولين تضرب فيه القُدُم
فلما دعا ربه دعوة أناب إليه فلم ينتقم

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

سابور بن هرمز، وهو ذوالأكتاف ؛ لأنه كان بعدسابور الأكبر بدهر طويل ، وبينهم ملوك مسمَّون فى كتب التاريخ ، وهم : هرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام الثالث ، ونرسى بن بهرام ، وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم .

وقول الأعشى : شاهبور الجنود بخفض الدال يدل على أنه ليس بشاهبور ذى الأكتاف ، وأما إنشاده لأبيات عدى بن زيد : وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة يجبى إليه والخابور[1]

فللشعر خبر عجيب : حدثنا إجازة القاضى الحافظ أبو بكر، عن ابن أيوب ، عن البَرْقَانِىّ ، عن أبى الحسن على بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر الأزرق يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول ، قال : حدثنى جدى ، قال : حدثنى أبى ، عن إسحاق بن زياد من بنى سلمة بن لؤى ،عن شبيب بن شيبة ، عن خالد بن صفوان بن الأهتم ، قال: أوفدنى يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك فى وفدالعراق قال : فقدمت عليه ، وقد خرج مُتبديا بقرابته وأهله وحشمهوغاشيته من جلسائه[2] ، فنزل فى أرض قاع صحصح متنايف أفيح فى عام بَكَّرَ وَسْمِيه، وتتابع وَلِيُّه[3] ، وأخذت الأرض زينتها من اختلاف أنوار نَبْتِها من نوْر ربيع مونق ، فهو أحسن منظراً ، وأحسن مستنظرا، وأحسن مُختبرا بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، حتى لوأن قطعة ألقيت فيه لم تترب قال : وقد ضرب له سرادق من حِبَرَة[4] كان صنعه له يوسف بن عمر باليمن ، فيه فسطاط ، فيه أربعة أفرشة من خز أحمر ، مثلها مرافقها[5] وعليه دراعة من خز أحمر ، مثلها عمامتها ، قال : وقد أخذ الناس لمجالسهم ، فأخرجت رأسى من ناحية الطاق ، فنظر إلى شبه المستنطق ، فقلت : أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمة سوغكها بِشُكر ، وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشدا ، وعاقبة ما تئول إليه حمدا ، وأخلصه لك بالتقى ، وكثره لك بالنماء ، ولا كدر عليك منه ما صفا ، ولا خالط سروره الردى ؛ فقد أصبحت للمسلمين ثقة ومُستراحا . إليك يقصدون فى أمورهم ، وإليك يفزعون فى مظالمهم ، وما أجد يا أمير المؤمنين شيئا — جعلنى الله فداءك — هو أبلغ فى قضاء حقك وتوقير مجلسك مما منّ الله به علىّ من مجالستك ، والنظر إلى وجهك من أن أذكّرك نعم الله عليك ، وأنبهك لشكرها ، وما أجد يا أمير المؤمنين شيئا هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك ، فإن أذن لى أمير المؤمنين أخبرته عنه . قال : فاستوى

---

(١) الأبيات صفحة ٩١ من هذا الجزء .

(٢) حشمه : خاصته ، والغاشية الزوار والأصدقاء . (٣) القاع : المستوى من الأرض : صحصح : الأرض الواسعة المستوية ذات الحصى الصغار . متنايف : مرتفع مشرف على غيره . أفيح : واسع . بكر : بادر ، الوسمى . مطر الربيع الأول ، والولى : المطر الذى يليه .

(٤) حبرة : برد يمانى (٥) الفسطاط : بيت من الشعر ، والمرافق : جمع مرفق : ما يتكأ عليه .

. . . .

جالساً ـ وكان متكئاً ـ ثم قال : هات ياابن الأهتم ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن ملكا من الملوك قبلك خرج فى عام مثل عامنا هذا إلى الخورنق والسدير فى عام قد بكّر وَسْمِيُّه ، وتتابع وَلِيُّه ، وأخذت الأرض فيه زينتها من نَوْر ربيع مُونق ، فهو فى أحسن منظر وأحسن مستنظر ، وأحسن مختبر، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، حتى لو أن قطعة ألقيت فيه لم تترب . قال : وقد كان أعطى فتاء السن مع الكثرة والغلبة والقهر ، قال : فنظر فأبعد النظر ، فقال لجلسائه : لمن هذا ؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ هل أعطى أحد مثل ما أعطيت ؟ قال : وعنده رجل من بقايا حَمَلة الحجة ، والمضى على أدب الحق ومنهاجه . قال : ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته فى عباده ، فقال : أيها الملك إنك قد سألت عن أمر : أفتأذن فى الجواب عنه ؟ قال : نعم . قال : أرأيت ما أنت فيه : أشىء لم تزل فيه ، أم شىء صار إليك ميراثاً من غيرك ، وهو زائل عنك ، وصائر إلى غيرك ، كما صار إليك ميراثا من لَدُنْ غيرك ؟ قال : فكذلك هو . قال : فلا أراك [إلا] أعجبت بشىء يسير تكون فيه قليلا ، وتغيب عنه طويلا ، وتكون غدا بحسابه مرتهناً . قال : ويحك! فأين المهرب ؟ وأين المطلب ؟ قال : إماأن تقيم فى ملكك، تعمل فيه بطاعة ربك على ما ساءك وسرك ،ومَضَّك وأرمضك(١) ، وإما أن تضع تاجك ،وتضع أطمارك ، وتلبس أمساحك (٢) ، وتعبد ربك فى هذا الجبل حتى يأتيك أجلك . قال : فإذا كان فى السحر فاقرع علىّ بابى ، فإنى مختار أحد الرأيين ، فإن اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً ، لا تُعصى ، وإن اخترت خلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفيقا ، لا تخالف . قال : فقرع عليه بابه عند السحر ، فإذا هو قد وضع تاجه . ولبس أمساحه، وتهيأ للسياحة ، قال . فلزما ـ والله ـ الجبل حتى أتتهما آجالهما ، وهو حيث يقول أحد بنى تميم : عدى بن زيد ابن سالم المرى العدوى :

أيها الشامت المعير بالدهر أأنت المبرء الموفور ؟!
أم لديك العهد الوثيق من الأيام ؟! بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن ، أم من ذا عليه من أن يُضام خَفير !
أين كسرى كسرى الملوك أنوشروان أم أين قبله سابور ؟!
وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم ؟! لم يبق منهمُ مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تُجبى إليه والخابور
شاده مرمراً ، وجلله كلسا فللطير فى ذراه وكور
لم يَهَبْهُ ريب المنون فبان الملك عنه ، فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوما ، وللهدى تفكير
سرّه ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه ، وقال : وما غبطة حى إلى الممات يصير ؟!
ثم بعد الفلاح والملك والإمة(٣) وارتهم هناك القبور

قال فبكى هشام حتى أخضل لحيته ، وبلّ عمامته ، وأمر بنزع أبنيته ، وبنقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته

---

(١) مضك : آلمك . وأرمضك : أوجعك .

(٢) الأطمار : الأثواب الخلقة، والأمساح : الكساء من الشعر . (٣) الإمة : النعمة .

قول عدي بن زيد : وقال عدى بن زيد فى ذلك :

والحضر صابت عليه داهية … من فوقه أيّـدٌ مناكبها
ربيّة لم تُـوَق والدها … لِحَيْـنِها إذ أضاع راقبها
إذ غبقته صهباء صافية … والخمر وهـل يهيم شاربها
فأسلمت أهلها بليلتها … تظن أن الرئيس خاطبها
فكان حظ العروس إذ جشر الصـــبح … دماً. تجرى سبائبها
وخُـرِب الحضر،واستُبيح، وقد … أحرق فى خدرها مشاجبها

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

من جلسائه ، ولزم قصره . قال : فأقبلت الموالى والحشم على خالد بن صفوان بن الأهتم ، وقالوا : ما أردت إلى أمير المؤمنين ؟ ! أفسدت عليه لذته ، ونغصت عليه مأدبته . قال : إليكم عنى ؛ فإنى عاهدت الله عهداً ألا أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل .

والذى ذكره عدى بن زيد فى هذا الشعر هو : النعمان بن امرىء القيس جد النعمان بن المنذر ، وأول هذا الشعر :

أرواح مودع أم بكور … لك فانظر لأى ذاك تصير

قاله عدى ، وهو فى سجن النعمان بن المنذر ، وفيه قُتل وهو : عـدِيُّ بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب ابن محروب بن عامر بن عُـصية بن امرىء القيس بن زيدبن مناة بن تميم . وقال عمرو بن آلة بن الخنساء :

ألم ينبئك والأنباء تَنمى … بمـا لاقت سراة بنى العبيد
ومصرع ضيزن وبنى أبيه … وأحلاس(١) الـكتائب من تزيد
أتاهم بالفيول مجللات … وبالأبطال سابور الجنود
فهدم من أواسى الحضر صخراً … كأن ثقاله زبر الحديد(٢)

وقال الأعشى :

أقام به شاهبور الجنو … د حولين تضرب فيه القُدُمْ

وقد قدمنا أن شاهبور معناه : ابن الملك ، وأن بور هو : الابن بلسانهم ، وفى هذا البيت دليل على ما قلناه من أن سابور مغير عن شاهبور . والقدم : جمع قدوم ، وهو الفأس ونحوه ، والقدوم : اسم موضع أيضاً اختتن فيه إبراهيم عليه السلام الذى جاء فى الحديث أن إبراهيم اختتن بالقدوم مخفف أيضا : وقد روى فيه التشديد. وبعده

فهل زاده ربه قوة … ومثل مجاوره لم يقم
وكان دعا قومه دعوة … هلموا إلى أمركم قد صرم
فموتوا كراما بأسيافكم … أرى الموت يجشمه من جشم

---

(١) الأحلاس : الشجعان .
(٢) الأواسى : ما أسس من بنيان فأحكم أصله . وزبر : القطع الضخمة .

ذكر ولد نزار بن معد

قال ابن إسحاق : فولد نزار بن معد ثلاثة نفر : مضر بن نزار ، وربيعة بن نزار ، وأنمار بن نزار .

وفى الشعر : وهل خالد من نَعِمْ . يقال : نعم يَنْعِم وَيَنْعَم مثل حسب يحسب ويحسب . وفى أدب الكاتب أنه يقال : نعم يَنْعُمُ مثل فضل يفضل . حكى ذلك عن سيبويه ، وهو غلط من القتبى ، ومن تأمله فى كتاب سيبويه تبين له غلط القتبى ، وأن سيبويه لم يذكر الضم إلا فى فَضل يفضُل .

وقول عدى بن زيد : رَبِيَّة لم تُوقِّ والدها . يحتمل أن تكون فعيلة من ربيت ، إلا أن القياس فى فعيلة بمعنى مفعولة أن تكون بغير هاء ، ويحتمل أنه أراد معنى الربو والنماء ، لأنها ربت فى نعمة فتكون بمعنى فاعلة ، ويكون البناء موافقا للقياس ، وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد : ربيئة بالهمز ، وسهل الهمزة فصارت ياء ، وجعلها ربيئة ، لأنها كانت طليعة حيث اطلعت ، حتى رأت سابور وجنوده ، ويقال للطليعة ذكراً كان أو أنثى: ربيئة ، ويقال له : رباء على وزن فعال وأنشدوا :

ربناء شماء لا يأوى لقلتها — البيت

وقوله أضاع راقبها ، أى أضاع المربأة الذى يرقبها ويحرسها ، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أى : أضاعها حافظُها .

وقوله : والخمر وَهْل . يقال : وهِل الرجل وهِلا ووَهَلا إذا أراد شيئاً ، فذهب وهمه إلى غيره . ويقال فيه : وهم أيضا بفتح الهاء ، وأما وهم بالكسر ، فمعناه : غلط ، وأوهم بالألف معناه : أسقط .

وقوله : سبائبها . السبائب جمع : سبيبة ، وهى كالعمامة أو نحوها ، ومنه السِّب وهو : الخمار .

وقوله : فى خِدرها مشاجبها . المشاجب : جمع مشجب ، وهو ما تُعلَّق منه الثياب ، ومنه قول جابر : وإن ثيابى لعلى المشجب . وكانوا يسمون القربة : شَجْباً ، لأنها جلد ماء قدشجب أى : عطب ، وكانوا لايمسكون القربة وهو الشجب إلا معلَّقة ، فالعُود الذى تعلق به هو المشجب حقيقة ، ثم اتسعوا ، فسموا ما تعلق به الثياب مشجباً تشبيها به .

وفى شعر عدى المتقدم ذكر الخابور ، وهو واد معروف ، وهو فاعول من خبرت الأرض إذا حرثتها ، وهو واد عظيم عليه مزارع . قالت ليلى أخت الوليد بن طريف الخارجى الشيبانى ، حين قتل أخوها الوليد . قتله يزيد ابن مزيد الشيبانى أيام الرشيد ، فلما قتل قالت أخته :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تحزن على ابن طريف
فقدناه فقدان الربيع وليتنا فديناه من ساداتنا بألوف

وأما الخافور بالفاء فنبات تخفِز ريحُه أى : تقطع شهوة النساء ، كما يفعل الشَّحبَق ، ويقال له المرو ، وبهذا الاسم يعرفه الناس ، وهو الزَّغْبَر أيضا .

ذكر نزار بن معد ومن تناسل منهم

قد ذكرنا أولاد معد العشرة فيما تقدم ، فأما مضر فقد تقدم ذكره فى عمود نسب النبى - صلى الله عليه وسلم - وذكرنا أنه أول من سن حُداء الإبل ، وسببه - فيما ذكروا - أنه سقط عن بعير ، فوثبت يده ، وكان أحسن

قال ابن هشام : وإياد بن نزار . قال الحارث بن دوس الإيادى ، ويروى لأبى دُوَاد الإيادى ، واسمه : جارية ابن الحجاج :

وفُتُوٌّ حسن أوجُهُهم من إياد بن نزار بن معد

وهذا البيت فى أبيات له .

فأم مضر وإياد : سَوْدَة بنت عك بن عدنان . وأم ربيعة وأنمار : شُقَيقة بنت عك بن عدنان ، ويقال : جُمْعة بنت عك بن عدنان .

أولاد أنمار : قال ابن إسحاق : فأنمار : أبو خثعم وبجيلة . قال جرير بن عبد الله البجلى وكان سيد بجيلة ، وهو الذى يقول له القائل :

لولا جرير هلكت بجيله نعم الفتى ، وبئست القبيلة !!

الناس صوتاً ، فكان يمشى خلف الإبل ، ويقول : وايدياه وايدياه ، يترنم بذلك فأعنقت الإبل ، وذهب كلالها ، فكان ذلك أصل الحداء عند العرب ، وذلك أنها تُنشَّط بحدائها الإبل ، فتسرع .

وأما أنمار بن نزار ، وهو أبو بجيلة وخثعم فسمى : بالأنمار جمع نَمِر ، كما سموا بسباع وكلاب ، وأم بنيه : بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ولد له من غيرها أفتل[١] وهو : خثعم ، وولدت له عبقر فى خمسة عشر ، سماهم أبو الفرج ، عنهم تناسلت قبائل بجيلة وهم : وداعة وخزيمة وصهيبة والحارث ومالك وشيبة وطريفة وفهم والغوث وسهل وعبقر وأشهل كلهم بنى أنمار ، ويقال : إن بجيلة حبشية حضنت أولاد أنمار الذين سَمَّينا ، ولم تحضن أفتل ، وهو : خثعم . فلم يُنْسب إليها . روى الترمذى من طريق فروة بن مُسَيْك ، أنه لما أنزل الله فى سبأ ما أنزل ، قال رجل : يارسول الله ما سبأ : امرأة أم أرض ؟ قال : ليس بامرأة ولا أرض ، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب ، فتيامن منهم ستة ، وتشاءم أربعة[٢] ، فأما الذين تشاءموا . فلخم وجذام وعاملة وغسان ، وأما الذين تيامنوا : فالأزد والأشعرون وحمير ومذحج وكندة وأنمار ، قال الرجل : ومن أنمار ؟ قال : الذين منهم خثعم وبجيلة . وقوله :

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبئست القبيلة

قال لما سمع هذا : ما مُدح رجل هُجى قومه : وجرير هذا هو : ابن عبد الله بن جابر ، وهو ، الشُّلَيْل ابن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن جذيمة فصيلة من الجذم - عن ابن دريد ، قاله أبو على البغدادى - ابن حرب بن عدى بن مالك بن سعد بن يزيد بن قَسْر ، وهو مالك بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث ، يكنى : أبا عمرو ، وقيل : أبا عبد الله ، وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يطلع عليكم خير ذى يَمَن ، عليه مَسحة ملك » وكان عمر يسميه : يوسف هذه الأمة ، وكان من مقبلى الظعن ، وكانت نعله : طولها : ذراع فيما ذكروا .

---

(١) ويقال : أقبل وأقيل .

(٢) تيامن : رحل إلى اليمن وعاش فيها . وتشاءم : رحل إلى الشام وعاش فيها .

وهو ينافر الفُرافِصة الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمى :

يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك إن تَصْرع أخاك تُصرع

قال :

ابنَىْ نزار انصرا أخاكما إن أبى وجدته أباكما

لن يُغلب اليوم أخ والاكما

وقد تيامنت ، فلحقت باليمن .

قال ابن هشام: قالت اليمن : وبجيلة : أنمار بن إراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ . ويقال : إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث . ودار بجيلة وخثعم : يمانية .

ولدا مضر : قال ابن إسحاق : فولد مضر بن نزار رجلين : الياس بن مضر ، وعيلان بن مضر . قال ابن هشام : وأمهما : جرهمية.

ومن النذير بن قسر: العرنيون الذين قدموا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاجْتَوَوا[1] المدينة، وحديثهم مشهور ، وهم بنو عَرَينة بن النذير ، أو بنو عرينة بن ربيعة بن نذير ، لأنهما عرينتان ، وأحدهما : عم الآخر .

وقال ابن إسحاق فى السيرة : من بنى قيس : كُبَّة من بجيلة .

وقوله : وهو ينافر الفُرافِصة الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمى . ينافر : أى يحاكم . قال قاسم بن ثابت : لفظ المنافرة مأخوذ من النَّفر ، وكانوا إذا تنازع الرجلان ، وادعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه ، تحاكموا إلى العلاّمة، فمن فضّل منهما قيل : نفره عليه أى : فضّل نفره على نفر الآخر : فمن هذا أخذت المنافرة. وقال زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نِفار أو جَلاء

والفرافصة بالضم : اسم الأسد ، وبالفتح اسم الرجل ، وقد قيل : كل فُرافصة فى العرب بالضم إلا الفَرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح .

وقوله: إنك إن تصرع أخاك تصرع . وجدت فى حاشية أبى بحر، قال: الأشهر فى الرواية : إن يُصرع أخوك، وإنما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط ؛ لأنه فى نية التقديم عند سيبويه . وهو على إضمار الفاء عند المبرد. وما ذكر فى أنمار من قول أهل اليمن يشهد له حديث الترمذى المتقدم .

وذكر أم الياس ، وقال فيها : امرأة من جُرهم ، ولم يسمها ، وليست من جرهم ، وإنما هى الرّباب بنت حَيْدَة بن معد بن عدنان فيما ذكر الطبرى ، وقد قدمنا ذلك فى نسب النبى — صلى الله عليه وسلم .

وأما عَيْلان أخو الياس ، فقد قيل : إنه قيس نفسه لا أبوه ، وسمى بفرس له اسمه : عيلان ، وكان يجاوره قيس كُبَّة من بجيلة عرف بكبة اسم فرسه، فُرّق بينهما بهذه الإضافة ، وقيل : عيلان اسم كلب له ، وكان يقال له:

---

(١) اجتووا : أى أصابهم الجوى : وهو مرض يصيب الناس إذا لم يوافقهم هوى المنزل . وهؤلاء القوم قد ارتدوا وقتلوا رعاة إبله صلى الله عليه وسلم .

أولاد الياس : قال ابن إسحاق : فولد الياس بن مضر ثلاثة نفر : مدركة بن الياس ، وطابخة بن الياس ، وقَمعة بن الياس ، وأمهم : خندف ، امرأة من اليمن .

قال ابن هشام : خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عمراً ، وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يرعيانها ، فاقتنصا صيداً ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعَدَتْ عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : أنت مدركة ، وقال لعمرو : وأنت طابخة .

وأما قَمَعة فيزعم نساب مضر : أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَىّ بن قمعة بن الياس .

حديث عمرو بن لحى وذكر أصنام العرب

عمرو بن لحي يجر قصبه فى النار : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال :

النّاس ، ولأخيه : الياس ، وقد تقدم فى أول الكتاب القول فى عمود نسب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وما فيه غنية من شرح تلك الأسماء .

وذكر مدركة وطابخة وقمعة وسبب تسميتهم بهذه الأسماء ، وفى الخبر زيادة ، وهو أن الياس قال لأمهم — واسمها ليلى ، وأمها : ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار التى ينسب إليها : حِمَى ضرية ، وقد أقبلت تُخَنْدف فى مشيتها : — مالك تخندفين ؟ فسميت : خندف ، والخندفة : سرعة فى مشى ، وقال لمدركة .

وأنت قد أدركتَ ما طلبتا

وقال لطابخة :

وأنت قد أنضجت ما طبختا

وقال لقَمَعة وهو عُمير :

وأنت قد قعدت فانقمعتا

وخِندف التى عُرف بها بنو الياس . وهى التى ضربت الأمثال بحزنها على الياس ، وذلك أنها تركت بنيها ، وساحت فى الأرض تبكيه : حتى ماتت كمداً ، وكان مات يوم خميس ، وكانت إذا جاء الخميس بكت من أول النهار إلى آخره فمما قيلَ من الشعر فى ذلك :

إذا مُؤْنِس لاحت خراطيم شمسه بكته به حتى ترى الشمس تغرب
فما رد بأساً حزنها وعويلها ولم يغنها حزن ونفس تعذَّبُ

وكانوا يسمون الخميس : مؤنساً. قال الزبير : وإنما نسب بنو الياس لأمهم ؛ لأنها حين تركتهم شغلا لحزنها على أبيهم ، رحمهم الناس فقالوا: هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم ، وهم صغار أيتام ، حتى عرفوا ببنى خندف . وأما عوانة بنت سعد بن قيس عيلان فسميت : العوانة ، وهى الناقة الطويلة .

حُدثت أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « رأيت عمرو بن لُحَىّ يجر قُصْبَه فى النار ، فسألته عمن بينى وبينه من الناس ، فقال : هلكوا » .

قال ابن إسحاق . وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمى أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة . قال ابن هشام : واسم أبى هريرة . عبد الله بن عامر ، ويقال اسمه : عبد الرحمن بن صخر — يقول :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجوْن الخزاعى : « يا أكثم ، رأيت عمرو بن لحى بن قَمَعَة بن خِندف يجر قصبه فى النار ، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ، ولا بك منه . فقال أكثم : عسى أن يضرنى شَبَهه يا رسول الله ؟ قال : لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من غير دين إسماعيل ، فنصب الأوثان ، وبحر البَحيرة وسيَّب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحَمَى الحامى » .

وذكر حديث عمرو بن لُحَىّ بن قَمَعة بن الياس ، وقد تقدم فى نسب خزاعة وأسلم أنهما ابنا حارثة بن ثعلبة ، وأن ربيعة بن حارثة هو أبو خزاعة من بنى أبى حارثة بن عامر ، لا من حارثة ، وسيأتى ذلك . وقول النبى — صلى الله عليه وسلم — لأسلم : « ارموا يا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان راميا » وهو معارض لحديث أكثم ابن الجون فى الظاهر ، إلا أن بعض أهل النسب ذكر : أن عمرو بن لحى كان حارثة قد خلف على أمه بعد أن آمت من قَمَعة ، ولحى صغير . ولحى هو : ربيعة ، فتبناه حارثة ، وانتسب إليه . فيكون النسب صحيحا بالوجهين جميعا : إلى حارثة بالتبنى ، وإلى قمعة بالولادة ، وكذلك أسلم بن أفصى بن حارثة ، فإنه أخو خزاعة ، والقول فيه كالقول فى خزاعة ، وقيل فى أسلم بن أفصى : إنهم من بنى أبى حارثة بن عامر ، لا من بنى حارثة ، فعلى هذا لا يكون فى الحديث حجة لمن نسب قحطان إلى إسماعيل ، والله أعلم . ومن حجة من نسب خزاعة إلى قمعة مع الحديث المذكور فى ذلك قول المعطل يخاطب قوما من خزاعة :

لعلكم من أسرة قَمَعِيَّة إذا حضروا الايشهدون المُعَرَّفا(١)

وقوله فى حديث أكثم الذى يرويه أبو هريرة . اسم أبى هريرة : عبد الله بن عمرو ، وقيل : عبد الرحمن بن صخر ، وقيل : هو الذى ذكره ابن هشام . وقال البخارى : اسمه : عبد شمس بن عبد نُهْم ، وقيل : اسمه عبد غَنْم ، ويحتمل أن يكون هذا اسمه فى الجاهلية ، فبدله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كما بدل كثيراً من الأسماء . وقد قيل : اسمه : يزيد بن عِشْرِقَة ، وقيل : كُرْدوس ، وقيل : سُكَيْن . قاله النفسوى ، وقيل غير هذا . وكناه أبا هريرة : رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — لهرة رآها معه ، وقد ذكر أن الهرة كانت وحشية .

وأما أكثم الذى ذكره ، فقد صرح فى حديثه بنسب عمرو والد خزاعة ، وذكره لقرة الشبه بين أكثم وبينه يدل على أنه نسب ولادة — كما تقدم ولا سيما على رواية الزبير ؛ فإن فيها أنه قال : رأيت عمرو بن لحى والد خزاعة يجر قصبه فى النار ، وقوله لأكثم : « إنك مؤمن ، وهو كافر » قد روى الحديث الحارث بن أبى أسامة فى مسنده أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال هذه المقالة فى حديث الدجال لعبد العُزّى بن قَطَن ، وأن عبد العزى قال : أيضرنى شبهى به يا رسول الله ؟ يعنى : الدجال ، فقال كما قال لأكثم : إنك مؤمن وهو كافر ، وأحسب هذا وهما فى الحديث ، والله أعلم . كما ذكره البخارى عن الزهرى . قال : ابن قَطَن رجل من خزاعة

---

(١) الموقف بعرفة .

عبادة الأصنام فى أرض العرب : قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لحى خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره ، فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق — وهم ولد عِملاق. ويقال : عِمْليق بن لاوذ بن سام بن نوح — رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدون؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها ، فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : أفلا تعطوننى منها صنما ، فأسير به إلى أرض العرب ، فيعبدوه ؟ فأعطوه صنما يقال له : هُبَل ، فقدم به مكة ، فنصبه ، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه .

سبب عبادة الأصنام : قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم ، حين ضاقت عليهم ، والتمسوا الفُسَح فى البلاد ، إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه ، فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خلف الخُلوف ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيرَه ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها : من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهَدْى البُدْن ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك » . فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ، ويجعلون ملكها بيده . يقول الله تبارك وتعالى لمحمد — صلى الله عليه وسلم — « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » أى ما يوحدوننى لمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا من خلقى .

أصنام قوم نوح : وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها ، قص الله — تبارك وتعالى — خبرها على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : « وقالوا : لا تَذَرُنَّ آلهتكم ، ولا تذرن وَدّاً ولا سُوَاعا ، ولا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ، وقد أضلوا كثيراً » .

هلك فى الجاهلية ، ولأكثم عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حديثان . أحدهما : « خير الرفقاء أربعة » وقد تكلمنا على معناه فى كتاب التعريف والإعلام . والآخر : « اغزُ مع غير قومك ، تحسن خلقك » ، قال الإسكاف فى كتاب فوائد الأخبار معنى هذا . لأن الرجل إذا غزا مع غير قومه تحفظ ولم يسترسل ، وتكلف من رياضة نفسه مالا يتكلفه فى صحبة من يثق باحتماله لنظرهم إليه بعين الرضى ، ولصحَّة إدلاله ، فلذلك تحسن خلقه لرياضة نفسه على الصبر والاحتمال ، فهذا حسن من التأويل. غير أن الحديث مختلف فى لفظه ، فقد روى فيه : « سافر مع قومك » ، وذكر الروايتين أبو عمر رحمه الله .

وذكر فى الحديث عمرو بن لحى ، وأنه أول من بحر البحيرة ، وقد روى أيضاً أن أول من بحر البحيرة : رجل من بنى مُدلج كانت له ناقتان ، فجدع آذانهما ، وحرم ألبانهما . قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فرأيته فى النار يخبطانه بأخفافهما ، ويَعَضّانه بأفواههما . وقال عليه السلام : « قد عرفت أول من سيَّب السائبة ، ونصب النصب : عمرو بن لحى رأيته يؤذى أهل النار بريح قُصْبه » رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر مرسلا، ولم يقع فى رواية البكائى عنه .

القبائل العربية وأصنامها : فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم ، وسموا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل : هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، اتخذوا سواعا ، فكان لهم برهاط [١] . وكلب ابن وبرة من قضاعة ، اتخذوا وَدًّا بدُومَة الجندل .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك الأنصارى :

ونَنسى اللات والعُزَّى ووَدًّا ونسلُبها القلائد والشُّنُوفَا

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله .

قال ابن هشام : وكلب بن وَبْرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

عباد يغوث : قال ابن إسحاق : وأنْعم من طيء ، وأهل جُرَش من مذحج اتخذوا يغوث بجرش .

قال ابن هشام . ويقال : أنعَم . وطيء بن أدد بن مالك ، ومالك : مذحج بن أُدَد ، ويقال ؛ طيء بن أدد ابن زيد بن كهلان بن سبأ .

أصل عبادة الأوثان

يقال لكل صنم من حجر أو غيره : صنم ، ولا يقال : وثن إلا لما كان من غير صخرة كالنحاس ونحوه ،

اللات وسبب عبادته : وكان عمرو بن لحى حين غلبت خزاعة على البيت ، ونفت جرهم عن مكة ، قد جعلته العرب رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ؛ لأنه كان يطعم الناس ، ويكسو فى الموسم ، فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة،وكساعشرة آلاف حلة، حتى ليقال : إنه اللاتُّ الذى :يلت السويق[٢] للحجيج على صخرةمعروفة تسمى : صخرة اللات ، ويقال إن الذى يلت كان من ثقيف ، فلما مات قال لهم عمرو ، إنه لم يمت ، ولكن دخل فى الصخرة ، ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بيتا يسمى : اللات ، ويقال : دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة،فلما هلك سميت تلك الصخرة : اللات مخففة التاء ، واتُّخذ صنما يعبد ، وقد ذكر ابن إسحاق ، أنه أول من أدخل الأصنام الحرم ، وحمل الناس على عبادتها ، وسيأتى ذكر إساف ونائلة ، وما كان منه فى أمرهما . وذكر أبو الوليد الأزرقى فى أخبار مكة أن عمرو بن لحى فقأ أعين عشرين بعيراً ، وكانوا يفقئون عين الفحل إذا بلغت الإبل ألفاً ، فإذا بلغت ألفين فقئوا العين الأخرى . قال الراجز :

وكان شُكْر القوم عند المنن كَىُّ الصحيحات وفقأ الأعين

وكانت التلبية من عهد إبراهيم : لبيك ، لا شريك لك لبيك ، حتى كان عمرو بن لحى ، فبينما هو يلبى تمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبى معه ، فقال عمرو : لبيك لا شريك لك ، فقال الشيخ : إلا شريكا هو لك ، فأنكر ذلك عمرو ، وقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ قل : تملكه وما مَلَك ، فإنه لا بأس بهذا ، فقالها عمرو ، فدانت بها العرب .

---

(١) رهاط : من أرض ينبع

(٢) طعام يصنع من الحنطة والشعير المدقوق .

عباد يعوق : قال ابن إسحاق : وخَيْوان بطن من همدان، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن.
قال ابن هشام : وقال مالك بن نمط الهمدانى :

يريش الله فى الدنيا ويَبْرى ولا يبرى يعوقُ ولا يريش

وهذا البيت فى أبيات له.

وذكر ابن إسحاق ما كان فى قوم نوح ومن قبلهم من عبادة الأصنام ، وتلك هى الجاهلية الأولى التى ذكرالله فى القرآن فى قوله : « ولا تَبَرَّجْنَ تبرج الجاهلية الأولى » وكان بدء ذلك فى عهد مهلايل بن قَيْنان فيما ذكروا. وقد ذكر البخارى عن ابن عباس قال : « صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد ، وهى أسماء قوم صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسونها أنصابا ، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتُنُوسخ العلم عَبدت ». وذكر الطبرى هذا المعنى وزاد : أن سواعا كان : ابن شيث ، وأن يغوث كان ابن : سواع ، وكذلك يعوق ونَسْر ، كلما هلك الأول صورت صورته ، وعُظِّمت لموضعه من الدين ، ولما عهدوا فى دعائه من الإجابة ، فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف ، وقالوا : ما عظم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر ، واتخذوها آلهة . وهذه أسماء سريانية وقعت إلى الهند، فسمَّوْا بها أصنامهم التى زعموا أنها صور الدرارى السبعة ، وربما كلمتهم الجن من جوفها ففتنتهم ، ثم أدخلها إلى العرب عمرو بن لحى كما ذكر أو غيره ، وعلمهم تلك الأسماء ، وألقاها الشيطان على ألسنتهم موافقة لما كانوا فى عهد نوح .

وذكر ابن إسحاق:أن كلب بن وَبْرة من قضاعة . وبرة بسكون الباء تقيد فى نسخة الشيخ ، وهى الأنثى من الوَبْر(١) اتخذوا ودا فى دومة الجندل ، ودومة هذه — بضم الدال — ذكروا أنها سميت بدُومى بن إسماعيل كان نزلها ، ودومة أخرى بضم الدال عند الكوفة ، ودَوْمة — بفتح الدال — أخرى مذكورة فى أخبار الرِّدة ، كذا وجدته للبكرى مقيدا فى أسماء هذه المواضع .

وذكر طىء بن أدَد ، أوابن مالك بن أدد على الخلاف : ومالك هو : مَذْحِج ، وسموا مذحجا بأكمة نزلوا إليها . وطى من الطاءة ، وهى بعد الذهاب فى الأرض . قاله ابن جنى ، ولم يرض قول القتبى إنه أول من طوى المناهل ، لأن طيئا مهموز ، وطويت غير مهموز .

وذكر جُرَش فى مَذحج . والمعروف أنهم فى حمير ، وأن مذحج من كهلان بن سبأ ، ويقال : إن الملك كان لكهلان بعد حمير، وأن ملكه دام ثلاثمائة سنة، ثم عاد فى بنى حمير، قاله المسعودى . وذكر الدارقطنى أن جَرَش وحُرَش بالحاء أخوان ، وأنهما ابنا عُلَيْم بن جناب الكلبى ، فهما قبيلان من كلب — والله أعلم .

وذكر مالك بن نمط الهمدانى ، وهو : أبو ثور ، يلقب : ذا المِشْعَار ، وهو من بنى خارف ، وقد قيل . إنه من يام بن أصى ، وكلاهما من همدان. وقوله :

يريش الله فى الدنيا ويبرى

هو من رِشتُ السهم وبريته ، استعير فى النفع والضر . قال سويد :

فَرِشْنى بخير طالما قد بَرَيْتَنى وخير الموالى من يريش ولا يبرى

---

(١) دويبة على قدر السنور غبراء أو بيضاء حسنة العينين .

قال ابن هشام : اسم همدان : أوْسَلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ . ويقال : أوسلة بن زيد بن أوسلة بن الخيار . ويقال : همدان بن أوسلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

عباد نسر : قال ابن إسحاق : وذو الكلاع من حمير ، اتخذوا نسراً بأرض حمير .

عباد عميانس : وكان لخولان صنم يقال له : عُميانِس بأرض خولان ، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم ، فما دخل فى حق عميانس من حق الله تعالى الذى سموه له تركوه له ، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه . وهم بطن من خولان ، يقال لهم : الأديم ، وفيهم أنزل الله — تبارك وتعالى — فيما يذكرون : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ،فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ، ساء ما يحكمون » .

قال ابن هشام : خوْلان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ويقال : خولان بن عمرو بن مرة بن أدد بن زيد ابن مِهسَع بن عمرو بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ،ويقال : خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مَذحِج .

عباد سعد : قال ابن إسحاق : وكان لبنى مِلْكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر صنم ، يقال له : سعد :صخرة بفلاة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل من بنى ملكان بإبل له مُؤَبَّلة ؛ ليقفها عليه ، التماس بركته — فيمايزعم — فلما رأته الإبل وكانت مرعية لا تُركَب ، وكان يُراق عليه الدماء نفرت منه ، فذهبت فى كل وجه ،وغضب ربها الملكانى ، فأخذ حجراً فرماه به ، ثم قال . لا بارك الله فيك ، نفَّرت علىّ إبلى ، ثم خرج فى طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعد ، ليجمع شملنا	فشتتنا سعد ، فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتَنُوفَة	من الأرض لا تدعو لغى ولا رشد

دوس وصنمهم : وكان فى دوس صنم لعمرو بن حُمَمَة الدوسى .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله .

ودوس بن عُدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد ابن الغوث . ويقال : دوس بن عبد الله بن زهران بن الأسد بن الغوث .

وذكر حديث المِلْكانى وقوله :

فشتتنا سعدٌ فلا نحن من سعد

ويمتنع فى العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر إلا مع تكرار : لا ، مثل : أن تقول لا زيد فى الدار ولا عمرو ، وذكر سيبويه قولهم : لا نَوْلُك أن تفعل ، وقال : إنما جاز هذا ؛ لأن معناه معنى الفعل ، أى : لا ينبغى لك أن تفعل ، وكذلك ينبغى أن يقال فى بيت الملكانى : أى : لم يقلها على جهة الخبر ، ولكن على قصد التبرى منه ، فكان معنى الكلام : فلا نتولى سعداً ، ولا ندين به ، فهذا الذى حسَّن دخول لا على الابتداء كما حسن : لا نولك .

عباد هبل : قال ابن إسحاق : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له : هُبَل .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه إن شاء الله فى موضعه .

إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافا ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندهما ، وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جُرْهم ـ هو : إساف بن بَغْى ونائلة بنت دِيك ـ فوقع إساف على نائلة فى الكعبة : فمسخهما الله حجرين .

حديث عائشة عن إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنها قالت : سمعت عائشة — رضى الله عنها — تقول : ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم ، أحدثا فى الكعبة : فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم .

وقوله : إلا صخرة بتَنُوفَة . التنوفة : القفر ، وجمعها : تنائف بالهمز ، ووزنها : فَعُولة ، ولو كانت تفعله من النَّوْف ، وهو الارتفاع لجمعت تناوف ، ولكنه لا يجوز أن تكون تفعلة إلا أن تحرك الواو بالضم ؛ لئلا يشبه بناء الفعل ، ولو قيل فيها : تنوفة بضم التاء لاحتمل حينئذ أن تكون فعوله أو تُفْعُله على مثال تنفلة ؛ إذ ليس فى الأفعال تُفعل بالضم ، وهذا من دقيق علم التصريف .

وأما مِلكان بن كنانة فبكسر الميم . قال أبو جعفر بن حبيب النسابة : كل شىء فى العرب فهو ملكان بكسر الميم ساكن اللام ، غير مَلَكان فى قضاعة ، وملكان فى السَّكُون ، فإنهما بفتح الميم واللام فملكان قضاعة هو : ابن جَرْم بن زَبَّان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وملكان السَّكون هو : ابن عباد بن عياض ابن عقبة بن السَّكون بن أشرس من كندة ، وكذلك قال الهمدانى فى ملكان بن جرم ، وقال : مثل غطفان ، وقال ابن حبيب : مشايخ خزاعة يقولون : ملكان بفتح اللام : قال أبو الوليد يعنى ابن حبيب : ملكان بن أفصى بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر . وذكر أبو على القالى فى أماليه عن أبى بكر بن الأنبارى ، عن أبيه ، عن أشياخه : أن كل ملكان فى العرب فهو ملكان بكسر الميم إلا ملكان فى جَرْم بن زَبَّان .

قال المؤلف : وابن حبيب النسابة مصروف اسم أبيه ، ورأيت لابن المغربى قال : إنما هو ابن حبيبَ بفتح الباء غير مجرى[1] ، لأنها أمه ، وأنكر ذلك عليه غيره ، وقالوا : هو حبيب بن المُحَبَّر معروف غير منكر ، وإنما ذكرناه هاهنا لما حكينا قوله فى ملكان .

وذكر إسافاً ونائلة ، وأنهما رجل وامرأة من جرهم ، وأن إسافاً وقع عليها فى الكعبة فمسخا ، وأخرجه رزين فى فضائل مكة عن بعض السلف : ما أمهلهما الله إلى أن يفجرا فيها ، ولكنه قَبَّلها ، فمسخا حجرين ، فأُخرجا إلى الصفا والمروة ، فنصبا عليهما ، ليكونا عبرة وموعظة ، فلما كان عمر بن لحى نقلهما إلى الكعبة ، ونصبهما على زمزم ، فطاف الناس بالكعبة وبهما ، حتى عُبدا من دون الله .

وأما هُبل فإن عمرو بن لحى جاء به من هيت ، وهى من أرض الجزيرة حتى وضعه فى الكعبة . وذكر الواقدى أن نائلة حين كسرها النبى — صلى الله عليه وسلم — عام الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها ، وتنادى بالويل والثُّبُور ، وذكر باقى الحديث .

---

(١) أى ممنوع من الصرف .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وحيث يُنيخ الأشعرون ركابهم ... بمُفْضَى السيول من إساف ونائل

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

فعل العرب مع أصنامهم : قال ابن إسحاق : واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به، فكان ذلك أول مايبدأ به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله رسوله محمداً — صلى الله عليه وسلم — بالتوحيد، قالت قريش : « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، إن هذا لشىء عُجاب » .

الطواغيت : وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدَنة وحجّاب ، وتهدِى لها كما تهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها ، وتنحر عندها ، وهى تعرف فضل الكعبة عليها ؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده .

العزى وسدنتها وحجابها : فكانت لقريش وبنى كنانة : العزى بنخلة ، وكان سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم، حلفاء بنى هاشم .

قال ابن هشام : حلفاء بنى أبى طالب خاصة ، وسُلَيْم : سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان .

قال ابن إسحاق : فقال شاعر من العرب :

لقد أُنكحتْ أسماء رأس بُقَيْرة ... من الأُدْم أهداها امرؤ من بنى غَنْم

رأى قدعا فى عينها إذ يسوقها ... إلى غَبْغَبِ العُزَّى فوسَّع فى القَسْم

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هديا قسموه فى من حضرهم . والغبغب : المنحر ، ومُهراق الدماء .

قال ابن هشام : وهذان البيتان لأبى خراش الهذلى واسمه : خويلد بن مرة فى أبيات له .

وقول عائشة : أحدثا فى الكعبة ، أرادت الحدث الذى هو الفجور كما قال — عليه السلام — : « من أحدث حدثاً ، أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله » وقال عمر حين كانت الزلزلة بالمدينة : أحدثتم . والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم .

وقول أبى طالب : من إساف ونائل ، هو ترخيم فى غير النداء للضرورة ، كما قال : أمال بن حنظل .

وذكر قول الشاعر : رأى قدعاً فى عينها . والقدع : ضعف البصر من إدمان النظر.

وقوله فى الغبغب : وهو المنحر ومراق الدم ، كأنه سمى بحكاية صوت الدم عند انبعاثه ، ويجوز أن يكون مقلوباً من قولهم : بئر بُغبغ وبغيبغ إذا كانت كثيرة الماء . قال الراجز :

بُغيبغ قصيرة الرِّشاء

من هم السدنة : والسدنة : الذين يقومون بأمر الكعبة . قال رؤبة بن العجاج :

فلا ورب الآمنات القُطَّن يعمرن أمناً بالحرام المأمن

بمحبس الهدى وبيت المَسدن

وهذان البيتان فى أرجوزة له ، وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه .

اللات وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدنتها وحجابها بنو معتِّب من ثقيف .

قال ابن هشام : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه .

مناة وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت مناة للأوس والخزرج ، ومن دان بدينهم من أهل يثرب ، على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّل بقُدَيْد .

قال ابن هشام : وقال الكميت بن زيد أحد بنى أسد بن مدركة :

وقد آلت قبائل لا تُولِّى مَنَاةَ ظهورها متحرفينا

وهذا البيت فى قصيدة له .

هدم مناة : قال ابن هشام : فبعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها ، ويقال : على بن أبى طالب .

ذو الخلصة وعباده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكان ذو الخَلَصَة لدوس وخثعم وبجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب بتَبَالة .

قال ابن هشام : ويقال : ذو الخُلُصة . قال . رجل من العرب :

لو كنت ياذا الخلص الموتورا مثلى وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل العُداة زورا

قال : وكان أبوه قُتِل ، فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الخلصة ، فاستقسم عنده بالأزلام ، فخرج السهم بنهيه عن ذلك ، فقال هذه الأبيات . ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حُجْر الكِنْدى . فبعث إليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — جرير بن عبد الله البجلى ، فهدمه .

فلس وعباده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكانت فِلْس[1] لطيء ومن يليها بجبلى طيء ، يعنى سَلْمى وأجأ .

ومنه قيل لعين أبى نَيْزَر : البغيبغة . ومعنى هذا البيت : الذم وتشبيه هذا المهجو برأس بقرة قد قربت أن يذهب بصرها ، فلا تصلح إلا للذبح والقسم .

وذكر قلساً[2] فى بلاد طيء بين أجأ وسَلْمَى . ويذكر عن ابن الكلبى أو غيره أن أجأ اسم رجل بعينه ،

---

(١) هكذا وجدته مضبوطا فى القاموس. وضبطه ابن الكلبي بفتح فسكون ، وضبطه ياقوت بضم الفاء واللام . وتروى فى بعض المراجع : فلسا .

(٢) يلاحظ أن ابن إسحاق أطلق عليها : فلسا .

قال ابن هشام : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث إليها على بن أبى طالب فهدمها ، فوجد فيها سيفين ، يقال لأحدهما : الرَّسوب ، وللآخر : المِخْذَم . فأتى بهما رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوهبهما له ، فهما سيفا على رضى الله عنه .

رئام : قال ابن إسحاق : وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له : رئام .

قال ابن هشام : قد ذكرت حديثه فيما مضى [1] .

رضاء وعبادة وهدمه : قال ابن إسحاق : وكانت رضاء بيتا لبنى ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ، ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها فى الإسلام :

ولقد شددت على رضاء شدة   فتركتها قفراً بقاع أسْحَما

قال ابن هشام : قوله :

فتركتها   قفراً   بقاع   أسحما

عن رجل من بنى سعد .

وهو : أجأ بن عبد الحى ، وكان فجر بسلمى بنت حام ، أو اتُّهم بذلك ، فصُلبا فى ذينك الجبلين ، وعندهما جبل يقال له : العوجاء ، وكانت العوجاء حاضنة سلمى — فيما ذكر — وكانت السفير بينها وبين أجأ فصُلبت فى الجبل الثالث ، فسمى بها .

وذكر ذا الخَلَصَة ، وهو بيت دوس . والخَلَص فى اللغة : نبات طيب الريح يتعلق بالشجر ، له حب كعنب الثعلب . وجمع الخلصة : خَلَصٌ . وأن الذى استقسم بالأزلام هو : امرؤ القيس بن حُجْر . ووقع فى كتاب أبى الفرج أن امرىء القيس بن حجر حين وترته بنو أسد بقتل أبيه استقسم عند ذى الخلصة بثلاثة أزلام [2] ، وهى : الزاجر والآمر والمتربص ، فخرج له الزاجر ، فسب الصنم ، ورماه بالحجارة ، وقال له : اعضض ببظر أمك ، وقال الرجز الذى ذكره ابن إسحاق : لو كنت ياذا الخَلَص الموتورا . إلى آخره ، ولم يستقسم أحد عند ذى الخلصة بعدُ حتى جاء الإسلام ، وموضعه اليوم مسجد جامع لبلدة يقال لها : العبلات من أرض خثعم . ذكره المبرد عن أبى عبيدة . واسم امرىء القيس: حُنْدُج ، والحندج : بقلة تنبت فى الرمل . والقيس : الشدة والنجدة. قال الشاعر :   وأنت على الأعداء قيس ونجدة   وأنت على الأدنى هشام ونوفل

والنسب إليه : مَرْقَسِى . وإلى كل امرىء القيس سواه : امرئى . وقد قيل : إن حندجاً اسم امرىء القيس ابن عابس ، وله صحبة ، وهو كندى مثل الأول ، فوقع الغلط من هنا .

وقوله : لم تَنه عن قتل العُداةزورا . نصب : زوراعلى الحال من المصدر الذى هو النهى . أراد : نهياً زوراً. وانتصاب المصدر على هذه الصورة إنما هو حال ، أو مفعول مطلق ، فإذا حذفت المصدر ، وأقمت الصفة مقامه ، لم تكن إلا حالا ، والدليل على ذلك أنك تقول : ساروا شديداً : وساروا رُوَيداً، فإن رددته إلى مالم يسم فاعله

(١) انظر صفحة ٤٢ من هذا الجزء .

(٢) الاستقسام : طلب ما هو مقسوم . والأزلام : جمع زُلم وهو القِدح أو السهم من سهام الاستقسام وسميت أزلاما لأنها سويت .

عمر المستوغر : ويقال : إن المستوغر عمّر ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة ، وكان أطول مضر كلها عمرا ، وهو الذى يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة حدّثها بعدها مئتان لى وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقى إلا كما قد فاتنا يوم يمر وليلة تحدونا

وبعض الناس يروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبى .

لم يجز رفعه ؛ لأنه حال ، ولو لفظت بالمصدر ، فقلت : ساروا سيراً رويداً لجاز أن تقول فيما لم يسم فاعله : سير عليه سيرٌ رُوَيد. هذا كله معنى قول سيبويه ، فدل على أن حكمه إذا لفظ به غير حكمه إذا حذف ، والسر فى ذلك أن الصفة لا تقوم مقام المفعول إذا حذف . لا تقول : كلمت شديداً ، ولا ضربت طويلا ، يقبح ذلك إذا كانت الصفة عامة . والحال ليست كذلك ؛ لأنها تجرى مجرى الظرف ، وإن كانت صفة فموصوفها معها ، وهو الاسم الذى هى حال له ، ومن هذا الباب قوله تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا » .

وذكر بعث جرير البجلى إلى هدم ذى الخلصة ، وذلك قبل وفاة النبى — صلى الله عليه وسلم — بشهرين أو نحوهما ، قال جرير : بعثنى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى مائة وخمسين راكباً من أحمس إلى ذى الخلصة، فقلت : يا رسول الله إنى لا أثبت على الخيل ، فدعا لى ، وقال : « اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً » . وفى كتاب مسلم فى هذا الحديث : « وكان يقال له : الكعبة اليمانية والشآمية » ، وهذا مشكل ، ومعناه : كان يقال : الكعبة اليمانية والشآمية يعنون بالشآمية: البيت الحرام ، فزيادة «له» سهو ، وبإسقاطه يصح المعنى . قال بعض المحدثين والحديث فى جامع البخارى بزيادة : له كما فى صحيح مسلم ، وليس هذا عندى بسهو ، وإنما معناه كان يقال له : أى يقال من أجله الكعبة الشآمية للكعبة ، وهو:الكعبة اليمانية ، «وله» بمعنى من أجله لا تنكر ، كما قال ابن أبى ربيعة :

وقُمَير من آخر الليل قد لا ح ، له قالت الفتاتان قوما

وذو الخلصة بضم الخاء واللام فى قول ابن إسحاق ، وبفتحهما فى قول ابن هشام ، وهو صنم سيعبد فى آخر الزمان، ثبت فى الحديث أنه : « لا تقوم الساعة حتى تصطفق أليات نساء دوس وخثعم حول ذى الخلصة » .

وذكر المستوغر بن ربيعة ، واسمه : كعب . قال ابن دريد : سمى مستوغراً بقوله :

ينش الماء فى الربلات منه نشيش الرضف فى اللبن الوغير

والوغير : فعيل من وَغرة الحر وهى شدته . وذكر القتبى أن المستوغر حضر سوق عكاظ ، ومعه ابن ابنه ، وقد هرم ، والجد يقوده ، فقال له رجل : ارفق بهذا الشيخ ، فقد طال ما رفق بك ، فقال : ومن تراه ؟ فقال : هو أبوك أو جدك ، فقال : ما هو إلا ابن ابنى ، فقال : ما رأيت كاليوم ! ولا المستوغر بن ربيعة ! فقال : أنا المستوغر . والأبيات التى أنشدها له :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئيناً

إلى آخره : ذكر أنها تروى لزهير بن جناب الكلبى ، وهو زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة

ذو الكعبات وعباده : قال ابن إسحاق : وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابنى وائل وإياد بِسَنْداد ، وله يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذى الكعبات من سِنْداد

قال ابن هشام : وهذا البيت للأسود بن يعفر النهشلى . نهشل بن دارم بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم ، فى

ابن بكر بن عوف بن عُذرة أو عُذْرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة. وزهير هذا من المعمرين، وهو الذى يقول :

أبُنى إن أهلك فإنى قد بنيت لكم بنيّه

وتركتكم أولاد سادا ت زنادهم وريه

من كل ما نال الفتى قد نلته إلا التحيه

يريد بالتحية : البقاء ، وقيل: المُلك ، وأعقب هو وإخوته قبائل فى كلب وهم : زهير وعدى وحارثة ومالك، ويعرف مالك هذا بالأصم لقوله :

أصَم عن الخنا إن قيل يوماً وفى غير الخنا أُلفَى سميعا

وأخوه : حارثة بن جَناب . وعُليم بن جناب ، ومن بنى عليم : بنو زيد غير مصروف . عرفوا بأمهم : زيد بنت مالك . وهم : بنو كعب بن عليم . منهم : الرباب بنت امرىء القيس امرأة الحسين بن على ، وفيها يقول :

أحب لحبها زيدا جميعا ونتلة كلها ، وبنى الرباب

وأخرى لأنها من آل لأم أحبهم وطُر بنى جناب

فمن المعمرين من العرب سوى المستوغر مما زادوا على المائتين والثلاثمائة : زهير هذا ، وعبيد بن شَرْية ، ودغفل بن حنظلة النسابة ، والربيع بن ضبع الفزارى ، وذو الإصبع العدوانى ، ونصر بن دهمان بن أشجع ابن رَيث بن غطفان ، وكان قد اسود رأسه بعد ابيضاضه ، وتقوم ظهره بعد انحنائه ، وفيه يقول القائل :

لنصر بن دهمان الهُنيدة[1] عاشها وتسعين حولا ثم قُوِّم فانصاتا

وعاد سواد الرأس بعد ابيضاضه ولكنه من بعد ذلك قد ماتا

وأمره عند العرب من أعجب العجب ، ومن أطول المعمرين عمرا : ذُوَيد ، واسمه : زيد بن نهد من قضاعة ، وأبوه : نهد إليه ينسب الحى المعروفون من قضاعة : بنو نهد بن زيد عاش ذويد أربعمائة عام — فيما ذكروا — وكان له آثار فى العرب ، ووقائع وغارات ، فلما جاء الموت قال :

اليوم يُبنى لذويد بيته ومَغنَم ، يوم الوغى حويته

ومعصم موشَّم لويته لو كان للدهر بلىً أبليته

أو كان قِرنى واحدا كفيته

وقول المستوغر :

ولقد شددت على رضاء شدة فتركتها قفراً بقاع أسحما

---

(١) الهنيدة : مائة سنة .

قصيدة له ، وأنشدنيه أبو مُحْرز خَلَفٌ الأحمر :

أهل الخورنق والسدير وبارق والبيت ذى الشرفات من سنداد

يريد : تركتها سحماء من آثار النار ، وبعده :

وأعان عبد الله فى مكروهها وبمثل عبد الله أغشى المحرما

ذكر ذا الكعبات بيت وائل ، وأنشد للأسود بن يعفر :

أرض الخورنق والسدير ودارم والبيت ذى الشرفات من سنداد

والخورنق : قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ، ليكون ولده فيه عنده ، وبناه بنيانا عجميا لم تر العرب مثله ، واسم الذى بناه له : سنمار ، وهو الذى رُدِّى من أعلاه ، حتى قالت العرب : جزانى جزاء سنمار ، وذلك أنه لما تم الخورنق ، وعجب الناس من حسنه ، قال سنمار : أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت ، فقال له الملك : أإنك لتحسن أن تبنى أجمل من هذا ؟ وغارت نفسه أن يبتنى لغيره مثله ، وأمر به فطرح من أعلاه ، وكان بناه فى عشرين سنة ، قال الشاعر : (١)

جزانى جزاه الله شر جزائه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

سوى رصِّه البنيان عشرين حجة يعلَّى عليه بالقرامد والسكب

فلما انتهى البنيان يوما تمامه وآض كمثل الطَّود والباذخ الصعب

وظن سنمار به كل حُبوة وفاز لديه بالمودة والقرب

رمى بسنمار على حاق رأسه وذاك لعمر الله من أقبح الخطب

ذكر هذا الشعر الجاحظ فى كتاب الحيوان ، والسنمار من أسماء القمر . وأول شعر الأسود :

ذهب الرقاد فما أحس رقادى .

وفيها يقول :

ولقد عمرت ، وإن تطاول فى المدى إن السبيل سبيل ذى الأعواد

قيل : يريد بالأعواد النعش ، وقيل : أراد عامر بن الظرب الذى قُرعت له العصا بالعود من الهرم والخرف ، وفيها يقول :

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إياد

نزلوا بأنقِرة يسيل عليهمُ ماء الفرات يجىء من أطواد

أرض الخورنق والسدير وبارق والبيت ذى الكعبات من سنداد

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

وأرى النعيم ، وكل ما يلهى به يوما يصير إلى بِلى ونفاد

ومعنى السدير بالفارسية : بيت الملك . يقولون له : « سِهدلى » ، أى : له ثلاث شعب ، وقال البكرى : سمى السدير ؛ لأن الأعراب كانوا يرفعون أبصارهم إليه ، فتسدر من علوه ، يقال : سدر بصره إذا تحير .

---

(١) هو عبد العزى بن امرىء القيس الكلبى .

البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى

رأى ابن إسحاق فيها : قال ابن إسحاق : فأما البحيرة فهى : بنت السائبة ، والسائبة : الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر ، سُيبت فلم يُركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقت أذنها ، ثم خلى سبيلها مع أمها ، فلم يركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، كما فُعل بأمها ، فهى البحيرة بنت السائبة . والوصيلة : الشاة إذا أتأمت عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن ، ليس بينهن ذكر ، جعلت وصيلة . قالوا : قد وصلت ، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شىء ، فيشتركوا فى أكله ، ذكورهم وإناثهم .

قال ابن هشام : ويروى : فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم .

قال ابن إسحاق : والحامى : الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر ، حمى ظهره فلم يركب ، ولم يجز وبره ، وخُلِّىَ فى إبله يَضرب فيها ، لا ينتفع منه بغير ذلك .

ابن هشام يخالف ابن إسحاق : قال ابن هشام : وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامى ، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق . فالبحيرة عندهم : الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها ، ولا يجز وبرها ، ولا يشرب لبنها إلا ضيف ، أو يتصدق به ، وتهمل لآلهتهم . والسائبة : التى ينذر الرجل أن يسيبها إن برىء من مرضه أو إن أصاب أمراً يطلبه . فإذا كان أساب ناقة من إبله ، أو جملا لبعض آلهتهم ، فسابت فرعت لا ينتفع بها . والوصيلة : التى تلد أمها اثنين فى كل بطن ، فيجعل صاحبهما لآلهته الإناث منها ، ولنفسه الذكور : فتلدها أمها ومعها ذكر فى بطن ، فيقولون : وصلت أخاها ؛ فيسيب أخوها معها ، فلا ينتفع به .

قال ابن هشام : حدثنى به يونس بن حبيب النحوى وغيره . روى بعضٌ ما لم يَرْوِ بعض .

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمداً — صلى الله عليه وسلم — أنزل عليه : « ما جعل الله من بَحِيرَة ، ولا سائبة ، ولا وصيلة ، ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ، وأكثرهم لا يعقلون » .

وأنزل الله تعالى : « وقالوا : ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ، وَمُحَرَّم على أزواجنا ، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء ، سيجزيهم وصفهم ، إنه حكيم عليم » .

وأنزل عليه : « قل : أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل : آلله أذِنَ لكم أم على الله تفترون » .

البحيرة والسائبة : وذكر البحيرة والسائبة ، وفسر ذلك ، وفسره ابن هشام بتفسير آخر . وللمفسرين فى تفسيرهما أقوال منها ما يقرب ، ومنها ما يبعد من قولها ، وحسبك منها ما وقع فى الكتاب ، لأنها أمور كانت فى الجاهلية قد أبطلها الإسلام ، فلا تمس الحاجة إلى علمها .

وذكر ما أنزل الله فى ذلك ، منها قوله تعالى : (خالصة لذكورنا ، ومحرم على أزواجنا) .

وفيه من الفقه : الزجر عن التشبه بهم فى تخصيصهم الذكور دون الإناث بالهبات . روت عمرة عن عائشة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « يعمد أحدكم إلى المال ، فيجعله عند ذكور ولده . إن هذا إلا كما قال الله تعالى : وقالوا : ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا » رواه البخارى فى التاريخ من حديث سليمان ابن حجاج .

وأنزل عليه: «ثمانية أزواج من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين . قل : آلذَّكَرَيْنِ حرّم ، أم الأُنْثَيَيْنِ ، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، نبئونى بعلم إن كنتم صادقين . ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين قل : آلذَّكَرَيْنِ حرّم أم الأنثيين ، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا . فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين » .

البحيرة والوصيلة والحامى لغة : قال ابن هشام : قال الشاعر :

حُولُ الوصائل فى شُرَيف حِقّة ... والحاميات ظهورها والسُّيَّب

وقال تميم بن أُبَىّ بن مقبل أحد بنى عامر بن صعصعة :

فيه من الأخرج المِرباعِ قَرْقَرة ... هَدْرَ الدّيافِىّ وسط الهجمة البُحُر

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمع بحيرة : بحائر وبحر . وجمع وصيلة : وصائل ووصل . وجمع سائبة الأكثر : سوائب وسُيَّب ، وجمع حام الأكثر : حوام .

وأنشد فى البحيرة :

فيه من الأخرج المرباع قرقرة ... هدر الديافى وسط الهجمة البحر

هكذا الرواية : المرباع بالباء من الربيع ، والمرباع هو : الفحل الذى يبكر بالإلقاح ، ويقال للناقة أيضاً : مرباع إذا بكرت بالنتاج ، وللروضة إذا بكرت بالنبات .

يصف فى هذا البيت حمار وحش يقول : فيه من الأخرج ، وهو : الظليم الذى فيه بياض وسواد ، أى : فيه منه قَرْقَرَة ، أى صوت وهدر مثل هدر الدّيافى أى : الفحل المنسوب إلى دياف بلد بالشام ، والهجمة من الإبل : دون المائة . وجعلها بُحراً لأنها تأمن من الغارات ، يصفها بالمنعة والحماية ، كما تأمن البحيرة من أن تذبح أو تنحر . ورأيت فى شعر ابن مقبل : من الأخرج المرياع بالياء أخت الواو ، وفسره فى الشرح من راع يريع إذا أسرع الإجابة ، كما قال طرفة : * تريع إلى صوت المهيب وتتقى * .

والنفس إلى الرواية الأولى أسكن . وحكى عن ابن قتيبة أنه قال : فى البُحُر : هى الغزيرات اللبن لا جمع بحيرة ، كأنها : جمع بَحُور عنده ، فَظَنّ هذا يُذهب المعنى الذى ذكرناه من أمنها ومنعتها ؛ إذ ليس هذا المعنى فى الغزيرات اللبن ، لكنه أظهر فى العربية ؛ لأن بَحيرة : فعيلة ، وفعيلة لا تجمع على فعل إلا أن تشبه بسفينة وسفن ، وخريدة وخُرُد ، وهو قليل . وقبل البيت فى وصف روض :

بعازب النبت يرتاح الفؤاد له ... رأد النهار لأصوات من النُّغَر

وبعد البيت الواقع فى السيرة :

والأزرق الأخضر السربال منتصب ... قيد العصا فوق ذَيّال من الزَّهَر

يعنى بالأزرق : ذباب الروض ، وكذلك النغر . وقوله فى البيت الآخر : حول الوصائل : جمع حائل ، ويقال فى جمعها أيضا : حُولَل ، ومثله : عائط وعوطط على غير قياس . والشرَيْف : اسم موضع .

عود إلى النسب

نسب خزاعة : قال ابن إسحاق : وخزاعة تقول : نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن .

قال ابن هشام : وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ، وخندف أمنا ، فيما حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم . ويقال : خزاعة: بنو حارثة بن عمرو بن عامر. وإنما سميت خزاعة، لأنهم تخزّعوا[1] من ولد عمرو بن عامر ، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمرّ الظّهْران ، فأقاموا بها . قال عوف بن أيوب الأنصارى أحد بنى عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلِمة من الخزرج فى الإسلام :

فلما هبطنا بطن مَر تخزعت ... خزاعة منا فى خيول كَراكر

حمت كل واد من تهامة واحتمت ... بصم القنا والمرهفات البواتر

وهذان البيتان فى قصيدة له .

وقال أبو المطهّر إسماعيل بن رافع الأنصارى ، أحد بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس .

فلما هبطنا بطن مكة أحمدت ... خُزاعة دار الآكل المتحامل

فحلّت أكاريسا ، وشتت قنابلا ... على كل حى بين نجد وساحل

نفَوْا جُرهما عن بطن مكة، واحتَبوْا ... بعِزّ خُزاعىّ شديد الكواهل

نسب خزاعة : وقوله فى نسب خزاعة : تقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن عامر إلى آخر النسب . وقد تقدم أن عمراً يقال له : مُزَيْقياء . وأما عامر فهو : ماء السماء ، سمى بذلك لجوده وقيامه عندهم مقام الغيث . وحارثة: ابن امرىء القيس بن ثعلبة وهو الغِطريف .

بطن مر وسبب تسميتها : وقول عون : فلما هبطنا بطن مَر . يريد : مر الظهران ، وسمى : مراً لأن فى عرقٍ من الوادى من غير لون الأرض شبه (الميم) الممدودة، وبعدها (را) خلقت كذلك ، ويذكر عن كثير أنه قال: سميت : مراً لمرارتها ، ولا أدرى ما صحة هذا .

فلما هبطنا بطن مر البيتين وبعدهما :

خزاعتنا أهل اجتهاد وهجرة ... وأنصارنا جند النبي المهاجر

وسرنا إلى أن قد نزلنا بيثرب ... بلا وَهَن منا وغير تشاجر

وسارت لنا سيارة ذات منظر ... بكُوم المطايا والخيول الجُماهر

يؤمون أهل الشام حين تمكنوا ... ملوكا بأرض الشام فوق البرابر

أولاك بنو ماء السماء توارثوا ... دمشقاً بُملك كابراً بعد كابر

الحلول ، جمع : حال ، والكراديس جمع : كردوس : الخيل .

---

(١) تخزعوا ، تأخروا وانقطعوا .

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له ، وأنا إن شاء الله أذكر نفيها جرهما فى موضعه .

أولاد مدركة وخزيمة : قال ابن إسحاق : فولد مدركة بن الياس رجلين : خزيمة بن مدركة ، وهذيل ابن مدركة ، وأمهما : امرأة من قضاعة. فولد خزيمة بن مدركة أربعة نفر : كنانة بن خزيمة ، وأسد بن خزيمة ، وأسدة بن خزيمة ، والهُون بن خزيمة . فأم كنانة : عَوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر .

قال ابن هشام : ويقال الهوْن بن خزيمة .

أولاد كنانة وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر : النضر بن كنانة ، ومالك بن كنانة ، وعبد مناة بن كنانة ، ومِلْكان بن كنانة . فأم النضر : بَرّة بنت مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ، وسائر بنيه لامرأة أخرى .

قال ابن هشام : أم النضر ومالك وملكان : بَرة بنت مر ، وأم عبد مناة : هالة بنت سويد بن الغطريف من أزد شنوءة . وشنوءة : عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث ، وإنما سموا شنوءة ؛ لشنآن كان بينهم . والشنآن : البغض .

من يطلق عليه لقب قرشي : قال ابن هشام : النضر : قريش ، فمن كان من ولده فهو قرشى ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى . قال جرير بن عطية أحد بنى كُليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

فما الأم التى ولدت قريشا ... بمقرفة النجار ولا عقيم[1]
وما قرم بأنجب من أبيكم ... وما خال بأكرم من تميم[2]

يعنى : برة بنت مر ، أخت تميم بن مر ، أم النضر . وهذان البيتان فى قصيدة له .

دمشق وسبب تسميتها : وقوله : دمشقاً ، سميت مدينة الشام باسم الرجل الذى هاجر إليها مع إبراهيم ، وهو : دامشق بن النمروذ بن كنعان ، أبوه : الملك الكافر عدو إبراهيم ، وكان ابنه دامشق قد آمن بإبراهيم ، وهاجر معه إلى الشام . كذلك ذكر بعض النساب ، وذكره البكرى فى كتاب المعجم . والدمشق فى اللغة : الناقة المُسْنَّة — فيما ذكر بعضهم — وكان يقال لدمشق أيضاً : جَيْرُون سميت باسم الذى بناها ، وهو : جيرون بن سعد ، وفيها يقول أبو دَهبل :

صاحِ : حَيِّها الإله حَيّاً ودارا ... عند شرق القناة من جيرون

بنو كنانة : وذكر بنى كنانة الأربعة : مالكا وملكان والنضر وعبدمناة . وزاد الطبرى فى ولد كنانة : عامراً والحارث والنضير وغَنْما وسعداً وعوفاً وجرول والحُدال وغَزْوان . كلهم بنو كنانة .

من هو قريش ؟ : وذكر النضر بن كنانة ، وقول من قال إنه : قريش ، والقول الآخر فى أن فهراً هو : قريش ، وقد قيل : إن فهراً لقب ، واسمه الذى سمى به : قريش .

---

(١) المقرفة : اللئيمة . والنجار : الأصل . (٢) القرم هنا : السيد من الرجال .

ويقال: فِهر بن مالك: قريش؛ فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي؛ وإنما سميت قريش قريشا من التقرش، والتقرش: التجارة والاكتساب. قال رؤبة بن العجاج:

قد كان يغنيهم عن الشُّغْوش ... وَالخشْل من تساقط القروش

شحم ومحض ليس بالمغشوش

قال ابن هشام: والشُّغوش: قمح يسمى: الشغوش. والخشل: رءوس الخلاخيل والأسورة ونحوه. والقروش: التجارة والاكتساب، يقول: قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومحض، والمحض: اللبن الحليب الخالص. وهذه الأبيات في أرجوزة له. وقال أبو جِلدة اليشكري، ويشكر: بن بكر بن وائل:

إخوة قَرَّشوا الذنوب علينا ... في حديث من عمرنا وقديم

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: ويقال. إنما سميت قريش قريشا: لتجمعها من بعد تفرقها.

ويقال للتجمع: التقرش.

وأما يخلد بن النضر، فذكر أبو عبد الله الزبير بن بكار في أنساب قريش له، قال: قال عمي: وأما بنو يخلد ابن النضر، فذكروا في بني عمرو بن الحارث بن مالك بن كنانة، ومنهم: قريش بن بدر بن يخلد بن النضر، وكان دليل بني كنانة في تجاراتهم، فكان يقال: قدمَتْ عير قريش، فسميت قريش به، وأبوه: بدر بن يخلد صاحب بدر الموضع الذي لقي فيه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قريشا.

وقال عن غير عمه: قريش بن الحارث بن يخلد، وابنه: بدر الذي سميت به بدر، وهو احتفرها. قال: وقد قالوا: اسم فهر بن مالك: قريش، ومن لم يلده فهر. فليس من قريش، وذكر عن عمه أن فِهْراً هو: قريش.

وقال أبو عبد الله: حدثني عمرو بن أبي بكر المؤَمَّلي عن جدي عبد الله بن مصعب — رحمه الله — أنه سمعه يقول: اسم فهر بن مالك: قريش، وإنما فهر لقب، وكذلك حدثه المؤَمَّليّ عن عثمان بن أبي سليمان في اسم فهر ابن مالك: أنه قريش، ومثل ذلك ذكر عن المؤملي عن أبي عبيدة بن عبد الله في اسم فهر بن مالك: أنه قريش. قال: وحدثني إبراهيم بن المنذر، وقال: حدثنا أبو البَخْتَري: وهب بن وهب، قال: حدثني ابن أخي ابن شهاب عن عمه أن اسم فهر بن مالك الذي أسمته أمه: قريش، وإنما نبزته فهراً، كما يسمى الصبي: غِرارة وشملة، وأشباه ذلك. قال: قال: وقد أجمع النساب من قريش وغيرهم أن قريشا إنما تفرقت عن فهر، والذي عليه من أدركته من نساب قريش وغيرهم أن ولد فهر بن مالك: قريش، وأن من جاوز فهر بن مالك بنسبه، فليس من قريش.

وذكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي فيما حدثه أبو الحسن الأثرم عنه أن النضر بن كنانة هو: قريش، وذكر عنه أنه قال في موضع آخر: ولد مالك بن النضر فهراً، وهو جُمَّاع قريش، وقال: قال محمد بن حسن عن نصر بن مُزاحم، عن عمرو بن محمد عن الشعبي قال: النضر بن كنانة هو قريش، وإنما سمي قريشاً؛ لأنه كان يُقَرِّش عن خلة الناس وحاجتهم، فيسدها بماله، والتقريش: هو التفتيش، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة، فيرفدونهم بما يبلغهم، فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم: قريشاً. وقد قال الحارث بن حلزة في بيان التَّقَرُّش:

أيها الناطق المقرش عنا ... عند عمرو، فهل له إبقاء

أولاد النضر وأمهاتهم : فولد النضر بن كنانه رجلين : مالك بن النضر ، ويخلد بن النضر ، فأم مالك : عاتكة بنت عَدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، ولا أدرى أهى أم يخلد أم لا .

قال ابن هشام : والصلت بن النضر ـ فيما قال أبو عمرو المدنى ـ وأمهم جميعا : بنت سعد بن ظَرِب العَدوانى . وعدوان : بن عمر بن قيس بن عيلان . قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن — وهو كثير عزة أحد بنى مُلَيح بن عمرو ، من خزاعة .

أليس أبى بالصلت أم ليس إخوتى ... لكل هجان من بنى النضر أزهرا
رأيت ثياب العَصْب مختلط السَّدَى ... بنا وبهم والحضرمى المُخَصَّرا
فإن لم تكونوا من بنى النضر، فاتركوا ... أراكاً بأذناب الفوائج أخضرا

قال : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

وحدثه أبو الحسن الأثرم عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ، قال : منتهى من وقع عليه اسم قريش : النضر بن كنانة ، فولده : قريش دون سائر بنى كنانة بن خزيمة بن مدركة ، وهو عامر بن الياس بن مضر ، فأما من ولد كنانة سوى النضر فلا يقال لهم : قريش ، وإنما سمى بنو النضر قريشاً لتجمعهم ، لأن التقرش هو التجمع . قال : وقال بعضهم : التجار يتقارشون : يتجرون ، والدليل على اضطراب هذا القول أن قريشا لم يجتمعوا حتى جمعهم قصى بن كلاب ، فلم يجمع إلا ولد فهر بن مالك لا مِرْية عند أحد فى ذلك ، وبعد هذا فنحن أعلم بأمورنا ، وأرعى لمآثرنا ، وأحفظ لأسمائنا ، لم نعلم ولم ندع قريشاً، ولم نُهمِّم إلا ولد فهر بن مالك .

قال المؤلف : فى جميع هذا الكلام من قول الزبير ، وما حكاه عن النسابين نقلته من كتاب الشيخ أبى بحر — رحمه الله — ثم ألفيته فى كتاب الزبير كما ذكره ، ورأيت لغيره أن قريشاً تصغير القِرْش . وهو حوت فى البحر يأكل حيتان البحر ، سميت به القبيلة ، أو سمى به أبو القبيلة — والله أعلم — ورد الزبير على ابن إسحاق فى أنها سميت قريشا لتجمعها ، وأنه لا يُعرف قريش إلا فى بنى فهر رداً لا يلزم ؛ لأن ابن إسحاق لم يقل : إنهم بنو قُصَىّ خاصة ، وإنما أراد أنهم سموا بهذا الاسم مذ جمعهم قصى ، وكذا قال المبرد فى المقتضَب : إن هذه التسمية إنما وقعت لقصى — والله أعلم — غير أنا قدمنا فى قول كعب بن لؤى مايدل على أنها كانت تسمى قريشا قبل مولد قصى وهو قوله :

إذا قريش تَبَغَّى الحق خذلانا

وذكر قول رؤبة :

قد كان يغنيهم عن الشغوش

وفسره : ضرب من القمح ، وفسر الخَشْل : رءوس الخلاخيل . وفى حاشية الشيخ عن أبى الوليد قال : إنما الخشل: المقل[1]، والقروش: ما تساقط من حُتاته ، وتقشر منه ، وأنشد لكثير بن عبد الرحمن:

أليس أبى بالصلت أم ليس إخوتى

البيت . وبعده :

رأيت ثياب العَصْب مختلط السدى ... بنا وبهم والحضرمى المُخصرا

---

(١) المقل : حمل شجر الدوم .

والذين يعزون إلى الصلت بن النضر من خزاعة : بنو مُلَيح بن عمرو ، رهط كُثَيِّر عزة .

أولاد مالك وفهر وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد مالك بن النضر : فهر بن مالك . وأمه : جندلة بنت الحارث بن مضاض الجرهمي .

قال ابن هشام : وليس بابن مضاض الأكبر .

قال ابن إسحاق : فولد فِهْر بن مالك أربعة نفر : غالب بن فهر ، ومحارب بن فهر ، والحارث بن فهر ، وأسد ابن فهر ، وأمهم : ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة .

قال ابن هشام : وجَندلة بنت فهر ، وهي أم يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وأمها : ليلى بنت سعد . قال جرير بن عطية بن الخطفى واسم الخطفى : حذيفة بن بدر بن سَلَمة بن عوف بن كليب بن يربوع ابن حنظلة .

وإذا غضبتُ رمى ورائى بالحصى ... أبناء جندلة كخير الجندل

وهذا البيت فى قصيدة له .

أولاد غالب وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد غالب بن فهر رجلين : لؤى بن غالب ، وتَيْم بن غالب ، وأمهما : سلمى بنت عمرو الخزاعى — وتَيْم بن غالب الذين يقال لهم : بنو الأدْرَم .

والعَصب : برود اليمن ، لأنها تصبغ بالعصب ، ولا ينبت العصب ولا الورس إلا باليمن ، وكذلك اللبان . قاله أبو حنيفة . يريد : إن قدودنا من قدودهم ، فسدَى أثوابنا ، مختلط بسدى أثوابهم . والحضرمى : النعال المخصرة التى تضيق منْ جانبيها كأنها ناقصة الخصرين كما يقال : رجل مُبَطَّن ، أى : ضامر البطن ، وجاء فى صفة نعل النبي — صلى الله عليه وسلم — أنها كانت معقبة مخصرة مُلسّنة مُخَشْرَمة (١) . والمخترمة التى لها خرْمة ، وهو كالتحدير فى مقدمها . وكانت نعله — عليه السلام — من سِبْت ، ولا يكون السبت إلا من جلد بقر مدبوغ . قاله أبو حنيفة عن الأصمعى وأبى زيد .

وذكر قول جرير بن الخطفى :

يرفعن بالليل إذا ما أسدفا .

أعناق جِنَّان(٢) وهاماً رُجَّفا .

وعَنَقاً باقى الرَّسيم خَيْطَفَا .

والخيطفة : سرعة فى العدو ، فإذا وصفت به العَنَق والجرى قلت : عنق خَيطف ، وإذا سميت به الرجل قلت : خَطَفَى ، وكذلك إن جعلته اسماً للمِشية : فهو مثل : الجمزَى والبشكى(٣) .

---

(١) معقبة لها عقب . ومخصرة : قطع خصراها ، حتى صارا مستدقين ، وملسنة : دقيقة على شكل اللسان .

(٢) جنان : نوع من الحيات .

(٣) ناقة جمزى أو بشكى : سريعة خفيفة فى سيرها .

قال ابن هشام : وقيس بن غالب ، وأمه : سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعى ، وهى أم لؤى وتيم ابنى غالب .

أولاد لؤى وأمهاتهم : قال ابن إسحاق: فولد لؤى بن غالب أربعة نفر : كعب بن لؤى ، وعامر بن لؤى، وسامة بن لؤى ، وعوف بن لؤى ، فأم كعب وعامر وسامة : ماوية بنت كعب بن القين بن جَسْر ، من قضاعة.

قال ابن هشام : ويقال : والحارث بن لؤى ، وهم : جُشم بن الحارث ، فى هِزّان من ربيعة . قال جرير :

بنى جشم لستم لهزان ، فانتَموا لأعلى الروابى من لؤى بن غالب
ولا تُنكحوا فى آل ضَوْر نساءكم ولا فى شُكَيْس بئس مثوى الغرائب

وسعد بن لؤى ، وهم بُنانة : فى شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، من ربيعة .

وبنانة : حاضنة لهم من بنى القَيْن بن جسر بن شَيْع الله ، ويقال : سيع الله ، ابن الأسد بن وَبْرة بن ثعلبة ابن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . ويقال : بنت النمر بن قاسط ، من ربيعة . ويقال : بنت جَرْم بن رَبّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

بنو الأدرم : وقوله : وتيم بن غالب وهم : بنو الأدرم . والأدرم : المدفون الكعبين من اللحم ، يقال : امرأة درماء وكعب أدرم . قال الراجز :

قامت تريه خشية أن تَصرما ساقاً بَخَنْداة وكعباً أدرما
وكَفَلا مثل النقا أو أعظَما(١)

والأدرم أيضاً : المنقوض الذقن ، وكان تيم بن غالب كذلك ، فسمى : الأدرم ، قاله الزبير . وبنو الأدرم هؤلاء هم : أعراب مكة ، وهم من قريش الظواهر ، لا من قريش البطاح(٢) ، وكذلك بنو محارب من فهر ، وبنو معيص بن عامر .

ماوية امرأة لؤى ومعنى الماوية : وذكر بنى لؤى ، فقال : أم عامر : ماوية بنت كعب بن القين . سميت بالماوية ، وهى : المرآة ، كأنها نسبت إلى الماء لصفائها ، وقلبت همزة الماء واوا ، وكان القياس أن تقلب هاء فيقال : ماهية ، ولكن شبهوه بما الهمزة فيه منقلبة عن ياء أو واو ، لما كان حكم الهاء أن لا تهمز فى هذا الموضع، فلما شبهت بحروف المد واللين ، فهمزوها لذلك ، اطرد فيها ذلك الشبه ، ويحتمل اسم المرأة أن يكون من أويته ، إذا ضممته إليك ، يقال : أويت مثل : ضممت ، وآويته مثل : آذيته ، ثم يقال فى المفعول من أويته على وزن فَعَلت : مَاوى والمرأة ماوِيّة ، ثم تسهل الهمزة ، فتكون ألفا ساكنة .

وخالفه ابن هشام فى أم عامر فقال : مَخْشِيَّة بنت شيبان بن محارب بن فهر ، وماوية : أم سائر بنيه غير عامر .

بنانة : وذكر سعد بن لؤى وأنهم : بنانة فى شيبان ، عرفوا بحاضنة لهم اسمها : بنانة ، وكان بنو ضُبيعة قد

---

(١) ساق بخنداة : عظيمة تامة . والنقا : كثيب من الرمل .

(٢) قريش البطاح : هم قبائل عبد مناف ، وقريش الظواهر : النازلون بظهر مكة .

وخزيمة بن لؤى بن غالب ، وهم عائذة فى شيبان بن ثعلبة . وعائذة امرأة من اليمن ، وهى أم بنى عبيدة بن خزيمة بن لؤى .

وأم بنى لؤى كلهم - إلا عامر بن لؤى : ماوِيَّة بنت كعب بن القين بن جَسْر . وأم عامر بن لؤى : مَخْشِية بنت شيبان بن محارب بن فهر ، ويقال : ليلى بنت شيبان بن محارب بن فهر .

أمر سامة بن لؤى

هروبه من أخيه وموته: قال ابن إسحاق : فأما سامة بن لؤى فخرج إلى عمان ، وكان بها . ويزعمون أن عامر

ادعوهم ، وهو ضبيعة أضجم بن ربيعة ، لا ضُبَيْعة بن أقيش بن ثعلبة ، فلما كان زمن عمر ، قدموا عليه ، وفيهم سيد لهم يقال له : أبو الدهماء ، فكلم أبو الدهماء عمر أن يلحقهم بقريش ، فأنكر عمر ذلك ، فأخبره عثمان عن أبيه عفان : أنه حدثه بصحة نسبهم إلى قريش ، وسبب خروجهم عنهم ، فواعدهم أن يأتوه العام القابل ، فيلحقهم ، فقتل أبو الدهماء عند انصرافه ، وشغلوا بأمره ، حتى مات عمر ، فألحقهم عثمان بقريش ، فلما كان علىّ نفاهم عن قريش ، وردهم إلى شيبان فقال شاعر :

ضرب التجيبىُّ المُضال ضربة ... ردت بَنَانَةَ فى بنى شيبانا
والعائذى لمثلها متوقع ... لما يكن ، وكأنه قد كانا

لخصت هذا الخبر من حديث ذكره البرقى عن ابن الكلبى ، والبنانة فى اللغة : الرائحة الطيبة : وقال أبو حنيفة: البنانة : الروضة المعشبة الحالية ، أى : قد حليت بالزهر .

عائذة : وذكر خزيمة بن لؤى ، وأنهم انتسبوا فى شيبان ، ويعرفون بأمهم عائذة ، قال : وعائذة من اليمن، وقال غيره : هى بنت الخِمْس بن قحافة من خثعم ولدت لعبيد بن خزيمة مالكا وحارثا ، فهم بنو خزيمة عائذة ومن بنى خزيمة أيضا : بنو حرب بن خزيمة ، قتلتهم المسَوِّدة فى قريتهم بالشام ، وهم يحسبونهم بنى حرب ابن أمية .

ناجية : وذكر بنت جرم بن رَبَّان . وبنت جرم هى : ناجية ، واسمها : ليلى ، وجَرْم أبو جدَّة الذى نزل جدة من ساحل الحجاز . فعرفت به ، كما عرفت كثير من البلاد بمن نزلها من الرجال ، وقد تقدم طرف من ذلك ، وسيأتى فى الكتاب كثير إن شاء الله تعالى . وربان هو : عِلاف الذى تنسب إليه الرحال العلافية .

ذبيان : وذكر سعد بن ذبيان ، وقصته مع عوف بن لؤى وذبيان بن بغيض : بكسر الذال وضمها ، والكسر أفصح ، وهم أربعة أحياء من العرب : ذبيان بن بغيض فى قيس ، وذبيان بن ثعلبة فى بجيلة ، وذبيان فى قضاعة ، وذبيان فى الأزد .

وذكر ابن دريد فى كتاب اشتقاق الأسماء له : أن ذبيان فُعلان أو فِعلان من ذَبى العود يَذبى يقال : ذبى العود وذَوَى بمعنى واحد .

سامة بن لؤى : وذكر حديث سامة بن لؤى حين قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحد بنيه ،

ابن لؤى أخرجه ، وذلك أنه كان بينهما شىء ، ففقأ سامة عين عامر ، فأخافه عامر ، فخرج إلى عمان . فيزعمون أن سامة بن لؤى بينا هو يسير على ناقته ، إذ وضعت رأسها ترتع ، فأخذت حية بمشفرها ، فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقها ، ثم نهشت سامة فقتلته . فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون :

عين فابكى لسامة بن لؤى ... عَلِقت ما بسامة العلاّقه
لا أرى مثل سامة بن لؤى ... يوم حلوا به قتيلا لناقه
بلّغا عامراً وكعباً رسولا ... أن نفسى إليهما مشتاقه
إن تكن فى عمان دارى ، فإنى ... غالبىّ ، خرجت من غير فاقه
رب كأس هرقت يا ابن لؤى ... حذر الموت لم تكن مُهراقه
رُمت دفع الحتوف يا ابن لؤى ... ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه
وخَروس السرى تركْتَ رديا ... بعد جِد وجِدة ورشاقه

قال ابن هشام : وبلغنى أن بعض ولده أتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فانتسب إلى سامة بن لؤى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آلشاعر ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يارسول الله أردت قوله :

رب كأس هرقت يا ابن لؤى ... حذر الموت لم تكن مهراقه

قال : أجل .

فانتسب له إلى سامة : فقال له عليه السلام : آلشاعر بخفض الراء من الشاعر ، كذا قيده أبو بحر على أبى الوليد بالخفض ، وهو الصحيح ؛ لأنه مردود على ما قبله ، كأنه مقتضب من كلام المخاطب ، وإن كان الاستفهام لا يعمل ما قبله فيما بعده ، ولكن العامل مقدر بعد الألف ، فإذا قال لك القائل : قرأت على زيد مثلا ، فقلت : آلعالم بالاستفهام ، كأنك قلت له : أعلى العالم ، ونظير هذا ألف الإنكار إذا قال القائل : مررت بزيد ، فأنكرت عليه ، فقلت أزَيْدِنيه بخفض الدال ، وبالنصب إذا قال : رأيت زيدا ، قلت : أزيدَنيه ، وكذلك الرفع . ومن بنى سامة هذا : محمد بن عرْعَرَة بن اليزيد شيخ البخارى ، وبنو سامة بن لؤى : زعم بعض النساب أنهم أدعياء ، وأن سامة لم يعقب ، وقال الزبير: ولد سامةُ : غالباً والنبيت والحارث . وأم غالب : ناجية بنت جَرْم بن زبان ، واسمها : ليلى ، سميت : ناجية ، لأنها عطشت بأرض فلاة ، فجعل زوجها يقول لها : انظرى إلى الماء ، وهو يريها السراب حتى نجت ، فسميت : ناجية ، وإليها ينسب أبو الصديق الناجى الذى يروى عن أبى سعيد الخُدْرى ، وأبو المتوكل الناجى ، وكثيرا ما يخرج عند الترمذى ، وكان بنو سامة بالعراق أعداء لعلى — رحمه الله — والذين خالفوا عليا منهم : بنو عبد البيت ، ومنهم : على بن الجَهْمِ الشاعر قيل : إنه كان يلعن أباه لما سماه عليا بُغضاً منه فى على — رحمه الله — ذكره المسعودى .

الرسول والمرسل والفرق بينهما : وقوله : بلّغا عامراً وكعباً رسولا يجوز أن يكون رسولا مفعول : بلغا إذا جعلت الرسول بمعنى : الرسالة ، كما قال الشاعر :

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بليلى ، ولا أرسلتهم برسول

أى : برسالة ، وإنما سموا الرسالة : رسولا إذا كانت كتابا ، أوما يقوم مقام الكتاب من شعر منظوم ، كأنهم

. . . .

كانوا يقيمون الشعر مقام الكتاب ، فتبلغه الركبان : كما تبلغ الكتاب يُعرِب عن ضمير الكاتب كما يعرب الرسول، وكذلك الشعر المبلّغ ، فسمى : رسولا . وبين الرسول والمرسل معنى دقيق ينتفع به فى فهم قول الله عز وجل : « وأرسلناك للناس رسولا » فإنه لايحسن فى مثل هذا أن يقال : أرسلناك مرسلا ، ولا نبأناك تنبيئاً ، كالايحسن: ضربناك مضروباً ، ولكشف هذا المعنى وإيضاحه موضع غير هذا ، واختصار القول فيه : أن ليس كل مُرسل رسولا ، فالرياح مرسلات ، والحاصب مرسل ، وكذلك كل عذاب أرسله الله ، وإنما الرسول اسم للمبلغ عن المرسِل .

ويجوز أن يكون رسولا حال من قوله : بلغا عامراً وكعباً رسولا ؛ إذ قد يعبر بالواحد عن الاثنين والجماعة فى مثل هذا اللفظ ، تقول : أنتم رسولى ، وهى رسولى ؛ تسوى بين الجماعة والواحد والمذكر والمؤنث . وفى التنزيل : « فأتيا فرعون فقولا : إنا رسول رب العالمين » . فيكون المفعول على هذا : أن نفسى إليهما مشتاقة، ويكون أن على القول الأول بدلا من رسول أى : رسالة .

وقوله: وخَرُوسِ السُّرى تركت رذياً . إن خفضت فمعناه : رب خروس السُّرى تركت ، فتركت فى موضع الصفة لخروس ، وإن نصبت جعلتها مفعولا بتركت ، ولم يكن تركت فى موضع صفة ؛ لأن الصفة لا تعمل فى الموصوف ، والسرى : فى موضع خفض لخروس على المجاز كما تقول : نام ليلك . يريد : ناقة صموتا صبوراً على السرى ، لا تضجر منه ، فسراها كالأخرس ، ومنه قول الكميت :

كتوم إذا ضج المَطِىُّ ، كأنما تَكَرَّمُ عن أخلاقهن وترغب

وقول الأعشى :

كتوم الرغاء إذا هجرت وكانت بقية ذَوْد كُتُمْ

وإنما قال : خروس فى معنى الأخرس ؛ لأنه أراد كتوم ، فجاء به على وزنه . قال البرقى : وكانت ماوية بنت كعب تحب سامة أكثر من إخوته ، وكانت تقول ، وهى ترقصه صغيراً :

وإن ظنى بابنى إن كَبَنْ أن يشترى الحمد ، ويُغلى بالثمن

ويهزم الجيش إذا الجيش ارْجَحَنْ ويَرَوِّى الْعَيْمان من محض اللبن(١)

يقال : كبن وأكبن : إذا اشتد .

وذكر قول جرير لبنى جشم بن لؤى :

بنى جشم لستم لهزان ، فانتموا لأعلى الروابى من لؤى بن غالب

يقال إنهم أعطوا جريرا على هذا الشعر ألف عير رُبّى ، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة فما انتسبوا بعد إلا لقريش .

---

(١) أرجحن : مال واهتز ، والعيمة : شهوة اللبن والعطش .

أمر عوف بن لؤى ونقلته

سبب انتمائه إلى غطفان : قال ابن إسحاق : وأما عوف بن لؤى فإنه خرج — فيما يزعمون — فى ركب من قريش ، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، أُبطِئ به ، فانطلق من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبة بن سعد ، وهو أخوه فى نسب بنى ذبيان — ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . وعوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان — فحبسه وزوّجه والتاطه وآخاه ، فشاع نسبه فى بنى ذبيان . وثعلبة — فيما يزعمون — الذى يقول لعوف حين أبطئ به ، فتركه قومه :

احبس علىّ ابن لؤى جملك ... تركك القوم ولامترَكَ لك

مكانة مرة : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين أن عمر بن الخطاب، قال : لو كنت مدعيا حيا من العرب ، أو ملحقهم بنا ، لادعيت بنى مرة بن عوف ، إنا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعنى : عوف بن لؤى .

نسب مرة : قال ابن إسحاق : فهو فى نسب غطفان : مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان . وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب : ما ننكره ، وما نجحده ، وإنه لأحب النسب إلينا .

وقال الحارث بن ظالم بن جَذيمة بن يربوع — قال ابن هشام : أحد بنى مرة بن عوف حين — هرب من النعمان ابن المنذر ، فلحق بقريش :

فما قومى بثعلبة بن سعد ... ولا بفزارة الشُّعْر الرقابا
وقومى - إن سألت - بنو لؤى ... بمكة علّموا مضر الضرابا
سفهنا باتباع بنى بغيض ... وترك الأقربين لنا انتسابا
سفاهة مُخْلِف لمّا تروّى ... هراق الماء ، واتبع السّرابا
فلو - طووعتَ - عمرك كنتُ فيهم ... وما أُلْفيتُ أنتجع السحابا
وخش رواحة القرشى رحلى ... بناجية ولم يطلب ثوابا

قال ابن هشام ، هذا ما أنشدنى أبو عبيدة منها .

وذكر شعر الحارث بن ظالم . وقوله : سفاهة مخلف ، وهو المستقى ، وفيه مما لم يذكر :

لعمرك إننى لأحب كعباً ... وسامة إخوتى حبى الشرابا

وقوله : وخَشّ رَوَاحة القرشى رحلى بناجية . أى : بناقة سريعة يقال : خش السهم بالريش ، إذا راشه به ، فأراد : راشنى وأصلح رحلى بناجية ، ولم يطلب ثوابا بمدحه بذلك . ورواحة هذا : هو رواحة بن مُنقذ بن مُعيص بن عامر كان قد ربع فى الجاهلية أى : رأس ، وأخذ المرباع[1]

وقوله : لو طووعت عمرك كنت فيهم ، ونصب عمرك على الظرف .

وقوله : وما ألفيت انتجع السحابا . أى : كانوا يغنوننى بِسَيْبهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب ، وارتياد المراعى فى البلاد .

---

(١) كانوا فى الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضاً ، وغنموا ، أخذ الرئيس ربع الغنيمة

قال ابن إسحاق: فقال الحُصين بن الحُمام المرى ، ثم أحد بنى سهم بن مرة يرد على الحارث بن ظالم ، وينتمى إلى غطفان :

ألا لستمُ منا ، ولسنا إليكم برئنا إليكم من لؤى بن غالب
أقمنا على عز الحجاز ، وأنتم بمُعتلج البطحاء بين الأخاشب

يعنى : قريشا ، ثم ندم الحصين على ما قال ، وعرف ما قال الحارث بن ظالم ، فانتمى إلى قريش ، وأكذب نفسه ، فقال :

ندمت على قول مضى كنت قلته تبينت فيه أنه قول كاذب
فليت لسانى كان نصفين منهما بكيم ، ونصف عند مجرى الكواكب
أبونا كنانى بمكة قبره بمعتلج البطحاء بين الأخاشب
لنا الرُّبع من بيت الحرام وِراثة وربع البطاح عند دار ابن حاطب

أى أن بنى لؤى كانوا أربعة : كعبا ، وعامراً ، وسامة ، وعوفا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجال من بنى مرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم ، فارجعوا إليه .

أشراف مرة : قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافا فى غطفان ، هم سادتهم وقادتهم . منهم : هرم بن سنان ابن أبى حارثة ، وخارجة بن سنّان بن أبى حارثة ، والحارث بن عوف ، والحصين بن الحمام ، وهاشم بن حرملة الذى يقول له القائل :

أحيا أباه هاشم بن حرملة
يوم الهباءات ويوم اليعملة
ترى الملوك عنده مغربله
يقتل ذا الذنب ، ومن لا ذنب له

وقول الحصين : بمعتلج البطحاء : أى حيث تعتلج السيول ، والاعتلاج عمل بقوة ، قال الشاعر :

لو قلت للسيل دع طريقك وال سيل كمثل الهضاب يعتلج

وفى الحديث : إنكما علجان ، فعالجا عن دينكما ، وفى الحديث : « إن الدعاء ليلقى البلاء نازلا من السماء ، فيعتلجان إلى يوم القيامة » أى : يتدافعان بقوة .

وقوله : لنا الربع بضم الراء ، يريد : أن بنى لؤى كانوا أربعة : أحدهم : أبوهم ، وهو عوف ، وبنو لؤى هم: أهل الحرم ، ولهم وراثة البيت . والأخاشب : جبال مكة ، وقد يقال لكل جبل : أخشب ، أنشد أبو عبيد :

كأن فوق منكبيه أخشبا

وذكر خارجة بن سنان الذى تزعم قيس أن الجن اختطفته لتستفحله نساؤها[1] لبراعته ونجدته ، ونجابة نسله ،

---

(١) يجعلنه مكان الزوج منهن .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة هذه الأبيات لعامر الخصفى : خصفة بن قيس بن عيلان :

أحيا أباه هاشم بن حرمله
يوم الهباءات ويوم اليَعْمَله
ترى الملوك عنده مُغَربله
يقتل ذا الذنب ، ومن لا ذنب له !!
ورمحه للوالدات مُشْكلة

وحدثنى أن هاشما قال لعامر : قل فىَّ بيتا جيدا أثبك عليه ، فقال عامر البيت الأول ، فلم يعجب هاشما ، ثم قال الثانى ، فلم يعجبه ، ثم قال الثالث ، فلم يعجبه ، فلما قال الرابع :

يقتل ذا الذنب ، ومن لا ذنب له !!

أعجبه ، فأثابه عليه .

قال ابن هشام : وذلك الذى أراد الكميت بن زيد فى قوله :

وهاشم مرة المفنى ملوكا بلا ذنب إليه ومذنبينا

وهذا البيت فى قصيدة له . وقول عامر : يوم الهباءات . عن غير أبى عُبيدة

قال ابن إسحاق : قوم لهم صيت وذكر فى غطفان وقيس كلها ، فأقاموا على نسبهم ، وفيهم كان البَسْل .

وقد قدمت بنته على عمر ، فقال لها : ما كان أبوك أعطى زهيراً حين مدحه ، فقالت : أعطاه مالا ورقيقا وأثاثا أفناه الدهر : فقال : لكن ما أعطاكم زهير لم يفنه الدهر . وكان خارجة بقيراً أمرت أمه عند موتها أن يبقر بطنها عنه ، ففعلوا فخرج حيا ، فسمى خارجة . ويقال للبقير : خِشْعَة ، قال الحطيئة يعنى خارجة بن سنان :

لقد علمت خيل ابن خشعة أنها متى ما يكن يوما جلاد تُجالد

وقول عامر : ترى الملوك حوله مُغَرْبلة . قيل معناه : منتفخة ، وذكروا أنه يقال : غربل القتيل إذا انتفخ ، وهذا غير معروف وإن كان أبو عبيد قد ذكره فى الغريب المصنف ، وأيضا : فإن الرواية بفتح الباء مغربلة ، وقال بعضهم : معناه : يتخير الملوك فيقتلهم ، والذى أراه فى ذلك أنه يريد بالغربلة استقصاءهم وتتبعهم ، كما قال مكحول الدمشقى : ودخلت الشام ، فغربلتها غربلة ، حتى لم أدع علماً إلا حويته ، فى كل ذلك أسأل عن البقل ، وذكر الحديث ، فمعنى هذا : التتبع والاستقصاء ، وكأنه من غربلت الطعام . إذا تتبعته بالاستخراج ، حتى لا تبقى إلا الحثالة . وقوله :

يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

إنما أعجب هاشما هذا البيت ؛ لأنه وصفه فيه بالعز والامتناع ، وأنه لايخاف حاكما يُعْدِى عليه ، ولا تِرَة من طالب ثأر . وهاشم بن حرملة هذا هو : جد منظور بن زَبَّان بن يسار الذى كانت بنته زجلة عند ابن الزبير ، فهو جد منظور لأمه ، واسمها : قهطِم بنت هاشم . كانت قهطم قد حملت بمنظور أربع سنين ، وولدته بأضراسه ، فسمى منظورا لطول انتظارهم إياه ، وفى زَبَّان بن سَيَّار والد منظور يقول الحطيئة :

وفى آل زبان بن سيارَ فتية يرون ثنايا المجد سهلا صعابُها

ولم يصرف سياراً لما سنذكره بعد — إن شاء الله .

أمر البسل

تعريف البسل : والبسل — فيما يزعمون — نسيئهم ثمانية أشهر حُرُم ، لهم من كل سنة من بين العرب، قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ، ولا يدفعونه ، يسيرون به إلى أى بلاد العرب شاءوا : لا يخافون منهم شيئا . قال زهير بن أبى سلمى ، يعنى بنى مرة .

نسب زهير بن أبى سلمى : قال ابن هشام : زهير أحد بنى مُزَيْنَة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر . ويقال : زهير بن أبى سلمى من غطفان ، ويقال : حليف فى غطفان

تأمل ، فإن تُقْوِ المَرَوْرَاة منهم وداراتها لا تُقْوِ منهم إذاً نخل

بلاد بها نادمتهم وألفتهم فإن تُقْوِيا منهم فإنهم بسل

أى : حرام . يقول : ساروا فى حرمهم .

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

أجارتكم بسل علينا محرم وجارتنا حل لكم وحليلها

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له .

مزينة : وذكر زهيراً ونسبه إلى مزينة ، وهم بنو عثمان بن عمرو بن الأُطَم بن أد بن طابخة . قال حسان ابن ثابت :

فإنك خير عثمان بن عمرو وأسناها إذا ذكر السناء

يمدح رجلا من مزينة ، ومزينة : أمهم ، وهى بنت كلب بن وبرة ، وأختها : الحوأب بنت كلب التى يعرف بها ماء الحوأب(١) المذكور فى حديث عائشة : أيتكن صاحبة الجمل الأدْبَب تنبحها كلاب الحوأب .

البسل ومعناه وذكر البسل وهو الحرام ، والبسل أيضا :الحلال ، فهو من الأضداد ومنه : بُسْلَة الراقى، أى ما يحل له أن يأخذه على الرقية ، وبسل فى الدعاء بمعنى : آمين : قال الراجز :

لا خاب من نفعك من رجاك بَسْلا ، وعادى الله من عاداك

وكان عمر بن الخطاب يقول فى أثر الدعاء : آمين وبسلا ، أى : استجابة .

وقول زهير : فإن تُقْوِ المَرَوْرَاة منهم ، البيت وقع فى بعض النسخ المرورات بتاء ممدودة ، كأنه جمع مَرَوْرٍ ، وليس فى الكلام مثل هذا البناء ، وإنما هو المروراة بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام ، فهو فَعَلْعَلَة مثل صمحمحة ، والألف فيه منقلبة عن واو أصلية ، وهذا قول سيبويه جعله مثل : شَجَوْجاة . وأبطل أن يكون من باب عَثَوْثَل ، وقال ابن السراج فى قَطَوْطَاة ، وهو مثل : مروراة ، هو فعوعل مثل : عثوثل ، وقال سيبويه فيه : إنه من باب صَمَحْمَحَة ، فالواو زائدة على قول ابن السراج ، ووزنه عنده : فعوعلة .

---

(١) الحوأب منزل بين البصرة ومكة ، وهو الذى نزلته عائشة رضى الله عنها لما جاءت إلى البصرة فى وقعة الجمل .

أولاد كعب وأمهم : قال ابن إسحاق : فولد كعب بن لؤى ثلاثة نفر : مرة بن كعب ، وعدى بن كعب، وهُصَيْص بن كعب . وأمهم : وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر .

أولاد مرة وأمهاتهم : فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر : كلاب بن مرة ، وتيم بن مرة ، ويقظة ابن مرة .

فأم كلاب : هند بنت سُرَير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن كنانة بن خزيمة . وأم يقظة : البارقية ، امرأة من بارق ، من الأسد من اليمن . ويقال : هى أم تيم . ويقال : تيم هند بنت سَرَير أم كلاب .

نسب بارق : قال ابن هشام : بارق : بنو عدى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ، وهم فى شَنُوءة . قال الكميت بن زيد :

وأزْد شنوءة اندرءوا علينا ... بِجُمٍّ يحسبون لها قرونا

فما قلنا لبارق : قد أسأتم ... وما قلّنا لبارق : أعتِبونا

قال : وهذان البيتان فى قصيدة له . وإنما سموا ببارق ؛ لأنهم تبعوا البرق .

ولدا كلاب وأمهما : قال ابن إسحاق : فولد كلاب بن مرة رجلين : قصى بن كلاب ، وزهرة بن كلاب . وأمهما : فاطمة بنت سعد بن سَيَل أحد بنى الجَدَرَة ، من جُعْثُمة الأزد ، من اليمن ، حلفاء فى بنى الدّيل ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

هصيص : وذكر هُصَيْص بن كعب ، وهو : فعيل من الهص ، وهو : القبض بالأصابع من كتاب العين .

يقظة بن مرة : وذكر يقظة بن مرة بفتح القاف ، وقد وجدته بسكون القاف فى أشعار مُدح بها خالد بن الوليد ، فمنها قول الشاعر :

وأنت لمخزوم بن يقظة جُنَّة ... كلا اسميك فيها ماجد وابن ماجد

وأم مخزوم بن يقظة جد بنى مخزوم : كابة بنت عامر بن لؤى . قاله الزبير .

بارق : وذكر بارق ، وهم : بنو عدى من الأزْد ، وقال : سمُّوا : بارق ؛ لأنهم اتبعوا البرق ، وقد قيل : إنهم نزلوا عند جبل يقال له : بارق، فسموا به .

وقول الكميت : ... بجُمّ يحسبون لها قرونا

أى : يناطحون بلا عُدَّة ولا مُنّة (١) كالكباش الجم التى لا قرون لها ، ويحسبون أن لهم قوة . والكميت هذا هو : ابن زيد أبو المستهل من بنى أسد .

وفى أسد : الكميت بن معروف ، كان قبل هذا ، وفيهم أيضا الكميت بن ثعلبة ، وهو أقدم الثلاثة ، وابن معروف هو الذى يقول :

ولا تكثروا فيه الضِّجاج ، فإنه ... محا السيف ما قال ابنُ دارة أجمعا

---

(١) المنة : القوة .

نسب جعثمة : قال ابن هشام : ويقال : جُعْثمة الأسْد ، وجعثمة الأزْد ، وهو جعثمة بن يشكر بن مبشر ابن صعب بن دُهْمان بن نصر بن زهران بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث . ويقال : جعثمة بن يشكر بن مُبشر بن صعب بن نصر بن زهران بن الأسد بن الغوث .

وإنما سُموا الجدرة ؛ لأن عامر بن عمرو بن جعثمة تزوج بنت الحارث بن مضاض الجرهمى ، وكانت جرهم أصحاب الكعبة . فبنى للكعبة جداراً ، فسمى عامر بذلك : الجادر ، فقيل لولده : الجدرة لذلك .

قال ابن إسحاق : ولسعد بن سَيَل يقول الشاعر :

ما نرى فى الناس شخصاً واحداً ... من علمناه كسعد بن سَيَلْ
فارسا أضبط ، فيه عُسْرَةٌ ... وإذا ما واقف القِرْنَ نزل
فارسا يستدرج الخيل كما اسـ ... ـتدرج الحر القَطامِىَّ الحَجَل

قال ابن هشام : قوله : كما استدرج الحر . عن بعض أهل العلم بالشعر .

الجدرة : وذكر الجَدَرَةَ ، وقال : هم بنو عامر بن خزيمة بن جُعْثُمة ، وفى حاشية الشيخ أبى بحر زيادة خزيمة خطأ ، إنما هو : عمرو بن جعثمة ، وذكر غير ابن إسحاق أن السيل ذات مرة دخل الكعبة ، وصدع بنيانها ، ففزعت لذلك قريش ، وخافوا انهدادها إن جاء سيل آخر ، وأن يذهب شرفهم ودينهم ، فبنى عامراً لها جداراً ، فسمى : الجادر . وقوله فى الجدرة : حلفاء بنى الدُّيل . المعروف عند أهل النسب : أن الديل فى عبد القيس ، وهو الديل بن عمرو بن وديعة ، والديل أيضا فى الأزد ، وهو ابن هَدْهَاد بن زيد مناة ، والديل أيضا فى تغلب وهو : ابن زيد بن عمرو بن غنم بن تغلب ، والديل أيضا فى إياد ، وهو ابن أمية بن حذافة بن زهير بن إياد ، وأما الذى فى كنانة ، وهم الذين ينسب إليهم أبو الأسود الدؤلى ، وهو : ظالم بن عمرو ، وهم حلفاء الجدرة ، فابن الكلبى ومحمد بن حبيب وغيرهما من أهل النسب يقولون فيه : الدُّئِل بضم الدال وهمزة مكسورة ، وينسبون إليه دُؤَلِىّ ، وطائفة من أهل اللغة ، منهم : الكسائى ويونس بن حبيب والأخفش يقولون فيه : الديل بكسر الدال، وينسبون إليه الديلىّ ، واختاره أبو عبيدة . قال محمد بن حبيب : ابن الكلبى وغيره من أهل النسب أقعد بهذا ، وإليهم يرجع فيما أشكل من هذا الباب .

قال المؤلف : وأما الدُّول ، فالدُّول بن حنيفة ، واسم حنيفة : أُثال بن لُجَيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، وهم رهط مسيلمة الكذاب ، وفى ربيعة أيضا ، ثم فى عمرة : الدُّول بن صباح ، وفى الرِّباب : الدول بن جَلّ بن عدى بن عبد مناة بن أُدّ ، بن طابخة ، وفى الأسْد : الدُّول بن سعد مناة بن غامد .

والذى تقيد عن ابن إسحاق فى الديل بن بكر بكسر الدال والياء الساكنة وقد وافقه على ذلك من النُّسَّاب : العَدوى وابن سالم الجمحى ، ومن تقدم ذكره من أهل اللغة ، والدَّأل على وزن فعْل من: دأل يدأل إذا مشى بعجلة، وأما الديل بغير همز ، فكأنه سمى بالفعل من ديل عليهم من الدَّولة على وزن ما لم يُسم فاعله ، وقد قيل: إن الدُّئل ابن بكر سمى بالدئل ، وهى دُوَيبة صغيرة . وأنشدوا لكعب بن مالك :

جاءوا بجيش لو قيس مُعْرَسُه ... ما كان إلا كمعرس الدُّئِل[1]

وأنشد فى سعد بن سَيَل ، واسم سيل : خير بن حَمالة ، قاله الطبرى ، والسيل هو : السنبل ، وهو أول من حلى السيوف بالذهب والفضة . فارساً أضبط ، فيه عسرة

---

(١) المعرس : المكان الذى يعرس فيه القوم ، أى ينزلون فيه ليلا . قال الشاعر :

فأصبحوا والنوى عالى معرسهم ... وليس كل النوى تلق المساكينا

نعم بنت كلاب وأمها وولداها : قال ابن هشام : ونعم بنت كلاب ، وهى أم سعد وسعيد ابنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، وأمها : فاطمة بنت سعد بن سَيَل .

أولاد قصى وأمهم : قال ابن إسحاق : فولد قصى بن كلاب أربعة نفر وامرأتين : عبد مناف بن قصى ، وعبد الدار بن قصى ، وعبد العُزَّى بن قصى ، وعبد قصى بن قصى ، وتخمر بنت قصى ، وبرة بنت قصى ، وأمهم : حُبَّى بنت حُلَيل بن حَبَشية بن سَلول بن كعب بن عمرو الخزاعى .

قال ابن هشام : ويقال : حُبْشيه بن سلول .

أولاد عبد مناف وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد عبد مناف — واسمه : المغيرة بن قصى — أربعة نفر : هاشم بن عبد مناف ، وعبد شمس بن عبد مناف ، والمطلب بن عبد مناف ، وأمهم : عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عكرمة ، ونوفل بن عبد مناف ، وأمه : واقدة بنت عمرو المازنية . مازن : بن منصور بن عكرمة .

قال ابن هشام : فبهذا النسب خالفهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نُسَيْب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة .

قال ابن هشام : وأبو عمرو ، وتماضر ، وقلابة ، وحَيَّة ، ورَيْطة ، وأم الأخثم ، وأم سفيان : بنو عبد مناف .

فأم أبى عمرو : رَيطة ، امرأة من ثقيف ، وأم سائر النساء : عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف ، وأمها صفية بنت حَوْزة بن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وأم صفية : بنت عبد الله[1] ابن سعد العشيرة بن مَذْحج .

الأضبط : الذى يعمل بكلتا يديه ، وهو من صفة الأسد أيضاً ، قال الجُمَيْح :

ضبطاء تسكن غَيْلا غير مقروب

وقوله : فيه عُسْرة من هذا المعنى أيضا ، والاسم منه : أعسر .

العواتك : وذكر حُلَيل بن حُبْشية ، والحبشية : نملة كبيرة سوداء ، وأن قصيا تزوج ابنته حبى ، فولدت له عبد مناف وإخوته ، وقال غيره : بل أم عبد مناف : عاتكة بنت هلال بن بالج بن ذَكوان ، وأم هاشم : عاتكة بنت مرة : فالأولى : عمة الثانية . وأم وهب جد النبى — عليه السلام — لأمه : عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال ، فهن عواتك ؛ ولدن النبى عليه السلام ، ولذلك قال : وأنا ابن العواتك من سُلَيْم ، وقد قيل فى تأويل هذا الحديث : إن ثلاث نسوة من سليم أرضعنه ، كلهن تسمى : عاتكة ، والأول أصح . وأم عاتكة بنت مرة : ماوية بنت حَوْزة بن عمرو بن مرة أخى عامر بن صعصعة ، وهم بنو سلول ؛ وأم ماوية : أم أناس المَذْحِجِية .

أمهات بنى عبد مناف : وقال فى أمهات بنى عبد مناف : وأما صفية فأمها : بنت عبد الله بن سعد العشيرة ابن مَذْحِج ، وهو وهمٌ ، لأن سعد العشيرة بن مذحج هو أبو القبائل المنسوبة إلى مذحج إلا أقلها ، فيستحيل أن

(١) ويروى : عائذ الله .

أولاد هاشم وأمهاتهم : قال ابن هشام : فولد هاشم بن عبدمناف أربعة نفر ، وخمس نسوة : عبدالمطلب ابن هاشم ، وأسد بن هاشم ، وأبا صَيْفِيّ بن هاشم ، ونضلة بن هاشم ، والشِّفاء ، وخالدة ، وضعيفة ، ورقية ، وحية . فأم عبد المطلب ورقية : سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار . واسم النجار : تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

وأمها : عُميرة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار . وأم عميرة : سلمى بنت عبد الأشهل النجَّارية . وأم أسد : قَيْلة بنت عامر بن مالك الخزاعى . وأم أبى صيفى وَحَيَّة : هند بنت عمرو ابن ثعلبة الخزرجية . وأم نَضْلة والشِّفاء : امرأة من قضاعة . وأم خالدة وضعيفة : واقدة بنت أبى عدى المازنية .

يكون فى عصر هاشم من هو ابن له لصلبه ، ولكن هكذا رواه البرقى عن ابن هشام — كما قلنا — ورواه غيره : بنت عبد الله من سعد العشيرة ، وهى رواية الغسانى ، وقد قيل فيه : عائذ الله ، وهو أقرب إلى الصواب . ولسعد العشيرة ابن لصلبه ، واسمه : عيذ الله ، وهى قبيلة من قبائل جَنْب من مَذحج ، وقد ذكرت بطون جنب ، وأسماء ولد سعد العشيرة ، أو أكثرهم فى هذا الكتاب ، ولم سميت تلك القبائل بجنب ، وأحسب الوهم فى رواية البرقى إنما جاء من اشتراك الاسم ؛ لأن أم صفية المذكورة بنت عيذ الله ، ولكن ليس بعيذ الله الذى هو ابن سعد العشيرة لصلبه ، ولكنه من سعد العشيرة .

عبد شمس : وذكر عبد شمس بن عبد مناف ، وكان تلوا لهاشم ، ويقال : كانا توأمين ، فوُلد هاشم ، ورجله فى جبهة عبدشمس ملتصقة، فلم يقدر على نزعها إلا بدم، فكانوا يقولون : سيكون بين ولدهما دماء ، فكان تلك الدماء ما وقع بين بنى هاشم ، وبين بنى أمية بن عبد شمس . وأما سلمى أم عبد المطلب ، فقد ذكر نسبها ، وأمها : عُمَيرة بنت صَخْر المازنية ، وابنها : عمرو بن أُحَيْحة بن الجُلاح، وأخوه : معبد، ولدتهما لأحيحة بعد هاشم ، وكان عمرو من أجمل الناس وأنطقهم بحكمة ، وقال رجل من بنى هاشم للمنصور : أرأيت إن اتسعنا فى البنين ، وضقنا فى البنات فإلى من تدفعنا ، يعنى : فى المصاهرة ، فأنشد :

عبدشمس كان يتلو هاشما ... وهما بعدُ لأم ولأب

وذكر الدارقطنى : أن الحارث بن حبش السلمى ، كان أخا هاشم وعبد شمس والمطلب لأمهم ، وأنه رثى هاشما لهذه الأخوة ، وهذا يقوى أن أمهم عاتكة السُّلمية .

أم حية : وذكر ابن إسحاق أن أم حية بنت هاشم ، وأم أبى صيفى : هند بنت عمرو بن ثعلبة والمعروف عند أهل النسب أن أم حية: جَحْل بنت حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيط الثقفية، وحية بنت هاشم كانت تحت الأجحم بن دِندنة الخزاعى ولدت له : أسيدا ، وفاطمة بنت الأجحم التى تقول :

قد كنت لى جبلا ألوذ بظله ... فتركتنى أضحى بأجرد ضاح

وقع هذا الشعر لها فى الحماسة وغيرها .

أولاد عبد المطلب بن هاشم

أولاد عبد المطلب وأمهاتهم : قال ابن هشام : فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر ، وست نسوة : العباس، وحمزة ، وعبد الله ، وأبا طالب — واسمه . عبد مناف — والزبير ، والحارث ، وحَجْلا ، والمقوِّم ، وضِرَارا ، وأبا لهب — واسمه عبد العُزَّى — وصفية ، وأم حكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأميمة ، وأروَى ، وبَرَّة .

فأم العباس وضرار : نُتَيْلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر — وهو الضَّحيان — بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويقال : أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة .

وأم حمزة والمقوم وحَجْل — وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره ، وسعة ماله — وصفية : هالة بنت أهيب ابن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

وأم عبدالله ، وأبى طالب ،والزبير ، وجميع النساء غير صفية : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأمها : [أى صفية] صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر .

وأم صخرة : تخمر بنت عبد بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر .

نتيلة أم العباس : وذكر أم العباس ، وهى نتيلة بنت جناب بن كليب ، وهى من بنى عامر الذى يعرف بالضَّحيان ، وكان من ملوك ربيعة ، وقد ذكرنا فى خبر تبع ، أنها أول من كسا البيت الديباج ، وذكرنا سبب ذلك ، ونزيد ها هنا ما ذكره الماوردى ، قال : أول من كسا البيت الديباج : خالد بن جعفر بن كلاب أخذ لطيمة من البَزّ ، وأخذ فيها أنماطا (١)، فعلقها على الكعبة ، وأم نتيلة : أم حُجْر ، أو أم كرز بنت الأزَبّ من بنى بكيل من همدان ، وهى نتيلة بتاء منقوطة باثنتين وهى تصغير : نتلة واحدة : النتل ، وهم بيض النعام ، وبعضهم يصحفها بثاء مثلثة .

وذكر فى بنى عبد المطلب حَجْلا بتقديم الجيم على الحاء ، هكذا رواية الكتاب . وقال الدارقطنى : هو حَجْل بتقديم الحاء . وقال : جحل بتقديم الجيم هو : الحكم بن جحل يروى عن على ، ومن حديثه عنه أنه قال : ومن فضلنى على أبى بكر جلدته حد الفرية ». والجحل : السقاء الضخم . والجحل : الحِرباء . وذكر ابن دريد أن اسم جحل : مُصعب. وقال غيره : كان اسمه : مُغيرة ، وجحل : لقب له . والجحل : ضرب من اليعاسيب : قاله صاحب العين. وقال أبو حنيفة : كل شىء ضخم فهو : جحل ، وجحل : هو الغَيْداق ، والغيداق : ولد الضب ، وهو أكبر من الحِسل ولم يُعْقب ، وكذا المقوم لم يعقب إلا بنتا اسمها : هند . وأم الغيداق — فيما ذكر القتبى : مُمَنَّعة بنت عمرو الخزاعية ، وهذا خلاف قول ابن إسحاق .

---

(١) اللطيمة : العير تحمل البضائع . والبز : الثياب . والأنماط : ضرب من البسط .

وأم الحارث بن عبد المطلب : سمراء بنت جندب بن جُحَير بن رئاب بن حبيب بن سُواءة بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة .
وأم أبي لهب : لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضَاطِر بن حُبْشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى .

الزبير عم النبى (ص) : وذكر فى أعمامه أيضاً : الزبير ، وهو أكبر أعمام النبى — صلى الله عليه وسلم — وهو الذى كان يُرَقِّص النبى — صلى الله عليه وسلم — وهو طفل ، ويقول :

محمد بن عَبْدَمِ عشت بعيش أنعَم
فى دولة ومغنم دام سجيس الأزلم[1]

وبنته : ضباعة كانت تحت المقداد . وعبد الله ابنه : مذكور فى الصحابة — رضى الله عنهم — وكان الزبير — رضى الله عنه — يكنى أبا الطاهر بابنه : الطاهر ، وكان من أظرف فتيان قريش ، وبه سمَّى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ابنه الطاهر . وأخبر الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات ، فقال : بأى عقوبة كان موته ؟ فقيل : مات حتف أنفه ، فقال : وإن ! فلا بد من يوم ينصف الله فيه المظلومين ، فى هذا دليل على إقراره بالبعث.

أبو طالب : وذكر أبا طالب ، واسمه : عبد مناف ، وله يقول عبد المطلب :

أوصيك يا عبد مناف بعدى بمؤتم بعد أبيه فرد
مات أبوه وهو حلف المهد

أبو لهب : وذكر أبا لهب . واسمه : عبد العُزَّى ، وكنى : أبا لهب لإشراق وجهه وكان تقدمة من الله — تعالى — لما صار إليه من اللهب ، وأمه : لبنى بنت هاجر بكسر الجيم من بنى ضاطرة بضاد منقوطة . واللبنى فى اللغة : شىء يتميع من بعض الشجر ، قاله أبو حنيفة . ويقال لبعضه : الميعة ، والدُّودم : مثل اللبنى يسيل من السَّمُر . غير أنه أحمر ، فيقال : حاضت السمرة إذا رشح ذلك منها .

أمهات النبى صلى الله عليه وسلم

ذكر فى آخرهن : برة بنت عوف بن عُبَيْد بن عُوَيج بن عدى وهن كلهن قرشيات ؛ ولذلك وقف فى بَرَّة ، وإن كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا : أم برة ، وأم أمها ، وأم أم الأم ، ولكنهن من غير قريش ، قال محمد بن حبيب : وأم برة : قلابة بنت الحارث بن مالك بن طابخة بن صعصعة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل ، وأم قلابة : أميمة بنت مالك بن غَنْم بن لحيان بن غادية بن كعب ، وأم أميمة : دبَّة بنت الحارث بن لحيان بن غادية ، وأمها : بنت كهف الظلم من ثقيف ، وذكر الزبير قلابة بنت الحارث ، وزعم أن أباها الحارث كان يكنى : أبا قلابة ، وأنه أقدم شعراء هذيل ، وذكر من قوله :

لا تأمنن وإن أمسيت فى حرم إن المنايا بجنبىْ كل إنسان
واسلك طريقك تمشى غير مختشع حتى تلاقى ما منى لك المانى[2]
فالخير والشر مقرونان فى قَرَن بكل ذلك يأتيك الجديدان

---

(١) ابن عبدم : ابن عبد ، وزاد الميم هنا كما تزاد فى ابن فيقال ابنم . وسجيس الأزلم : أبد الدهر .
(٢) منى لك المانى : قدّر عليك القادر سبحانه وتعالى .

أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهاتها : قال ابن هشام فولد عبدُ الله بن عبد المطلب : رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — سيد ولد آدم ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله .

وأمه : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر .

وأمها : برة بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فِهر بن مالك بن النضر .

وأم برة : أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر .

وأم أم حبيب : برة بنت عوف بن عُبيد بن عُويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

قال ابن هشام : فرسول الله — صلى الله عليه وسلم — أشرف ولد آدم حسبا ، وأفضلهم نسبا من قِبل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم .

حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

احتفار زمزم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : وكان من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ماحدثنا به زياد بن عبد الله البكائى، عن محمد بن إسحاق المطلبى: بينما عبد المطلب بن هاشم نائم فى الحِجْر، إذ أُتى ؛ فأمر بحفر زمزم ، وهى دَفْن بين صنمى قريش : إساف ونائلة ، عند منحر قريش . وكانت جرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة ، وهى : بئر إسماعيل بن إبراهيم — عليهما السلام — التى سقاه الله حين ظمىء وهو صغير ، فالتمست له أمه ماء فلم تجده ، فقامت إلى الصفا تدعو الله، وتستغيثه لإسماعيل ، ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك . وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام ، فهمز له بعَقِبه فى الأرض، فظهر الماء ، وسمعت أمه أصوات السباع فخافتها عليه ، فجاءت تشتد نحوه ، فوجدته يفحص بيده عن الماء من تحت خده ويشرب ، فجعلته حسيا (١)

باب مولد النبى صلى الله عليه وسلم

ذَكر نسبَ أمه:آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة ، وأن زُهرة هو : ابن كلاب ، وفى المعارف لابن قتيبة : أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة ، وهذا منكر غير معروف ، وإنما هو اسم جدهم — كما قال ابن إسحاق : والزهرة فى اللغة : إشراق فى اللون ، أىُّ لون كان من بياض أو غيره . وزعم بعضهم أن الأزهر هو الأبيض خاصة ، وأن الزهر اسم للأبيض من النُّوار ، وخطَّأ أبو حنيفة من قال بهذا القول ، وقال : إنما الزهرة إشراق فى الألوان كلها ، وأنشد فى نَوْر الحوْذَان ، وهو أصفر :

---

(١) الحسى : الحفيرة الصغيرة ، أو هو ما يختفى فى الرمل ، فإذا نبش ظهر .

أمر جرهم ودفن زمزم

ولاة البيت من ولد إسماعيل : قال ابن هشام : وكان من حديث جرهم ، ودفنها زمزم ، وخروجها من مكة ، ومن ولىَ أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبد المطلب زمزم ، ماحدثنا به زياد بن عبدالله البكائى عن محمد ابن إسحاق المطلبى ، قال : لما توفى إسماعيل بن إبراهيم ولى البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل — ما شاء الله أن يليه — ثم ولى البيت بعده : مُضاض بن عمرو الجرهمى .

قال ابن هشام : ويقال : مِضاض بن عمرو الجرهمى .

بغى جرهم وقطوراء : قال ابن إسحاق : وبنو إسماعيل، وبنو نابت مع جدهم : مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرهم ، وجرهم وقطوراء يومئذ أهل مكة ، وهما ابنا عم ، وكانا ظعنا من اليمن ، فأقبلا سيارة ، وعلى جرهم : مُضاض بن عمرو ، وعلى قطوراء : السَّمَيدع رجل منهم . وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملك يقيم أمرهم . فلما نزلا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجر ، فأعجبهما فنزلا به . فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم بأعلى مكة بقُعَيقِعان ، فما حاز . ونزل السميدع بقطوراء ، أسفل مكة بأجياد ، فما حاز : فكان مضاض يعشر من دخل مكة من أعلاها ، وكان السميدع يعشر من دخل مكة من أسفلها . وكل فى قومه لايدخل واحد منهما على صاحبه . ثم إن جرهم وقطوراء بغى بعضهم على بعض ، وتنافسوا الملك بها ، ومع مضاض يومئذ : بنو إسماعيل وبنو نابت ، وإليه ولاية البيت دون السميدع . فصار بعضهم إلى بعض ، فخرج مضاض بن عمرو من قعيقعان فى كتيبته سائرا إلى السميدع ، ومع كتيبته عُدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب، يقعقع بذلك معه، فيقال : ماسمى قعيقعان : بقعيقعان إلا لذلك . وخرج السميدع من أجياد ، ومعه الخيل والرجال ، فيقال : ماسمى أجياد : إلا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه . فالتقوا بفاضح ، واقتتلوا قتالا شديداً، فقُتل السميدع ، وفُضحت قطوراء . فيقال : ماسمى فاضح : فاضحا إلا لذاك . ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح ، فساروا حتى نزلوا المطابخ : شِعبا بأعلى مكة ، واصطلحوا به ، وأسلموا الأمر إلى مُضاض. فلما جُمع إليه أمر مكة ، فصار ملكها له نحر للناس فأطعمهم ، فاطّبخ الناس وأكلوا، فيقال: ماسميت المطابخ إلالذلك . وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت المطابخ، لما كان تُبّع نحر بها ، وأطعم ، وكانت منزله. فكان الذى كان بين مضاض والسميدع أول بغى كان بمكة فيمايزعمون .

ترى زهر الحوْذَانِ حول رياضه يضىء كاون الأتحَمِىِّ المورَّسِ (١)

وفى حديث يوم أحد : نظرت إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وعيناه تزهران تحت المِغفر .

زمزم وسبب تسميتها : وذكر فيه خبر إسماعيل، وأمه، وقد تقدم طرف منه. وذكر أن جبريل — عليه السلام — همز بعقبه فى موضع زمزم ، فنبع الماء ، وكذلك زمزم تسمى : هَمْزَة جبريل بتقديم الميم على الزاى ، ويقال فيها أيضاً : هزمة جبريل ، لأنها هَزْمَة (٢) فى الأرض ، وحكى فى اسمها : زُمَازِمُ وزمزم : حكى ذلك عن المُطرز ، وتسمى أيضاً : طعام طُعْم ، وشفاء سُقْم . وقال الجُرْبِى : سميت زمزم ، بزمزمة الماء ، وهى

---

(١) الحوذان : نبات عشبي . والأتحمى : نوع من البرود الموشاة . والمورس : المصبوغ بالورس وهو نوع من النبات عليه زغب أحمر .

(٢) الهزمة : النقرة ، وهزمت البئر : حفرتها .

انتشار ولد إسماعيل : ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة ، وأخوالهم من جرهم ولاة البيت والحكام بمكة ، لاينازعهم ولد إسماعيل فى ذلك لخئولتهم وقرابتهم ، وإعظاما للحرمة أن يكون بها بغى أوقتال . فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا فى البلاد ، فلا يناوئون قوما إلا أظهرهم الله عليهم - بدينهم - فوطئوهم .

صوته ، وقال المسعودى : سميت زمزم ؛ لأن الفُرس كانت تحج إليها فى الزمن الأول ، فزمزمت عليها . والزمزمة : صوت يخرجه الفُرس من خياشيمها عند شرب الماء : وقد كتب عمر — رضى الله عنه — إلى عماله : أن انهوا الفرس عن الزمزمة ، وأنشد المسعودى :

زمزمت الفرس على زمزم   وذاك فى سالفها الأقدم

وذكر البرقى عن ابن عباس — رضى الله عنه — أنها سميت : زمزم لأنها زُمَّتْ بالتراب ؛ لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا ، ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شىء . وقال ابن هشام : والزمزمة عند العرب : الكثرة والاجتماع . قال الشاعر :

وباشرت معطنها المُدهمّا   ويممتْ زَمْزومها المُزَمْزِما(١)

سبب انتقال هاجر وإسماعيل إلى مكة : وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليها من الشام أن سارة بنت عم إبراهيم — عليه السلام — شجر بينها وبين هاجر أمر ، وساء ما بينهما ، فأمر إبراهيم أن يسير بها إلى مكة ، فاحتملها على البراق واحتمل معه قربة بماء ومِزود تمر ، وسار بها حتى أنزلها بمكة فى موضع البيت ، ثم ولَّى راجعا عوده على بدئه ، وتبعته هاجر وهى تقول : آلله أمرك أن تدعنى ، وهذا الصبى فى هذا البلد الموحش ، وليس معنا أنيس ؟ ! فقال : نعم ، فقالت : إذاً لا يضيعنا ، فجعلت تأكل من التمر ، وتشرب من ماء القربة ، حتى نفد الماء ، وعطش الصبى ، وجعل يَنْشَغُ(٢) للموت ، وجعلت هى تسعى من الصفا إلى المروة ، ومن المروة إلى الصفا ؛ لترى أحدا ، حتى سمعت صوتاً عند الصبى ، فقالت : قد أسمعْت ، إن كان عندك غوث ، ثم جاءت الصبى ، فإذا الماء ينبع من تحت خده ، فجعلت تغرف بيديها ، وتجعل فى القربة . قال النبى — صلى الله عليه وسلم — : « لو تركتْه لكانت عينا ، أو قال : نهراً مَعِيناً » ، وكلمها الملك ، وهو جبريل — عليه السلام — وأخبرها أنها مقر ابنها وولده إلى يوم القيامة ، وأنها موضع بيت الله الحرام ، ثم ماتت هاجر ، وإسماعيل — عليه السلام — ابن عشرين سنة ، وقبرها فى الحِجر ، وثَمَّ قبر إسماعيل — عليه السلام — وكان الحجر قبل بناء البيت زَرْباً لغنم إسماعيل - صلى الله عليه وسلم ويقال : إن أول بلد ميرت منه أم إسماعيل - عليه السلام - وابنها التمر : القرية التى كانت تعرف بالفُرْع من ناحية المدينة ، والله أعلم .

قطورا وجرهم ينزلون على هاجر : وذكر نزول جرهم ، وقطورا على أم - إسماعيل - هاجر ، وجرهم : هو قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، ويقال : جرهم بن عابر ، وقد قيل : إنه كان مع نوح عليه السلام فى السفينة ، وذلك أنه من ولد ولده ، وهم من العرب العاربة ، ومنهم تعلم إسماعيل العربية . وقيل إن الله تعالى أنطقه بها إنطاقا ، وهو ابن أربع عشرة سنة .

وأما قطورا ، فهو قطورا بن كَرْكَر .

---

(١) المعطن : مبرك الإبل . والمدهمّ : اللين . والزمزوم : الجماعة من الإبل عددها مائة .

(٢) ينشغ : ينازع كمن يموت .

بغى جرهم ونفيهم عن مكة

بنو بكر وغبشان يطردون جرهما : ثم إن جرهما بغوا بمكة، واستحلوا خلالا من الحرمة ، فظلموا من دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذى يُهدى لها ، فرقّ أمرهم . فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة ذلك ، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة ؛ فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بكر وغبشان ، فنفوهم من مكة . وكانت مكة فى الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا ، ولا يبغى فيها أحد إلا أخرجته ، فكانت تسمى : الناسّة ، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه ، فقال : إنها ماسميت ببكة إلا أنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا .

معنى بكة : قال ابن هشام : أخبرنى أبو عبيدة : أن بكة اسم لبطن مكة ؛ لأنهم يتباكون فيها ، أى : يزدحمون ، وأنشدنى :

إذا الشريب أخذته أكّة ... فخله حتى يبك بكة

أى : فدعه حتى يبك إبله . أى يخليها إلى الماء ، فتزدحم عليه ، وهو موضع البيت والمسجد . وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال ابن إسحاق : فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمى بغزالى الكعبة وبحجر الركن ، فدفنهما فى زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ، فحزنوا على مافارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديداً ، فقال عمرو ابن الحارث بن مضاض فى ذلك ، وليس بمضاض الأكبر :

السميدع : وأما السميدع الذى ذكره ، فهو السميدع بن هوثر — بثاء مثلثة — قيدها البكرى — ابن لاى ابن قطورا بن كركر بن عملاق ، ويقال : إن الزَّبّاء الملكة كانت من ذريته ، وهى بنت عمرو بن أُذَيْنة ابن ظَرِب بن حسان ، وبين حسان وبين السميدع آباء كثيرة ، ولا يصح قول من قال : إن حسان ابنه لصلبه ، لبعد زمن الزباء من السميدع ، وقد ذكرنا الاختلاف فى اسمها فى غير هذا الموضع . وذكر الحارث بن مضاض الأكبر بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هىّ ابن بنت جرهم .

وذكر ولاية جرهم البيت الحرام دون بنى إسماعيل إلى أن بغوا فى الحرم ، وكان أول بغى فى الحرم ما ذكره من حرب جرهم لقطورا .

أجياد : وأما أجياد فلم يسم بأجياد من أجل جياد الخيل ، كما ذكر لأن جياد الخيل لا يقال فيها : أجياد ، وإنما أجياد : جمع جيد .

وذكر أصحاب الأخبار أن مُضاضا ضرب فى ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة ، فسمى الموضع : بأجياد ، وهكذا ذكر ابن هشام فى غير هذا الكتاب ، ومن شعب أجياد تخرج دابة الأرض التى تكلم الناس قبل يوم القيامة ، كذلك روى عن صالح مولى التّوأمة ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص .

قعيقعان : وذكر غيره فى أخبار مكة أن قعيقعان سمى بهذا الاسم حين نزل تُبع مكة ، ونحر عندها وأطعم ، ووضع سلاحه وأسلحة جنده بهذا المكان فسمى : قعيقعان بقعقعة السلاح فيه — والله أعلم .

وقائلةٍ والدمع مبُادر سُكـْب ... وقد شرُقت بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب منى كأنما ... يـُلجلجه بين الجناحين طائر
بلى نحن كنا أهلها ، فأزالنا ... صروف الليالى ، والجُـدود العوائر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت ، والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت ... بعز ، فما يحظى لدينا المـُكاثر
ملكنا فعززنا فأعظمْ بملكنا ... فليس لحى غيرنا ثَمّ فاخر
ألم تُنكحوا من خير شخص علمته ... فأبناؤه منا ، ونحن الأصاهر
فإن تَنثَنِ الدنيا علينا بحالها ... فإن لها حالا ، وفيها التشاجر
فأخرجنا منها المليك بقُدرة ... كذلك — يا للناس — تجرى المقادر

جرهم تستحل حرمة البيت : وذكر استحلال جرهم لحرمة الكعبة ، فمن ذلك أن إبراهيم عليه السلام ، كان احتفر بئرا قريبة القَعْر عند باب الكعبة، كان يلقى فيها ما يهدى إليها ، فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة ، فيذكر أن رجلا منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة ، فسقط عليه حجر من شفير البئر فحبسه فيها ، ثم أرسلت على البئر حية لها رأس كرأس الجدى ، سوداء المتْن ، بيضاء البطن ، فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة، وقامت فى البئر — فيما ذكروا — نحواً من خمسمائة عام ، وسنذكر قصة رفعها عند بنيان الكعبة إن شاء الله .

خزاعة تخرج جرهما من مكة : فلما كان من بغى جرهم ما كان ، ووافق تفرق سبأ من أجل سيل العرم ، ونزول حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أرض مكة ، وذلك بأمر طريفة الكاهنة ، وهى امرأة عمرو بن مُزَيقياء ، وهى من حمير ، وبأمر عمران بن عامر أخى عمرو ، وكان كاهنا أيضاً ، فنزلها هو وقومه ، فاستأذنوا جرهما أن يقيموا بها أياما ، حتى يرسلوا الرواد ، ويرتادوا منزلا حيث رأوا من البلاد ، فأبت عليهم جرهم ، وأغضبوهم ، حتى أقسم حارثة الأبيرح مكة إلا عن قتال وغلبة ، فحاربتهم جرهم ، فكانت الدولة لبنى حارثة عليهم، واعتزلت بنو إسماعيل ، فلم تكن مع أحد من الفريقين ، فعند ذلك ملكت خزاعة — وهم بنو حارثة — مكة ، وصارت ولاية البيت لهم ، وكان رئيسهم عمرو بن لحى الذى تقدم ذكره قبل ، فشرد بقية جرهم ، فسار فَلُّهم فى البلاد ، وسلط عليهم الذرُّ والرُّعاف[1]، وأهلك بقيتهم السيل بإضَم. حتى كان آخرهم موتا امرأة رئيت تطوف بالبيت بعد خروجهم منها بزمان ، فعجبوا من طولها وعظم خلقتها ، حتى قال لها قائل : أجنية أنت أم إنسية ؟ ! فقالت : بل إنسية من جرهم ، وأنشدت رجزاً فى معنى حديثهم ، واستَكْرت بعيراً من رجلين من جهينة ، فاحتملاها على البعير إلى أرض خيبر ، فلما أنزلاها بالمنزل الذى رسمت لهما ، سألاها عن الماء ، فأشارت لهما إلى موضع الماء ، فوليا عنها ، وإذا الذر قد تعلق بها ، حتى بلغ خياشيمها وعينيها ، وهى تنادى بالويل والثبور حتى دخل حلقها ، وسقطت لوجهها ، وذهب الجهنيان إلى الماء ، فاستوطناه ، فمن هنالك صار موضع جهينة بالحجاز وقرب المدينة ، وإنما هم من قضاعة ، وقضاعة : من ريف العراق .

(١) الذر : صغار النمل . والرعاف : نزول الدم من الأنف .

أقول إذا نام الخلى ـ ولم أنم ـ : أذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبُدِّلت منها أوجها لا أحبها قبائل منها حمير ويُحابر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة بذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحت دموع العين تبكى لبلدة بها حرم أمن ، وفيها المشاعر
وتبكى لبيت ليس يُؤذَى حمامه يظل به أمنا ، وفيه العصافر
وفيه وحوش ـ لا تُرام ـ أنيسة إذا خرجت منه ، فليست تغادر

قال ابن هشام : « فأبناؤه منا » ، عن غير ابن إسحاق .

غربة الحارث بن مضاض : رجع الحديث . وكان الحارث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب ابن هيّ بن نبت بن جرهم الجرهمى قد نزل بقنوْنَى من أرض الحجاز ، فضلت له إبل ، فبغاها حتى أتى الحرم ، فأراد دخوله ، ليأخذ إبله ، فنادى عمرو بن لحى : من وجد جرهميا ، فلم يقتله ، قطعت يده ، فسمع بذلك الحارث ، وأشرف على جبل من جبال مكة ، فرأى إبله تُنحر ، ويُتوزع لحمها ، فانصرف بائساً خائفاً ذليلا ، وأبعد فى الأرض ، وهى غربة الحارث بن مضاض التى تضرب بها المثل ، حتى قال الطائى :

غربة تقتدى بغربة قيس بـ ـن زهير والحارث بن مضاض

وحينئذ قال الحارث الشعر الذى رسمه ابن إسحق وهو قوله :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا

الشعر ، وفيه :

ونبكى لبيت ليس يـؤذى حمامه تظل به أمنا ، وفيه العصافر[1]

أراد : العصافير ، وحذف الياء ضرورة ، ورفع العصافير على المعنى ، أى : وتأمن فيه العصافير ، وتظل به أمناً ، أى : ذات أمن ، ويجوز أن يكون أمُناً جمع آمن مثل : ركْب جمع : راكب ، وفيه : ولم يسمر بمكة سامر : السامر : اسم الجماعة يتحدثون بالليل ، وفى التنزيل : « سامراً تهجرون » .

الحجون وواسط وعامر وجرهم : والحجون بفتح الحاء على فرسخ وثلث من مكة ، قال الحميدى : كان سفيان ربما أنشد هذا الشعر ، فزاد فيه بعد قوله : فليست تغادر :

ولم يتربع واسطاً وجَنُوبه إلى السر من وادى الأراكة حاضر
وأبدلنى ربى بها دار غربة بها الجوع باد ، والعدو المحاصر

قال الحميدى : واسط : الجبل الذى يجلس عنده المساكين ، إذا ذهبت إلى منى . وقوله فيه :

لا يبعد سُهيل وعامر

عامر : جبل من جبال مكة ، يدل على ذلك قول بلال رضى الله عنه : وهل يبدُوَن لى عامر وطَفيل . على رواية من رواه هكذا ، وجرهم هذا هو الذى تتحدث بها العرب فى أكاذيبها ، وكان من خرافاتها فى الجاهلية أن

---

(١) فى السيرة : يظل بدلا من : تظل .

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بكرا وغُبْشان، وساكنى مكة الذين خلفوا فيها بعدهم :

يأأيها الناس سيروا إن قصركم ... أن تصبحوا ذات يوم لاتسيرونا

حُثوا المطى، وأرخوا من أزمتها ... قبل الممات ، وقَضُّوا ماتقضونا

كنا أناسا كما كنتم ، فغيَّرنا ... دهر ، فأنتم كما كنا تكونونا

جرهما ابن الملك أهبط من السماء لذنب أصابه ، فغضب عليه من أجله ، كما أهبط هاروت وماروت ، ثم ألقيت فيه الشهوة ، فتزوج امرأة ، فولدت له جرهماً ، قال قائلهم :

لاهُمَّ إن جرهما عبادُ كا ... الناس طُرْفٌ ، وهم تلادكا

من كتاب الأمثال للأصبهانى .

مكة ، وبكة ومعناهما : وذكر مكة وبكة ، وقد قيل فى بكة ما ذكره من أنها تبك الجبابرة ، أى تكسرهم وتقدعهم ، وقيل : من التَّبَاكّ ، وهو : الازدحام ، ومكة من تمككْت العظم ، إذا اجتذبت مافيه من المخ ، وتمكك الفصيل ما فى ضرع الناقة ، فكأنها تجتذب إلى نفسها ما فى البلاد من الناس والأقوات التى تأتيها فى المواسم .

وقيل : لما كانت فى بطن واد ، فهى تمكك الماء من جبالها وأخاشبها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول .

وأما قول الراجز الذى أنشده ابن هشام :

إذا الشريب أخذته أكّهْ ... فخلِّه حتى يبك بكة

فالأكة : الشدة ، وإكاك الدهر : شدائده .

وذكر أنه كان يقال لها : النَّاسَّة ، وهو من نَسْت الشىء إذا أذهبته ، والرواية فى الكتاب بالنون ، وذكر الخطابى أنه يقال لها : الباسَّة أيضا بالباء ، وهو من بُسَّت الجبالُ بَسّاً ، أى : فتت وثَرِّيتْ ، كما يُثَرّى السويق ، قال الراجز :

لا تخبزا خبزاً وبسَّا بسا

يقول : لا تشتغلا بالخبز ، وثَريا الدقيق والتقماه . يقال : إن هذا البيت للص أعجله الهرب .

وذكر أبو عبيدة أن الخبز : شدة السَّوْق ، والبَسُّ : ألين منه ، وبعده :

ما ترك السَّير لهن نَسّا

من أسماء مكة : ومن أسماء مكة أيضا : الرأس ، وصَلاح ، وأم رُحْم ، وكُوثى ، وأما التى يخرج منها الدجال ، فهى : كوثى رَبّا ومنها كانت أم إبراهيم عليه السلام ، وقد تقدم اسمها ، وأبوها هو الذى احتفر نهر كوثى ، قاله الطبرى .

شعر الحارث بن مضاض : وذكر قول الحارث بن مضاض :

يأيها الناس سيروا إن قصركم ... أن تصبحوا ذات يوم لاتسيرونا

وذكر ابن هشام أنها وجدت بحجَر باليمن ، ولا يعرف قائلها ، وألفيت فى كتاب أبى بحر سفيان بن العاصى خبرا لهذه الأبيات ، وأسنده أبو الحارث محمد بن أحمد الجعفى عن عبد الله بن عبد السلام البصرى ، قال : حدثنا

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها . وحدثني بعض أهل العلم بالشعر : أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب، وأنها وجدت مكتوبة فى حجر باليمن ، ولم يسم لى قائلها .

إسحاق بن إبراهيم بن سليمان التمار ، قال أخبرنى ثقة عن رجل من أهل اليمامة ، قال : وجد فى بئر باليمامة ثلاثة أحجار ، وهى بئر طَسْم وجَديس فى قرية يقال لها : مُعْنِق ، بينها وبين الحجر ميل ، وهم من بقايا عاد ، غزاهم تبع ، فقتلهم ، فوجدوا فى حجر من الثلاثة الأحجار مكتوبا :

يأيها الملك الذى بالملك ساعده زمانه
ما أنت أول من علا وعلا شئون الناس شانه
أقصِر عليك مراقبا فالدهر مخذول أمانه
كم من أشَمّ مُعَصّب بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزما ن ، وكان ذا خَفْض جنانه
تجرى الجداول حوله للجند مُتْرَعة جِفانه
قد فاجأته منية لم يُنجه منها اكتنانه
وتفرقت أجناده عنه ، وناح به قيانه
والدهر من يَعْلَق به يطحنه ، مُفترِشا جِرانه
والناس شتى فى الهوى كالمرء مختلف بنانه
والصدق أفضل شيمة والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى ولقد يُشَرفه بيانه

ووجد فى الحجر الثانى مكتوباً أبيات :

كل عيش تَعِلَّة ليس للدهر خَلَّه
يوم بُؤْسَى ونُعْمَى واجتماع وقِلّه
حبذا العيش والتكا ثر جهل وضِلّه
بينما المرء ناعم فى قصور مُظَلّه
فى ظلال ونعمة ساحبا ذيل حلّه
لا يرى الشمس مِلْغَضا رَة إذ زل زلّه
لم يُقلها ، وبُدّلَتْ عِزة المرء ذِله
آفة العيش والنعـ ـيم كرور الأهِلّه
وصِل يوم بليلة واعتراض بِعِله
والمنايا جواثم كالصقور المُدِلّه
بالذى تكره النفـ ـس عليها مُطِله

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن غُبْشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة ، وكان الذى يليه منهم : عمرو بن الحارث الغبشانى ، وقريش إذ ذاك حلول وصِرم ، وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كان آخرهم حُلَيل بن حَبَشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى.

قال ابن هشام : يقال حُبْشية بن سلول .

وفى الحجر الثالث مكتوبا :

يأيها الناس سيروا إن قصركم ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حُثُّوا المَطِىَّ وأرخوا من أزمتها ... قبل الممات وقَضُّوا ما تقضونا
كنا أناساً كما كنتم فغيرنا ... دهر فأنتم كما كنا تكونونا

وذكر أبو الوليد الأزرقى فى كتابه فى فضائل مكة زيادة فى هذه الأبيات وهى :

قد مال دهر علينا ثم أهلكنا ... بالبغى فينا وبزَّ الناس ناسونا
إن التفكر لا يجدى بصاحبه ... عند البديهة فى علم له دُونا
قَضُّوا أموركم بالحزم إن لها ... أمور رشد رشدتم ثم مسنونا
واستخبروا فى صنيع الناس قبلكم ... كما استبان طريق عنده الهونا
كنا زمانا ملوك الناس قبلكم ... بمسكن فى حرام الله مَسْكونا

ووجد على حائط قصير بدمشق لبنى أمية مكتوبا :

يأيها القصر الذى كانت ... تحُفُّ به المواكبْ
أين المواكب والمضـ ... ـارب والنجائب والجنائب
أين العساكر والدسـ ... ـاكر والمَقَانب والكتائب
ما بالهم لم يدفعوا ... لما أتت عنك النوائب
ما بال قصرك واهيا ... قد عاد مُنْهَدَّ الجوانب

ووجد فى الحائط الآخر من حيطانها جوابُها :

يا سائلى عما مضى ... من دهرنا ومن العجائب
والقصر إذ أودى ، فأضحى ... بعدُ منهد الجوانب
وعن الجنود أولى العقو ... د ، ومن بهم كنا نحارب
وبهم قهرنا عنوة ... من بالمشارق والمغارب
وتقول : لِم لَمْ يدفعوا ... لما أتت عنك النوائب
هيهات لا يُنْجِى من المو ... ت الكتائب والمقانب

تزوج قصى بن كلاب حبى بنت حليل

أولاد قصى وهى : قال ابن إسحاق : ثم إن قصى بن كلاب خطب إلى حليل بن حبشية بنته حبى ، فرغب فيه حليل فزوجه ، فولدت له عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبدا . فلما انتشر ولد قصى ، وكثر ماله ، وعظم شرفه ، هلك حُليل .

مساعدة رزاح لقصى فى تولى أمر البيت : فرأى قصى أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبنى بكر ، وأن قريشا قُرعة إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده . فكلم رجالا من قريش ، وبنى كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكة ، فأجابوه . وكان ربيعة بن حرام من عُذرة بن سعد بن زيد قد قدم مكة بعد ماهلك كلاب ، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سيَل ، وزَهرة يومئذ رجل ، وقصى فطيم ، فاحتملها إلى بلاده ، فحملت قصيا معها ، وأقام زهرة ، فولدت لربيعة رِزاحاً . فلما بلغ قصى ، وصار رجلا أتى مكة ، فأقام بها ، فلما أجابه قومه إلى مادعاهم إليه ، كتب إلى أخيه من أمه ، رزاح بن ربيعة ، يدعوه إلى نصرته ، والقيام معه ، فخرج رزاح

حديث قصى وخزاعة وولاية البيت : فى حديث قصى ذكر فيه أن قريشا قُرْعة ولد إسماعيل ، هكذا بالقاف ، وهى الرواية الصحيحة ، وفى بعض النسخ : فرعة بالفاء ، والقرعة بالقاف هى : نخبة الشىء ، وخياره ، وقريع الإبل : فحلها ، وقريع القبيلة : سيدها ، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمِّى من العرب بالأقرع .

وذكر انتقال ولاية البيت من خزاعة إليه ، ولم يذكر من سبب ذلك أكثر من أن قصيا رأى نفسه أحق بالأمر منهم ، وذكر غيره أن حُلَيْلا كان يُعطى مفاتيح البيت ابنته حَبى ، حين كبر وضعف ، فكانت بيدها ، وكان قصى ربما أخذها فى بعض الأحيان ، ففتح البيت للناس وأغلقه ، ولما هلك حليل أوصى بولاية البيت إلى قصى ، فأبت خزاعة أن تُمضى ذلك لقصى ، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة ، وأرسل إلى رزاح أخيه يستنجده عليهم .

ويذكر أيضا أن أبا غُبْشَان من خزاعة ، واسمه : سليم ـ وكانت له ولاية الكعبة ـ باع مفاتيح الكعبة من قصى بزِقّ خمر ، فقيل : أخسر من صفقة أبى غبشان . ذكره المسعودى والأصبهانى فى الأمثال .

وكان الأصل فى انتقال ولاية البيت من ولد مضر إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار ، وبغت فيه إياد أخرجتهم بنو مضر بن نزار ، وأجلوهم عن مكة ، فعمدوا فى الليل إلى الحجر الأسود ، فاقتلعوه ، واحتملوه على بعير فرزح البعير به ، وسقط إلى الأرض ، وجعلوه على آخر ، فرزح أيضا ، وعلى الثالث ففعل مثل ذلك ، فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا ، فلما أصبح أهل مكة ، ولم يرَوْه ، وقعوا فى كرب عظيم ، وكانت امرأة من خزاعة قد بَصُرت به حين دفن ، فأعلمت قومها بذلك ، فحينئذ أخذت خزاعة على ولاة البيت أن يتخلّوا لهم عن ولاية البيت ، ويدلوهم على الحجر ، ففعلوا ذلك ، فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صيرها أبو غُبْشَان إلى عبد مناف ، هذا معنى قول الزبير .

نشأة قصى وانتقاله إلى مكة : وذكر أن قصيا نشأ فى حجر ربيعة بن حرام ، ثم ذكر رجوعه إلى مكة ، وزاد غيره فى شرح الخبر ، فقال : وكان قصى رضيعا حين احتملته أمه مع بعلها ربيعة ، فنشأ ولا يعلم

ابن ربيعة ، ومعه إخوته : حُنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجُلْهُمة بن ربيعة، وهم لغير أمه فاطمة ، فيمن تبعهم من قضاعة فى حاجّ العرب، وهم مجمعون لنصرة قصى . وخزاعة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصيا وأمره بن حين انتشر له من ابنته من الولد ماانتشر . وقال : أنت أولى بالكعبة ، وبالقيام عليها ، وبأمر مكة من خزاعة ، فعند ذلك طلب قصى ماطلب ، ولم نسمع ذلك من غيرهم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر يلى الإجازة للناس بالحج من عرفة ، وولدُه من بعده ، وكان يقال له ولولده : صُوفة . وإنما ولى ذلك الغوث بن مر ، لأن أمه كانت امرأة من جرهم ، وكانت لاتلد ، فنذرت لله إن هى ولدت رجلا:أن تَصَّدقّ به على الكعبة عبداً لها يخدمها ، ويقوم عليها ، فولدت ، فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الأول مع أخواله من جرهم ، فولى الإجازة بالناس من عرفة ، لمكانه الذى كان به من الكعبة ، وولده من بعده حتى انقرضوا . فقال مر بن أد لوفاء نذر أمه :

لنفسه أبا إلا ربيعة ، ولا يدعى إلا له ، فلما كان غلاما يفَعَة أو حَزَوَّراً [1] سابه رجل من قضاعة ، فعيره بالدعوة ، وقال : لست منا ، وإنما أنت فينا ملصق ، فدخل على أمه ، وقد وجم لذلك ، فقالت له : يا بنى صدق ، إنك لست منهم ، ولكن رهطك خير من رهطه ، وآباؤك أشرف من آبائه ، وإنما أنت قرشى ، وأخوك وبنو عمك بمكة ، وهم جيران بيت الله الحرام ، فدخل فى سيارة حتى أتى مكة ، وقد ذكرنا أن اسمه : زيد ، وإنما كان قصيا أى بعيداً عن بلده فسمى : قصيا .

قصة الغوث بن مر : وذكر قصة الغوث بن مر ، ودفعه بالناس من عرفة ، وقال بعض نقلة الأخبار أن ولاية الغوث بن مر كانت من قِبَل ملوك كندة .

وقوله : إن كان إنما فعلى قضاعة . إنما خص قضاعة بهذا ؛ لأن منهم محلين يستحلون الأشهر الحرم ، كما كانت خثعم وطىء تفعل ، وكذلك كانت النسأة تقول إذا حرمت صفراً أو غيره من الأشهر بدلا من الشهر الحرام — يقول قائلهم : قد حرمت عليكم الدماء إلا دماء المُحِلّين .

سبب تسمية الغوث وولده صوفة : وأما تسمية الغوث وولده صوفة ، فاختلف فى سبب ذلك . فذكر أبو عبيد الله الزبير بن أبى بكر القاضى فى أنساب قريش له عند ذكر صوفة : البيت الواقع فى السيرة لأوس بن مَغْرَاءَ السَّعْدِى ، وهو :

لا يبرح الناس ما حَجُّوا معرفهم

البيت . وبعده : مجد بناه لنا قِدما أوائلنا وأورثوه طوال الدهر أحزانا

ومغراء : تأنيث أمغر ، وهو الأحمر ، ومنه قول الأعرابى للنبى ـ صلى الله عليه وسلم : أهو ذا الرجل الأمغر؟ ثم قال : قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئاً من غير أهله ، أو قام بشىء من خدمة البيت ، أو بشىء من أمر المناسك يقال لهم : صوفة وصوفان . قال أبو عبيدة : لأنه بمنزلة الصوف ، فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر ، ليسوا من قبيلة واحدة .

---

(١) الحزور : القوى .

إنى جعلتُ رب من بنيه ‌ ‌ ‌ رَبيطةً بمكة العليه

فباركنّ لى بها أليَّه ‌ ‌ ‌ واجعله لى من صالح البريه

وكان الغوث بن مر ـ فيما زعموا ـ إذا دفع بالناس قال :

لاهم إنى تابع تبَاعه ‌ ‌ ‌ إن كان إثم فعلى قضاعه

صوفة ورمي الجمار : قال ابن إسحاق : حدثنى يحي بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال :

كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة ، وتجيز بهم إذا نفروا من منى ، فإذا كان يوم النفر أتوا لرمى الجمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لايرمون حتى يرمى . فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم حتى نرمى معك ، فيقول لاوالله ، حتى تميل الشمس ، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه

وذكر أبو عبد الله أنه حدثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال : إنما سمى الغوث ابن مر : صوفة ، لأنه كان لا يعيش لأمه ولد ، فنذرت : لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ، ولتجعلنه رَبيطاً للكعبة ، ففعلت ، فقيل له : صوفة ، ولولده من بعده ، وهو : الربيط .

وحدث إبراهيم بن المنذر عن عمر بن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرنى عقال بن شَبَّة قال : قالت أم تميم بن مر — وولدت نسوة — فقالت : لله علىّ . لئن ولدت غلاماً لأعَبِّدَنَّه للبيت ، فولدت الغوث ، وهو أكبر ولد مر ، فلما ربطته عند البيت أصابه الحر ، فمرت به — وقد سقط وذوى واسترخى فقالت : ماصار ابنى إلا صوفة ، فسمى صوفة .

بنو سعد وإجازة الحاج : وذكر وراثة بنى سعد إجازة الحاج بالقُعْدُد من بنى الغوث بن مر ، وذلك أن سعداً هو : ابن زيد مناة بن تميم بن مر ، وكان سعد أقعد بالغوث بن مر من غيره من العرب ، وزيد مناة بن تميم يقال فيه : مناة ومناءة بالهمز ، وتركه ، ويجوز أن يكون — إذا همز — مَفْعَلة من ناء ينوء ، ويجوز أن يكون : فعالة من المنيئة ، وهى : المدبغة ، كما قالت امرأة من العرب لأخرى : أعطينى نفساً أو نفسين أمْعَسُ به منيئتى ، فإنى أفِدة . النَّفْس : قطعة من الدبَاغ ، والمنيئة : الجلد فى الدباغ ، وأفدة : مقاربة لاستتمام ما تريد صلاحه وتمامه من ذلك الدباغ . وأنشد أبو حنيفة :

إذا أنت باكرتَ المنيئة باكوتْ ‌ ‌ ‌ قصيب أراك بات فى المسك مُنقعا

وأنشد يعقوب :

إذا أنت باكرت المنيئة باكرت ‌ ‌ ‌ مَداكاً لها من زعفران وإثمدا

اشتقاق المزدلفة ومعناها : وأما قوله : فلأن الإفاضة من المزدلفة كانت فى عَدْوان ، فالمزدلفة : مفتعلة من الازدلاف ، وهو الاجتماع . وفى التنزيل : « وأزلفنا ثم الآخرين » وقيل : بل الازدلاف : هو الاقتراب ، والزلْفَةُ : القربة ، فسميت مزدلفة ، لأن الناس يزدلفون فيها إلى الحرم ، وفى الخبر : أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض لم يزل يزداف إلى حواء ، وتزداف إليه ، حتى تعارفا بعرفة ، واجتمعا بالمزدلفة فسميت : جمعا . وسميت : المزدلفة :

بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له : ويلك ! قم فارم ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس ، قام فرمى ورمى الناس معه

قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمى الجمار ، وأرادوا النفر من منى ، أخذت صوفة بجانبي العقبة ، فحبسوا الناس وقالوا : أجيزى صوفة ، فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا ، فإذا نفرت صوفة ومضت ، خلى سبيل الناس ، فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك ، حتى انقرضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، وكانت من بنى سعد فى آل صفوان بن الحارث بن شِجنة .

نسب صفوان بن جناب : قال ابن هشام : صفوان بن جناب بن شِجنة: عُطارد بن عوف بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم .

صفوان وبنوه وإجازتهم للناس بالحج : قال ابن إسحاق : وكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام، كرب بن صفوان. وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى :

لايبرح الناس ماحجوا مُعرَّفهم ... حتى يقال : أجيزوا آل صفوانا

قال ابن هشام : هذا البيت فى قصيدة لأوس بن مغراء .

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

ذو الأصبع يذكر هذه الإفاضة : وأما قول ذى الإصبع العَدْوانى ، واسمه حرثان بن عمرو ، وإنما سمى ذا الإصبع ؛ لأنه كان له إصبع فقطعها :

عذير الحى من عدوا ... ن كانوا حَيَّة الأرض

بغى بعضهم ظلما ... فلم يُرْعِ على بعض

ومنهم كانت السادا ... ت والموفون بالقرض

ومنهم من يجيز النا ... س بالسُّنة والفرض

ومنهم حَكَم يقضى ... فلا يُنقض ما يَقضى

ذو الإصبع وآل ظرب: وأما ذو الإصبع الذى ذكره فهو : حُرثان بن عمرو ، ويقال فيه : حُرثان بن الحارث بن مُحرِّث بن ربيعة بن هُبيرة بن ثعلبة بن ظَرِب ، وظرب هو: والد عامر بن الظرب الذى كان حكم العرب، وذكر ابن إسحاق قصته فى الخنثى[1] ، وفيه يقول الشاعر :

لذى الحلم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا ... وما عُلِّم الإنسان إلا ليعلما

وكان قد خرف ، حتى تفلت ذهنه ، فكانت العصا تقرع له إذا تكلم فى نادى قومه تنبيها له ؛ لئلا تكون له السقطة فى قول أو حكم. وكذلك كان ذو الإصبع ، كان حكماً فى زمانه ، وعمر ثلاثمائة سنة ، وسمى ذا الإصبع ؛ لأن حية نهشته فى أصبعه .

وجدهم ظرب : هو عمرو بن عياذ بن يشكر بن بكر بن عدوان ، واسم عدوان : تيم ، وأمه : جديلة بنت أد بن طابخة ، وكانوا أهل الطائف ، وكثر عددهم فيها حتى بلغوا زهاء سبعين ألفا ، ثم هلكوا ببغى بعضهم على

---

(١) انظر هذه القصة فى السيرة النبوية من هذا الجزء ص ١٤٧

أبو سيارة يفيض بالناس : وهذه الأبيات فى قصيدة له — فلأن الإفاضة من المزدلفة كانت فى عدوان — فيما حدثنى زياد بن عبدالله البكائى عن محمدبن إسحاق — يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو سيَّارة ، عُمَيلة بن الأعزل ، ففيه يقول شاعر من العرب :

نحن دفعنا عن أبى سيارة　　وعن مواليه بنى فزاره
حتى أجاز سالما حماره　　مستقبل القبلة يدعو جاره

قال : وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان له ؛ فلذلك يقول : « سالما حماره » .

بعض ، وكان ثقيف وهو قسى بن مُنَبِّه صهراً لعامر بن الظرب ، كانت تحته زينب بنت عامر ، وهى أم أكثر ثقيف ، وقيل : هى أخت عامر ، وأختها ليلى بنت الظرب هى : أم دوس بن عدنان ، وسيأتى طرف من خبره فيما بعد — إن شاء الله — فلما هلكت عَدوان ، وأخرجت بقيتهم ثقيف من الطائف ، صارت الطائف بأسرها لثقيف إلى اليوم .

وقوله : حية الأرض : يقال فلان حية الأرض ، وحية الوادى ؛ إذا كان مَهيباً يُذْعَر منه ، كما قال حسان :

يا مُحْكم بن طفيل قد أتيح لكم　　لله در أبيكم حية الوادى

يعنى بحية الوادى : خالد بن الوليد رضى الله عنه .

وقوله : عذير الحى من عدوان . نصب عذيراً على الفعل المتروك إظهاره ، كأنه يقول : هاتوا عذيره ، أى : من يعذره ، فيكون العذير بمعنى : العاذر ، ويكون أيضا بمعنى : العذر مصدرا كالحديث ونحوه .

أبو سيارة : وذكر أباسيارة ، وهو عُمَيْلة بن الأعزل فى قول ابن إسحاق ، وقال غيره : اسمه : العاصى . قاله الخطابى : واسم الأعزل : خالد ، ذكره الأصبهانى ، وكانت له أتان عوراء ، خطامها ليف ، يقال : إنه دفع عليها فى الموقف أربعين سنة ، وإياها يعنى الراجز فى قوله :

حتى يجيز سالما حماره

وكانت تلك الأتان سوداء ؛ ولذلك يقول :

لاهُمَّ مالى فى الحمار الأسود　　أصبحت بين العالمين احسد
فَقِ أبا سيارة المُحَسَّد　　من شر كل حاسد إذ يحسد

وأبو سيارة هذا هو الذى يقول : أشرق ثبير كيما نغير ، وهو الذى يقول :

لاهُمَّ إنى تابع تَبَاعه

وكان يقول فى دعائه : اللهم بغض بين رعائنا ، وحبب بين نسائنا ، واجعل المال فى سمحائنا ، وهو أول من جعل الدية مائة من الإبل ، فيما ذكر أبو اليقظان ، حكاه عنه حمزة بن الحسن الأصبهانى .

وقوله : وعن مواليه بنى فزارة . يعنى بمواليه : بنى عمه ، لأنه من عدوان ، وعدوان وفزارة : من قيس عيلان ، وقوله : مستقبل القبلة يدعو جاره . أى : يدعو الله عز وجل ، يقول : اللهم كن لنا جارا مما نخافه ، أى : مجيرا .

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

ابن الظرب حاكم العرب : قال ابن إسحاق : وقوله : حكم يقضي يعني : عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ ابن يشكر بن عدوان العدواني . وكانت العرب لا يكون بينها نائرة (١) ، ولا عُضلة في قضاء إلا أسندوا ذلك إليه ، ثم رضوا بما قضى فيه ، فاختُصم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه ، في رجل خنثى ، له ما للرجل ، وله ما للمرأة ، فقالوا : أتجعله رجلا أو امرأة ؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه . فقال : حتى أنظر في أمركم ، فوالله ما نزل بي مثل هذه منكم يا معشر العرب ! فاستأخروا عنه ، فبات ليلته ساهراً يقلب أمره ، وينظر في شأنه ، لا يتوجه له منه وجه . وكانت له جارية يقال لها : سخيلة ترعى عليه غنمه ، وكان يعاتبها إذا سرحت فيقول : صبَّحت والله يا سُخَيل ! وإذا أراحت عليه ، قال : مسَّيت والله يا سخيل ! وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس ، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس . فلما رأت سهره وقلقه ، وقلة قراره على فراشه قالت : مالك لا أبالك ! ما عراك في ليلتك هذه ؟ قال : ويلك ! دعيني ، أمر ليس من شأنك ، ثم عادت له بمثل قولها ، فقال في نفسه : عسى أن تأتي مما أنا فيه بفرج ، فقال : ويحك ! اختصم إليّ في ميراث خنثى ، أأجعله رجلا أو امرأة ؟ فوالله ما أدري ما أصنع ، وما يتوجه لي فيه وجه ؟ : قال : فقالت سبحان الله ! لا أبالك ! أتبع القضاء المَبال ، أقعده ، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل ، وإن بال من حيث تبول المرأة ، فهي امرأة . قال : مَسِّي سخيل بعدها أو صبحي ، فرَّجتها والله ! ثم خرج على الناس حين أصبح ، فقضى بالذي أشارت عليه به .

غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له

قصي يتغلب على صوفة : قال ابن إسحاق : فلما كان ذلك العام ، فعلت صوفة كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولايتهم . فأتاهم قصي بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة ، فقال : لنحن أولى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقتتل الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك .

عامر بن الظرب وحكم جاريته بالأمارات : وذكر عامر بن الظرب وحكمه في الخنثى ، وما أفتته به جاريته سُخَيلة ، وهو حكم معمول به في الشرع ، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات ، وله أصل في الشريعة ، قال الله سبحانه : «وجاءوا على قميصه بدم كذب» وجه الدلالة على الكذب في الدم أن القميص المدَمَّى لم يكن فيه خرق ولا أثر لأنياب الذئب ، وكذلك قوله : «إن كان قميصه قُدّ من قُبل» : الآية . وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في المولود : «إن جاءت به أورق جعداً جُمَالِيّاً فهو للذي رُميت به» . فالاستدلال بالأمارات أصل ينبني عليه كثير من الأحكام في الحدود والميراث ، وغير ذلك . والحكم في الخنثى أن يعتبر المَبَال ، ويعتبر بالحيض ، فإن أشكل من كل وجه ، حكم بأن يكون له في الميراث سهم امرأة ونصف ، وفي الدية كذلك ، وأكثر أحكامه مبنية على الاجتهاد .

---

(١) النائرة : الكائنة الشنيعة بين القوم .

قصى يقاتل خزاعة وبنى بكر : وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصى ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه بادأهم ، وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعاً ، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ، وإلى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب ، فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ، فقضى بينهم بأن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن كل دم أصابه قصى من خزاعة وبنى بكر : موضوع يشدخه تحت قدميه ، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ، ففيه الدية مؤداة ، وأن يخلى بين قصى وبين الكعبة ومكة .

فسمى يعمر بن عوف يومئذ : الشداخ ، لما شدخ من الدماء ووضع منها .

قصى يتولى أمر مكة : قال ابن إسحاق : فولى قصى البيت وأمر مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه ، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه دينا فى نفسه لا ينبغى تغييره ، فأقر آل صفوان وعَدْوان والنسأة ومُرة بن عوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام ، فهدم الله به ذلك كله . فكان قصى أول بنى كعب بن لؤى أصاب مُلكا أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة ، والسقاية ، والرفادة ، والندوة ، واللواء ، فحاز شرف مكة كله ، وقطع مكة رِباعا بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها . ويزعم الناس أن قريشا هابوا قطع شجر الحرم فى منازلهم ، فقطعها قصى بيده وأعوانه

حكم يعمر الشداخ : وذكر يعمر الشداخ بن عوف حين حكّوه ، وأنه سمى بالشداخ لما شدخ من دماء خزاعة . ويعمر الشداخ هو جد بنى دأب الذين أخذ عنهم كثير من علم الأخبار والأنساب وهم : عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، وأبوه : يزيد . وحذيفة بن دأب ، ودأب هو : ابن كرز بن أحمر من بنى يعمر بن عوف الذى شدخ دماء خزاعة ، أى : أبطلها ، وأصل الشدخ : الكسر والفضخ ، ومنه الغُرّة الشادخة ، شبهت بالضربة الواسعة . والشَّدّاخ بفتح الشين كما قال ابن هشام ، والشُّدّاخ بضمها إنما هو جمع ، وجائز أن يسمى هو وبنوه : الشُّداخ ، كما يقال : المناذرة فى المنذر وبنيه ، والأشعرون فى بنى الأشعر من سبأ ، وهو باب يكثر ويطول . وأم يعمر الشداخ اسمها : السوْم بنت عامر بن جُرَّة بضم الجيم ، وسيأتى ذكر جِرّة بالكسر ذكره ابن ماكولا .
ومن بنى الشداخ : بَلعاء بن قيس بن عبد الله بن يعمر الشداخ الشاعر المذكور فى شعر الحماسة ، اسمه : حُمَيضَة ، ولُقب : بلعاء لقوله :

أنا ابن قيس سَبُعاً وابن سَبُعْ ... أبارَ من قيس قبيلا فالتمع
كأنما كانوا طعاما فابتُلِع

ورواية قصى البيت : ذكر فيه أمر قصى وما جمع من أهل مكة ، وأنشد :
قصى لَعَمْرى كان يُدْعَى مُجَمِّعاً
البيت وبعده : همو ملئوا البطحاء مجداً وسوددا ... وهم طردوا عنا غواة بنى بكر
ويذكر أن هذا الشعر لحذافة بن جمح .

فسمته قريش : مجمعا لما جمع من أمرها ، وتيمنت بأمره ، فما تُنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، وما يتشاورون فى أمر نزل بهم ، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا فى داره ، يعقده لهم بعض ولده، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا فى داره ، يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها . فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ، ومن بعد موته ، كالدِّين المتبع لايعمل بغيره . واتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تقضى أمورها : قال ابن هشام : وقال الشاعر :

قُصى لعمرِى كان يدعى مجمعا ... به جمَّع الله القبائل من فِهر

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الملك بن راشد عن أبيه ، قال : سمعت السائب بن خبَّاب صاحب المقصورة يحدث ، أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب — وهو خليفة — حديث قصى بن كلاب ، وما جمع من أمر قومه وإخراجه خزاعة وبنى بكر من مكة ، وولايته البيت وأمر مكة ، فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره .

وذكر أن قصيا قطع مكة رباعاً(١) ، وأن أهلها هابوا قطع شجر الحرم للبنيان. وقال الواقدى : الأصح فى هذا الخبر أن قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصى : كيف نصنع فى شجر الحرم ، فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك ، فكان أحدهم يحوف بالبنيان حول الشجرة ، حتى تكون فى منزله . قال : فأول من ترخص فى قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دوراً بقعيقعان ، لكنه جعل دية كل شجرة : بقرة ، وكذلك يروى عن عمر — رضى الله — أنه قطع دوحة كانت فى دار أسد بن عبد العُزّى ، كانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة ، وذلك قبل أن يوسع المسجد ، فقطعها عمر — رضى الله عنه — ووداها بقرة ، ومذهب مالك — رحمه الله — فى ذلك : ألا ديةفى شجر الحرم . قال : ولم يبلغنى فى ذلك شىء . وقد أساء من فعل ذلك، وأما الشافعى — رحمه الله — فجعل فى الدوحة بقرة ، وفيما دونها شاة. وقال أبو حنيفة — رحمه الله — إن كانت الشجرة التى فى الحرم مما يغرسها الناس ، ويستنبتونها ، فلا فدية على من قطع شيئاً منها ، وإن كان من غيرها ، ففيه القيمة بالغاً ما بلغت .

وذكر أبو عبيد : أن عبد الله بن عمر — رضى الله عنهما — أفتى فيها بعتق رقبة .

قصى تخذ دار الندوة : وذكر أن قصيا اتخذ دار الندوة ، وهي الدار التى كانوا يجتمعون فيها للتشاور ، ولفظها مأخوذ من لفظ النَّدىّ . والنادى والمنتدى : وهو مجلس القوم الذى يَندون حوله ، أى : يذهبون قريباً منه ، ثم يرجعون إليه ، والتندية فى الخيل : أن تصرف عن الوِرْد إلى المرعى قريباً ، ثم تعاد إلى الشرب ، وهو المندّى ، وهذه الدار تصيرت بعد بنى عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصى، فباعها فى الإسلام بمائة ألف درهم ، وذلك فى زمن معاوية ، فلامه معاوية فى ذلك ، وقال : أبعت مَكرُمة آبائك وشرفهم ، فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى . والله : لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر ، وقد بعتها بمائة ألف درهم ، وأشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله ، فأينا المغبون ؟ ! ذكر خبر حكيم هذا : الدارقطنى فى أسماء رجال الموطأ له .

---

(١) الرباع : الدور وما حولها .

شعر رزاح بن ربيعة فى هذه القصة : قال ابن إسحاق : فلما فرغ قصي من حربه ، انصرف أخوه رزاح ابن ربيعة إلى بلاده بمن معه من قومه ، وقال رزاح فى إجابته قُصيا :

لما أتى من قصى رسول ... فقال الرسول : أجيبوا الخليلا
نهضنا إليه نقود الجياد ... ونطرح عنا المَلول الثقيلا
نسير بها الليل حتى الصباح ... ونكمى النهار ؛ لئلا نزولا
فهن سراع كورد القَطا ... يُجبن بنا من قصى رسولا
جمعنا من السر من أشمذَين ... ومن كل حى جمعنا قبيلا
فيالكِ حُلبة ما ليلة ... تزيد على الألف سَيبْاً رسيلا
فلما مررن على عسجر ... وأسهلن من مُستناخ سبيلا
وجاوزن بالركن من وَرِقان ... وجاوزن بالعرْج حيا حُلولا
مررن على الحيلْ ما ذقنه ... وعالجن من مر ليلا طويلا
نُدَنى من العوُذ أفلاءها ... إرادة أن يسترقن الصهيلا
فلما انتهينا إلى مكة ... أبحنا الرجال قبيلا قبيلا
نُعاورهم ثَم حد السيوف ... وفى كل أوب خلسنا العقولا
نخبزهم بصِلاب النسو ... ر خَبز القوى العزيز الذليلا
قتلنا خزاعة فى دارها ... وبكراً قتلنا وجيلا لجيلا
نفيناهم من بلاد المليك ... كما لايحلون أرضا سُهولا
فأصبح سبيهم فى الحديد ... ومن كل حى شفينا الغليلا

تفسير شعر رزاح : وذكر شعر رزاح ، وفيه : ونكمى النهار ، أى : نكمن ونستتر ، والكَمِىُّ من الفرسان ، الذى تَكَمَّى بالحديد . وقيل : الذى يَكْمِى شجاعته ، أى : يسترها ، حتى يظهرها عند الوغى . وفيه : مررنا بعسجر ، وهو : اسم موضع ، وكذلك : ورقان اسم جبل ، ووقع فى نسخة سفيان : ورقان بفتح الراء ، وقيده أبو عبيد البكرى : وَرِقان بكسر الراء ، وأنشد للأحوص :

وكيف نُرجِّى الوصل منها وأصبحت ... ذُرى وَرِقان دونها وحفير[1]

ويخفف ، فيقال : وَرْقان : قال جميل :

يا خليلىَّ إن بثنة بانت ... يوم وَرْقان بالفؤاد سَبِيّا

وذكر أنه من أعظم الجبال ، وذكر أن فيه أوشالا[2] وعيونا عِذابا ، وسكانه : بنو أوس بن مزينة .
وذكر أيضا الحديث ، وهو قول النبي — صلى الله عليه وسلم — : « ضرس الكافر فى النار مثل أحد ، وفخذه مثل ورِقان » . وفى حديث آخر : « أنه عليه السلام ذكر آخر من يموت من هذه الأمة ، فقال : رجلان من مزينة ينزلان جبلا من جبال العرب ، يقال له : وَرِقان » كل هذا من قول البكرى فى كتاب معجم ما استعجم.

---

(١) ورقان : جبل من جبال تهامة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة .

(٢) والأشال : المياه تسيل من الجبال ثم تجتمع .

شعر ثعلبة القضاعى فى هذه القصة : وقال ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذيم القضاعى فى ذلك من أمر قصى حين دعاهم فأجابوه :

جلبنا الخيل مضمرة تَغالَى ... من الأعراف أعراف الجِناب
إلى غَوْرَىْ تِهامة ، فالتقينا ... من الفيفاء فى قاع يَباب
فأما صوفة الخنثى ، فخلوا ... منازلهم محاذرة الضِّراب
وقام بنو علىّ إذ رأونا ... إلى الأسياف كالإبل الطِّراب

شعر قصى : وقال قصى :

أنا ابن العاصمين بنى لؤى ... بمكة منزلى ، وبها ربيت
إلى البطحاء قد علمت معد ... ومروتها رضيت بها رَضيت
فلست لغالب إن لم تَأثَّل ... بها أولاد قيذر ، والنبيت
رزاح ناصرى ، وبه أُسامى ... فلست أخاف ضيما ما حييت

وذكر أشمذين بكسر الذال ، وفى حاشية كتاب سفيان بن العاص : الأشمذان : جبلان ، ويقال : اسم قبيلتين . ثم قال فى الحاشية : فعلى هذا تكون الرواية بفتح الذال وكسر النون من أشمَذَيْن — قال المؤلف رحمه الله — فإن صح أنهما اسم قبيلتين ، فلا يبعد أن تكون الرواية كما فى الأصل : أشمَذِين بكسر الذال ، لأنه جمع فى المعنى . واشتقاق الأشمذ من شمذت الناقة بذنبها أى : رفعته ، ويقال للنحل : شُمذ ، لأنها ترفع أعجازها .

وفيه : مررن على الحِلّ وفسره الشيخ فى حاشية الكتاب ، فقال : هو الماء المستنقع فى بطن واد ، ووجدت فى غير أصل الشيخ روايتين ، إحداهما : مررن على الحَلّ والأخرى : مررن على الحَلْى ، فأما الحل : فجمع حلة ، وهى بقلة شاكة . ذكره ابن دريد فى الجمهرة . وأما الحلى ، فيقال : إنه ثمر النَّقْلُقلان وهو نبت .

وقوله فيها : نخَبِّزهم . أى : نسوقهم سوقا شديدا : وقد تقدم قول الراجز ، لا تَخبِزا خَبزا وبُسّا بسا .

وذكر شعر رزاح الآخر ، وفيه : من الأعراف أعراف الجناب ، بكسر الجيم ، وهو موضع من بلاد قضاعة .

وفيه : وقام بنو علىّ ، وهم بنو كنانة ، وإنما سموا ببنى على ؛ لأن عبد مناة بن كنانة كان ربيبا لعلى بن مازن من الأزد جد سطيح الكاهن ، فقيل لبنى كنانة : بنو على ، وأحسبه أراد فى هذا البيت بنى بكر بن عبد مناة ؛ لأنهم قاموا مع خزاعة .

شعر قصى : وذكر شعر قصى : أنا ابن العاصمين بنى لؤى : الأبيات . وليس فيها ما يشكل .
وذكر أن رزاحا حين استقر فى بلاده نشر الله ولده وولد حن بن ربيعة ، فهما حيا عُذرة .

العذرتان : قال المؤلف : فى قضاعة : عُذْرَتان : عذرة بن رفَيْدة ، وهم من بنى كلب بن وبرة . وعذرة ابن سعد بن سُودِ بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، وأسلم هذا هو بضم اللام من ولد حن بن ربيعة أخى رزاح بن ربيعة

فلما استقر رزاح بن ربيعة فى بلاده ، نشره الله ونشر حُنًّا ، فهما قبيلا عُذرة اليوم . وقد كان بين رزاح ابن ربيعة ، حين قدم بلاده ، وبين نهد بن زيد وحَوْتكة بن أسلم ، وهما بطنان من قضاعة شىء ، فأخافهم حتى لحقوا باليمن ، وأجلوا من بلاد قضاعة ، فهم اليوم باليمن ، فقال قصى بن كلاب ، وكان يحب قضاعة ونماءها واجتماعها ببلادها ، لما بينه وبين رزاح من الرحم ، ولبلائهم عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته ، وكره ماصنع بهم رزاح :

ألا من مُبلغ عنى رزاحا ... فإنى قد لحيتك فى اثنتين

لحيتك فى بنى نهد بن زيد ... كما فرّقتَ بينهم وبينى

وحوتكة بن أسلم إن قوما ... عنوهم بالمساءة قد عنونى

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبى .

قصى يفضل عبد الدار على سائر ولده : قال ابن إسحاق : فلما كبر قصى ورق عظمه ، وكان عبد الدار بكرَه ، وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه ، وذهب كل مذهب ، وعبد العزى وعبد . قال قصى لعبد الدار : أما والله يابنى لألحقنك بالقوم ، وإن كانوا قد شرفوا عليك : لا يدخل رجل منهم الكعبة ، حتى تكون أنت تفتحها له ، ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك ، ولا يشرب أحد بمكة إلا من سقايتك ، ولايأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلامن طعامك ، ولاتقطع قريش أمراً من أمورها إلافى دارك ، فأعطاه داره دار الندوة ، التى لاتقضى قريش أمراً من أمورها إلا فيها ، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة .

الرفادة : وكانت الرفادة خَرْجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها إلى قصى بن كلاب ، فيصنع به طعاما للحاج ، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد ، وذلك أن قصيا فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : يامعشر قريش ، إنكم جيران الله ، وأهل بيته ، وأهل الحرم ، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج ، حتى يصدروا عنكم ، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجاً ، فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاما للناس أيام منى ، فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ، ثم جرى فى الإسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .

قال ابن إسحاق : حدثنى بهذا من أمر قصى بن كلاب ، وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده : أبو إسحاق ابن يسار ، عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بنى عبد الدار يقال له : نُبيه بن وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصى .

قال الحسن : فجعل إليه قصى كل ماكان بيده من أمر قومه ، وكان قصى لايخالف ، ولايرد عليه شىء صنعه .

جد جميل بن عبد الله بن معمر صاحب بثينة ، ومعمر هو ابن ولد الحارث بن خبير بن ظبيان ، وهو الضِّبيس بن حن . وبثينة أيضا من ولد حن ، وهى بنت حِبان بن ثعلبة بن الهَوْذِى بن عمرو بن الأحب ابن حن .

ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصى وحلف المطيبين

النزاع بين بنى عبدالدار وبنى أعمامهم : قال ابن إسحاق : ثم إن قصى بن كلاب هلك ، فأقام أمرَه فى قومه وفى غيرهم بنوه من بعده . فاختطوا مكة رِباعا — بعد الذى كان قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها فى قومهم ، وفى غيرهم:من حلفائهم ويبيعونها . فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولاتنازع ، ثم إن بنى عبد مناف ابن قصى : عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قصى مما كان قصى جعل إلى عبد الدار ، من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم ، فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بنى عبد مناف على رأيهم ؛ يرون أنهم أحق به من بنى عبد الدار لمكانهم فى قومهم، وكانت طائفة مع بنى عبد الدار ، يرون أن لاينزع منهم ماكان قصى جعل إليهم .

فكان صاحب أمر بنى عبد مناف : عبد شمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أسن بنى عبد مناف .

وكان صاحب أمر بنى عبد الدار : عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

حلفاء بنى عبد الدار وحلفاء بنى أعمامهم : فكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ، مع بنى عبد مناف .

وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو جُمَح بن عمرو بن هصيص ابن كعب ، وبنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار، وخرجت عامر بن لؤى ومحارب بن فهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ، ولايسلم بعضهم بعضاً مابل بحر صوفة .

فأخرج بنو عبد مناف جَفنة مملوءة طيبا ، فيزعمون أن بعض نساء بنى عبد مناف ، أخرجتها لهم ، فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم ، فسموا المطيَّبين .

قصة رزاح مع حوتكة : وذكر حوتكة بن أسلم وبنى نهد بن زيد وإجلاء رزاح لهم . وحوتكة هو : عم نهد بن زيد بن أسْلُم ، وليس فى العرب أسلم بضم اللام إلا ثلاثة . اثنان منها فى قضاعة ، وهما : أسلم بن الحاف هذا ، وأسلم بن تَدُول بن تَيْم اللات بن رُفَيْدة بن ثوْر بن كلب ، والثالث فى عك : أسلم بن القياتة بن غابن بن الشاهد بن عك ، وما عدا هؤلاء فأسلم بفتح اللام . ذكره ابن حبيب فى المؤتلف والمختلف .

حلف المطيبين : وذكر تنازع بنى عبد مناف ، وبنى عبد الدار فيما كان قصى جعل إليهم ، وذكر فى ذلك حلف المطيبين ، وسماهم ، وذكر أن امرأة من نساء عبد مناف هى التى أخرجت لهم جَفْنة من طيب ، فغمسوا أيديهم فيها ، ولم يُسَمِّ المرأة ، وقد سماها الزبير فى موضعين من كتابه ، فقال : هى أم حكيم البيضاء بنت

وتعاقد بنو عبد الدار ، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا ، على أن لايتخاذلوا ، ولايسلم بعضهم بعضا، فسموا الأحلاف .

تقسيم القبائل في هذه الحرب : ثم سوند بين القبائل ، ولز بعضها ببعض ، فعبيت بنوعبد مناف لبنى سهم ، وعبيت بنو أسد لبنى عبد الدار،وعبيت زهرة لبنى جُمح، وعبيت بنو تيم لبنى مخزوم ، وعبيت بنو الحارث ابن فهر لبنى عدى بن كعب . ثم قالوا : لتُفْن كل قبيلة من أسند إليها .

تصالح القبائل : فبينا الناس على ذلك قدأجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح، على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، وتحاجز الناس عن الحرب ، وثبت كل قوم مع من حالفوا . فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « ما كان من حلف فى الجاهلية ، فإن الإسلام لم يزده إلا شدة » .

عبد المطلب عمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتوأمة أبيه ، قال : وكان المطيبون يسمون : الدافة جمع دائف بتخفيف الفاء ؛ لأنهم دافوا الطيب (١) .

معنى السناد والإقواء : وذكر أن القبائل سوند بعضها إلى بعض ، لتكفى كل قبيلة ما سوند إليها ، فسوند : من السناد ، وهى مقابلة فى الحرب بين كل فريق ، وما يليه من عدوه ، ومنه أخذ سناد الشعر ، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت ، فيكون قبل حرف الروِى حرف مد ولين ، ويكون فى آخر البيت الثانى قبل حرف الروى حرف لين ، وهى ياء أو واو مفتوح ما قبلها كقول عمرو بن كلثوم .

ألا هُبِّى بصحنك فاصْبِحِينَا

ثم قابله فى بيت آخر بقوله : — تصفقها الرياح إذا جرَيْنا — فكأن الياء المفتوح ما قبلها قد سوندت بها إلى الياء المكسور ما قبلها ، فتقابلتا ، وهما غير متفقتين فى المد ، كما يتقابل القبيلتان ، وهما مختلفتان متعاديتان ، وأما الإقواء فهو أن ينقص قوة من المصراع الأول ، كما تنقص قوة من قوى الحبل ، وذلك أن ينقص من آخر المصراع الأول حرف من الوتد كقوله :

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الأطهار

وكقول الآخر :

لما رأت ماء السَّلَى مشروبا والفرث يعصر فى الإناء أرَنَّت(٢)

وكان الأصمعى يسمى هذا الإقواء : المُقْعَد ، ذكره عنه أبو عبيد ، وقال عَدِىّ بن الرِّقَاع فى السناد :

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أُثَقِّف مَيْلها وسِنادها

---

(١) دافوا الطيب : خلطوه .

(٢) السلى : المشيمة التى تخرج مع الوليد ، وقيل هى مخصوصة بالماشية .

حلف الفضول

سبب تسميته : قال ابن هشام : وأما حلف الفضول فحدثنى زياد بن عبدالله البكائى عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤى ، لشرفه وسنه ، فكان حلفهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبدالعُزَّى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول .

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنفذ التيمى أنه سمع طلحة بن عبدالله بن عوف الزهرى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت فى دار عبدالله ابن جدعان حلفا ، ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت » .

الحسين يهدد الوليد بالدعوة إلى إحياء الحلف : قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهادى الليثى أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى حدثه : أنه كان بين الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان — والوليد يومئذ أمير على المدينة ، أمَّره عليها عمه معاوية بن أبى سفيان — منازعة فى مال كان بينهما بذى المروة ، فكان الوليد تحامل على الحسين — فى حقه لسلطانه — فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفنى من حقى ، أو لآخذن سيفى ، ثم لأقومن فى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم لأدعون بحلف الفضول قال : فقال عبدالله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين - رضى الله عنه - ما قال : وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفى ، ثم لأقومن معه ، حتى يُنصف من حقه أو نموت جميعاً . قال : فبلغت المِسْوَر بن مخرمة ابن نوفل الزهرى ، فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى ، فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى .

حلف الفضول

سبب هذه التسمية : وذكر ابن هشام الحلف الذى عقدته قريش بينها على نُصرة كل مظلوم بمكة قال : ويسمى حلف الفضول ، ولم يذكر سبب هذه التسمية ، وذكرها ابن قتيبة ؛ فقال : كان قد سبق قريشا إلى مثل هذا الحلف جرهم فى الزمن الأول ، فتحالف منهم ثلاثة هم ، ومن تبعهم ، أحدهم : الفضل بن فَضالة ، والثانى : الفضل بن وَداعة ، والثالث : فُضَيْل بن الحارث . هذا قول القتبى . وقال الزبير : الفضيل بن شُراعة ، والفضل ابن وداعة ، والفضل بن قضاعة ، فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجرهميين سُمى : حلف الفضول ، والفضول : جمع فَضْل ، وهى أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم . وهذا الذى قاله ابن قتيبة حسن .

سبب آخر : ولكن فى الحديث ما هو أقوى منه وأولى . روى الحُمَيْدىُّ عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابنى أبى بكر ، قالا : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن

خروج بنى عبد شمس وبنى نوفل من الحلف : قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن أسامة ابن الهادى الليثى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال : قدم محمد بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل ابن عبد مناف ـ وكان محمد بن جُبير أعلم قريش ـ فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك فلما دخل عليه قال له : يا أبا سعيد ، ألم نكن نحن وأنتم ، يعنى بنى عبد شمس ابن عبد مناف وبنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ، قال عبد الملك : لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق من ذلك ، فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، قال: صدقت .

جُدعان حلفاً لو دعيت به فى الإسلام لأجبت . تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها ، وألا يَعُزَّ ظالم مظلوماً » . ورواه فى مسند الحارث بن عبد الله بن أبى أسامة التميمى ، فقد بين هذا الحديث : لم سمى حلف الفضول .

تاريخ هذا الحلف وحرب الفجار : وكان حلف الفضول بعد الفِجَار ، وذلك أن حرب الفجار[1] كانت فى شعبان ، وكان حلف الفضول فى ذى القعَدة قبل المبعث بعشرين سنة .

أول من دعا لهذا الحلف وسبب قيامه : وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به ، وأشرفه فى العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا إليه : الزبير بن عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زُبيد قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه العاصى بن وائل ، وكان ذا قدر بمكة وشرف ، فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف : عبد الدار ومخزوماً وجُمَح وسَهْماً وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاصى بن وائل ، وزَبَرُوه ، أى: انتهروه ، فلما رأى الزبيدى الشر ، أوفى على أبى قُبَيْس[2] عند طلوع الشمس ، وقريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آل فِهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومُحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحِجر والحَجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغُدَر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مَترك ، فاجتمعت هاشم وزُهرة وتَيْم بن مرة فى دار ابن جُدعان ، فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام قياما ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا بالله : ليكونُنَّ يدا واحدة مع المظلوم على الظالم ، حتى يؤَدَّى إليه حقه ما بَلَّ بحر صوفة ، وما رسا حراء وثبير مكانهما ، وعلى التأسى فى المعاش ، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء فى فضل من الأمر ، ثم مشوا إلى العاصى بن وائل ، فانتزعوا منه سلعة الزبيدى ، فدفعوها إليه .

ما قيل من الشعر فى هذا الحلف : قال الزبير رضى الله عنه :

حلفت لنعقدن حلفاً عليهم ... وإن كنا جميعا أهل دار
نسميه : الفضول إذا عقدنا ... يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت أنّا ... أُباة الضيم نمنع كل عار

---

(١) لقد سمت قريش هذه الحرب فجاراً ؛ لأنها كانت فى الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا : قد فجرنا .
(٢) جبل بمكة .

هاشم يتولى الرفادة والسقاية : قال ابن إسحاق : فولى الرفادة والسقاية: هاشم بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفارا قلما يقيم بمكة . وكان مقلا ذا ولد ، وكان هاشم موسرا فكان - فيما يزعمون - إذا حضر الحج ، قام فى قريش فقال : « يامعشر قريش ، إنكم جيران الله ، وأهل بيته ، وإنه يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته ، وهم ضيف الله ، وأحق الضيف بالكرامة : ضيفه ، فاجمعوا لهم ماتصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التى لابد لهم من الإقامة بها ؛ فإنه - والله - لوكان مالى يسع لذلك ما كلفتكموه » فيخرجون لذلك خَرْجاً من أموالهم ، كل امرىء بقدر ماعنده ، فيُصنع به للحجاج طعامٌ ، حتى يصدروا منها .

أفضال هاشم على قومه : وكان هاشم - فيما يزعمون - أول من سن الرحلتين لقريش : رحلتى الشتاء والصيف ، وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة ، وإنما كان اسمه : عمراً ، فاسمى هاشما إلا بهشمه الخبز بمكة لقومه ، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب :

عمرو الذى هشَم الثريد لقومه   قوم بمكة مسنتين عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما   سفر الشتاء ، ورحلة الإيلاف

وقال الزبير بن عبد المطلب :

إن الفضول تحالفوا ، وتعاقدوا   ألا يقيم ببطن مكة ظالم
أمر عليه تعاهدوا ، وتواثقوا   فالجار والمُعْتَرُّ فيهم سالم

من فضائل حلف الفضول : وذكر قاسم بن ثابت فى غريب الحديث أن رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا ، أو حاجا ، ومعه بنت له يقال لها : القَتُول من أوضأ نساء العالمين ، فاغتصبها منه نُبَيْه بن الحجاج وغيبها عنه . فقال الخثعمى : من يُعْديني على هذا الرجل ، فقيل له : عليك بحلف الفضول ، فوقف عند الكعبة ، ونادى : ياَلحِلْف الفضول ، فإذا هم يُعْنِقون إليه من كل جانب ، وقد انتضوا أسيافهم يقولون : جاءك الغوث ، فمالك؟ فقال : إن نُبَيْهاً ظلمنى فى ابنتى ، وانتزعها منى قسراً ، فساروا معه ، حتى وقفوا على باب الدار ، فخرج إليهم ، فقالوا له : أخرج الجارية ويحك ! فقد علمت من نحن ، وما تعاقدنا عليه . فقال : أفعل ، ولكن متعونى بها الليلة ، فقالوا له : لا : والله ، لا شُخْبُ لِقْحَة[1] ، فأخرجها إليهم ، وهو يقول :

راح صحبي ولم أُحَىِّ القتولا   لم أودعهم وداعا جميلا
إذ أجَد الفضول أن يمنعوها   قد أرانى ، ولا أخاف الفضولا
لا تخالى أنى عشية راح الرَّكْ   بُ هُنِتُمْ علىّ ألا أقولا

فى أبيات غير هذه ذكرها الزبير ، وذكر من قوله فيها أيضا :

حَلت تِهامة حلة من بيتها ووطانها
ولها بمكة منزل من سهلها وحرانها
أخذت بَشَاشَة قلبه ونأت فكيف بنأيها !!

---

(١) الشخب . ما خرج من الضرع من اللبن ، واللقحة : الناقة القريبة العهد بالنتاج وتكون عادة غزيرة اللبن .

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز :

قوم بمكة مسنتين عجاف

المطلب يلى الرفادة والسقاية : قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجراً ، فولى السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبد مناف ، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف فى قومه وفضل ، وكانت قريش إنما تسميه : الفيض ، لسماحته وفضله .

حديث الرسول (ص) فى هذا الحلف : وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جُدعان حلفاً ما أحِب أن لى به حُمْرَ النَّعَم ، ولو دعيت إليه فى الإسلام لأجبت » .

حديث عبد الله بن جدعان : وعبد الله بن جدعان هذا تَيْمى هو : ابن جدعان بن عمر بن كعب بن سعد ابن تيم ، يكنى : أبا زهير ابن عم عائشة — رضى الله عنها — ولذلك قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ، ويقرى الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا إنه لم يقل يوما : رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » أخرجه مسلم . ومن غريب الحديث لابن قتيبة أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صَكَّةَ عُمَىٍّ ، يعنى : فى الهاجرة ، وسميت الهاجرة : صكة عمى لخبر ذكره أبو حنيفة فى الأنواء : أن عميا رجل من عَدْوَانٍ ، وقيل : من إياد ، وكان فقيه العرب فى الجاهلية ، فقدم فى قوم معتمراً أو حاجاً : فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه ، وهم فى نحر الظهيرة : من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت ، كان له أجر عمرتين ، فصكوا الإبل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغد فى مثل ذلك الوقت ، وأنشد :

وَصَكٌّ بها نحر الظهيرة صَكَّةً عُمَىٍّ وما يبغين إلا ظلالها

فى أبيات ، وعمى : تصغير أعمى على الترخيم ، فسميت الظهيرة صكة عمى به . وقال البكرى فى شرح الأمثال : عمى : رجل من العماليق أوقع بالعدو فى مثل ذلك الوقت ، فسمى ذلك الوقت : صكة عمى ، والذى قاله أبو حنيفة أولى ، وقائله أعلى . وقال يعقوب : عَمِىَ الظبى : يتحير بصره فى الظهيرة من شدة الحر .

قال ابن قتيبة : وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير ، وسقط فيها صبى ، فغرق أى : مات . وكان أمية ابن أبى الصلت قبل أن يمدحه قد أتى بنى الدَّيَّان من بنى الحارث بن كعب ، فرأى طعام بنى عبد المَدَانِ منهم لباب البُرِّ والشُّهد والسمن ، وكان ابن جدعان يطعم التمر والسَّويق ويسقى اللبن ، فقال أمية :

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم فرأيت أكرمهم بنى الديان
البرُّ يُلْبَكُ بالشهاد طعامهم لا ما يعللنا بنو جُدعان[1]

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان ، فأرسل ألفْ بعير إلى الشام ، تحمل إليه البُر والشهد والسمن ، وجعل مناديا ينادى على الكعبة : ألا هلموا إلى جفنة عبد الله بن جدعان ، فقال أمية عند ذلك :

له داع بمكة مُشْمَعِلٌّ وآخر فوق كعبتها ينادى[2]
إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى عليها لباب البر يلبك بالشهاد[3]

---

(١) البر : دقيق الحنطة . ويلبك : يعجن . والشهاد : جمع شهد وهو عسل النحل .

(٢) مشمعل : مبادر . (٣) الردح : الجفان العظيمة واحدها رداح . والشيزى : خشب يصنع منه الجفان .

. . . .

وكان ابن جدعان فى بدء أمره صعلوكا ترب اليدين ، وكان مع ذلك شريراً فاتكا ، لا يزال يجنى الجنايات ، فيعقل عنه أبوه وقومه ، حتى أبغضته عشيرته ، ونفاه أبوه، وحلف : ألا يؤويه أبدا لما أثقله به من الغُرم ، وحمله من الديات ، فخرج فى شعاب مكة حائراً بائراً ، يتمنى الموت أن ينزل به ، فرأى شقا فى جبل ، فظن فيه حية ، فتعرض للشق يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح ، فلم ير شيئا ، فدخل فيه ، فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراجين ، فحمل عليه الثعبان ، فأفرج له ، فانساب عنه مستديراً بدارة عندها بيت ، فخطا خطوة أخرى ، فصفر به الثعبان ، وأقبل عليه كالسهم ، فأفرج عنه ، فانساب عنه قُدُما لا ينظر إليه ، فوقع فى نفسه أنه مصنوع ، فأمسكه بيده ، فإذا هو مصنوع من ذهب ، وعيناه ياقوتتان ، فكسره ، وأخذ عينيه ، ودخل البيت ، فإذا جثث على سرر طوال لم ير مثلهم طولا وعظما ، وعند رءوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم ، وإذا هم رجال من ملوك جرهم ، وآخرهم موتاً : الحارث بن مضاض صاحب الغربة الطويلة ، وإذا عليهم ثياب لا يمس منها شىء إلا انتثر كالهباء من طول الزمن ، وشعر مكتوب فى اللوح فيه عظات ، آخر بيت منه :

صاح هل رَيْت أو سمعت براع ... رد فى الضرع ماقرَى فى الحلاب

وقال ابن هشام : كان اللوح من رخام ، وكان فيه : أنا نُفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود نبى الله ، عشت خمسمائة عام ، وقطعت غَوْر الأرض: باطنها وظاهرها فى طلب الثروة والمجد والملك ، فلم يكن ذلك ينجينى من الموت ، وتحته مكتوب :

قد قطعت البلاد فى طلب الثر ... وة والمجدُ قالص الأثواب(١)

وسريتُ البلاد قفرا لقفر ... بقناتى وقوتى واكتسابى

فأصاب الردى بنات فؤادى ... بسهام من المنايا صياب

فانقضت شِرّتى ، وأقصر جهلى ... واستراحت عواذلى من عتابى(٢)

ودفعت السَّفاه بالحلم لما ... نزل الشيب فى محل الشباب(٣)

صاح هل ريت أو سمعت براع ... رد فى الضرع ماقرى فى الحلاب(٤)

وإذا فى وسط البيت كَوْم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد ، فأخذ منه ما أخذ ، ثم علم على الشق بعلامة ، وأغلق بابه بالحجارة وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به يسترضيه ويستعطفه ، ووصل عشيرته كلهم ، فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ، ويفعل المعروف . ذكر حديث كنز ابن جدعان موصولا بحديث الحارث بن مضاض : ابن هشام فى غير هذا الكتاب ، ووقع أيضا فى كتاب رىّ العاطش ، وأُنس الواحش لأحمد بن عمار .

وابن جدعان ممن حرم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان مُغْرًى بها ، وذلك أنه سكر ، فتناول القمر ليأخذه ، فأُخبر بذلك حين صحا ، فحلف : لا يشربها أبدا ، ولما كبر وهرم أراد بنو تيم أن يمنعوه من تبديد ماله ، ولاموه

(١) قالص الأثواب : القصير منها . (٢) الشرة : النشاط .

(٣) السفاه : الجهل .

(٤) قرى : جمع . الحلاب : إناء الحلب .

زواج هاشم بن عبد مناف: وكان هاشم بن عبد مناف قدم المدينة، فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار، وكانت قبله عند احيحة بن الجُلاح بن الحريش. قال ابن هشام: ويقال: الحريس ابن جَحجَبى بن كُلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، فولدت له عمرو بن أحيحة، وكانت لاتنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، إذا كرهت رجلا فارقته.

فى العطاء، فكان يدعو الرجل، فإذا دنا منه، لطمه لطمة خفيفة، ثم يقول له: قم فانشد لطمتك، واطلب ديتها، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تميم من مال ابن جدعان حتى يرضى، وهو جد عُبَيْد الله بن أبى مُلَيْكَةَ الفقيه. والذى وقع فى هذا الحديث من ذكر نفيلة، أحسبه: نفيلة بالنون والفاء، لأن بنى نفيلة كانوا ملوك الحيرة، وهم من غسان، لا من جرهم، والله أعلم.

توسط الإسلام فى موقفه من حلف الفضول: وذكر خبر الحسين مع الوليد بن عتبة: وقوله: لآخذن سيفى، ثم لأدعون بحلف الفضول إلى آخر القصة. وفيه من الفقه: تخصيص أهل هذا الحلف بالدعوة وإظهار التعصب، إذا خافوا ضيما، وإن كان الإسلام قد رفع ما كان فى الجاهلية من قولهم: يا لَفلان عند التحزب والتعصب، وقد سمع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوم المريسيع[1] رجلا يقول: يا لَلْمُهاجرين! وقال آخر: يا للأنصار! فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم: «دعوها فإنها مُنْتِنة»، وقال — صلى الله عليه وسلم — «من ادعى بدعوى الجاهلية، فأعضّوه بِهَنِ أبيه ولا تَكْنُوا»، ونادى رجل بالبصرة: يا لَعامر! فجاءه النابغة الجعدى بعَصَبة له، فضربه أبو موسى الأشعرى — رضى الله عنه — خمسين جلدة، وذلك أن الله عز وجل جعل المؤمنين إخوة، ولا يقال إلا كما قال عمر رضى الله عنه: يا لله ويا لَلْمسلمين؛ لأنهم كلهم حزب واحد، وإخوة فى الدين إلا ما خص الشرع به أهل حلف الفضول، والأصل فى تخصيصه قوله — صلى الله عليه وسلم: «ولو دعيت به اليوم لأجبت»، يريد: لو قال قائل من المظلومين: يالحلف الفضول لأجبت، وذلك أن الإسلام إنما جاء بإقامة الحق ونصرة المظلومين، فلم يزدد به هذا الحلف إلا قوة، وقوله عليه السلام: «وما كان من حلف فى الجاهلية، فلن يزيده الإسلام إلا شدة» ليس معناه: أن يقول الحليف: يا لَفلان لحلفائه، فيجيبوه، بل الشدة التى عنى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إنما هى راجعة إلى معنى التواصل والتعاطف والتآلف. وأما دعوى الجاهلية، فقد رفعها الإسلام إلا ما كان من حلف الفضول كما قدمنا، فحكمه باق، والدعوة به جائزة. وقد ذهبت طائفة من الفقهاء إلى أن الحليف يعقل مع العاقلة إذا وجبت الدية لقوله — صلى الله عليه وسلم: «وما كان من حلف فى الجاهلية، فلم يزده الإسلام إلا شدة»، ولقوله أيضاً للذى حبسه فى المسجد. «إنما حبستك بجريرة حلفائك».

أولاد عبد مناف: وذكر بنى عبد مناف الأربعة، وقد كان له ولد خامس، وهو أبو عمرو، واسمه: عبيد، درج[2]، ولا عقب له، ذكره البرقى والزبير، وكذلك ذكر البرقى أن قُصيا كان سمى ابنه عبد قصى، وقال: سميته بنفسى وسميت الآخر بدار الكعبة، يعنى: عبد الدار، ثم إن الناس حولوا اسم عبد قصى، فقالوا: عبد بن قصى، وقال الزبير أيضا: كان اسم عبد الدار عبد الرحمن.

---

(١) ماء لخزاعة. (٢) درج: ذهب.

سبب تسمية عبد المطلب باسمه : فولدت لهاشم: عبد المطلب ، فسمته شيبة ، فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفاً أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ؛ ليقبضه ، فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سلمى : لست بمرسلته معك ، فقال لها المطلب : إنى غير منصرف حتى أخرج به معى ، إن ابن أخى قد بلغ ، وهو غريب فى غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف فى قومنا ، نلى كثيراً من أمرهم ، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة فى غيرهم ، أو كما قال . وقال شيبة لعمه المطلب - فيما يزعمون - لست بمفارقها إلا أن تأذن لى ، فأذنت له ، ودفعته إليه ، فاحتمله ، فدخل به مكة مردفه معه على بعيره ، فقالت قريش : عبد المطلب ابتاعه ، فبها سمى شيبة : عبد المطلب . فقال المطلب : ويحكم ! إنما هو ابن أخى هاشم ، قدمت به من المدينة .

هاشم وسبب تسميته : وذكر هاشما وماصنع فى أمر الرفادة وإطعام الحجيج ، وأنه سمى هاشماً لهشمه الثريد لقومه ، والمعروف فى اللغة أن يقال : ثردت الخبز ، فهو ثريد ومثرود ، فلم يُسَمَّ : ثارداً ، وسُمى هاشماً ، وكان القياس — كما لا يسمى الثريد هشيما ، بل يقال فيه : — ثريد ومثرود — أن يقال فى اسم الفاعل أيضا كذلك ، ولكن سبب هذه التسمية يحتاج إلى زيادة بيان . ذكر أصحاب الأخبار أن هاشما كان يستعين على إطعام الحاج بقريش ، فيرفدونه بأموالهم ، ويعينونه ، ثم جاءت أزمة شديدة فكره أن يكاف قريشا أمر الرفادة ، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله ، واشترى به أجمع كعكاً ودقيقا ، ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكعك كله هشماً ، ودقه دقاً ، ثم صنع للحجاج طعاما شبه الثريد ، فبذلك سمى هاشما ، لأن الكعك اليابس لا يثرد ، وإنما يهشم هشماً ، فبذلك مدح ، حتى قال شاعرهم فيه ، وهو عبد الله بن الزِّبَعْرى :

كانت قريش بيضة فتفقأت ... فالمُخُّ خالصه لعبد مناف

الخالطين فقيرهم بغنيهم ... والظاعنين لرحلة الأضياف

والرائشين وليس يوجد رائش ... والقائلين : هلم للأضياف

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... قوم بمكة مُسْنتين عجاف

وكان سبب مدح ابن الزِّبَعْرى بهذه الأبيات ، وهو سهمى (١) لبنى عبد مناف — فيما ذكره ابن إسحاق فى رواية يونس — أنه كان قد هجا قصيا بشعر كتبه فى أستار الكعبة ، أوله :

ألْهَى قُصَيّاً عن المجد الأساطيرُ ... ومشية مثل ما تمشى الشقارير (٢)

فاستعدوا عليه بنى سهم ، فأسلوه إليهم ، فضربوه وحلقوا شعره ، وربطوه إلى صخرة بالحجون ، فاستغاث قومه فلم يغيثوه ، فجعل يمدح قصيا ويسترضيهم ، فأطلقه بنو عبد مناف منهم ، وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر ، وبأشعار كثيرة ، ذكرها ابن إسحق فى رواية يونس .

قصة عبد المطلب مع ابن ذى يزن : وذكر نكاح هاشم سلمى بنت عمرو النجارية وولادتها له عبد المطلب بن هاشم ، ومن أجل هذه الولادة قال سيف بن ذى يزن أو ابنه معدى كرب بن سيف ملك اليمن لعبد المطلب حين وفد عليه فى ركب من قريش : مرحباً بابن أختنا ، لأن سلمى من الخزرج ، وهم من اليمن من سبأ ، وسيف من حمير بن سبأ ، ثم قال له : مرحباً وأهلا ، وناقة ورحلا ، ومَلِكاً سِبَحْلاً ، يعطى عطاه

---

(١) سهمى : أى من بنى سعد بن سهم . (٢) الشقاقير : الديوك

وفاة المطلب : ثم هلك المطلب بردمان من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يبكيه :

قد ظمىء الحجيج بعد المطلب ... بعد الجفان والشراب المنثغب

ليت قريشا بعده على نصب

مطرود يبكي المطلب وبني عبد مناف : وقال مطرود بن كعب الخزاعى ، يبكى المطلب وبنى عبد مناف جميعا حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرهم هلكا :

يا ليلة هيجت ليلاتى ... إحدى ليالى القسيات

وما أقاسى من هموم ، وما ... عالجت من رزء المنيات

إذا تذكرت أخى نوفلا ... ذكرنى بالأوليات

ذكرنى بالأزر الحمر والـ ... أردية الصفر القشيبات

أربعة كلهم سيد ... أبناء سادات لسادات

ميت بردمان وميت بسلـ ... مان وميت بين غزات

وميت أسكن لحداً لدى الـ ... محجوب شرقى البنيات

أخلصهم عبد مناف فهم ... من لوم من لام بمنجاة

إن المغيرات وأبناءها ... من خير أحياء وأموات

جزلا . ثم بشره بالنبى — صلى الله عليه وسلم — وأنه من ولده ، فقال له عبد المطلب : مثلك أيها الملك سرّ وبرّ ، ثم أجزل الملك حباءه ، وفضله على أصحابه ، وانصرف مغبوطا على ما أعطاه الملك ، فقال : والله لما بشرنى به أحب إلى من كل ما أعطانى . فى خبر فيه طول .

نسب أحيحة بن الجلاح : وذكر نسب أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى ، وقال ابن هشام: هو الحريس يعنى : بالسين المهملة — وقال الدارقطنى عن الزبير بن أبى بكر : إن كل ما فى الأنصار فهو : حريس بالسين غير معجمة إلا هذا ، ووجدت فى حاشية كتاب أبى بحر — رحمه الله — صواب هذا الاسم يعنى فى نسب أحيحة بن الجلاح بن الحريش بالشين المعجمة على لفظ الحريش بن كعب ، البطن الذى فى عامر بن صعصعة .

شرح شعر مطرود بن كعب : وأنشد لمطرود بن كعب :

يا ليلة هيجت ليلاتى ... إحدى ليالى القسيات

أى : أنت إحدى ليالى القسيات . فعيلات من القسوة : أى : لا لين عندهن ، ولا رأفة فيهن ، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم القسى ، وهو الزائف ، وقد قيل فى الدرهم القسى : إنه أعجمى معرب ، وقيل : هو من القساوة لأن الدرهم الطيب ألين من الزائف ، والزائف أصلب منه . ونصب ليلة على التمييز ، كذلك قال سيبويه فى قول الصلتان العبدى :

أيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله

وذلك أن فى الكلام معنى التعجب .

اسم عبد مناف وترتيب أولاده موتا : وكان اسم عبد مناف : المغيرة، وكان أول بنى عبد مناف هُلكا : هاشم، بغزة من أرض الشام ، ثم عبد شمس بمكة ، ثم المطلب برَدْمان من أرض اليمن ، ثم نوفلا بسَلمان من ناحية العراق .

شعر آخر لمطرود : فقيل لمطرود ـ فيما يزعمون ـ لقد قلت فأحسنت ، ولو كان أفحل مما قلت كان أحسن ، فقال : أنظرونى ليالىَ ، فمكث أياما ، ثم قال :

ياعين جودى، وأذرى الدمع وانهمرى	وابكى على السر من كعب المُغيرات
ياعين، واسحَنفِرى بالدمع واحتفلى	وابكى خبيئة نفسى فى الملمات
وابكى على كل فياض أخى ثقة	ضخم الدَّسيعة وهاب الجزيلات
محض الضريبة ، عالى الهم ، مختُلق	جلد النحيزة ، ناء بالعظيمات
صعب البديهة لا نكس ولا وكل	ماضى العزيمة ، متلاف الكريمات
صقر توسط من كَعب إذا نُسبوا	بُحبوحة المجد والشُم الرفيعات
ثم اندبى الفيض والفياض مُطلبا	واستخرطى بعد فيضات بجمات
أمسى بردمان عنا اليوم مغتربا	يالهف نفسى عليه بين أموات
وابكى ـ لك الويل ـ إما كنت باكية	لعبد شمس بشرقى الثنيَّات

وقوله : ومِيْت بغزات . هى : غزة ، ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل ربض من البلدة اسم البلدة ، فيقولون : غزات فى غزة ، ويقولون فى بغدان : بغادين ، كما قال بعض المحدثين :

شربنا فى بغادين على تلك الميادين

ولهذا نظائر ستمر فى الكتاب — إن شاء الله — ومن هذا الباب : حكمهم للبعض بحكم الكل ، كما سمَّوْه باسمه ، نحو قولهم : شرقت صدر القناة من الدم ، وذهبت بعض أصابعه ، وتواضعت سور المدينة . وقد تركبت على هذا الأصل مسئلة من الفقه : قال الفقهاء ، أو أكثرهم : من حلف ألا يأكل هذا الرغيف ، فأكل بعضه ، فقد حنث ، فحكموا للبعض بحكم الكل ، وأطلقوا عليه اسمه . وفيه :

إن المغيرات وأبناءها من خير أحياء وأموات

فالمغيرات : بنو المغيرة ، وهو عبد مناف ، كما قالوا : المناذرة فى بنى المنذر ، والأشعرون فى بنى أشعر بن أُدَد ، كما قال على بن عبد الله بن عباس فى ابن الزبير : آثر عَلىَّ الحُمَيْدات والتوَيْتات والأسامات ، يعنى : بنى حُمَيْد ، وبنى تُوَيْت ، وبنى أسامة ، وهم من بنى أسد بن عبد العُزى .

وفيه « شرقى البَنِيات » يعنى : البنية ، وهى : الكعبة ، وهو نحو مما تقدم فى غزات .

شرح مفردات قصيدة مطرود بن كعب الأخرى : وأنشد له فى القصيدة التاوية : محض الضريبة ، عالى الهم مختلق : أى عظيم الخلق . جلد النحيزة ناء بالعظيمات . ليس قوله : ناء من النأى ، فتكون الهمزة فيه عين الفعل ، وإنما هو من ناء ينوء إذا نهض فالهمزة فيه لام الفعل ، كما هو فى جاء عند الخليل ، فإنه عنده مقلوب ، ووزنه : فالع ، والياء التى بعد الهمزة هى : عين الفعل فى جاء يجىء .

وهاشم فى ضريح وسط بَلقعة   تسفى الرياح عليه بين غزات
ونوفل كان دون القوم خالصتى   أمسى بسَلْمان فى رَمس بموْماة
لم ألق مثلهم عُجما ولا عرباً   إذا استقلت بهم أُدم المطيات
أمست ديارهمُ منهم معطلة   وقد يكونون زينا فى السَّريات
أفناهم الدهر ، أم كلت سيوفهم   أم كل من عاش أزواد المنيات
أصبحت أرضى من الأقوام بعدهم   بسط الوجوه وإلقاء التحيات
ياعين فابكى أبا الشُّعث الشجيات   يبكينه حسرا مثل البليات
يبكين أكرم من يمشى على قدم   يُعْوِلنه بدموع بعد عبرات
يبكين شخصاً طويل الباع ذا فَجَر   آبى الهضيمة ، فراج الجليلات
يبكين عمرو العلا إذ حان مصرعه   سمح السجية ، بسام العشيات
يبكينه مستكينات على حَزَن   ياطول ذلك من حزن وعوْلات
يبكين لمّا جلاهنّ الزمان له   خضر الخدود كأمثال الحِسيات
محتزمات على أوساطهن لما   جر الزمان من أحداث المصيبات
بيت ليلى أراعى النجم من ألم   أبكى ، وتبكى معى شجوى بُنَيّاتى
أمانى القروم لهم عِدل ولا خطر   ولا لمن تركوا شَرْوى بقيات
أبناؤهم خير أبناء ، وأنفسهم   خير النفوس لدى جَهد الأليات
كم وهبوا من طِمِرّ سابح أرن   ومن طِمِرّة نهب فى طمرات
ومن سيوف من الهندى مُخلَصة   ومن رماح كأشطان الركيات
ومن توابع مما يفضلون بها   عند المسائل من بذل العطيات
فلو حسبتُ وأحصى الحسبون معى   لم أفض أفعالهم تلك الهنيات
هم المداون إما معشر فخروا   عند الفخار بأنساب نقيات
زين البيوت التى حلُّوا مساكنها   فأصبحت منهم وحشا خليات
أقول والعين لا ترقا مدامعها :   لا يُبعد الله أصحاب الرزيات

قال ابن هشام : الفَجَر : العطاء . قال أبو خراش الهذلى :

عجَّف أضيافى جميل بن معمر   بذى فَجَر تأوى إليه الأرامل

وفيه الشُّعث الشجيات . فشدد ياء الشجى ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : ياء الشجى مخففة ، وياء الخلى مشددة ، وقد اعترض ابن قتيبة على أبى تمام الطائى فى قوله :

أيا ويح الشَّجىّ من الخلىّ   وويح الدمع من إحدى بَلىّ

واحتج بقول يعقوب فى ذلك ، فقال له الطائى : ومن أفصح عندك : ابن الجرمُقانية يعقوب ، أم أبو الأسود الدؤلى حيث يقول :

ويلى الشجىّ من الخلى فإنه   وَصِب الفؤاد بشجوه مغموم

قال ابن إسحاق : أبو الشُّعث الشجيَّات : هاشم بن عبد مناف .

عبد المطلب يلي السقاية والرفادة : قال : ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب ، فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم ، وشرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه ، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم .

قال المؤلف : وبيت مطرود أقوى فى الحجة من بيت أبى الأسود الدؤلى ، لأنه جاهلى محكَّك ، وأبو الأسود : أول من صنع النحو ، فشعره قريب من التوليد ، ولا يمتنع فى القياس أيضاً أن يقال : شَجِىّ وشَجٍ ، لأنه فى معنى : حزن وحزين ، وقد قيل : من شدد الياء ، فهو فعيل بمعنى مفعول .

وفيه بعد قوله : أبا الشعث الشجيات . يبكينه حسّراً مثل البَلِيَّات . البليَّة : الناقة التى كانت تُعقل عند قبر صاحبها إذا مات ، حتى تموت جوعا وعطشا ، ويقولون : إنه يحشر راكبا عليها ، ومن لم يفعل معه هذا حشر راجلا ، وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث ، وهم الأقل ، ومنهم زهير ، فإنه قال :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيُدَّخَرْ   لِيوم الحساب ، أو يُعجل فَيُنْتَقَم

وقال الشاعر فى البلية :

والبلايا رءوسها فى الولايا   مانحات السَّموم حُرَّ الخُدود

والولايا : هى البراذع ، وكانوا يثقبون البرذعة ، فيجعلونها فى عنق البلية ، وهى معقولة ، حتى تموت ، وأوصى رجل ابنه عند الموت بهذا :

لا تتركن أباك يحشر مرة   عَدْوا يخر على اليدين ، ويَنكُبُ

فى أبيات ذكرها الخطابى .

وقوله : قياما كالحميات . أى : محترقات الأكباد كالبقر أو الظباء التى حمِيت الماء وهى عاطشة ، فحمية بمعنى : محمية ، لكنها جاءت بالتاء ، لأنها أجريت مجرى الأسماء كالرمية والضحية والطريدة وفى معنى الْمَحْمِى قول رؤبة :

قواطن مكة من وُرْقِ الحمِى

يريد الحمام المَحْمِى ، أى : الممنوع .

وقوله : فى رَمْس بِمَرْمَاة : الأظهر فيه أن تكون الميم أصلية ، ويكون مما ضوعفت فاؤه وعينه ، وحمله على هذا الأصل أولى لكثرته فى الكلام ، وإن كان أصل الميم أن تكون زائدة ، إذا كانت أول الكلمة الرباعية أو الخماسية ، إلا أن يمنع من ذلك اشتقاق ، ولا اشتقاق ها هنا ، أو يمنع من ذلك دخوله فيما قلَّ من الكلام نحو : قسلِق وسَلِس . قال أبو على فى المرمر : حمله على باب : قَرْقَر وَبَرْبَر أولى من حمله على باب : قلق وسلس ، يريد : إنك إن جعلت الميم زائدة كانت فاء الفعل — وهى الراء — مضاعفة دون عين الفعل ، وهى الميم ، وإذا جعلت الميم الأولى فى مرمر أصلية ، كان من باب ما ضوعفت فيه الفاء والعين ، وهذا معنى قول سيبويه فى المرمر : مر ، وهو القياس المستتب ، والطريق المَهْيَع دون ما ضوعفت فيه الفاء وحدها ، فتأمله .

وقوله : طويل الباع ذا فَجَرٍ . الفجر : الجود ، شبه بانفجار الماء . ويروى ذا فَنَعٍ ، والفنع : كثرة المال ، وقد قال أبو محجن الثقفى :

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

سبب حفر زمزم : ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم فى الحجر إذ أُتى ، فأمر بحفر زمزم .

قال ابن إسحاق : وكان أول ما ابتدىء به عبد المطلب من حفرها ، كما حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى عن مَرثد بن عبد الله اليزنى عن عبدالله بن زُرَير الغافقى : أنه سمع على بن أبى طالب رضى‌الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها ، قال :

قال عبد المطلب : إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آت فقال : احفر طيبة . قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب

وقد أجود وما مالى بذى فنع ... وأكتم السر فيه ضَربةُ العنق

وقوله : بَسَّام العشيات : يعنى : أنه يضحك للأضياف ، ويبسم عند لقائهم ، كما قال الآخر ، وهو حاتم الطائى :

أُضاحك ضيفى قبل إنزال رحله ... ويخصب عندى ، والمَحَل جديب

وما الخصب للأضياف أن يَكثُر القِرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

حديث زمزم

وكانت زمزم — كما تقدم — سُقيا إسماعيل ، عليه السلام ، فجّرها له روح القدس بعقبه ، وفى تفجيره إياها بالعقب دون أن يفجرها باليد أو غيره : إشارة إلى أنها لعقبه وراثة ، وهو محمد — صلى الله عليه وسلم — وأمته ، كما قال سبحانه : « وجعلها كلمة باقية فى عَقِبه » أى : فى أمة محمد — عليه السلام — ثم إن زمزم لما أحدثت جرهم فى الحرم ، واستَخَفّوا بالمناسك والحُرَم ، وبغى بعضهم على بعض واجترم ، تغوّر ماء زمزم واكتُتم ، فلما أخرج الله جرهم من مكة بالأسباب التى تقدم ذكرها ، عمد الحارث بن مضاض الأصغر إلى ما كان عنده من مال الكعبة ، وفيه غزالان من ذهب وأسياف قَلْعِيَّة كان ساسان ملك الفرس قد أهداها إلى الكعبة ، وقيل : سابور ، وقد قدمنا أن الأوائل من ملوك الفرس كانت تحجها إلى عهد ساسان ، أو سابور ، فلما علم ابن مضاض أنه مُخرَج منها ، جاء تحت جنح الليل حتى دفن ذلك فى زمزم ، وعفّى عليها ، ولم تزل دارسة عافيا أثرها ، حتى آن مولد المبارك الذى كان يستسقى بوجهه غيث السماء وتتفجر من بنانه ينابيع الماء ، صاحب الكوثر والحوض الرُّوَاء ، فلما آن ظهوره أذن الله تعالى لسقيا أبيه أن تظهر ، ولما اندفن من مائها أن تجتهر[1] ، فكان — صلى الله عليه وسلم — قد سقت الناس بركته قبل أن يولد وسُقوا بدعوته . وهو طفل حين أجدبت البلد ، وذلك حين خرج به جده مستسقيا لقريش ، وسيأتى بيان ذلك — فيما بعد إن شاء الله — وسقيت الخليقة كلها غيوث السماء فى حياته الفينة بعد الفينة ، والمرة بعد المرة ، وتارة بدعائه ، وتارة من بنانه ، وتارة بإلقاء سهمه ، ثم بعد موته — عليه السلام — استشفع عمر بعمه — رضى الله عنهما — عامَ الرَّمادة ، وأقسم عليه به وبنبيه ، فلم يبرح ، حتى قَلَّصوا المآزرَ ، واعتلقوا الحذاء ، وخاضوا الغدران ، وسمعت الرفاق المقبلة إلى المدينة فى ذلك اليوم صائحا يصيح فى السحاب : أتاك الغوث أبا حفص ، أتاك الغوث أباحفص ، كل هذا ببركة المُبتَعث بالرحمتين ، والداعى إلى الحياتين الموعود بهما على يديه فى الدارين - صلى الله عليه وسلم - صلاة تصعد ولا تنفد ، وتتصل ولا تنفصل ، وتقيم ولا تريم ، إنه منعم كريم .

---

(١) تجتهر : تنقى .

عنى. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر بَرّة . قال : فقلت : وما برة ؟ قال : ثم ذهب عنى، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى، فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر المضنونة . قال : فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عنى .فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر زمزم. قال : قلت :ومازمزم ؟ قال لاتنزف أبداً ولا تذم ، تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل .

قريش تنازع عبد المطلب فى زمزم : قال ابن إسحاق : فلما بُين له شأنها ، ودُل على موضعها ، وعرف أنه قد صُدق، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها. فلما بدا لعبد المطلب الطى، كبر.

التحاكم في بئر زمزم : فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه ، فقالوا : ياعبد المطلب ، إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها . قال : ماأنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم ، وأعطيته من بينكم ، فقالوا له : فأنصفنا ، فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال : فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه ، قالوا : كاهنة بنى سعد هُذيم ، قال نعم قال : وكانت بأشراف الشام ، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أبيه من بنى عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر . قال : والأرض إذ ذاك مفاوز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام ، فنى ماء عبد المطلب وأصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش ، فأبوا عليهم ، وقالوا : إنا بمفازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ماأصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ماصنع القوم ، ومايتخوف على نفسه وأصحابه ، قال : ماترون ؟ قالوا مارأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بماشئت ، قال : فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بمابكم الآن من القوة ـ فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم واروه ـ حتى يكون آخركم رجلا واحدا ، فضَيْعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا قالوا : نِعم ماأمرت به . فقام كل واحد منهم فحفر حفرته ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لانضرب فى الأرض ، ولانبتغى لأنفسنا ، لعجز ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، ارتحلوا ، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ماهم فاعلون ، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها . فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبد المطلب ، وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب ، وشرب أصحابه ، واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش ، فقال : هلمّ إلى الماء، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقوا . ثم قالوا : قد ـ والله ـ قُضى لك علينا ياعبد المطلب

أسماء زمزم وتعليلها : فأرى عبد المطلب فى منامه : أن احفر طيبة ، فسميت طيبة ، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام وقيل له : احتفر بَرّة ، وهو اسم صادق عليها أيضا ، لأنها فاضت للأبرار ، وغاضت عن الفجار ، وقيل له : احفر المضنونة . قال وهب بن منبه : سميت زمزم : المضنونة لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين ، فلا يَتَضَلَّع[1] منها منافق ، وروى الدارقطنى ما يقوى ذلك مسنداً عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « من شرب من زمزم فليتضلع ، فإنه فرق ما بيننا وبين المنافقين ، لا يستطيعون أن يتضلعوا منها » أو كما قال . وفى تسميتها بالمضنونة رواية أخرى ، رواها الزبير : أن عبد المطلب قيل له : احفر المضنونة ضننت بها على الناس إلا عليك ، أو كما قال .

---

(١) لا يتضلع : لا يرتوى .

والله لانخاصمك فى زمزم أبدا ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق : فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمزم ، وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادع بالماء الرَّوِىّ غير الكدر   يسق حجيج الله فى كل مَبَرّ
ليس يخاف منه شىء ما عَمَر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال : تعلموا أنى قد أمرت أن أحفر لكم زمزم ، فقالوا : فهل بين لك أين هى ؟ قال : لا . قالوا فارجع إلى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت ، فإن يك حقا من الله يبين لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبد المطلب إلى مضجعه ، فنام فيه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، وهى تراث من أبيك الأعظم ، لا تنزف أبداً ولا تذم ، تسق الحجيج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يُقسم ، ينذر فيها ناذر لمُنعِم ، تكون ميراثا وعقداً محكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ، وهى بين الفرث والدم .

قال ابن هشام : هذا الكلام ، والكلام الذى قبله ، من حديث على فى حفر زمزم من قوله : « لا تنزف أبداً ولا تذم » إلى قوله : « عند قرية النمل » عندنا سجع وليس شعراً .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين قيل له ذلك ، قال : وأين هى ؟ قيل له عند قرية النمل ، حيث ينقر الغراب غدا . والله أعلم أى ذلك كان .

العلامات التى رآها عبد المطلب لحفر زمزم : ودل عليها بعلامات ثلاث : بنقرة الغراب الأعصم ، وأنها بين الفرث والدم ، وعند قرية النمل ، ويروى أنه لما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ، ولم ير الفرث والدم ، فبينا هو كذلك نَدَّتْ بقرة بجازرها ، فلم يدركها ، حتى دخلت المسجد الحرام ، فنحرها فى الموضع الذى رسم لعبد المطلب ، فسال هناك الفرث والدم ، فحفر عبد المطلب حيث رُسم له .

تعليل هذه العلامات : ولم تخص هذه العلامات الثلاث بأن تكون دليلا عليها إلا لحكمة إلهية ، وفائدة مُشاكِلة فى علم التعبير ، والتوسم الصادق لمعنى زمزم ومائها .

تأويل بين الفرث والدم : أما الفرث والدم ، فإن ماءها طعام طُعْم ، وشفاء سُقْم ، وهى لما شربت له ، وقد تقوّت من مائها أبو ذر — رضى الله عنه — ثلاثين بين يوم وليلة ، فسمن حتى تكسرت عكنه[1] فهى إذاً كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى اللبن : « إذا شرب أحدكم اللبن ، فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه ليس شىء يسد مسد الطعام والشراب إلا اللبن » . وقد قال الله تعالى فى اللبن : « من بين فَرْث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين » . فظهرت هذه السقيا المباركة بين الفرث والدم ، وكانت تلك من دلائلها المشاكلة لمعناها .

---

(١) العكن : طيات البطن من السمن .

عبد المطلب يحفر زمزم : فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث ، وليس له يومئذ ولد غيره ، فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين : إساف ونائلة، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها . فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أُمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جِده ، فقالوا : والله لانتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبد المطلب لابنه الحارث : ذد عني حتى أحفر، فوالله لأمضين لما أمرت به . فلما عرفوا أنه غير نازع خلّوا بينه وبين الحفر ، وكفوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيرا ، حتى بدا له الطى ، فكبر وعرف أنه قد صُدق

الغراب الأعصم معناه وتأويله : وأما قوله : الغراب الأعصم، قال القتبي : الأعصم من الغربان الذى فى جناحيه بياض ، وحمل على أبى عبيد لقوله فى شرح الحديث : الأعصم الذى فى يديه بياض ، وقال : كيف يكون للغراب يدان ! . وإنما أراد أبو عبيد أن هذا الوصف لذوات الأربع ، ولذلك قال : إن هذا الوصف فى الغربان عزيز ، وكأنه ذهب إلى الذى أراد ابن قتيبة من بياض الجناحين ، ولولا ذلك لقال : إنه فى الغربان مُحال لا يتصور . وفى مسند ابن أبى شيبة من طريق أبى أمامة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يغنى عن قوليهما ، وفيه الشفاء : أنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « المرأة الصالحة فى النساء كالغراب الأعصم قيل : يارسول الله ، وما الغراب الأعصم ؟ قال : الذى إحدى رجليه بيضاء » . فالغراب فى التأويل : فاسق ، وهو أسود ، فدلت نقرته عند الكعبة على نقرة الأسود الحبشى بمعوله فى أساس الكعبة يهدمها فى آخر الزمان ، فكان نقر الغراب فى ذلك المكان يؤذن بما يفعله الفاسق الأسود فى آخر الزمان بقبلة الرحمن ، وسقيا أهل الإيمان ، وذلك عندما يرفع القرآن ، وتحيا عبادة الأوثان ، وفى الصحيح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ليخربن الكعبة ذو السُّوَيْقتَيْن من الحبشة » وفى الصحيح أيضا من صفته : أنه « أفْحَجُ » ، وهذا أيضاً ينظر إلى كون الغراب أعصم ؛ إذ الفحج : تباعد فى الرِّجلين ، كما أن العَصَم اختلاف فيهما ، والاختلاف : تباعد . وقد عرف بذى السويقتين ، كما نعت الغراب بصفة فى ساقيه ، فتأمله ، وهذا من خفىّ علم التأويل ، لأنها كانت رؤيا ، وإن شئت : كان من باب الزجر والتوسم الصادق والاعتبار والتفكير فى معالم حكمة — الله تعالى — فهذا سعيد بن المسيب ، وهو من هو علماً وورعاً حين حُدث بحديث البئر فى البستان ، وأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قعد على قُفّها[1] ، ودلى رجليه فيها ، ثم جاء أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ففعل مثل ذلك ، ثم جاء عمر ـ رضى الله عنه ـ ففعل مثل ذلك . ثم جاء عثمان ، فانتبذ منهم ناحية ، وقعد حجرة[2] قال سعيد بن المسيب : فأولت ذلك قبورهم ، اجتمعت قبور الثلاثة ، وانفرد قبر عثمان ـ رضى الله عنه ـ والله سبحانه يقول : « إن فى ذلك لآيات للمتوسمين » . فهذا من التوسم والفراسة الصادقة ، وإعمال الفكر فى دلائل الحكمة ، واستنباط الفوائد اللطيفة من إشارات الشريعة .

تأويل قرية النمل : وأما قرية النمل ، ففيها من المشاكلة أيضا ، والمناسبة : أن زمزم هى عين مكة التى يردُها الحجيج والعمار من كل جانب ، فيحملون إليها البر والشعير ، وغير ذلك وهى لاتحرث ولا تزرع ، كما قال سبحانه خبرا عن إبراهيم عليه السلام : « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع » . إلى قوله : « وارزقهم من الثمرات » وقرية النمل لا تحرث ولا تبذر، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفى مكة قال الله سبحانه : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان » مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قَرَيْتُ الماء فى الحوض : إذا

---

(١) قف البئر : هو الدكة التى تجعل حولها . (٢) قعد حجرة : أى ناحية .

فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة، ووجد فيها أسيافا قلعيّة وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب، لنا معك فى هذا شِرك وحق، قال: لا، ولكن هلم إلى أمر نصَف بيني وبينكم. نضرب عليها بالقداح، قالوا: وكيف تصنع قال: أجعل للكعبة قِدْحين، ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج له قدحاه على شيء كان له، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له. قالوا: أنصفت، فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين لعبد المطلب، وقدحين أبيضين لقريش، ثم أعطوا صاحب القداح الذى يضرب بها عند هبل ـ وهبل:

جمعه، والرؤيا تعبر على اللفظ تارة، وعلى المعنى أخرى، فقد اجتمع اللفظ والمعنى فى هذا التأويل — والله أعلم.

معنى لا تذم ولا تنزف ـ فى صفة زمزم: وقد قيل لعبد المطلب فى صفة زمزم: لا تنزف[1] أبدا، ولا تذم: وهذا برهان عظيم، لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط، وقد وقع فيها حبشى فنزحت من أجله، فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين، أقواها وأكثرها ماء: من ناحية الحجر الأسود، وذكر هذا الحديث الدارقطنى.

وقوله: ولا تذم، فيه نظر، وليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمها أحد. ولو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه، ولتضلع منه كل من يشربه، وقد تقدم فى الحديث أنه لا يتضلع منها منافق، فماؤها إذاً مذموم عندهم، وقد كان خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق يذمها، ويسميها: أم جعلان، واحتفر بئراً خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك، وجعل يفضلها على زمزم، ويحمل الناس على التبرك بها دون زمزم جرأة منه على الله ـ عز وجل ـ وقلة حياء منه، وهو الذى يُعلن ويفصح بلعن على بن أبى طالب ـ رضوان الله عليه ـ على المنبر، وإنما ذكرنا هذا، أنها قد ذمت، فقوله إذا: لا تذم، من قول العرب: بئر ذَمَّة أى: قليلة الماء، فهو من أذممت البئر إذا وجدتها ذمة: كما تقول: أجبنتُ الرجل: إذا وجدته جبانا، وأكذبته إذا وجدته كاذبا، وفى التنزيل: «فإنهم لا يكذّبونك» وقد فسر أبو عبيد فى غريب الحديث قوله حتى مررنا ببئر ذمة: وأنشد:

مُخَيَّسَةً خُزْراً كأن عيونها ذِمام الرّكايا أنكرتها المواتح[2]

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله: ولا تذم؛ لأنه نفى مطلق، وخبر صادق ـ والله أعلم ـ وحديث البئر الذمة التى ذكرها أبو عبيد، حدثنا به أبو بكر بن العربى الحافظ، قال: أخبرنا القاضى أبو المطهر سعيد بن عبد الله ابن أبى الرجاء، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ. قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد، قال: حدثنا الحارث بن أبى أسامة، قال: حدثنا أبو النضر، قال: حدثنا سليمان عن حُمَيْد عن يونس عن البراء، قال: كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مسير فأتينا على رَكِىّ ذَمَّة يعنى: قليلة الماء. قال: فنزل فيها ستة ـ أنا سادسهم ـ ماحة[3]، فأدليت إلينا دلو، قال: ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الركى، فجعلنا

---

(١) نزفت ماء البئر: إذا نزحته كله.

(٢) البيت فى وصف إبل. والمخيسة: هى المحبوسه التى لا تسرح. والخزر: ضيق فى العيون. والركايا: الآبار. والمواتح: المستقون.

(٣) ماحة: جمع مائح وهو من ينزل البئر بدلوه فيملؤه وذلك من قلة مائها.

صنم فى جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يعنى أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال : أعْلِ هبل أى : أظهر دينك ـ وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ، فضرب صاحب القداح ، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الأسودان فى الأسياف ، والادراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحا قريش . فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين من ذهب ، فكان أول ذهب حليته الكعبة ـ فيما يزعمون ـ ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج .

فيها نصفها ، أو قريب ثلثيها ، فرفعت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : فجئت بإنائى . هل أجد شيئاً أجعله فى حلق ، فما وجدت ، فرفعت الدلو إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فغمس يده فيها ، فقال ما شاء الله أن يقول ـ قال : فأعيدت إلينا الدلو بما فيها ، قال : فلقد رأيت أحدنا أخرج يثوب خشية الغرق . قال : ثم ساحت ، يعنى : جرت نهراً .

معنى المفازة واشتقاقها : وذكر حديث عبد المطلب فى مسيره مع قريش إلى الكاهنة ، وذكر المفاوز التى عطشوا فيها . المفاوز : جمع مفازة ، وفى اشتقاق اسمها ثلاثة أقوال . روى عن الأصمعى أنها سميت مفازة على جهة التفاؤل لراكبها بالفوز والنجاة . ويذكر عن ابن الأعرابى أنه قال : سألت أبا المكارم : لم سميت الفلاة مفازة ؟ فقال : لأن راكبها إذا قطعها وجاوزها فاز . وقال بعضهم : معناها : مَهْلَكَة لأنه يقال : فاز الرجل ، وفَوَّزَ وفاد وفطس : إذا هلك .

معنى الروى والجمع واسم الجمع : وذكر فى غير رواية على بن أبى طالب ـ رضوان الله عليه ـ ثم ادع بالماء الروىّ غير الكدر يقال : ماء رِوًى بالكسر والقصر ، ورَواء بالفتح والمد . وفيه :

يسقى حجيج الله فى كل مَبَرْ . الحجيج : جمع حاج . وفى الجموع على وزن فعيل كثير كالعبيد والبقير والمعيز والأبيل ، وأحسبه اسما للجمع ؛ لأنه لو كان جمعاً له واحد من لفظه ، لجرى على قياس واحد كسائر الجموع ، وهذا يختلف واحده فحجيج واحده : حاج ، وعبيد واحده : عبد ، وبقير واحده : بقرة ، ومعيز : واحده : ماعز إلى غير ذلك ، فجائز أن يقال : إنه اسم للجمع غير أنه موضوع للكثرة ؛ ولذلك لا يصغر على لفظه ، كما تصغر أسماء الجموع ، فلا يقال فى العبيد : عُبَيِّد ، ولا فى النخيل : نُخَيِّل ، بل يرد إلى واحده ، كما ترد الجموع فى التصغير ، فيقال : نخيلات وعُبَيْدُون ، وإذا قلت : نخيل أو عبيد ، فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس ، قال الله سبحانه : « وزرع ونخيل » وقال : « وما ربك بظلام للعبيد » وحين ذكر المخاطبين منهم قال : العباد ، وكذلك قال حين ذكر المثمر من النخيل : « والنخل باسقات » وقال : « أعجاز نخل منقعر » فتأمل الفرق بين الجمعين فى حكم البلاغة واختيار الكلام ، وأما فى مذهب أهل اللغة ، فلم يفرقوا هذا التفريق ، ولا نبهوا على هذا الغرض الدقيق .

معنى مبر : وقوله : فى كل مَبَر : هو مفعل من البر ، يريد : فى مناسك الحج ومواضع الطاعة .

معنى جافل : وقوله : مثل نعام جافل لم يقسم . الجافل : من جفلت الغنم : إذا انقلعت بجملتها ، ولم يُقسم أى : لم يتوزع ، ولم يتفرق .

ذكر بئار قبائل قريش

قال ابن هشام : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئاراً بمكة ، فيما حدثنا زياد بن عبدالله البكائى عن محمد بن إسحاق ، قال :

عبد مناف يحفر الطوي : حفر عبد شمس بن عبد مناف الطوى ، وهى البئر التى بأعلى مكة عند البيضاء ، دار محمد بن يوسف .

هاشم يحفر بذر : وحفر هاشم بن عبد مناف بذّر ، وهى البئر التى عند المستنذر ، خطم الخَندَمَة على فم شِعْب أبى طالب ، وزعموا أنه قال حين حفرها : لأجعلنها بلاغا للناس .

قال ابن هشام : وقال الشاعر .

سقى الله أمواها عرفت مكانها ... جُرابا ومَلَكوما وبذر والغَمْرا

معنى ماعمر : وقوله : ليس يخاف منه شىء ماعمر . أى : ما عمر هذا الماء ، فإنه لا يؤذى ، ولا يُخاف منه ما يخاف من المياه إذا أفرط فى شربها ، بل هو بركة على كل حال ، وعلى هذا يجوز أن يحمل قوله : لا تنزف ، ولا تذم عاقبة شربها ، وهذا تأويل سائغ أيضا إلى ما قدمناه من التأويل ، وكلاهما صحيح فى صفتها .

وقوله : وضرب الغزالين حلية الكعبة ، وهو أول ذهب حليت به الكعبة ، وقد قدمنا ذكر الغزالين ، ومن أهداها إلى الكعبة ، ومن دفنهما من جرهم ، وتقدم أن أول من كسا الكعبة : تبع ، وأنه أول من اتخذ لها غَلَقا ، إلى أن ضرب لها عبد المطلب باب حديد من تلك الأسياف ، واتخذ عبد المطلب حوضا لزمزم يسقى منه ، فكان يُخرَّب له بالليل حسداً له ، فلما غمه ذلك قيل له فى النوم : قل : لا أحلها لمغتسل ، وهى لشارب حِل وبِل(١) وقد كُفيتهم ، فلما أصبح قال ذلك ، فكان بعد من أرادها بمكروه رُمى بداء فى جسده ، حتى انتهوا عنه . ذكره الزهرى فى سيره .

بئار قبائل قريش : وقوله : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بئارا بمكة . ذكروا أن قصيا كان يسقى الحجيج فى حياض من أدم ، وكان ينقل الماء إليها من آبار خارجة من مكة منها : بئر ميمون الحضرمى ، وكان ينبذ لهم الزبيب .

بئر العجول : ثم احتفر قصىٌّ العَجُولَ فى دار أم هانىء بنت أبى طالب ، وهى أول سقاية احتفرت بمكة ، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا ، فقالوا :

نُروى على العجول ، ثم ننطلق ... إن قصيا قد وفى وقد صدق

فلم تزل العجول قائمة حياة قصى ، وبعد موته ، حتى كبر عبدمناف بن قصى ، فسقط فيها رجل من بنى جُعَيْل ، فعطلوا العجول ، واندفنت .

سجلة : واحتفرت كل قبيلة بئرا ، واحتفر قصى سَجْلة ، وقال حين حفرها :

أنا قصى ، وحفرت سجله ... تروى الحجيج زُغْلة فزُغْله(٢)

---

(١) بل : شفاء . (٢) الزغلة : الجرعة .

سجلة والاختلاف فيمن حفرها : قال ابن إسحاق : وحفر سَجْلة ، وهى بئر المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف التى يسقون عليها اليوم . ويزعم بنو نوفل أن المطعم ابتاعها من أسد بن هاشم ، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم ، فاستغنوا بها عن تلك الآبار .

أمية بن عبد شمس يحفر الحفر : وحفر أمية بن عبد شمس الحفْر لنفسه .

بنو أسد تحفر سقية : وحفرت بنو أسد بن عبد العزى : سقية ، وهى بئر بنى أسد .

بنو عبد الدار تحفر أم أحراد : وحفرت بنو عبد الدار : أم أحْراد .

بنو جمح تحفر السنبلة : وحفرت بنو جمح : السنبلة ، وهى بئر خلف بن وهب .

بنو سهم تحفر الغمر : وحفرت بنو سهم : الغَمْر ، وهى بئر بنى سهم .

أصحاب رم وخم والحفرة : وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مرة بن كعب، وكلاب بن مرة ، وكبراء قريش الأوائل منها يشربون ، وهى رم ، ورم : بئر مرة بن كعب بن لؤى . وخُم، وخم . بئر بنى كلاب ابن مرة ، والحفر . قال حذيفه بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى :

قال ابن هشام : وهو أبو أبى جهْم بن حذيفة :

وقِدما غنينا قبل ذلك حِقبة ... ولا نستقى إلا بخُم أو الحَفر

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

وقيل : بل حفرها هاشم ، ووهبها أسد بن هاشم لعدى بن نوفل ، وفى ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نحن وهبنا لعدى سجْله ... تروى الحجيج زُغلة فزغله

أم أحراد . وأما أم أحراد التى ذكرها ، فأحراد : جمع : حِرد ، وهى قطعة من السنام ، فكأنها سميت بهذا ، لأنها تنبت الشحم ، أو تُسَمِّن الإبل ، أو نحو هذا والحُرْد : القَطا الواردة للماء ، فكأنها ترِدها القطا والطير ، فيكون أحراد جمع : حُرْد بالضم على هذا . وقالت أمية بنت عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار امرأة العوام بن خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أم أحراد :

نحن حفرنا البحر أم أحراد ... ليست كَبَذَّر البرور الجاد

فأجابتها ضرتها : صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضى الله عنه :

نحن حفرنا بذَّرْ ... نسقى الحجيج الأكبرْ

من مقبل ومدبر ... وأم أحراد شَرّ

جراب : وأما جُراب ، فيحتمل أن يكون بمعنى : جريب نحو : كبار وكبير ، والجريب : الوادى ، والجريب أيضاً : مكيال كبير ، والجريب أيضاً : المزرعة .

فضل زمزم على سائر المياه : قال ابن إسحاق : فعفت زمزم على المياه التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ؛ ولفضلها على ماسواها من المياه ؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

بنو عبد مناف يفخرون بزمزم : وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها ، وعلى سائر العرب ، فقال مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد مناف ، وهو يفخر على قريش بما ولوا عليهم من السقاية والرفادة ، وما أقاموا للناس من ذلك ، وبزمزم حين ظهرت لهم، وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد، بعضهم لبعض شرف وفضل بعضهم لبعض فضل .

ورثنا المجد من آبا ... ئنا فنمى بنا صُعُدا
ألم نسق الحجيج وننـ ... ـحر الدلاقة الرُّفُدا
ونلفى عند تصريف الـ ... ـمنايا شُدَّدا رفدا
فإن نهلك ، فلم نملك ... ومن ذا خالدا أبدا
وزمزم فى أرومتنا ... ونفقأ عين من حسدا

ملكوم : وأما ملكوم فهو عندى مقلوب ، والأصل : مكول من : مكلت البئر : إذا استخرجت ماءها ، والمُكْلة : ماء الركية ، وقد قالوا : بئر عميقة ، ومعيقة ، فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ كذلك يقال فيه : مكول وملكوم ، والملكوم فى اللغة : المظلوم إذا لم يكن مقلوبا .

بذر : وأما بَذَّر فمن التبذير ، وهو التفريق ، ولعل ماءها كان يخرج متفرقا من غير مكان واحد ، وهذا البناء فى الأسماء قليل ، نحو : شَلَّم وخضم وبذر ، وهى أسماء أعلام ، وشلم : اسم بيت المقدس ، وأما فى غير الأعلام ، فلا يعرف إلا البَقَّم ، ولعل أصله أن يكون أعجميا ، فعرب .

خم : وأما خُم وهى بئر مرة ، فهى من خممت البيت إذا كنسته ، ويقال : فلان مخموم القلب أى : نقيه ، فكأنها سميت بذلك لنقائها .

غدير خم : وأما غدير خم الذى عند الجحفة ، فسميت بغيضة عنده ، يقال لها : خم فيما ذكروا .

رم : وأما رم بئر بنى كلاب بن مرة ، فمن رممت الشىء إذا جمعته وأصلحته ، ومنه الحديث : كنا أهل ثُمة ورُمة ، ومنه : الرمان فى قول سيبويه ، لأنه عنده فعلان ، وأما الأخفش فيقول فيه : فعال ، فيجعل فيه النون أصلية ، ويقول : إن سميت به رجلا صرفته . ومن قول عبد شمس بن قصى :

حفرت رُما ، وحفرت خُما ... حتى ترى المجد بها قد تمَّا

شفية : وأما شفية بئر بنى أسد ، فقال فيها الحويرث بن أسد :

ماء شفية كماء المزن ... وليس ماؤها بطرق أجن

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى :

وساقى الحجيج ، ثم للخبز هاشم ... وعبد مناف ذلك السيد الفهرى

طوى زمزما عند المقام ، فأصبحت ... سقايته فخراً على كل ذى فخر

قال ابن هشام : يعنى عبد المطلب بن هاشم . وهذان البيتان فى قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

سنبلة : وأما سُنْبُلَة : بئر بنى جمح ، وهى بئر بنى خلف بن وهب ـ فقال فيها شاعرهم :

نحن حفرنا للحجيج سنبله ... صوب سحاب ذو الجلال أنزله

ثم تركناها برأس القُنْبُلَهْ ... تصب ماء مثل ماء المعبله

نحن سقينا الناس قبل المسئله

الغمر : وأما الغمر : بئر بنى سهم ، فقال فيها بعضهم :

نحن حفرنا الغمر للحجيج ... تثج ماء أيما ثجيج

ذكر أكثره أبو عبيد البكرى ، وبعض هذه الأرجاز أو أكثره فى كتاب الزبير بن أبى بكر رحمة الله عليه .

مسافر بن أبي عمرو : وذكر شعر مسافر بن أبى عمرو بن أمية . واسم أبى عمرو : ذكوان ، وهو الذى يقول فيه أبو سفيان :

لَيْتَ شِعْرِى مسافر بن أبى عمـ ... ـرو ، ولَيْتٌ يقولها المحزون

بورك الميت الغريب كما بو ... رك نضح الرمان والزيتون

فى شعر يرثيه به ، وكان مات من حب صَعْبَة بنت الحضرمى .

شرح شعر مسافر بن أبي عمرو : وفى الشعر : وننحر الدّلاّقةَ الرُّفدا .

الرفد : جمع رفود من الرفد ، وهى التى تملأ إناءين عند الحلب .

وقوله : ... ونُلفَى عند تصريف المنايا شُدّداً رفدا

هو جمع رفود أيضا من الرفد وهو : العون ، والأول من الرفد بفتح الراء وهو إناء كبير . قال الشاعر :

رب رفد هرقته ذلك اليو ... م وأسرى من معشر أقتال

أم عبد الله بن عبد المطلب : وذكر أم عبدالله بن عبد المطلب ، وهى : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران هكذا قال ابن هشام . وقال ابن إسحاق : عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم ، والصحيح ما قاله ابن هشام ؛ لأن الزبيريين ذكروا أن عبداً هو أخو عائذ بن عمران ، وأن بنت عبد هى : صخرة امرأة عمرو بن عائذ على قول ابن إسحاق ؛ لأنها كانت له عمة ، لا بنت عم ، فتأمله ، فقد تكرر هذا النسب فى السيرة مراراً ، وفى كل ذلك يقول ابن إسحاق : عائذ بن عبد بن عمران ، ويخالفه ابن هشام . وصخرة بنت عبد أم فاطمة ، أمها : تخمر بنت عبد بن قصى ، وأم تخمر : سلمى بنت عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر . قاله الزبير .

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب بن هاشم ـ فيما يزعمون والله أعلم ـ قد نذر حين لقى من قريش مالقى عند حفر زمزم : لئن ولد له عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ؛ لينحرن أحدهم لله عند الكعبة . فلما توافى بنوه عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ، ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قِدْحا ثم يكتب فيه اسمه ، ثم ائتونى ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل فى جوف الكعبة ، وكان هبل على بئر فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها مايهدى للكعبة .

قداح هبل السبعة : وكان عند هبل قداح سبعة ، كل قدح منها فيه كتاب . قدح فيه (العقل) ، إذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله . وقدح فيه (نعم) للأمر إذا أرادوه يضرب به القداح ، فإن خرج قدح نعم ، عملوا به . وقدح فيه (لا) إذا أرادوا أمراً ضربوا به فى القداح ، فان خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه : (منكم) وقدح فيه (مُلصق) : وقدح فيه (من غيركم) وقدح فيه : (المياه) إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح ، فحيثما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما ، أو يُنكحوا منكحا ، أو يدفنوا ميْتا ، أو شكوا فى نسب أحدهم ، ذهبوا به إلى هبل وبمئة درهم وجزور ، فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها ، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به مايريدون ، ثم قالوا : ياإلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب : فإن خرج عليه : (منكم) كان منهم وسيطا ، وإن خرج عليه : (من غيركم) كان حليفا ، وإن خرج عليه : (مُلصق) كان على منزلته فيهم ، لانسب له ، ولا حِلف ، وإن خرج فيه شىء ، مماسوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به ، وإن خرج : (لا) أخروه عامه وذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ، ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح .

نذر عبد المطلب : وذكر نذر عبد المطلب أن ينحر ابنه إلى آخر الحديث . وفيه أن عبد الله ، يعنى : والدَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أصغر بنى أبيه ، وهذا غير معروف ، ولعل الرواية : أصغر بنى أمه ، وإلا لحمزة كان أصغر من عبد الله ، والعباس : أصغر من حمزة ، وروى عن العباس ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : أذكر مولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها ، فجىء بى حتى نظرت إليه ، وجعل النسوة يقلن لى : قبل أخاك ، قبل أخاك ، فقبلته ، فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الأصغر مع هذا ؟ ! ولكن رواه البكائى كما تقدم ، ولروايته وجه ، وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ، ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس .

ذكر الدية : وسائر حديث عبد المطلب ليس فيه ما يشكل . وفيه أن الدية كانت بعشر من الإبل قبل هذه القصة : وأول من وُدى بالمائة إذاً : عبد الله . وقد قدمنا ما ذكره الأصبهانى عن أبى اليقظان أن أبا سَيَّارة هو أول من جعل الدية مائة من الإبل ، وأما أول من ودى بالإبل من العرب : فزيد بن بكر بن هوازن قتله أخوه معاوية جد بنى عامر بن صعصعة .

عبد المطلب يحتكم إلى القداح : فقال عبد المطلب لصاحب القداح : اضرب على بنىّ هؤلاء بقداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذى نذر ، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحَه الذى فيه اسمه ، وكان عبدالله بن عبد المطلب أصغر بنى أبيه ، كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم .

خروج القداح على عبدالله : قال ابن إسحاق : وكان عبدالله ـ فيما يزعمون ـ أحب ولد عبد المطلب إليه ، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى . وهو أبو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما أخذ صاحب القداح ـ القداح ـ ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله ، ثم ضرب صاحب القداح ، فخرج القدح على عبد الله .

عبد المطلب يحاول ذبح ابنه ومنع قريش له : فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد ياعبد المطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قريش وبنوه : والله لاتذبحه أبداً ، حتى تُعذر فيه . لئن فعلت هذا لايزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ ! .

وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة ـ وكان عبد الله ابن أخت القوم : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تعذر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه . وقالت له قريش وبنوه . لاتفعل ، وانطلق به إلى الحجاز ، فإن به عرافة لها تابع ، فسلها ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته .

ما أشارت به عرافة الحجاز : فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها ـ فيما يزعمون ـ بخيبر . فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونذره فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله . فرجعوا من عندها، فلماخرجوا عنها قام عبد المطلب يدعوالله ، ثم غَدَوْا عليها فقالت لهم : قد جاءنى الخبر، كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل، وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم ، وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح ، فإن خرجت على صاحبكم ، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضى ربكم ، ونجا صاحبكم .

تنفيذ وصية العرافة ونجاة عبد الله : فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر ، قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل ، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل ! !

اسم العرافة : وأما الكاهنة التى تحاكموا إليها بالمدينة فاسمها : قُطبة . ذكرها عبد الغنى فى كتاب الغوامض والمبهمات . وذكر ابن إسحاق فى رواية يونس أن اسمها : سَجاح .

ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل عشرين ، وقام عبد المطلب يدعوالله عز وجل ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثلاثين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل أربعين، وقام عبدالمطلب يدعو الله ، ثم ضربوا، فخرج القدح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل خمسين ، وقام عبد المطلب يدعوالله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ستين ، وقام عبد المطلب يدعوالله،ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل سبعين، وقام عبدالمطلب يدعوالله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثمانين ، وقام عبد المطلب يدعوالله ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل تسعين ، وقام عبدالمطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبدالله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل مائة ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل ، فقالت قريش ومن حضر : قد انتهى رضا ربك ياعبدالمطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال : لاوالله حتى أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على عبدالله ، وعلى الإبل ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القدح على الإبل ، فنحرت ، ثم تركت لا يُصَدّ عنها إنسان ولا يُمنع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سَبُع .

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر .

ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

عبد الله يرفضها : قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبدالله ، فمر به ـ فيما يزعمون ـ على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر : وهى أخت ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى ؛ وهى عند الكعبة . فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب ياعبدالله ؟ قال : مع أبى . قالت : لك مثل الإبل التى نحرت عنك ، وقَعْ علىّ الآن . قال : أنا مع أبى ، ولا أستطيع خلافه . ولا فراقه .

عبد الله يتزوج آمنة بنت وهب : فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زُهْرة بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ـ وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبا وشرفا ـ فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا .

تزويج عبد الله آمنة : وذكر تزويج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب ، وذكر البرقى فى سبب تزويج عبد الله آمنة : أن عبد المطلب كان يأتى اليمن ، وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم ، فنزل عنده مرة ، فإذا عنده رجل ممن قرأ الكتب ، فقال له : ائذن لى أقس مَنْخِرك ، فقال : دونك فانظر ، فقال : أرى نبوة ومُلكا ،

أمهات آمنة: وهى لِبَرَّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فِهر . وبرة : لأم حبيب بنت أسد بن عبد العزّى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر . وأم حبيب : لبرة بنت عوف بن عبيد بن عُوَيج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

سبب زهد المرأة المتعرضة لعبد الله فيه : فزعموا أنه دخل عليها حين أُملكها مكانه ، فوقع عليها ، فحملت برسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضت على بالأمس ؟ قالت له : فارقك النور الذى كان معك بالأمس ، فليس لى بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل — وكان قد تنصَّر واتبع الكتب : أنه كائن فى هذه الأمة نبى .

قصة حمل آمنة برسول الله (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار : أنه حدث ، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب ، وقد عمل فى طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لِما رأت به من أثر الطين، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين، ثم خرج عامدا إلى آمنة ، فمر بها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى عليها ، وعمد إلى آمنة ، فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد — صلى الله عليه وسلم — ثم مر بامرأته تلك : فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررت بى وبين عينيك غرة بيضاء ، فدعوتك فأبيت على ، ودخلت على آمنة فذهبتْ بها .

قال ابن إسحاق : فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث : أنه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن تكون تلك بى ، فأبى علىّ ، ودخل على آمنة ، فأصابها ، فحملت برسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أوسط قومه نسبا ، وأعظمهم شرفا من قِبَل أبيه وأمه — صلى الله عليه وسلم .

وأراهما فى المُتَنَافَيْن : عبد مناف بن قصى ، وعبد مناف بن زهرة ، فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فتزوج عبد المطلب هالة بنت وُهَيب ، وهى أم حمزة — رضى الله عنه — وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب ، فولدت له رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

أمهات آمنة : وذكر أمها وأم أمها ، والثالثة وهى : برة بنت عوف ، وقد قدمنا فى أول المولد ذكر أم الثالثة والرابعة والخامسة ونسبهن ، فلينظر هنالك .

وأما أم هالة فهى : العَبْلَة بنت المطلب، وأمها : خديجة بنت سُعيد بن سهم ، وقد أشكل على بعض الناس فى هذا الخبر أن عبد المطلب نذر نحر أحد بنيه إذا بلغوا عشرة ، ثم ذكر ابن إسحاق أن تزويجه هالة أم ابنه حمزة كان بعد وفائه بنذره ، فحمزة والعباس — رضى الله عنهما — إنما ولدا بعد الوفاء بنذره ، وإنما كان جميع

ذكر ماقيل لآمنة عند حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

رؤيا آمنة : ويزعمون ـ فيما يتحدث الناس والله أعلم ـ أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت تحدث :

أنها أتيت ، حين حملت برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقيل لها : إنك قد حملت بسيدهذه الأمة ، فإذاوقع إلى الأرض ، فقولى : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ، ثم سميه : محمداً . ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بُصرى ، من أرض الشام .

وفاة عبد الله : ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن هلك ، وأم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حامل به .

أولاده عشرة . ولا إشكال فى هذا ، فإن جماعة من العلماء قالوا : كان أعمامه — عليه السلام — اثنى عشر ، وقاله أبو عمر ، فإن صح هذا فلا إشكال فى الخبر ، وإن صح قول من قال : كانوا عشرة بلا مزيد ، فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا مجازا ، فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى بنذره .

المرأة التى دعت عبد الله والشعر الذى قاله : ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب حين دعته المرأة الأسدية إلى نفسها لما رأت فى وجهه من نور النبوة ، ورجت أن تحمل بهذا النبى ، فتكون أمه دون غيرها ، فقال عبد الله حينئذ فيما ذكروا :

أما الحرام فالحِمام دونه ... والحِل لا حِلَّ فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه ... يحمى الكريم عرضه ودينه ؟ !

اسم هذه المرأة : واسم هذه المرأة : رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل ، تكنى : أم قتال ، وبهذه الكنية وقع ذكرها فى رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكر البرقى عن هشام بن الكلبى ، قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة بنت مر ، كانت من أجمل النساء وأعفهن ، وكانت قرأت الكتب ، فرأت نور النبوة فى وجهه ، فدعته إلى نكاحها ، فأبى ، فلما أبى قالت :

إنى رأيت مُخيلةً نشأت ... فتلألأت بحناتم القطر(١)
فَلَمَأْتُها نوراً يضىء به ... ما حوله كإضاءة الفجر(٢)
ورأيت سُقياها حيا بلد ... وَقَعَتْ به وعِمارة القفر
ورأيته شرفا أبوء به ... ما كل قادح زنده يورى
لله ما زهرية سلبت ... منك الذى استَلَبتْ وما تدرى

وفى غريب ابن قتيبة : أن التى عرضت نفسها عليه هى : ليلى العدوية .

---

(١) المخيلة : السحابة تخالها ماطرة . والحناتم : السحاب الأسود . (٢) لمأتها : أبصرتها .

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن إسحاق يحدد الميلاد : قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق قال : ولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الاثنين ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، عام الفيل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة . قال ولدت أنا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام الفيل : فنحن لِدَتَانِ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن سعد بن زُرارة الأنصارى . قال : حدثنى من شئت من رجال قومى عن حسان بن ثابت ، قال : والله إنى لغلام يفَعَة ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ما سمعت ، إذا سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أُطُمَة بيثرب : يا معشر يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : ويلك مالك ؟ ! قال : طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به .

قال محمد بن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فقلت . ابن كم كان حسان بن ثابت مَقْدَمَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ؟ فقال : ابن ستين ، وقدمها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسمع حسان ما سمع ، وهو ابن سبع سنين .

إعلام جده بولادته وما فعله به : قال ابن إسحاق : فلما وضعته أمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسلت إلى جده عبد المطلب : أنه قد ولد لك غلام ، فأتِه فانظر إليه ، فأتاه فنظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمرتْ به أن تسميه .

فصل فى المولد

رنين إبليس : فى تفسير بقى بن مَخلد أن إبليس — لعنه الله — رن(١) أربع رنات : رنة حين لعن ، ورنة حين أُهبط ، ورنة حين ولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب . قال : والرنين والنخار(٢) من عمل الشيطان . قال : ويكره أن يقال : أم الكتاب ، ولكن : فاتحة الكتاب .

ولادته صلى الله عليه وسلم : وروى عن عثمان بن أبى العاص عن أمه أم عثمان الثقفية ، واسمها : فاطمة بنت عبدالله ، قالت : « حضرت ولادة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فرأيت البيت حين وضع قد امتلأ نوراً ، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع عَلَىَّ » . ذكره أبو عمر فى كتاب النساء . وذكره الطبرى أيضاً فى التاريخ . وولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معذورا مسرورا ، أى : مختوناً مقطوع السرة يقال: عُذِرَ الصبي وأعذر . إذا ختن ، وكانت أمه تحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم ، ولا غير ذلك ، ولما وضعته — صلى الله عليه وسلم — وقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يديه ، مشيراً بالسبابة كالمُسَبِّح بها .

---

(١) الرنة : الصيحة الشديدة .

(٢) النخار : صوت يخرج من الخياشيم كالأصوات التى تخرج من حلق النائم .

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ، ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، والتمس لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرضعاء .

قال ابن هشام : المراضع .وفى كتاب الله تبارك وتعالى فى قصة موسى عليه السلام : « وحرمنا عليه المراضع » .

رؤية جده له وتسميته (ص) : وذكر ابن دريد أنه ألقيت عليه جَفْنَة لئلا يراه أحد قبل جده ، فجاء جده ، والجفنة قد انفلقت عنه ، ولما قيل له : ما سميت ابنك ؟ فقال : محمداً ، فقيل له : كيف سميت باسم ليس لأحد من آبائك وقومك ؟ ! فقال : إنى لأرجو أن يَحْمَدَه أهل الأرض كلهم ، وذلك لرؤيا كان رآها عبد المطلب ، وقد ذكر حديثها على القيروانى العابر فى كتاب البستان . قال : كان عبد المطلب قد رأى فى منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الأرض ، وطرف فى المشرق ، وطرف فى المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة ، على كل ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها ، فقصها ، فعُبِّرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلذلك سماه : محمداً ، مع ما حدثته به أمه حين قيل لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وضعته فسميه محمداً . الحديث .

من تسمى بمحمد قبله (ص) : قال المؤلف : لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله — صلى الله عليه وسلم — إلا ثلاثة طمع آباؤهم — حين سمعوا بذكر محمد — صلى الله عليه وسلم — وبقرب زمانه ، وأنه يبعث فى الحجاز — أن يكون ولداً لهم . ذكرهم ابن فُورَك فى كتاب الفصول ، وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع ، جد جد الفرزدق الشاعر . والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجى بن كُلْفَة بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس ، والآخر : محمد بن حُمْران بن ربيعة ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث النبى — صلى الله عليه وسلم — وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا ، فنذر كل واحد منهم : إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك .

اشتقاق اسم محمد : قال المؤلف : وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمحمد فى اللغة هو الذى يحمد حمدا بعد حمد ، ولا يكون مُفَعَّل مثل : مضرب وممدح إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة .

أحمد واشتقاقه : وأما أحمد فهو اسمه - صلى الله عليه وسلم - الذى سمى به على لسان عيسى وموسى - عليهما السلام - ؛ فإنه منقول أيضا من الصفة التى معناها التفضيل ، فمعنى أحمد : أى أحْمَدُ الحامدين لربه ، وكذلك هو فى المعنى ؛ لأنه تُفْتَح عليه فى المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله ، فيحمد ربه بها ؛ ولذلك يعقد له لواء الحمد .

سبب تسميته بأحمد ومحمد صلى الله عليه وسلم : وأما محمد فمنقول من صفة أيضاً ، وهو فى معنى : محمود . ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار ، فالمحمد هو الذى حمد مرة بعد مرة ، كما أن المُكَرَّم مَن أكْرِم مرة بعد مرة ، وكذلك : الممدح ، ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه . والله — سبحانه وتعالى — سماه به قبل أن يسمى به نفسه ، فهذا علم من أعلام نبوته ؛ إذ كان اسمه صادقا عليه ، فهو محمود — عليه السلام — فى الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة ، فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ، ثم إنه لم يكن محمداً ، حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه ؛ فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذى هو محمد ،

مرضعته حليمة: قال ابن إسحاق : فاسترضع له امرأة من بنى سعد بن بكر . يقال لها : حليمة ابنة أبي ذؤيب .

نسب مرضعته: وأبو ذؤيب : عبد الله بن الحارث بن شِجْنة بن جابر بن رِزَام بن ناصرة بن فُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان .

زوج حليمة ونسبه: واسم أبيه الذى أرضعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحارث بن عبد العُزّى بن رفاعة بن مَلاّن بن ناصرة بن فُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن .

قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة .

أولاد حليمة: قال ابن إسحاق : وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأُنَيْسة بنت الحارث ، وخِذامة بنت الحارث ، وهى الشَّيْماءُ ، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف فى قومها إلا به . وهم لحليمة بنت أبى ذؤيب ، عبد الله بن الحارث ، أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذا كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى جَهْم بن أبى جهم مولى الحارث بن حاطب الجُمحى : عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، أو عمن حدثه عنه قال :

فذكره عيسى — صلى الله عليه وسلم — فقال : اسمه أحمد ، وذكره موسى — صلى الله عليه وسلم — حين قال له ربه : تلك أمة أحمد ، فقال : اللهم اجعلنى من أمة أحمد ، فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد ؛ لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له ، فلما وُجد وبعث ، كان محمداً بالفعل .

وكذلك فى الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التى يفتحها عليه ، فيكون أحمد الحامدين لربه ، ثم يُشَفَّع فيحمد على شفاعته . فانظر : كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر فى الذكر والوجود ، وفى الدنيا والآخرة تَلُحْ لك الحكمة الإلهية فى تخصيصه بهذين الاسمين . وانظر : كيف أنزلت عليه سورة الحمد وخص بها دون سائر الأنبياء ، وخص بلواء الحمد ، وخص بالمقام المحمود . وانظر : كيف شرع لنا سنة وقرآنا أن نقول عند اختتام الأفعال ، وانقضاء الأمور : الحمد لله رب العالمين . قال الله سبحانه وتعالى : « وقُضى بينهم بالحق وقيل : الحمد لله رب العالمين » وقال أيضا : « وآخر دعواهم : أن الحمد لله رب العالمين » تنبيها لنا على أن الحمد مشروع لنا عند انقضاء الأمور . وسَنَّ — صلى الله عليه وسلم — الحمد بعد الأكل والشرب ، وقال عند انقضاء السفر: « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » .

ثم انظر لكونه — عليه السلام — خاتم الأنبياء ، ومؤذناً بانقضاء الرسالة ، وارتفاع الوحى ، ونذيراً بقرب الساعة وتمام الدنيا ، مع أن الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الأمور ، مشروع عنده — تجد معانِىَ اسْمَيْه جميعاً ، وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلا لمعناه ، مطابقا لصفته ، وفى ذلك برهان عظيم ، وعَلَم واضح على نبوته ، وتخصيص الله له بكرامته ، وأنه قدم له هذه المقدمات قبل وجوده تَكْرِمَةً له ، وتصديقاً لأمره — صلى الله عليه وسلم — وشرف وكرم .

حديث حليمة : كانت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية ، أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى أرضعته ، تحدث : أنها خرجت من بلدها مع زوجها ، وابن لها صغير ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر ، تلتمس الرضعاء ، قالت : وذلك فى سنة شهباء ، لم تبق لنا شيئاً . قالت : فخرجت على أتان لى قَمْرَاء ، معنا شارف لنا ، والله ما تبض بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا ، من بكائه من الجوع ، ما فى ثديىّ ما يغنيه ، وما فى شارفنا ما يغدّيه ـ قال ابن هشام : ويقال : يغذّيه ـ ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى تلك ، فلقد أدَمْتُ بالرَّكْب ، حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفا ، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منا امرأة إلا

تعويذ عبد المطلب له (ص) فى الكعبة والشعر الذى قاله : وذكر أن عبد المطلب دخل به الكعبة وعوذه ، ودعا له . وفى غير رواية ابن هشام أن عبد المطلب قال وهو يعوذه :

الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذى الأركان
حين يكون بُلْغَةَ الفتيان حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذى شنآن من حاسد مضطرب العنان
ذى همة ليس له عينان حتى أراه رافع اللسان
أنت الذى سميت فى القرآن فى كتب ثابتة المثانى
أحمد مكتوب على البيان

تحديد تاريخ مولده : وذكر أن مولده عليه السلام كان فى ربيع الأول ، وهو المعروف وقال الزبير : كان مولده فى رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به فى أيام التشريق ، والله أعلم .

وذكروا أن الفيل جاء مكة فى المحرم ، وأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد بعد مجىء الفيل بخمسين يوما ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان ، فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالغَفْر من المنازل ، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين فى الأبد بين الزبانا والأسد ، لأن الغفر يليه من العقرب زُبَاناها ، ولا ضرر فى الزبانا إنما تضر العقرب بذنبها ، ويليه من الأسد أَلْيَته ، وهو السِّماك ، والأسدُ لا يضر بأليته إنما يضر بمخلبه ونابه .

مكان ولادته صلى الله عليه وسلم : وولد بالشِّعب ، وقيل بالدار التى عند الصفا ، وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ، ثم بنتها زُبيدة مسجداً حين حجت .

تحديد تاريخ وفاة أبيه : وذكر أنه مات أبوه ، وهو حَمْلٌ ، وأكثر العلماء على أنه كان فى المهد . ذكره الدّولابى وغيره ، وقيل : ابن شهرين ، ذكره ابن أبى خيثمة ، وقيل : أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بنى النجار ، ذهب ليمتار لأهله تمراً ، وقد قيل : مات أبوه ، وهو ابن ثمان وعشرين شهراً ، وأنشدوا رجزا لعبد المطلب يقوله لابنه أبى طالب :

وقد عُرض عليها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فتأباه ، إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك : أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي ، فكنا نقول : يتيم ! وما عسى أن تصنع أمه وجده ! فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا غيري ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم ، فلآخذنه ، قال : لا عليك أن تفعلي ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . قالت : فذهبت إليه فأخذته ، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره .

الخير الذي أصاب حليمة : قالت : فلما أخذته ، رجعت به إلى رحلي فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لحافل ، فحلب منها ما شرب ، وشربت معه حتى انتهينا ريّاً وشبعاً ، فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا . تعلّمي والله يا حليمة ، لقد أخذت نسمة مباركة ، قالت : فقلت : والله إني لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبت أتاني ، وحملته عليها معي ، فوالله لقطعتْ بالركب ما يقدر عليها شيء من حُمُرهم ، حتى إن صواحبي ليقلن لي . يا ابنة أبي ذؤيب ، ويحك ! اربعي علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله ، إنها لهي هي ، فيقلن : والله إن لها لشأنا . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعا لُبّناً . فنحلب ونشرب . وما يحلب إنسان قطرة لبن ، ولا يجدها في ضرع . حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبِضُ

أوصيك يا عبد مناف بعدي بموتم بعد أبيه فرد

فارقه وهو ضجيع المهد

وكان بينه وبين أبيه — عليه السلام — في السن ثمانية عشر عاما .

أبوه (ص) من الرضاعة وإسلامه : وذكر الحارث بن عبد العُزّى أبا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الرضاعة ، ولم يذكر له إسلاما ، ولا ذكره كثير ممن ألف في الصحابة ، وقد ذكره يونس بن بكير في روايته ، فقال : حدثنا ابن إسحاق قال : حدثني والدي إسحاق بن يسار ، عن رجال من بني سعد بن بكر قال : قدم الحارث ابن عبد العُزّى ، أبو رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الرضاعة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بمكة حين أنزل عليه القرآن، فقالت له قريش : ألا تسمع يا حار (١) ما يقول ابنك هذا ؟ فقال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله يَبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ، ويكرم فيهما من أطاعه ، فقد شتت أمرنا ، وفرق جماعتنا . فأتاه ، فقال : أي بني مالك ولقومك يشكونك ، ويزعمون أنك تقول : إن الناس يبعثون بعد الموت ، ثم يصيرون إلى جنة ونار ؟ ! فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : نعم أنا أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت ، لقد أخذت بيدك ، حتى أعرّفك حديثك اليوم ، فأسلم الحارث بعد ذلك ، وحسن إسلامه ، وكان يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابني بيدي ، فعرفني ما قال ، لم يرسلني إن شاء الله حتى يدخلني الجنة .

(١) ترخيم لحارث ، والترخيم كثير في المنادى .

بقطرة لبن ، وتروح غنمى شباعا لُبَّناً ، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته ؛ وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفْراً .

رجوع حليمة به إلى مكة أول مرة : قالت : فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا ؛ لما كنا نرى من بركته . فكلمنا أمه ، وقلت لها : لو تركت بُنَيَّ عندى حتى يغلظ ، فإنى أخشى عليه وبأ مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى ردته معنا .

الاختلاف فى اسم ناصرة بن فصية : وذكر ناصرة بن فُصَيَّة فى نسب حليمة . وهو عندهم : فُصَيَّة بالفاء تصغير : فصاة ، وهى النواة . ووقع فى الأصل فى جميع النسخ : قصية بالقاف . وقال أبو حنيفة أيضا : الفَصَا : حب الزبيب ، وهو من هذا المعنى .

الشيماء : وذكر الشيماء أخت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الرضاعة ، وقال فى اسمها : خِذامة بكسر الخاء المنقوطة ، وقال غيره : حُذَافَة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم ، وكذلك ذكره يونس فى روايته عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكره أبو عمر فى كتاب النساء .

شرح ما فى حديث الرضاع

تحقيق لفظى الرضعاء والمراضع : قال ابن إسحاق : فالتمس لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — الرضعاء . قال ابن هشام : إنما هو المراضع . قال : وفى كتاب الله سبحانه : « وحرمنا عليه المراضع » والذى قاله ابن هشام ظاهر ؛ لأن المراضع جمع : مُرْضِع ، والرُّضَعَاءُ : جمع رضيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين ، أحدهما . حذف المضاف كأنه قال : ذوات الرضعاء ، والثانى : أن يكون أراد بالرضعاء : الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مُرضعة ترضعه ، فقد وجدوا له رضيعا ، يرضع معه ، فلا يبعد أن يقال : التمسوا له رضيعا ، علماً بأن الرضيع لا بد له من مرضع .

مرضعاته (ص) : وأرضعته — عليه السلام — ثُوَيْبة قبل حليمة . أرضعته ، وعمه حمزة ، وعبد الله ابن جحش ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يعرف ذلك لثويبة ، ويصلها من المدينة ، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح ، فأخبر أنهما ماتا ، وسأل عن قرابتها ، فلم يجد أحداً منهم حيا . وثويبة كانت جارية لأبى لهب ، وسنذكر بقية حديثها — إن شاء الله — عند وفاة أبى لهب .

تحقيق لفظى يغذيه ويعذبه : وذكر قول حليمة : وليس فى شارفنا ما يغديه . وقال ابن هشام : ما يغذيه بالذال المنقوطة ، وهو أتم فى المعنى من الاقتصار على ذكر الغداء دون العشاء ، وليس فى أصل الشيخ رواية ثالثة ، وعند بعض الناس رواية غير هاتين وهى يُعْذِبه بعين مهملة وذال منقوطة وباء معجمة بواحدة ، ومعناها عندهم : ما يقنعه حتى يرفع رأسه ، وينقطع عن الرضاع ، يقال منه : عذبته وأعذبته : إذا قطعته عن الشرب ونحوه ، والعَذُوب : الرافع رأسه عن الماء ، وجمعه : عُذوب بالضم ، ولا يعرف فَعُول جمع على فُعول غيره : قاله أبو عبيد والذى فى الأصل أصح فى المعنى والنقل .

حديث الملكين اللذين شقا بطنه : قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مقدمنا بأشهر مع أخيه لفى بَهْمٍ لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه، فشقا بطنه ، فهما يَسُوطانه ، قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائما مُنْتَقَعاً وجهه . قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يا بنى ، قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعانى وشقا بطنى ، فالتمسا شيئاً لا أدرى ما هو ، قالت : فرجعنا إلى خبائنا .

تحقيق لفظ أذمت : وذكر قولها : حتى أذْمَمْتُ بالركب . تريد : أنها حبستهم ، وكأنه من الماء الدائم ، وهو الواقف ، ويروى : حتى أذَمّتْ . أى : أذمت الأتان ، أى : جاءت بما تذم عليه ، أو يكون من قولهم : بئر ذَمَّة ، أى : قليلة الماء ، وليست هذه عند أبى الوليد ، ولا فى أصل الشيخ أبى بحر ، وقد ذكرها قاسم فى الدلائل ، ولم يذكر رواية أخرى ، وذكر تفسيرها عن أبى عبيدة : أذم بالركب : إذا أبطأ ، حتى حبستهم : من البئر الذَّمَّةِ ، وهى القليلة الماء .

القسمة فى اللبن بينه (ص) وبين أخيه من الرضاعة : وذكر قول حليمة : فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى .

وذكر غير ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان لا يقبل إلا على ثديها الواحد ، وكانت تعرض عليه الثدى الآخر ، فيأباه كأنه قد أشعر — عليه السلام — أن معه شريكا فى لبانها ، وكان مفطورا على العدل ، مجبولا على المشاركة والفضل — صلى الله عليه وسلم .

جواز الأجر على الرضاع : قال المؤلف : والتماس الأجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر نساء العرب ، حتى جرى المثل : تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها ، وكان عند بعضهن لا بأس به ، فقد كانت حليمة وسيطة فى بنى سعد ، كريمة من كرائم قومها ، بدليل اختيار الله — تعالى — إياها لرضاع نبيه — صلى الله عليه وسلم — كما اختار له أشرف البطون والأصلاب . والرضاع كالنسب ؛ لأنه يغير الطباع .

وفى المسند عن عائشة — رضى الله عنها — ترفعه : « لا تسترضعوا الحمق ؛ فإن اللبن يُورث » ، ويحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضعاء اضطرارا للأزمة التى أصابتهم ، والسنة الشهباء التى اقتحمتهم .

الأسباب الدافعة للاسترضاع : وأما دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم إلى المراضع ، فقد يكون ذلك لوجوه . أحدها : تفريغ النساء إلى الأزواج ، كما قال عمار بن ياسر لأم سلمة — رضى الله عنها — وكان أخاها من الرضاعة ، حين انتزع من حجرها زينب بنت أبى سلمة ، فقال : « دعى هذه المقبوحة المشقوحة[1] التى آذيتِ بها رسول الله — صلى الله عليه وسلم » ، وقد يكون ذلك منهم أيضاً لينشأ الطفل فى الأعراب ، فيكون أفصح للسانه ، وأجلد لجسمه ، وأجدر أن لا يفارق الهيئة المَعَدِّية[2] كما قال عمر رضى الله عنه : تمعددوا

---

(١) المشقوحة : المبعدة .

(٢) المعدية : نسبة إلى معد ، وكانوا أهل قوة وشدة .

حليمة ترد محمدا (ص) إلى أمه : قالت : وقال لى أبوه : يا حليمة ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظِئْرُ ، وقد كنت حريصة عليه ، وعلى مكثه عندك ؟ قالت : فقلت : قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى على ، وتخوفت الأحداث عليه ، فأديته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا شأنك ، فاصدقينى خبرك . قالت : فلم تدعنى حتى أخبرتها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كلا . والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لِبُنَىَّ لشأنا ، أفلا أخبرك خبره . قالت : قلت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به : أنه خرج منى نور أضاء قصور بُصْرَى من أرض الشام . ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك ، وانطلقى راشدة .

الرسول يُسأل عن نفسه وإجابته (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثنى ثَوْر بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعى : أن نفراً من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا له : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم ، أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمى حين

وتمعززوا [١] واخشوشنوا . وقد قال — عليه السلام — لأبى بكر — رضى الله عنه — حين قال له : ما رأيت أفصح منك يا رسول الله ، فقال : «وما يمنعنى ، وأنا من قريش، وأرضعت فى بنى سعد ؟ !» فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء إلى المراضع الأعرابيات .

وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان كان يقول : أضر بنا حب الوليد ؛ لأن الوليد كان لحَّاناً ، وكان سليمان فصيحا ؛ لأن الوليد أقام مع أمه ، وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية ، فتعربوا ، ثم أدبوا فتأدبوا . وكان من قريش أعراب ، ومنهم حضر ، فالأعراب منهم : بنو الأدرم وبنو محارب ، وأحسب بنى عامر بن لؤى كذلك ؛ لأنهم من أهل الظواهر ، وليسوا من أهل البطاح .

القول فى حديث شق الصدر : وذكر قول أخيه من الرضاعة : نزل عليه رجلان أبيضان ، فشقا عن بطنه ، وهما يَسُوطانه ، يقال : سطت اللبن أو الدم ، أو غيرهما ، أسوطه : إذا ضربت بعضه ببعض . والمِسْوَطُ : عود يضرب به .

وفى رواية أخرى عن ابن إسحاق أنه نزل عليه كُرْكِيَّان [٢] ، فشق أحدهما بمنقاره جوفه ، ومج الآخر بمنقاره فيه ثلجاً ، أو بَرَداً ، أو نحو هذا ، وهى رواية غريبة ذكرها يونس عنه ، واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين عليه ، وهو أطول من هذا .

وروى ابن أبى الدنيا وغيره بإسناد يرفعه إلى أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : « قلت : يا رسول الله كيف علمت أنك نبى ، وبم علمت حتى استيقنت ؟ قال : يا أبا ذر أتانى ملكان ، وأنا ببطحاء مكة ، فوقع أحدهما بالأرض ، وكان الآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو : قال : فَزِنْهُ

---

(١) تمعززوا : اشتدوا .

(٢) الكركى : طائر أغبر اللون طويل العنق والرجلين .

حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، واسترضعتُ فى بنى سعد بن بكر . فبينا أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بَهْماً لنا: إذ أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطَسْت من ذهب مملوءة ثلجا . ثم أخذانى فشقا بطنى، واستخرجا قلبى ، فشقاه فاستخرجا منه عَلَقَة سوداء فطرحاها . ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم

برجل ، فوزننى برجل ، فرجحته ، ثم قال : زنه بعشرة ، فوزننى فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزننى ، فرجحتهم ، ثم قال : زنه بألف ، فوزننى فرجحتهم ، حتى جعلوا يتثاقلون علىّ من كفة الميزان ، فقال أحدهما لصاحبه : شق بطنه ، فشق بطنى ، فأخرج قلبى ، فأخرج منه مَغْمَزَ الشيطان وعَلَقَ الدم ، فطرحهما ، فقال : أحدهما لصاحبه : اغسل بطنه غسل الإناء ، واغسل قلبه غسل المُلاء ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خط بطنه ، فخاط بطنى ، وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن ، وولّيا عنى ، فكأنى أعاين الأمر معاينة ، فى هذا الحديث بيان لما أبهم فى الأول ، لأنه قال : فأخرج منه مغمز الشيطان ، وعلق الدم ، فبين أن الذى التمس فيه هو الذى يغمزه الشيطان من كل مولود إلا عيسى بن مريم وأمه ـ عليهما السلام ـ لقول أمها حَنَّة : « وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » فلم يصل إليه لذلك ، ولأنه لم يُخلق من مَنِىّ الرجال فأعيذه من مغمز ، وإنما خلق من نفخة روح القدس . ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه السلام على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد نزع منه ذلك المغمز ، وملىء قلبه حكمة وإيمانا ، بعد أن غسله روح القدس بالثلج والبرد ، وإنما كان ذلك المغمز فيه لموضع الشهوة المحركة للمنى ، والشهواتُ يحضرها الشياطين ، لا سيما شهوة من ليس بمؤمن ، فكان ذلك المغمز راجعا إلى الأب ، لا إلى الابن المطهر ـ صلى الله عليه وسلم .

وفى الحديث فائدة أخرى ، وهى من نفيس العلم ، وذلك أن خاتم النبوة لم يدر هل خُلِق به ، أم وضع فيه بعد ما ولد ، أو حين نبىء ، فبين فى هذا الحديث متى وضع ، وكيف وضع ، ومن وضعه ، زادنا الله علما ، وأوزعنا شكر ما عَلّم ، وفيه البيان لما سأل عنه أبو ذر — رضى الله عنه — حين قال : كيف علمت أنك نبى ، فأعلمه بكيفية ذلك ، غير أن فى هذا الحديث ، وهْما من بعض النَّقَلة ، وهو قوله : بينا أنا ببطحاء مكة ، وهذه القصة لم تعرض له إلا وهو فى بنى سعد مع حليمة ، كما ذكر ابن إسحاق وغيره ، وقد رواه البزار من طريق عروة عن أبى ذر — رضى الله عنه — فلم يذكر فيه بطحاء مكة .

السكينة : وذكر فيه أنه قال : وأوتيت بالسكينة كأنها رَهْرَهَة ، فوضعت فى صدرى . قال : ولا أعلم لعروة سماعا من أبى ذر . وذكر من طريق آخر عن أبى ذر ، أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال له : « يا أبا ذر ، وزنت بأربعين ، أنت فيهم فرجحتهم ، والرهرهة : بصيص البشرة ، فهذا بيان وضع الخاتم متى وضع .

متى وجبت له (ص) النبوة : وأما متى وجبت له النبوة ، فروى عن ميسرة أنه قال له : متى وجبت لك النبوة يا رسول الله ؟ فقال : وآدم بين الروح والجسد ، ويروى : وآدم مجندل فى طينته .

تعدد شق الصدر : وهذا الخبر يروى عنه — عليه السلام — على وجهين ، أحدهما : أنه شُق عن قلبه ، وهو مع رابّته ومرضعته فى بنى سعد ، وأنه جىء بطَسْت من ذهب ، فيه ثلج فغسل به قلبه ، والثانى فيه : أنه غسل بماء زمزم ، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماء بعد ما بعث بأعوام ، وفيه أنه أتى بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغ فى قلبه . وذكر بعض من ألف فى شرح الحديث أنه تعارض فى الروايتين ،

قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزننى بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمئة من أمته . فوزننى بهم فوزنتهم، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزننى بهم فوزنتهم . فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها .

وجعل يأخذ فى ترجيح الرواة وتغليط بعضهم ، وليس الأمر كذلك ، بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين .

الأولى : فى حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان ، وليطهر ويقدس من كل خلق ذميم ، حتى لا يتلبس بشىء مما يعاب على الرجال ، وحتى لا يكون فى قلبه شىء إلا التوحيد ؛ ولذلك قال : فوليا عنى ، يعنى : الملكين ، وكأنى أعاين الأمر معاينة .

والثانية : فى حال الاكتهال ، وبعد ما نُبِّىء ، وعندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة التى لا يصعد إليها إلا مقدس ، وعرج به هنالك لنفرض عليه الصلاة ، وليصلى بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة : الطهور ، فقُدِّس ظاهراً وباطنا ، وغسل بماء زمزم .

وفى المرة الأولى بالثلج لما يشعر الثلج من ثلج اليقين وبرده على الفؤاد ، وكذلك هناك حصل له اليقين بالأمر الذى يراد به وبوحدانية ربه .

وأما فى الثانية ، فقد كان موقناً منبأ ، فإنما طهر لمعنى آخر ، وهو ما ذكرناه من دخول حضرة القدس والصلاة فيها ، ولقاء الملك القدوس ، فغسله روح القدس بماء زمزم التى هى هَزْمَة روح القدس ، وهمزة عقبه لأبيه إسماعيل ـ عليه السلام ـ وجىء بطست ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغ فى قلبه ، وقد كان مؤمناً ، ولكن الله تعالى قال : « ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم » وقال : « ويزداد الذين آمنوا إيمانا » .

فإن قيل : وكيف يكون الإيمان والحكمة فى طست من ذهب ، والإيمان عَرَض ، والأعراض لا يوصف بها إلا محلها الذى تقوم به ، ولا يجوز فيه الانتقال ، لأن الانتقال من صفة الأجسام ، لا من صفة الأعراض ؟ قلنا :

إنما عبر عما كان فى الطست بالحكمة والإيمان ، كما عبر عن اللبن الذى شربه ، وأعطى فضله عمر ـ رضى الله عنه ـ بالعلم ، فكان تأويل ما أفرغ فى قلبه حكمة وإيمانا ، ولعل الذى كان فى الطست كان ثلجاً وبردا ـ كما ذكر فى الحديث الأول ـ فعبر عنه فى المرة الثانية بما يؤول إليه ، وعبر عنه فى المرة الأولى بصورته التى رآها ؛ لأنه فى المرة الأولى كان طفلا ، فلما رأى الثلج فى طست الذهب اعتقده ثلجا ، حتى عرف تأويله بعد . وفى المرة الثانية كان نبيئاً ، فلما رأى طست الذهب مملوءآ ثلجاً علم التأويل لحينه واعتقده فى ذلك المقام حكمة وإيماناً ، فكان لفظه فى الحديثين على حسب اعتقاده فى المقامين .

مناسبة طست الذهب للمعنى المقصود فى الحالتين : وكان الذهب فى الحالتين جميعا مناسباً للمعنى الذى قصد به . فإن نظرت إلى لفظ الذهب ، فمطابق للإذهاب ، فان الله ـ عز وجل ـ أراد أن يذهب عنه الرجس ، ويطهره تطهيرا ، وإن نظرت إلى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شىء وأصفاه ، يقال فى المثل : أنقى من الذهب . وقالت بريرة فى عائشة ـ رضى الله عنها ـ ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر . وقال حذيفة فى صلة ابن أشيم رضى الله عنهما : إنما قلبه من ذهب ، وقال جرير بن حازم فى الخليل بن أحمد : إنه لرجل من ذهب ،

يريدون النقاء من العيوب ، فقد طابق طَسْتُ الذهب ما أريد بالنبي - صلى الله عليه وسلم - من نقاء قلبه ومن أوصاف الذهب أيضاً المطابِقة لهذا المقام ثقله ورسوبه ، فإنه يجعل فى الزيبق الذى هو أثقل الأشياء ، فيرسب ، والله تعالى يقول : « إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا » وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه : إنما ثقلت موازين المحقين يوم القيامة ، لاتباعهم الحق ، وحُقّ لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وقال فى أهل الباطل بعكس هذا . وقد روى : أنه أنزل عليه الوحى ، وهو على ناقته ، فثقل عليها حتى ساخت قوائمها فى الأرض ، فقد تطابقت الصفة المعقولة والصفة المحسوسة . ومن أوصاف الذهب أيضا أنه لا تأكله النار ، وكذلك القرآن : لا تأكل النار يوم القيامة قلباً وعاه ، ولا بدناً عمل به ، قال النبى - صلى الله عليه وسلم : « لو كان القرآن فى إهاب ، ثم طرح فى النار ما احترق » ومن أوصاف الذهب المناسبة لأوصاف القرآن والوحى : أن الأرض لا تبليه ، وأن الثرى لا يَذْرِيه ، وكذلك القرآن لا يَخْلَق على كثرة الرد ، ولا يستطاع تغييره ولا تبديله ، ومن أوصافه أيضا : نفاسته وعزته عند الناس ، وكذلك الحق والقرآن عزيز ، قال سبحانه : « وإنه لكتاب عزيز » . فهذا إذا نظرت إلى أوصافه ولفظه ، وإذا نظرت إلى ذاته وظاهرة ، فإنه زخرف الدنيا وزينتها ، وقد فتح بالقرآن والوحى على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته خزائن الملوك ، وتصير إلى أيديهم ذهبها وفضتها ، وجميع زخرفها وزينتها ، ثم وعدوا باتباع القرآن والوحى قصور الذهب والفضة فى الجنة . قال - صلى الله عليه وسلم : « جنتان من ذهب ، آنيتهما وما فيهما من ذهب » وفى التنزيل : « يطاف عليهم بصحاف من ذهب » ، « ويحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير » فكان ذلك الذهب يُشعر بالذهب الذى يصير إليه من اتبع الحق ، والقرآن وأوصافه تشعر بأوصاف الحق ، والقرآن ولفظه يشعر بإذهاب الرجس ، كما تقدم ، فهذه حكم بالغة لمن تأمل ، واعتبار صحيح لمن تدبر ، والحمد لله .

وفى ذكر الطست وحروف اسمه حكمة تنظر إلى قوله تعالى : « طس . تلك آيات القرآن وكتاب مبين » .

ومما يسئل عنه : هل خص هو - صلى الله عليه وسلم - بغسل قلبه فى الطست ، أم فعل ذلك بغيره من الأنبياء قبله ، ففى خبر التابوت والسكينة ، أنه كان فيه الطست التى غسلت فيها قلوب الأنبياء عليهم السلام . ذكره الطبرى ، وقد انتزع بعض الفقهاء من حديث الطست - حيث جُعِل محلا للإيمان والحكمة - جواز تحلية المصحف بالذهب ، وهو فقه حسن ،، فى حديث أبى ذر - رضى الله عنه - هذا الذى قدمناه ، متى علم أنه نبى .

الحكمة فى خاتم النبوة : والحكمة فى خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه لما ملىء قلبه حكمة ويقينا ، ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكاً أو درا ، وأما وضعه عند نغض [1] كتفه ، فلأنه معصوم من وسوسة الشيطان ، وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم . روى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان منه ، فأرى جسداً ممهى يرى داخله من خارجه ، والشيطان فى صورة ضفدع عند نغض كتفه حذاء قلبه ، له خرطوم ، كخرطوم البعوضة ، وقد أدخله إلى قلبه يوسوس ، فإذا ذكر الله تعالى العبد خنس [2] .

---

(١) النغض : أعلى منقطع الغضروف فى الكتف .

(٢) خنس : تأخر .

رعيه (ص) للغنم وافتخاره بقرشيته : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « ما من نبي إلا وقد رعى الغنم ، قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشى ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر » .

رد حليمة للنبي (ص) : وكان رد حليمة إياه إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر ، فيما ذكر أبو عمر ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين : إحداهما بعد تزويجه خديجة ـ رضى الله عنها ـ جاءته تشكو إليه السنة ، وأن قومها قد أسنتوا(١) فكلم لها خديجة ، فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبكرات ، والمرة الثانية : يوم حنين وسيأتى ذكرها إن شاء الله .

تأويل النور الذى رأته أمه آمنة : وذكر النور الذى رأته آمنة ، حين ولدته عليه السلام ، فأضاءت لها قصور الشام ، وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد ، حتى كانت الخلافة فيها مدة بنى أمية ، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاصى قبل المبعث بيسير نوراً يخرج من زمزم ، حتى ظهرت له البسر فى نخيل يثرب ، فقصها على أخيه عمرو ، فقال له : إنها حفيرة عبد المطلب ، وإن هذا النور منهم ، فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام .

رعيه الغنم فى بنى سعد وفى مكة : وذكر قول النبى ـ صل الله عليه وسلم : « ما من نبى إلا وقد رعى الغنم . قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » وإنما أراد ابن إسحاق بهذا الحديث رعايته الغنم فى بنى سعد مع أخيه من الرضاعة ، وقد ثبت فى الصحيح أنه رعاها بمكة أيضا على قراريط لأهل مكة . ذكره البخارى ، وذكر البخارى عنه أيضاً أنه قال : ما هممت بشىء من أمر الجاهلية إلا مرتين ، وروى أن إحدى المرتين كان فى غنم يرعاها هو وغلام من قريش . فقال لصاحبه : اكفنى أمر الغنم حتى آتى مكة ، وكان بها عرس فيها لهو وزمر ، فلما دنا من الدار ليحضر ذلك ، أُلْقِىَ عليه النوم ، فنام حتى ضربته الشمس عصمة من الله له . وفى المرة الآخرة قال لصاحبه مثل ذلك ، وألقى عليه النوم فيها ، كما ألقى فى المرة الأولى . ذكر هذا المعنى ابن إسحاق فى غير رواية البكائى : وفى غريب الحديث لِلْقُتَبِىّ : « بعث موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو راعى غنم ، وبعث داود ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو راعى غنم ، وبعثت ، وأنا راعى غنم أهلى بأجياد(٢) » وإنما جعل الله هذا فى الأنبياء تقدمة لهم ، ليكونوا رعاة الخلق ، ولتكون أممهم رعايا لهم ، وقد رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أنه ينزع على قليب وحولها غنم سود ، وغنم عفر . قال : ثم جاء أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ فنزع نزعاً ضعيفاً ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر فاستحالت غرباً يعنى : الدلو ، فلم أر عبقرياً يفرى فريه(٣) »

---

(١) أسنتوا : أجدبوا .

(٢) أجياد : مكان بمكة شرفها الله .

(٣) القليب : البئر القديمة . والغنم العفر : الذى يشوب بياضها حمرة . والغرب : الدلو العظيمة . ويفرى فريه : يسد مسده .

افتقاد حليمة له (ص) : قال ابن إسحاق : وزعم الناس فيما يتحدثون ـ والله أعلم ـ أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلّها فى الناس ، وهى مقبلة به نحو أهله ، فالتمسته فلم تجده ، فأتت عبد المطلب ، فقالت له : إنى قد قدمت بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكة أضلنى ، فوالله ما أدرى أين هو ، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن أسد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة ، فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه ، وهو يطوف بالكعبة يُعوّذه ويدعو له ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

سبب آخر لرجوع حليمة به (ص) إلى مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم، أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه ، مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه ، أن نفراً من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه وقلّبوه ، ثم قالوا لها : لنأخذن هذا الغلام ، فلنذهبن به إلى مَلِكنا وبلدنا ؛ فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره ، فزعم الذى حدثنى أنها لم تكد تنفلت به منهم .

وفاة آمنة

وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بعدها

وفاة أمه (ص) : قال ابن إسحاق. وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أمه آمنة بنت وهب ،

فأوّلها الناس فى الخلافة لأبى بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، ولولا ذكر الغنم السود والعُفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية ؛ إذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم ، وأكثر المحدثين لم يذكروا الغنم فى هذا الحديث . ذكره البزار فى مسنده ، وأحمد بن حنبل أيضا ، وبه يصح المعنى ، والله أعلم .

كفالة عمه له (ص) : وذكر كون النبى ـ صلى الله عليه وسلم فى كفالة عمه يكلؤه ويحفظه . فمن حفظ الله له فى ذلك أنه كان يتيما ليس له أب يرحمه ، ولا أم ترأمه[1] لأنها ماتت ، وهو صغير ، وكان عيال أبى طالب ضففاً[2] ، وعيشهم شظفاً[3] ، فكان يوضع الطعام له وللصبية من أولاد أبى طالب ، فيتطاولون إليه ، ويتقاصر هو ، وتمتد أيديهم ، وتنقبض يده تكرماً منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب ، فيصبحون غُمصاً رُمصاً ، مصفرة ألوانهم ويصبح هو ـ عليه السلام ـ صقيلا دهيناً كأنه فى أنعم عيش ، وأعز كفاية ، لطفاً من الله ـ عز وجل ـ به . كذلك ذكره القتبى فى غريب الحديث .

موت آمنة : وذكر موت أمه آمنة بالأبواء ، وهو موضع معروف بين مكة والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب كأنه سمى بجمع بو ، وهو جلد الحوار المحشو بالتبن وغيره ، وقيل : سمى بالأبواء لتبَوُّء السيول فيه ، وكذلك ذكر عن كثير . ذكره قاسم بن ثابت .

---

(١) ترأمه : تلحظه بعين العطف (٢) الضفف : الكثرة . (٣) الشظف : الضيق .

وجده عبد المطلب بن هاشم فى كلاءة الله وحفظه ، ينبته الله نباتا حسنا ، لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ست سنين ، توفيت أمه آمنة بنت وهب .

عمر رسول الله (ص) حين وفاة أمه : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم :

أن أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آمنة توفيت ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابن ست سنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على أخواله من بنى عدى بن النجار تُزيره إياهم ، فماتت ، وهى راجعة به إلى مكة .

قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم : سلمى بنت عمرو النجارية ، فهذه الخئولة التى ذكرها ابن إسحاق لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيهم .

زيارة الرسول (ص) لقبر أمه : وفى الحديث أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — زار قبر أمه بالأبواء فى ألْفِ مُقَنَّع ، فبكى وأبكى ، وهذا حديث صحيح ، وفى الصحيح أيضاً أنه قال : استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى ، فأذن لى ، واستأذنته أن أستغفر لها ، فلم يأذن لى . وفى مسند البزار من حديث بريدة أنه — صلى الله عليه وسلم — حين أراد أن يستغفر لأمه ، ضرب جبريل عليه السلام فى صدره ، وقال له : لا تستغفر لمن كان مشركا ، فرجع وهو حزين .

وفى الحديث زيادة فى غير الصحيح أنه سئل عن بكائه ، فقال : ذكرت ضعفها وشدة عذاب الله . إن كان صح هذا .

وفى حديث آخر ما يصححه ، وهو أن رجلا قال له : يا رسول الله : أين أبى ؟ فقال : « فى النار » فلما ولى الرجل ، قال عليه السلام : « إن أبى وأباك فى النار » . وليس لنا أن نقول نحن هذا فى أبويه — صلى الله عليه وسلم — لقوله عليه السلام : لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات ، والله عز وجل يقول : « إن الذين يؤذون الله ورسوله » الآية . وإنما قال النبى — صلى الله عليه وسلم — لذلك الرجل هذه المقالة ، لأنه وجد فى نفسه ، وقد قيل : إنه قال : أين أبوك أنت ؟ فحينئذ قال ذلك ، وقد رواه معمر بن راشد بغير هذا اللفظ ، فلم يذكر أنه قال له : إن أبى وأباك فى النار ، ولكن ذكر أنه قال له : إذا مررت بقبر كافر ، فبشره بالنار .

ورُوِىَ حديث غريب لعله أن يصح . وجدته بخط جدى أبى عمران أحمد بن أبى الحسن القاضى ـ رحمه الله ـ بسند فيه مجهولون ، ذكر أنه نقله من كتاب ، انتسخ من كتاب مُعَوِّذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه إلى ابن أبى الزناد عن عروة ، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أخبرت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سأل ربه أن يحيى أبويه ، فأحياهما له ، وآمنا به . ثم أماتهما ، والله قادر على كل شىء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شىء ، ونبيه عليه السلام أهل أن يخصه بما شاء من فضله ، وينعم عليه بما شاء من كرامته ـ صلوات الله عليه وآله وسلم .

إجلال عبد المطلب له (ص) : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك ، حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له ، قال : فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتى ، وهو غلام جفر ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ، ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب - إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابنى، فوالله إن له لشأنا ، ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

وفاة عبد المطلب . وما رثى به من الشعر

فلما بلغ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثمانى سنين هلك عبد المطلب بن هاشم ، وذلك بعد الفيل بثمانى سنين .

قال ابن إسحاق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبد بن عباس ، عن بعض أهله : أن عبد المطلب توفى ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن ثمانى سنين .

عبد المطلب يطلب من بناته أن يرثينه : قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن سعيد بن المسيب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة . وعرف أنه ميت جمع بناته ، وكن ست نِسْوة : صفية ، وبَرّة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأرْوَى ، فقال لهن : ابكين علىّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت .

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد ابن المسيب ، كتبناه :

رثاء صفية بنت عبد المطلب لأبيها : فقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أباها :

أرِقْتُ لصوت نائحة بليل ... على رجل بقارعة الصَّعيد
ففاضت عند ذلكمُ دموعى ... على خدى كمنحدر الفَرِيد

قال القرطبى فى تذكرته : جزم أبو بكر الخطيب فى كتاب : السابق واللاحق ، وأبو حفص عمر بن شاهين فى كتاب الناسخ والمنسوخ له فى الحديث بإسناديهما عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : حج بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجة الوداع ، فمر على قبر أمه ، وهو باك حزين مغتم ، فبكيت لبكائه - صلى الله عليه وسلم - ثم إنه نزل فقال : يا حميراء استمسكى ، فاستندت إلى جنب البعير ، فمكث عنى طويلا مليا ، ثم إنه عاد إلىّ ، وهو فرح متبسم ، فقلت له : بأبى أنت وأمى يا رسول الله نزلت من عندى ، وأنت باك حزين مغتم ، فبكيت لبكائك ، ثم عدت إلى ، وأنت فرح مبتسم ، فَمِمَّ ذا يا رسول الله ، فقال : ذهبت لقبر آمنة أمى ، فسألت أن يحييها ، فأحياها فآمنت بى ، أو قال : فآمنت . وردها الله عز وجل .

وفاة عبد المطلب

شرح قول صفية فى رثاء عبد المطلب : قول صفية :

ففاضت عند ذلكم دموعى ... على خدى كمنحدر الفريد

يروى : كمنحدر بكسر الدال أى : كالدر المنحدر ، ومنحدر بفتح الدال فيكون التشبيه راجعاً للفيض ، فعلى

على رجل كريم غير وَغْل ... له الفضل المُبين على العبيد
على الفياض شَيْبَةَ ذى المعالى ... أبيك الخير وارث كل جود
صدوق فى المواطن غير نِكْس ... ولا شَخْت المقام ولا سنيد
طويل الباع ، أروع شَيْظَمِىّ ... مطاع فى عشيرته حميد
رفيع البيت أبلج ذى فُضول ... وغيث الناس فى الزمن الحرود
كريم الجد ليس بذى وُصُوم ... يروق على المُسوَّد والمَسود
عظيم الحلم من نفر كرام ... خضارمة ملاوثة أسود
فلو خَلَد امرؤ لقديم مجد ... ولكن لا سبيل إلى الخلود
لكان مُخَلَّداً أخرى الليالى ... لفضل المجد والحسب التليد

رثاء برة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت برة بنت عبد المطلب تبكى أباها :

أعَيْنَىّ جودا بدمع دِرر ... على طيِّب الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد ... جميل المُحَيَّا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المَكْرُمات ... وذى المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفصل فى النائبات ... كثير المكارم ، جَمّ الفَجَر
له فضل مجد على قومه ... منير ، يلوح كضوء القمر
أتته المنايا ، فلم تُشْوِه ... بصرف الليالى ، وريب القدر

رواية الكسر : شبهت الدمع بالدر الفريد ، وعلى رواية الفتح شبهت الفيض بالانحدار .

وقولها : أبيك الخيْر . أرادت : الخيِّر فخففت ، كما يقال : هيْن وهيِّن ، وفى التنزيل : « خيْرات حسان » وكان اسم أم الدرداء : خيرة بنت أبى حدرد وكذلك أم الحسن البصرى ، اسمها : خيرة ، فهذا من المخفف ، ويجوز أن يكون الخير ها هنا هو ضد الشر ، جعلته كله خيراً على المبالغة كما تقول : ما زيد إلا علم أو حُسن ، وما أنت إلا سَيْر ، وهو مجاز حسن ، فعلى هذا الوجه لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ؛ فيقال : خيرة .

وقولها : ولا شخت المقام ولا سنيد

الشخت : ضد الضخم ، تقول : ليس كذلك ، ولكنه ضخم المقام ظاهره . والسنيد : الضعيف الذى لا يستقل بنفسه ، حتى يسند رأيه إلى غيره .

وقولها : خضارمة ملاوثة : ملاوثة : جمع ملواث من اللوثة ، وهى القوة ، كما قال المُكَعْبَر :

عند الحفيظة إن ذو لوثة لاثا

وقد قيل : إن اسم الليث منه أخذ ، إلا أن واوه انقلبت ياء ؛ لأنه فيعل ، فخفف كما تقدم : فى هَيْن وهَيِّن ، ولَيْن ولَيِّن .

شرح قول برة : وقول برة :

أتته المنايا فلم تُشْوِه

رثاء عاتكة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكى أباها :

أعَيْنَىّ جودا ، ولا تبخلا ... بدمعكما بعد نوم النيام
أعينى وَاسْحَنْفِرَا واسكبا ... وشوبا بكاءكما بالتدام
أعينى ، واستخرطا واسجُما ... على رجل غير نِكْس كَهام
على الجحفل الغَمر فى النائبات ... كريم المساعى ، وفىّ الذمام
على شيبة الحمد ، وارى الزناد ... وذى مَصْدق بعدُ ثبت المقام
وسيف لدى الحرب صمصامة ... ومُرْدى المخاصم عند الخصام
وسهل الخليقة طلق اليدين ... وَف عُدْمُلِىّ صميم لُهَام
تَبَنَّكَ فى باذخ بيته ... رفيعٌ الذؤابة صعب المرام

رثاء أم حكيم بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكى أباها :

ألا يا عين جودى واستهلى ... وبَكِّى ذا الندى والمكرمات
ألا يا عين ويحك أسعفينى ... بدمع من دموع هاطلات
وبكى خير من ركب المطايا ... أباك الخير تيار الفرات
طويل الباع شيبة ذا المعالى ... كريم الخِيم محمود الهبات
وَصولا للقرابة هِبْرِزِيّاً ... وغيثا فى السنين الممحلات
وليثا حين تشتجر العوالى ... تروق له عيون الناظرات
عقيل بنى كنانة والمُرَجَّى ... إذا ما الدهر أقبل بالهنات
ومَفْزَعَها إذا ما هاج هيج ... بداهية ، وخَصم المعضلات
فبكيه ولا تَسَمِى بحزن ... وبكى ، ما بَقيت ، الباكيات

أى : لم تصب الشوى(١) ، بل أصابت المقتل ، وقد تقدم فى حديث عبد المطلب وضربه بالقداح على عبد الله ، وكان يرى أن السهم إذا خرج على غيره أنه قد أشوى ، أى : قد أخطأ مقتله ، أى : مقتل عبد المطلب وابنه ، ومن رواه : أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذى أشوى وأخطأ ، وبكلا الضبطين وجدته ، ويقال أيضاً : أشوى الزرع : إذا أفرك فالأول من الشوى ، وهذا من الشى بالنار ، قاله أبو حنيفة .

شرح قول عاتكة : وقول عاتكة : ومِرْدَى المخاصم ، المردى : مُفْعَل من الردى ، وهو الحجر الذى يقتل من أصيب به ، وفى المثل : « كل ضب عنده مِرْدَاتُه » .

وقولها : وَف . أى : وَفِىّ ، وخفف للضرورة ، وقولها : عُدْمُلِىّ . العدملى : الشديد . واللهام : فعال من لهمت الشىء ألهمه : إذا ابتلعته ، قال الراجز :

كالحوت لا يرويه شىء يلهمه ... يصبح عطشاناً وفى البحر فمه

ومنه سمى الجيش : لُهاماً .

---

(١) الشوى مالا تقتل الإصابة فيه كاليدين والرجلين .

رثاء أميمة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكي أباها :

ألا هلك الراعى العشيرةَ ذو الفَقْد — وساقى الحجيج ، والمحامى عن المجد
ومن يُؤْلف الضيف الغريب بيوته — إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد
كسبت وليداً خير ما يكسب الفتى — فلم تَنْفكِك تزداد يا شيبة الحمد
أبو الحارث الفياض ، خلى مكانه — فلا تبعدن ، فكل حى إلى بُعد
فإنى لَباكٍ ـ ما بقيت ـ ومُوجَع — وكان له أهلا لما كان من وجدى
سقاك وَلِىُّ الناس فى القبر ممطراً — فسوف أبكّيه ، وإن كان فى اللحد
فقد كان زينا للعشيرة كلها — وكان حميداً حيث ما كان من حمد

رثاء أروى بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أروى بنت عبد المطلب تبكى أباها :

بكت عينى ، وحق لها البكاء — على سَمح ، سجيته الحياء
على سهل الخليقة أبطحى — كريم الخِيم ، نيته العَلاءُ
على الفياض شيبة ذى المعالى — أبيك الخير ليس له كِفاء
طويل الباع أملس ، شَيْظَمِىٌّ — أغر كأن غرته ضياء

وقولها : على الجحفل . جعلته كالجحفل ، أى : يقوم وحده مقامه ، والجحفل : لفظ منحوت من أصلين ، من : جحف وجفل ، وذلك أنه يجحف ما يمر عليه أى : يقشره ويجفل : أى يقلع ، ونظيره نهشل الذئب ، هو عندهم منحوت من أصلين أيضا ، من نهشت اللحم ونشلته .

وعاتكة : اسم منقول من الصفات ، يقال : امرأة عاتكة ، وهى المُعصَفَّرة لبدنها بالزعفران والطيب . وقال القتبي : عتكت القوس : إذا قَدُمَتْ وبه سميت المرأة . والقول الأول قول أبى حنيفة .

شرح قول أروى : وقول أروى : ومَعْقِل مالك وربيع فهر . تريد : بنى مالك بن النضر بن كنانة . وقولها : بذى رُبَد . تريد : سيفاً ذا طرائق . والربد : الطرائق . وقال صخر الغَىّ :

وصارم أخلصت خشيبته — أبيض مَهْو فى متنه ربد

عود إلى شرح قول عاتكة : وقول عاتكة :

تبنك فى باذخ بيته

أى : تبنك بيته فى باذخ من الشرف ، ومعنى تبنك . تأصل من البُنْك وهو : الأصل . والبنك أيضاً : ضرب من الطيب ، وهو أيضاً عود السوس .

وقوله : فأشار إليهن برأسه ، وقد أصمت بفتح الهمزة والميم ، هكذا قيده الشيخ عن أبى الوليد ، ويقال : صمت وأصمت ، وسكت وأسكت بمعنى واحد .

أقَبُّ الكشح ، أروع ذي فضول ... له المجد المقدم والسناء
أبيّ الضيم ، أبلج هِبْرِزِيّ ... قديم المجد ليس له خفاء
ومَعقل مالك ، وربيع فهر ... وفاصلها إذا التُمِس القضاء
وكان هو الفتى كرما وجوداً ... وبأسا حين تنسكب الدماء
إذا هاب الكماة الموت حتى ... كأن قلوب أكثرهم هواء
مضى قُدُما بذي رُبَد خَشيب ... عليه — حين تبصره — البهاء

إعجاب عبد المطلب بالرثاء : قال ابن إسحاق : فزعم لى محمد بن سعيد بن المسيِّب أنه أشار برأسه ، وقد أصمت : أن هكذا فابكيننى .

نسب المسيب بن حزن : قال ابن هشام : المسيِّب بن حَزْن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم .

رثاء حذيفة بن غانم لعبد المطلب : قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى يبكى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويذكر فضله ، وفضل قصى على قريش ، وفضل ولده من بعده عليهم ، وذلك أنه أخِذ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة ، فوقف بها فمر به أبو لهب عبد العُزّى بن عبد المطلب ، فافتكه :

أبو جهم بن حذيفة : وذكر شعر حذيفة بن غانم العدوى ، وهو والد أبى جَهْم بن حُذيفة ، واسم أبى جهم : عُبيد ، وهو الذى أهدى الخميصة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى علمها . الحديث . وقد روى أيضاً هذا الحديث على وجه آخر ، وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أُتى بخميصتين ، فأعطى إحداهما أبا جهم ، وأمسك الأخرى ، وفيها علم ، فلما نظر إلى علمها فى الصلاة أرسلها إلى أبى جهم ، وأخذ الأخرى بدلا منها ، هكذا رواه الزبير : وأم أبى جهم : يُسَيْرة بنت عبد الله بن أذاة بن رياح ، وابن أذاة : هو خال أبى قحافة ، وسيأتى نسب أمه ، وقد قيل : إن الشعر لحذافة بن غانم ، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافة ، وله يقول فيه : أخارجُ إن أهلك .

شرح قول حذيفة بن غانم : وفى الشعر : غير نكس ولا هذر . النِّكسُ من السهام : الذى نُكِس فى الكنانة ليميزه الرامى ، فلا يأخذه لرداءته . وقيل : الذى انكسر أعلاه ، فنكس ورُد أعلاه أسفله ، وهو غير جيد للرمى .

وقوله : لا تبور ولا تحرى . أى : لا تهلك ولا تنقص ، ويقال للأفعى : حارية لرقتها وفى الحديث : ما زال جسم أبى بكر يحرى حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى : ينقص لحمه ، حتى مات ، والإجْرِيَّاء : السيرة وهى إفعيلاء من الجرى ، وليس لها نظير فى الأبنية إلا الإهجيرا فى معنى الهِجّيرى(1) .

---

(1) الفعل السوء .

أعينىّ جودا بالدموع على الصدر ولاتسأما أُسْقِيتُما سَبَلَ القَطر
وجودا بدمع ، واسفحا كل شارق بكاء امرىء لم يُشْوِه نائب الدهر
وسُحًّا ،وجُمًّا ، واسجما ما بقيتما على ذى حياء من قريش ، وذى سِتر
على رجل جَلْدالقُوى ، ذىحفيظة جميل المحيَّا غيرِ نِكس ولا هذر
على الماجد البهلول ذى الباع واللُّهى ربيع لؤى فى القُحُوط وفى العسر
على خير حاف من معد وناعل كريم المساعى ، طيب الخِيم والنجر
وخيرهم أصلا وفرعا ومعدِنا وأحظاهم بالمُكرمات وبالذكر
وأولاهم بالمجد والحلم والنهى وبالفضل عندالمُجْحِفات من الغُبْر
على شيبة الحمد الذى كان وجهه يضىء سواد الليل كالقمر البدر
وساقى الحجيج ثم للخبز هاشم وعبد مناف ، ذلك السيد الفِهْرى
طوى زمزما عند المقام ، فأصبحت سقايته فخراً على كل ذى فخر
لِيَبْكِ عليه كل عان بكربة وآل قصى من مقل وذى وَفْر
بنوه سَراة ، كهلهم وشبابهم تفلَّق عنهم بيضة الطائر الصقر
قُصى الذى عادى كنانة كلها ورابط بيت الله فى العسر واليسر
فإن تك غالته المنايا وصرفها فقد عاش ميمون النقيبة والأمر
وأبقى رجالا سادة غير عُزَّل مصاليت ، أمثال الرُّدَيْنِيَّة السمر
أبو عتبة الملقى إلىّ حباؤه أغر ، هِجان اللون من نفر غر
وحمزة مثل البدر ، يهتز للندى نقى الثيابِ والذمام من الغدر
وعبد مناف ماجد ذو حفيظة وصول لذى القربى رحيم بذى الصهر
كهولهم خير الكهول ، ونسلهم كنسل الملوك ، لا تبور ولا تحرى
متى ما تلاقى منهم الدهر ناشئا تجده بإجْرِيَّا أوائله يجرى
هُمُ ملئوا البطحاء مجداً وعزة إذا استبق الخيرات فى سالف العصر
وفيهم بناة للعلا ، وعمارة وعبد مناف جدهم ، جابر الكسر

وفيها قوله : وليس بها إلا شيوخ بنى عمرو . يريد : بنى هاشم ؛ لأن اسمه عمرو .

وفيها : غير عُزَّل ، وهو : جمع أعزل ، ولا يجمع أفعل على فُعَّل ، ولكن جاء هكذا ؛ لأن الأعزل فى مقابلة الرامح، وقد يحملون الصفة على ضدها ، كما قالوا : عدوة ـ بتاء التأنيث ـ حملا على صديقة ، وقد يجوز أن يكون أجراه مجرى : حُسَّر جمع : حاسر ؛ لأنه قريب منه فى المعنى .

وقوله : فسرنا تهَامِى البلاد مخففا مثل يمانيا ، والأصل فى يمان : يمَنى ، فخففوا الياء ، وعوضوا منها ألفا ، والأصل فى تهام : تهامى بكسر التاء من تهامى لأنه منسوب إلى تهامة ولكنهم حذفوا إحدى الياءين ، كما فعلوا فى يمان وفتحوا التاء من تهام لما حذفوا الياء من آخره ، لتكون الفتحة فيه كالعوض من الياء ، كما كانت

بإنكاح عوف بنته ، ليجيرنا ... من اعدائنا إذ أسلمتنا بنو فهر

فسرنا تِهامِيَّ البلاد ونجدها ... بأمنه حتى خاضت العير فى البحر

وهم حضروا والناس باد فريقهم ... وليس بها إلا شيوخ بنى عمرو

بنوْها دياراً جَمَّة ، وطَوَوْا بها ... بئاراً تسح الماء من ثبج البحر

لكى يشرب الحجاج منها ، وغيرهم ... إذا ابتدروها صُبح تابعة النحر

ثلاثة أيام تظلّ ركابهم ... مُخيَّسة بين الأخاشب والحِجر

وقِدْماً غَنِينا قبل ذلك حقبة ... ولا نستقى إلا بخُمّ أو الحفر

وهم يغفرون الذنب ينقم دونه ... ويعفون عن قول السفاهة والهُجر

وهم جمعوا حلف الأحابيش كلها ... وهم نكَّلوا عنا غواة بنى بكر

فخارج ، إما أهلكن ، فلا تزل ... لهم شاكراً حتى تُغَيَّب فى القبر

ولا تنس ما أسدى ابن لبنى ؛ فإنه ... قد اسدى يداً محقوقة منك بالشكر

وأنت ابن لبنى من قصى إذا انتموا ... بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر

وأنت تناولت العلا ، فجمعتها ... إلى محتد للمجد ذى ثبج جسر

سبقت وفُتَّ القوم بذلا ونائلا ... وسدت وليداً كل ذى سؤدد غَمْر

وأمُّك سر من خزاعة جوهر ... إذا حَصَّل الأنساب يوما ذوو الخبر

إلى سبأ الأبطال تُنْمَى ، وتنتمى ... فأكرم بها منسوبة فى ذرا الزُّهر

أبو شمر منهم ، وعمرو بن مالك ... وذو جَدَن من قومها وأبو الجبر

وأسعد قاد الناس عشرين حِجة ... يؤيد فى تلك المواطن بالنصر

قال ابن هشام : « أمك سر من خزاعة » ، يعنى : أبا لهب ، أمه : لبنى بنت هاجر الخزاعى . وقوله : « بإجْرِيَّا أوائله » عن غير ابن إسحاق .

الألف فى يمان ، وكذلك الألف فى شآم بفتح الهمزة ، وألف بعدها عوضاً من الياء المحذوفة ، فإن شددت الياء من شآم قلت : شامِىّ بسكون الهمزة ، وتذهب الألف التى كانت عوضا من الياء لرجوع الياء المحذوفة ، ولا تقول فى غير النسبَ : شَآم بالفتح والهمز ، ولا فى النسب إذا شددت الياء شَآمىّ . وسألت الأستاذ أبا القاسم بن الرماك ـ وكان إماماً فى صنعة العربية عن البيت الذى أملاه أبو على فى النوادر ، وهو قوله :

فما اعتاض المفَارِقُ من حبيب ... ولو يُعطى الشآم مع العراق

فقال : محدث ، ولم يره حجة . وكذلك وجدت فى شعر حبيب : الشآم بالفتح كما فى هذا البيت . وليس بحجة أيضا .

وقوله : ... بأمنه حتى خاضت العير فى البحر

حذف الياء من هاء الكناية ضرورة ، كما أنشد سيبويه :

سأجعل عينيه لنفسه مقنعاً

قال ابن إسحاق: فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى زمزم والسقاية عليهما بعده العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ من أحدث إخوته سنا، فلم تزل إليه، حتى قام الإسلام وهى بيده. فأقرها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ له على ما مضى من ولايته، فهى إلى آل العباس، بولاية العباس إياها، إلى اليوم.

كفالة أبى طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد عبد المطلب مع عمه أبى طالب، وكان عبد المطلب ـ فيما يزعمون ـ يوصى به عمه أبا طالب، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأبا طالب أخوان لأب وأم. أمهما: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم.

قال ابن هاشم: عائذ بن عمران بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد جده، فكان إليه ومعه.

اللهبى العائف: قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، أن أباه حدثه: أن رجلا من لِهْب ـ قال ابن هشام: ولهب: من أزد شنوءة ـ كان عائفاً، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم، ويعتاف لهم فيهم. قال. فأتى به أبو طالب، وهو غلام مع من يأتيه، فنظر إلى رسول ـ الله صلى الله عليه وسلم ـ ثم شغله عنه شىء، فلما فرغ قال: الغلام. علىّ به، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه، فجعل يقول: ويلكم! ردوا على الغلام الذى رأيت آنفاً، فوالله ليكونن له شأن. قال: فانطلق أبو طالب.

لو بأبانين جاء خاطبها ضُرِّج ما أنف خاطب بدم

وقوله: حتى تغيب الشمس بالرجاف

يعنى: البحر. لأنه يرجف. ومن أسمائه أيضاً: خُضَارَة، والدأماء وأبو خالد.

وقوله: عقد ذات نطاف. النطف: اللؤلؤ الصافى. ووصيفة منطفة أى: مقرطة بتوأمتين والنطف فى غير هذا: التلطخ بالعيب، وكلاهما من أصل واحد، وإن كانا فى الظاهر متضادين فى المعنى؛ لأن النطفة هى الماء القليل، وقد يكون الكثير، وكأن اللؤلؤ الصافى أخذ من صفاء النطفة. والنطف الذى هو العيب: أخذ من نطفة الإنسان، وهى ماؤه، أى: كأنه لطخ بها.

وقوله: والفيض مطلب أبى الأضياف. يريد: أنه كان لأضيافه كالأب. والعرب تقول لكل جواد: أبو الأضياف. كما قال مرة بن محكان:

أدعى أباهم، ولم أقرف بأمهم وقد عَمِرْتُ ولم أعرف لهم نسبا

اللهبى العائف. وذكر خبر اللهبى العائف. قال ابن هشام: ولِهْب: حى من الأزْد: وقال غيره: وهو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. وهى القبيلة التى تعرف بالعيافة والزجر. ومنهم اللهبى الذى زجر حين وقعت الحصاة بصلعة عمر رضى الله عنه ـ فأدمته، وذلك فى الحج، فقال: أُشعر أمير المؤمنين، والله لا يَحُجُّ بعد هذا العام، فكان كذلك واللهب: شق فى الجبل وبنو ثمالة

قصة بحــــيرى

محمد (ص) يخرج مع عمه إلى الشام: قال ابن إسحاق: ثم إن أبا طالب خرج فى ركب تاجراً إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع المسير صَبَّ به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يزعمون ـ فرقّ له، وقال: والله لأخرجن به معى، ولا يفارقنى، ولا أفارقه أبداً، أو كما قال. فخرج به معه.

بحيري يحتفى بتجار قريش: فلما نزل الركب بُصْرَى من أرض الشام، وبها راهب يقال له. بَحِيرَى فى صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها ـ فيما يزعمون ـ يتوارثونه كابراً عن كابر. فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك، فلا يكلمهم، ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك ـ فيما يزعمون ـ عن شىء رآه وهو فى صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى صومعته فى الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم. قال: ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم، فقال: إنى قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحركم، فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم! ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟! قال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم، وأصنع لكم طعاما، فتأكلوا منه كلكم. فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بين القوم، لحداثة سنه، فى رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده، فقال: يامعشر قريش! لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى، قالوا له: يا بحيرى، ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنا، فتخلف فى رحالهم، فقال: لا تفعلوا، ادعوه، فليحضر هذا الطعام معكم. قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى، إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه، وأجلسه مع القوم.

رهط المبرد الثمالى: هم بنو أسلم بن أحجن بن كعب. وثمالة: أمهم. وكانت العيافة والزجر فى لِهْب. قال الشاعر:

سألت أخا لهب ليزجر زجرة ‏ ‏ ‏ وقد رُدَّ زجر العالمين إلى لهب

وقوله: ليعتاف لهم: وهو يفتعل من العيف. يقال: عِفْتُ الطير. واعْتَفْتُها عيافة واعتيافاً: وعفت الطعام أعافه عَيْفاً. وعافت الطير الماء عيافاً.

قصة بحيرى: فى قصة بحيرى وسفر أبى طالب بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقع فى سير الزهرى أن بحيرَى كان حبراً من يهود تيماء، وفى المسعودى: أنه كان من عبد القيس، واسمه: سَرجِس، وفى المعارف لابن قتيبة، قال: سُمِع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف: ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة: بحيرى، ورباب بن

بحيرى يتثبت من محمد (ص): فلما رآه بحيرى، جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده؛ وقد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى، فقال: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرى ذلك، لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: لا تسألنى باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه، فقال له: سلنى عما بدالك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده.

قال ابن هشام: وكان مثل أثر المحجم.

بحيرى يوصى أبا طالب بمحمد (ص): قال ابن إسحاق: فلما فرغ، أقبل على عمه أبى طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى. قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخى، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده.

البراء الشَّنِّىّ، والثالث: المنتظر، فكان الثالث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال القتبى: وكان قبر رباب الشنى، وقبر ولده من بعده، لا يزال يُرى عليها طَشٌّ، والطش: المطر الضعيف.

صب أم ضبث: وقال فيه: فصب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعمه. الصبابة: رقة الشوق، يقال: صَبِبْتُ — بكسر الباء — أَصَبُّ، ويذكر عن بعض السلف أنه قرأ: «أَصَبُّ إليهن وأكن من الجاهلين»، وفى غير رواية أبى بحر: ضبث به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أى: لزمه قال الشاعر:

كأن فؤادى فى يد ضَبَثَتْ به ... مُحاذِرة أن يَقضِب الحبل قاضبه

عمر محمد (ص) وقت حدوث هذه القصة: فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ ذاك ابن تسع سنين فيما ذكر بعض من ألف فى السير، وقال الطبرى: ابن ثلتى عشرة سنة.

خاتم النبوة: وذكر فيه خاتم النبوة وقول ابن هشام: كان كأثر المحجم، يعنى: أثر المحجمة القابضة على اللحم، حتى يكون ناتئاً. وفى الخبر أنه كان حوله خِيلانٌ فيها شعرات سود. وفى صفته أيضا أنه كان كالتفاحة، وكزر الحجلة. وفسره الترمذى تفسيرا وهِـم فيه فقال: زر الحجلة يقال: إنه بيض له فتوهم الحجلة من القبج وإنما هى حجلة السرير، وواحدة: الحجال، وزرها الذى يدخل فى عروتها. قال على ـ رضوان الله عليه ـ لأهل العراق: يا أشباه الرجال، ولا رجال، ويا طَغَام الأحلام، ويا عقول ربات الحجال. وفى حديث آخر: كان كبيضة الحمامة، وفى حديث عَبَّاذ بن عبد عمرو، قال: رأيت خاتم النبوة، وكان كركبة العنز. ذكره النمرى مسنداً فى كتاب الاستيعاب، فهذه خمس روايات فى صفة الخاتم: كالتفاحة وكبيضة الحمامة، وكزر الحجلة، وكأثر

بعضهم من أهل الكتاب يريدون به الشر: فخرج به عمه أبو طالب سريعا ، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس : أن زُرَيْراً وتَمَّاما ودَرِيسا — وهم نفر من أهل الكتاب — قد كانوا رأوا من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مثل ما رآه بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب ، فأرادوه ، فردهم عنه بحيرى ، وذكرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه .

محمد (ص) يشب على مكارم الأخلاق : فشب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والله تعالى يكلؤه ، ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال ، تنزها وتكرما ، حتى ما اسمه فى قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

المحجم وكركبة العنز ورواية سادسة : وهى رواية عبد الله بن سَرْجِس : قال : رأيت خاتم النبوة كالجُمْع يعنى : كالمحجمة ، لا كجُمْع الكف(1) ، ومعناه كمعنى الأول أى كأثر الجمع . وقد قيل فى الجمع : إنه جمع الكف . قاله القتبى . والله أعلم .

ورواية سابعة عن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — وقد سئل عن خاتم النبوة : فقال : بضعة ناشزة هكذا : ووضع طرف السبابة فى مفصل الإبهام ، أو دون المفصل ، ذكرها يونس عن ابن إسحاق ، وفى صفته أيضا رواية ثامنة ، وهى رواية من شبهه بالسلعة ، وذلك لنُتُوِّه ، وقد تقدم حديث ، فيه عن أبى ذر — رضى الله عنه — مرفوعاً بيان وضع الخاتم بين كتفيه متى كان .

الترمذى يروى قصة محمد (ص) مع بحيرى : وروى الترمذى فى مصنفه ، قال : حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادى ، حدثنا عبد الرحمن بن غَزْوَان أبو نوح ، أخبرنا يونس ، عن أبى إسحاق ، عن أبى بكر بن أبى موسى ، عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبى — صلى الله عليه وسلم — فى أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا ، فحلوا رحالهم : فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرون به ، فلا يخرج إليهم ، ولا يلتفت ؛ فجعل يتخللهم الراهب وهم يحلون رحالهم ، حتى جاء فأخذ بيد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : ما عَلَّمَك ؟ . فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ، ولا شجر إلا خر ساجداً ، ولا يسجدان إلا لنبى ، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه . ويقال : غرضوف مثل التفاحة . ثم رجع : فصنع لهم طعاما ، فلما أتاهم به — وكان هو فى رِعية الإبل — قال : أرسلوا إليه . فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فىء الشجرة ، فلما جلس مال فىء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فىء الشجرة مال عليه ، قال : فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إن رأوه

---

(1) صورة الكف بعد جمع الأصابع وضمها .

رسول الله (ص) يحدث عن حفظ الله له : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذُكر لى - يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته ، أنه قال :

لقد رأيتنى فى غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قد تعرى ، وأخذ إزاره ، فجعله على رقبته ، يحمل عليه الحجارة ، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر ، إذ لكمنى لاكم ما أراه ، لكمة وجيعة ، ثم قال : شد عليك إزارك . قال : فأخذته وشددته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى علىّ من بين أصحابى .

عرفوه بالصفة ، فيقتلونه ، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم فقالوا : جئنا أن هذا النبي خارج فى هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس ، وإنا قد اخترنا خيرة بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خلفكم أحد هو خير منكم ، فقالوا : إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا ، قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه : هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا : لا ، قال فبايعوه وأقاموا معه : قال : أنشدكم بالله أيكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب ، وبعث معه أبو بكر بلالا - رضى الله عنهما[1] - وزوده الراهب من الكعك والزيت ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . ومما قاله أبو طالب فى هذه القصة :

ألم ترنى من بعدهم همَمْتُه ... بفُرْقَة حُرٍّ الوالدين كرام
بأحمد لما أن شَدَدْتُ مطيتى ... لترحل إذ ودعته بسلام
بكى حزناً والعيس قد فصلت بنا ... وأمسكت بالكفين فضل زِمام
ذكرت أباه ، ثم رقرقت عَبرة ... تجود من العينين ذات سِجام
فقلت : تروح راشدا فى عمومة ... مواسين فى البأساء غير لئام
فرحنا مع العير التى راح أهلها ... شآمى الهوى ، والأصل غير شآمى
فلما هبطنا أرض بُصْرى تشرفوا ... لنا فوق دور ينظرون جِسام
فجاء بحيرى عند ذلك حاشداً ... لنا بشراب طيب وطعام
فقال : اجمعوا أصحابكم لطعامنا ... فقلنا : جمعنا القوم غير غلام

ذكره ابن إسحاق فى رواية يونس عنه ، وذكر باقى الشعر .

حفظ الله رسوله (ص) فى الصغر : وذكر ما كان الله سبحانه وتعالى يحفظه به : أنه كان صغيراً يلعب مع الغلمان ، فتعرى فلكمه لاكم . الحديث . وهذه القصة إنما وردت فى الحديث الصحيح فى حين بنيان الكعبة ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينقل الحجارة مع قومه إليها ، وكانوا يجعلون أزرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحملها على عاتقه ، وإزاره مشدود عليه ، فقال له العباس رضى الله عنه : يابن أخى ! لو جعلت إزارك على عاتقك ، ففعل فسقط مغشياً عليه ، ثم قال : إزارى إزارى ! فشد عليه إزاره ، وقام يحمل الحجارة ، وفى حديث آخر : أنه لما سقط ، ضمه العباس إلى نفسه ،

---

(١) حديث ضعيف فقد كان أبو بكر صغيرا لم يتجاوز التاسعة ولم يكن قد اشترى بعد بلالا رضى الله عنهما .

حرب الفجار

قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أربع عشرة سنة، أو خمس عشرة سنة — فيما حدثنى أبو عُبيدة النحوى، عن أبى عمرو بن العلاء — هاجت حرب الفجار بين قريش، ومن معها من كنانة، وبين قيس عَيْلان.

سببها: وكان الذى هاجها أن عُروة الرَّحَّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن هوازن، أجار لَطِيمة للنعمان بن المنذر، فقال له البرّاض بن قيس، أحد بنى ضَمْرة بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة: أتجيرها على كنانة؟ قال: نعم، وعلى الخلق، فخرج فيها عروة الرحال، وخرج البراض يطلب غفلته، حتى إذا كان بتَيْمَنَ ذى طَلالٍ بالعالية، غفل عروة، فوثب عليه البراض، فقتله فى الشهر الحرام، فلذلك سمى: الفِجَار. وقال البراض فى ذلك:

وسأله عن شأنه، فأخبره أنه نُودى من السماء: أن اشدد عليك إزارك يا محمد. قال: وإنه لأول ما نودى. وحديث ابن إسحاق، إن صح أنه كان ذلك فى صغره، إذ كان يلعب مع الغلمان: فحمله على أن هذا الأمر كان مرتين: مرة فى حال صغره، ومرة فى أول اكتهاله عند بنيان الكعبة.

قصة الفجار

سبب هذه التسمية: والفِجار بكسر الفاء بمعنى: المُفَاجَرة كالقتال والمقاتلة، وذلك أنه كان قتالا فى الشهر الحرام، ففجروا فيه جميعاً، فسمى: الفجار.

فجارات العرب: وكانت للعرب فجارات أربع، ذكرها المسعودى، آخرها: فجار البراض المذكور فى السيرة وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة: يوم شَمْطة، ويوم العبلاء، وهما عند عكاظ، ويوم الشَّرِب، وهو أعظمها يوما، وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كى لا يفروا، فسموا: العنابس، ويوم الحريرة عند نخلة، ويوم الشرب انهزمت قيس إلا بنى نضر منهم، فإنهم ثبتوا، وإنما لم يقاتل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مع أعمامه، وكان ينبل عليهم، وقد كان بلغ سن القتال؛ لأنها كانت حرب فجار، وكانوا أيضاً كلهم كفاراً، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هى العليا.

معنى اللطيمة: واللطيمة. عير تحمل البز والعطر.

ذو طلال: وقوله: بذى طلاّل بتشديد اللام، وإنما خففه لبيد فى الشعر الذى ذكره ابن إسحاق ها هنا للضرورة.

منع طلال من الصرف: وقول البراض: رفعت له بذى طَلالَ كفى فلم يصرفه، يجوز أن يكون جعله اسم بقعة، فترك إجراء الاسم للتأنيث والتعريف، فإن قلت: كان يجب أن يقول: بذات طلال، أى: ذات هذا الاسم للمؤنث، كما قالوا: ذو عمرو أى: صاحب هذا الاسم، ولو كانت أنثى، لقالوا: ذات هند (مثلا)، فالجواب:

وداهية تهم الناس قبلى ... شددتُ لها - بنى بكر - ضلوعى
هدمت بها بيوت بنى كلاب ... وأرضعت الموالىَ بالضروع
رفعت له بذى طَلاَّلَ كفِّى ... فخر يميد كالجذع الصريع

وقال لبيد بن مالك بن جعفر بن كلاب :

أبلغ - إن عرضت - بنى كلاب ... وعامر والخطوب لها موالى
وبلغ - إن عرضت - بنى نمير ... وأخوال القتيل بنى هلال
بأن الوافد الرّحّال أمسى ... مقيما عند تَيْمَنَ ذى طلاَّل

وهذه الأبيات فى أبيات له فيما ذكر ابن هشام .

قتال هوازن لقريش : قال ابن هشام : فأتى آت قريشا ، فقال : إن البراض قد قتل عروة ، وهم فى الشهر الحرام بعكاظ ، وهوازن لاتشعر ، ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن ، ثم التقوا بعدهذا اليوم أياما ، والقوم متساندون ، على كل قَبِيل من قريش وكنانة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

الرسول صلى الله عليه وسلم يشهد القتال وهو صغير : وشهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعض أيامهم ، أخرجه أعمامه معهم ، وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : كنت أُنَبِّل على أعمامى ، أى : أرد عنهم نَبْل عدوهم ، إذا رمَوهم بها .

سن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى هذه الحرب : قال ابن إسحاق : هاجت حرب الفِجَار ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن عشرين سنة .

أن قوله : بذى يجوز أن يكون وصفا لطريق ، أو جانب مضاف إلى طلال اسم البقعة . وأحسن من هذا كله أن يكون طلال اسماً مذكراً علماً ، والاسم العلم يجوز ترك صرفه فى الشعر كثيراً ، وسيأتى فى هذا الكتاب من الشواهد عليه ما يدلك على كثرته فى الكلام ، ونؤخر القول فى كشف هذه المسألة وإيضاحها إلى أن تأتى تلك الشواهد - إن شاء الله .

ووقع فى شعر البراض مشدداً ، وفى شعر لبيد الذى بعد هذا مخففاً ؛ وقلنا : إن لبيداً خففه للضرورة ، ولم يقل : إنه شدد للضرورة ، وإن الأصل فيه التخفيف ، لأنه فَعَّال من الطَلّ ، كأنه موضع يكثر فيه الطل ، فطلال بالتخفيف لا معنى له ، وأيضاً ، فإنا وجدناه فى الكلام المنثور مشدداً ، وكذلك تقيد فى كلام ابن إسحاق هذا فى أصل الشيخ أبى بحر .

شرح شعر البراض : وقوله فى البيت الثانى : وألحقت[1] الموالى بالضروع . جمع ضرع ، هو فى معنى قولهم: لئيم راضع ، أى : ألحقت الموالى بمنزلتهم من اللؤم ورَضاع الضُّروع ، وأظهرت فَسَالتهم[2] وهتكت بيوت أشراف بنى كلاب وصرحائهم .

---

(١) فى السيرة : أرضعت بدل ألحقت . (٢) فسالتهم : رذالتهم .

سبب تسمية هذا اليوم بالفجار : وإنما سمى يوم الفجار ، بما استحل هذان الحيان : كنانة وقيس عيلان فيه من المحارم بينهم .

قائد قريش وكنانة : وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس ، وكان الظفر فى أول النهار لقيس على كنانة ، حتى إذا كان فى وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس .

قال ابن هشام : وحديث الفجار أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه قَطْعُه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

سنه - صلى الله عليه وسلم - حين زواجه : قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمساً وعشرين سنة ، تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم عن أبى عمرو المدنى .

شرح شعر لبيد : وقول لبيد : بين تَيْمِن ذى طلال ، بكسر الميم وبفتحها ، ولم يصرفه لوزن الفعل ، والتعريف لأنه تَفْعِل ، أو تَفْعَل من اليُمْن أو اليَمِين .

نتيجة حرب الفجار : وكان آخر أمر الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للوعد ، وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة ، وكان عتبة بن ربيعة يتيما فى حجره ، فضَنَّ به حرب ، وأشفق من خروجه معه ، فخرج عتبة بغير إذنه ، فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين الصفين ينادى : يا معشر مضر ، علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ فقال : الصلح ، على أن ندفع إليكم دية قتلاكم ، ونعفو عن دمائنا ، قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع إليكم رهناً منا ، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال : أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فرضوا ورضيت كنانة . ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلا ، فيهم : حكيم بن حزام ، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم ، عَفَوْا من الدماء ، وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار ، وكان يقال: لم يَسُدْ من قريش مُمْلِق إلا عتبة وأبو طالب ، فإنهما سادا بغير مال .

فصل فى تزويجه عليه السلام خديجة رضى الله عنها

شرح قول الراهب : ذكر فيه قول الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى . يريد : ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبى ، ولم يرد : ما نزل تحتها قط إلا نبى ؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك ، وإن كان فى لفظ الخبر : قط ؛ فقد تكلم بها على جهة التوكيد للنفى ، والشجرة لا تعمر فى العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى ، أو غيره من الأنبياء - عليهم السلام - ويبعد فى العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد ،

خروجه (ص) إلى التجارة بمال خديجة : قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها ، وتضاربهم إياه ، بشىء تجعله لهم ، وكانت قريش قوماً تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما بلغها : من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له : ميسرة ، فقبله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — منها ، وخرج فى مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قدم الشام .

حديثه (ص) مع بحيرى : فنزل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة ، فقال له : من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى .

ثم باع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سلعته التى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشترى ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ، ومعه ميسرة ، فكان ميسرة ـ فيما يزعمون ـ إذا كانت الهاجرة ، واشتد الحر ، يرى ملكين يظلانه من الشمس ـ وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريبا . وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه .

حتى يجىء نبى ، إلا أن تصح رواية من قال فى هذا الحديث : لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ وهى رواية عن غير ابن إسحاق ، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم . وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نسطورا وليس هو بحيرا المتقدم ذكره .

معنى السطة والوسط : وقول خديجة ـ رضى الله عنها : لسِطَتِك فى عشيرتك ، وقوله فى وصفها : هى أوسط قريش نسبا . فالسِّطَةُ : من الوسط ، مصدر كالعِدة والزِّنة ، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل ، ولكن فى مقامين : فى ذكر النسب ، وفى ذكر الشهادة . أما النسب ؛ فلأن أوسط القبيلة أعرفها ، وأولاها بالصميم وأبعدها عن الأطراف والوسيط ، وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوة ؛ لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب ، فكان الوسط من أجل هذا مدحاً فى النسب بهذا السبب . وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه : « قال أوسطهم » ، وقوله : « وكذلك جعلناكم أُمَّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » فكان هذا مدحا فى الشهادة ؛ لأنها غاية العدالة فى الشاهد أن يكون وسطا كالميزان ، لا يميل مع أحد ، بل يصمم على الحق تصميما ، لا يجذبه هوى ، ولا يميل به رغبة ، ولا رهبة ، من هاهنا ، ولا من هاهنا ، فكان وصفه بالوسط غاية فى التزكية والتعديل . وظن كثير من الناس أن معنى الأوسط : الأفضل على الإطلاق ، وقالوا : معنى الصلاة الوسطى : الفُضْلى ، وليس كذلك ، بل هو فى جميع الأوصاف لا مدح ولا ذم ، كما يقتضى لفظ التوسط ، فإذا كان وسطاً فى السِّمَن ، فهى بين المُمِخَّة [1] والعجفاء ، والوسط فى الجمال بين الحسناء والشَّوهاء ، إلى غير ذلك من الأوصاف ، لا يعطى مدحاً ، ولا ذما ، غير أنهم قد قالوا فى المثل : أثقل من مُغَنٍّ وسط ـ على الذم ؛ لأن

---

(١) الممخة : السمينة .

خديجة ترغب فى الزواج منه (ص) : وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت له فيما يزعمون : يا ابن عمِّ ، إنى قد رغبت فيك لقرابتك ، وَسِطَتِك فى قومك وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالا ، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه .

نسب خديجة رضى الله عنها : وهى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وأمها : فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رَوَاحة بن حَجَر بن عبد بن مَعيص ابن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم فاطمة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو ابن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم هالة : قِلابة بنت سُعَيد بن سعد بن سهم بن عمرو ابن هُصَيْص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

الرسول (ص) يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه : فلما قالت ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب ـ رحمه الله ـ حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه ، فتزوجها .

المغنى إن كان مجيدا جدا أمتع وأطرب ، وإن كان باردا جداً أضحك وألهى ، وذلك أيضاً مما يُمْتِع . قال الجاحظ : وإنما الكرب الذى يَجْثُمُ على القلوب ، ويأخذ بالأنفاس، الغناء الفاتر الوسط الذى لا يمتع بحسن ، ولا يضحك بلهو ، وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو : أوسط الناس . أى : أفضلهم ، ولا يوصف بأنه وسط فى العلم ، ولا فى الجود ، ولا فى غير ذلك إلا فى النسب والشهادة ، كما تقدم ، والحمد لله ، والله المحمود .

ولى خديجة فى الزواج : وذكر مشى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى خويلد بن أسد مع عمه حمزة ـ رضى الله عنه ـ وذكر غير ابن إسحاق أن خويلداً كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة ـ رضى الله عنها ـ هو عمها عمرو بن أسد ، قاله المبرد وطائفة معه .

خطبة النكاح : وقال أيضاً : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان مما قاله فى تلك الخطبة : « أما بعد : فإن محمدا ممن لا يُوازَن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونُبْلا وفضلا وعقلا ، وإن كان فى المال قُلٌّ ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مُسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، فقال عمرو : هو الفحل الذى لا يُقدع أنفه ، فأنكحها منه ، ويقال : قاله ورقة بن نوفل ، والذى قاله المبرد هو الصحيح ؛ لما رواه الطبرى عن جبير بن مطعم ، وعن ابن عباس ، وعن عائشة ـ رضى الله عنهم كلهم ـ قال : إن عمرو بن أسد هو الذى أنكح خديجة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن خويلداً كان قد هلك قبل الفجار ، وخويلد بن أسد هو الذى نازع تُبَّعا الآخر حين حج ، وأراد أن يحتمل الركن الأسود معه إلى اليمن ، فقام فى ذلك خويلد ، وقام معه جماعة ، ثم إن تبعا رُوِّع فى منامه ترويعا شديداً حتى ترك ذلك ، وانصرف عنه والله أعلم .

صداق خديجة : قال ابن هشام : وأصدقها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشرين بكْرة ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت ، رضى الله عنها .

أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة : قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم : القاسم ، وبه كان يُكنى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر ، والطيب ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام .

ترتيب ولادتهم : قال ابن هشام : أكبر بنيه : القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته : رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال ابن إسحاق : فأما القاسم ، والطيب ، والطاهر فهلكوا فى الجاهلية .

وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام ، فأسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .

قصة النكاح : وذكر الزهرى فى سيره ، وهى أول سيرة ألفت فى الإسلام ، كذا روى عن الدراوردى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لشريكه الذى كان يتجر معه فى مال خديجة : هلم فلنتحدث عند خديجة ، وكانت تكرمهما وتتحفهما ، فلما قاما من عندها جاءت امرأة مستنشئة — وهى الكاهنة — كذا قال الخطابى فى شرح هذا الحديث ، فقالت له : جئت خاطبا يا محمد ؟ فقال : كلا ، فقالت : ولم ؟ ! فوالله ما فى قريش امرأة — وإن كانت خديجة — إلا تراك كفئا لها ، فرجع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خاطبا لخديجة مستحييا منها ، وكان خويلد أبوها سكران من الخمر ، فلما كُلِّم فى ذلك أنكحها ، فألقت عليه خديجة حلة وضمخته بخلوق فلما صحا من سكره قال : ما هذه الحلة والطيب ؟ فقيل : إنك أنكحت محمدا خديجة ، وقد ابتنى بها ، فأنكر ذلك ، ثم رضيه وأمضاه ، ففى هذا الحديث أن أباها كان حيا ، وأنه الذى أنكحها . كما قال ابن إسحاق. وقال راجز من أهل مكة فى ذلك :

لا تزهدى خديج فى محمد نجم يضىء كإضاء الفرقد

رأى آخر فيمن تولى عقد نكاح خديجة : وقيل : إن عمرو بن خويلد أخاها هو الذى أنكحها منه ، ذكره ابن إسحاق فى آخر الكتاب .

أولاده (ص) من خديجة : وذكر ولده منها — صلى الله عليه وسلم — فذكر البنات ، وذكر القاسم والطاهر والطيب ، وذكر أن البنين هلكوا فى الجاهلية ، وقال الزبير — وهو أعلم بهذا الشأن — ولدت له القاسم وعبد الله ، وهو الطاهر ، وهو الطيب ، سُمِّى بالطاهر والطيب ؛ لأنه ولد بعد النبوة ، واسمه الذى سمى به أوَّلُ هو : عبد الله ، وبلغ القاسم المشى ، غير أن رضاعته لم تكن كملت . ووقع فى مسند الفِريابى أن خديجة دخل عليها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد موت القاسم ، وهى تبكى : فقالت : يا رسول الله دَرَّت لُبَيْنَة القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعة لهوَّن علىَّ ، فقال : إن له مرضعا فى الجنة تستكمل رضاعته ، فقالت : لو أعلم ذلك لهون علىّ ، فقال : إن شئت أسمعتك صوته فى الجنة ، فقالت : بل أصدق الله ورسوله .

. . . .

قولها : لُبَيْنة هي تصغير لبَنَة ، وهي قطعة من اللبن ، كالعُسَيْلة ، تصغير عَسَلة ذكر سيبويه اللبنة والعسلة والشَّهْدة على هذا المعنى .

قال المؤلف : وهذا من فقهها — رضى الله عنها — كرهت أن تؤمن بهذا الأمر معاينة ، فلا يكون لها أجر التصديق والإيمان بالغيب ، وإنما أثنى الله تعالى على الذين يؤمنون بالغيب . وهذا الحديث يدل أيضاً على أن القاسم لم يهلك في الجاهلية .

واختلفوا في الصغرى والكبرى من البنات ، غير أن أم كلثوم لم تكن الكبرى من البنات ، ولا فاطمة ، والأصح في فاطمة أنها أصغر من أم كلثوم .

أسماء خديجة وتأكدها من الرسالة : وخديجة بنت خويلد تسمى : الطاهرة في الجاهلية والإسلام ، وفي سير التيمي : أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - حين أخبرها عن جبريل ، ولم تكن سمعت باسمه قط ، ركبت إلى بحيرى الراهب ، واسمه سرجس فيما ذكر المسعودى ، فسألته عن جبريل ، فقال : قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش أنَّى لك بهذا الاسم ؟ ! فقالت : بعلى وابن عمى محمد أخبرنى أنه يأتيه ، فقال : قدوس قدوس ما علم به إلا نبي مقرب ، فإنه السفير بين الله وبين أنبيائه ، وإن الشيطان لا يجترىء أن يتمثل به ، ولا أن يتسمى باسمه ، وكان بمكة غلام لعتبة بن ربيعة سيأتى ذكره ، اسمه : عدَّاس عنده علم من الكتاب ، فأرسلت إليه تسأله عن جبريل ، فقال : قدوس قدوس . أنَّى لهذه البلاد أن يذكر فيها جبريل يا سيدة نساء قريش ، فأخبرته بما يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال عداس مثل ما قاله الراهب ، فكان مما زادها الله تعالى به إيماناً ويقينا .

أمهات خديجة : وذكر ابن إسحاق نسب أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم ، ولم يذكر اسم الأصم ، وذكره الزبير وغيره ، فقال : جندب بن هِدْم بن حجر ، بفتح الحاء والجيم من حجر ، كذا قيده الدارقطني ، وأخوه : حُجير بن عبد بن معيص بن عامر ، وأما حَجْر بسكون الجيم ففي حي ذى رُعَيْن وإليه ينسب الحجْريُّون ، وأما حِجر بكسر الحاء ، ففي بنى الديان : عبد الحِجْر بن عبد الدَّدَانِ ، وهم من بنى الحارث بن كعب بن مَذْحِج . وذكر يونس عن ابن إسحاق نسب أم خديجة ، كما ذكر في رواية ابن هشام ، وزاد فقال : كانت أم فاطمة بنت زائدة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عبد بن مُنْقِذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى . وأمها قِلابة ، وهى العرقة بنت سُعَيْد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى . وأمها : أميمة بنت عامر بن الحارث بن فهر .

أزواج خديجة قبل الرسول وأولادها : وكانت خديجة قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند أبى هالة ، وهو هند بن زرارة ، وقد قيل في اسمه : زرارة ، وهند : ابنه ، ابن النباش من بنى عدى بن جروة ابن أُسَيْد بن عمرو بن تميم ، فهو أسَيْدي بالتخفيف ، منسوب إلى أُسَيِّد بالتشديد ، كذا قال سيبويه في النسب إلى أُسَيِّد . وعدى بن جروة ، يقال إن الزبير صحفه ، وإنما هو عِدَى بن جروة ، وكانت قبل أبى

إبراهيم وأمه : قال ابن هشام : وأما إبراهيم فأمه : مارية القبطية . حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة ، قال : أم إبراهيم : مارية سرية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي أهداها إليه المقوقس من حَفْن من كُورَة أنصِنَا .

ورقة يتنبأ له (ص) بالنبوة : قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل

هالة عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ولدت له عبد مناف بن عتيق ، كذا قال ابن أبي خيثمة ، وقال الزبير : ولدت لعتيق جارية اسمها : هند ، وولدت لهند أبي هالة : ابنا اسمه : هند أيضاً ، مات بالطاعون : طاعون البصرة ، وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين ألفا ، فشغل الناس بجنائزهم عن جنازته ، فلم يوجد من يحملها ، فصاحت نادبته : واهند بن هنداه !!واربيب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم تبق جنازة إلا تُركت ، واحْتُمِلَت جنازته على أطراف الأصابع إعظاما لربيب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكره الدَّوْلابي ، ولخديجة من أبي هالة ابنان غير هذا ، اسم أحدهما : الطاهر ، واسم الآخر : هالة .

الاختلاف في سنه (ص) حين زواجه : واختلف في سنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين تزوج خديجة فقيل ما قاله ابن إسحاق ، وقيل : كان ابن ثلاثين سنة ، وقيل ابن إحدى وعشرين سنة .

مارية وإبراهيم وهدايا المقوقس : وذكر أن خديجة ـ رضي الله عنها ـ ولدت للنبي صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم ، فإنه من مارية التي أهداها إليه المقوقس ، وقد تقدم اسم المقوقس ، وأنه جريج بن مينا ، وذكرنا معنى المقوقس في أول الكتاب ، وذكرنا أنه أهدى مارية مع حاطب بن أبي بلتعة ، ومع جبر مولى أبي رُهْم الغفاري ، واسم أبي رهم : كلثوم بن الحصين . وذلك حين أرسلهما إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعوه إلى الإسلام ، وأهدى معها أختها سيرين ، وهي التي وهبها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ فأولدها عبد الرحمن بن حسان ، وأهدى معها المقوقس أيضاً غلاما خصيا اسمه : مأبور ، وبغلة تسمى : دُلدُل ، وقدحاً من قوارير كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشرب فيه ، وتوفيت مارية ـ رضي الله عنها ـ سنة ست عشرة في خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ وكان عمر هو الذي يحشر الناس إلى جنازتها بنفسه ، وهي مارية بنت شمعون القبطية من كورة حفن .

قابلة إبراهيم ومرضعته وتاريخ وفاته : وأما إبراهيم ابن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمات ، وهو ابن ثمانية عشر شهرا في سنة عشر من الهجرة في اليوم الذي كُسفت فيه الشمس ، وكانت قابلته ، سلمى امرأة أبي رافع ، وأرضعته أم بُرْدة بنت المنذر النجارية امرأة البراء بن أوس ، وسلمى : هي مولاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقابلة بني فاطمة كلهم ، وهي غسلتها مع أسماء بنت عُمَيْس الخثعمية ، وغسلها معهما علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وفي المسند من طريق أنس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين ولدت له مارية ابنه إبراهيم وقع في نفسه منه شيء ، حتى نزل جبريل عليه السلام ، فقال له : السلام عليك يا أبا إبراهيم .

ورقة بن نوفل : وذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وأم ورقة : هند بنت أبي كبير بن عبد ابن قصي ، ولا عقب له ، وهو أحد من آمن بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل البعث .

ابن أسد بن عبد العزى — وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تتبّع الكتب ، وعلم من علم الناس — ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظلاّنه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُنتَظر ، هذا زمانه ، أو كما قال :

فجعل ورقة يستبطىء الأمر ويقول : حتى متى ؟ فقال ورقة فى ذلك :

شعر لورقة : لَجِجتُ وكنت فى الذكرى لجوجا — لِهَمٍّ طالما بعث النشيجـــا

حديث الرسول (ص) فى ورقة : وروى الترمذى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « رأيته فى المنام ، وعليه ثياب بيض ، ولو كان من أهل النار ، لم تكن عليه ثياب بيض وهو حديث فى إسناده ضعف ، لأنه يدور على عثمان بن عبد الرحمن ، ولكن يقويه ما يأتى بعد هذا من قوله عليه السلام : « رأيت القَسّ يعنى : ورقة وعليه ثياب حرير ، لأنه أول من آمن بى : وصدقنى ، وسيأتى بقية من خبره فيما بعد — إن شاء الله —

وقد ألفيت للحديث الذى خرجه الترمذى فى ورقة إسنادا جيدا غير الذى ذكره الترمذى ، وهو ما رواه الزبير بن أبى بكر عن عبد الله بن معاذ الصنعانى عن مَعْمَر عن الزهرى عن عروة بن الزبير ـ رضى الله عنه ـ قال : « سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ورقة بن نوفل ، كما بلغنا فقال : رأيته فى المنام ، عليه ثياب بيض ، فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض وكان يذكر الله فى سفره فى الجاهلية ، ويسبحه » .

شعر لورقة بن نوفل : وهو الذى يقول :

لقد نصحت لأقوام ، وقلت لهم :	أنا النذير ، فلا يغرركم أحد
لا تَعْبُدُنّ إلهاً غير خالقكم	فإن دعوكم فقولوا : بيننا جدد
سبحان ذى العرش سبحاناً يدوم له	وقبلنا سَبّحَ الجُودِيُّ والجُمُد
مسخر كل ما تحت السماء له	لا ينبغى أن يناوى ملكه أحد
لا شىء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويُودِى المال والولد
لم تُغْنِ عن هُرْمُز يوما خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح به	والإنس والجن فيما بينها مرد
أين الملوك التى كانت لعزتها	من كل أوب إليها وافد يفد
حَوْضٌ هنالك مورود بلا كذب	لا بد من ورده يوما كما وردوا

نسبه أبو الفرج إلى ورقة ، وفيه أبيات تنسب إلى أمية بن أبى الصَّلْت ، ومن قوله فيما خبرته به خديجة ـ رضى الله عنها ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

يا للرجال لصرف الدهر والقدر	وما لشىء قضاه الله من غِيَر
حتى خديجة تدعونى لأخبرها	أمرا أراه سيأتى الناس من أُخر
فخبرتنى بأمر قد سمعت به	فيما مضى من قديم الدهر والعُصُر

ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظارى يا خديجا
ببطن المكتين على رجائى ... حديثك أن أرى منه خُروجا
بما خبرتنا من قول قس ... من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود فينا ... ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر فى البلاد ضياء نور ... يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خساراً ... ويلقى من يسالمه فُلوجا
فياليتى إذا ما كان ذاكم ... شهدت فكنت أولهم وُلوجا

بأن أحمد يأتيه فيخبره ... جبريل : إنك مبعوث إلى البشر
فقلت : عَلَّ الذى ترجين ينجزه ... لك الإله فرَجِّى الخير وانتظرى
وأرسلته إلينا كى نسائله ... عن أمره ما يرى فى النوم والسهر
فقال حين أتانا منطقا عجبا ... يَقِفُّ منه أعالى الجلد والشَّعَر
إنى رأيت أمين الله واجهنى ... فى صورة أكملت فى أهْيَبِ الصور
ثم استمر فكان الخوف يذعرنى ... مما يُسَلِّم من حولى من الشجر
فقلت ، ظنى وما أدرى أيصدقنى ... أن سوف تبعث تتلو مُنْزَلَ السور
وسوف أبليك إن أعلنت دعوتهم ... من الجهاد بلا مَنٍّ ولا كدر

لماذا ثنى ورقة مكة فى شعره وبحث فى تثنية المفرد : وفى شعر ورقة :

ببطن المكَّتَيْن على رجائى ... حديثك أن أرى منه خروجا

ثنى مكة ، وهى واحدة ؛ لأن لها بِطَاحاً وظواهر ، وقد ذكرنا مَن أهل البطاح ، ومَن أهل الظواهر فيما قبل ، على أن للعرب مذهباً فى أشعارها فى تثنية البقعة الواحدة ، وجمعها ، نحو قوله : وميت بغزات . يريد : بغزة وبغادين فى بغداد ، وأما التثنية فكثير نحو قوله :

بالرقتين له أجر وأعراس ... والحمتين سقاك الله من دار

وقول زهير . ودار لها بالرقتين . وقول ورقة من هذا : ببطن المكتين . لا معنى لإدخال الظواهر تحت هذا اللفظ ، وقد أضاف إليها البطن ، كما أضافه المبرق حين قال :

ببطن مكة مقهور ومفتون

وإنما يقصد العرب فى هذا الإشارة إلى جانبى كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى ، وقد قالوا : صدنا بقنوين، وهو هنا اسم جبل ، وقال عنترة .

شربَت بماء الدُّحْرُضَيْن

وهو من هذا الباب فى أصح القولين ، وقال عنترة أيضاً :

بِعُنَيْزَتَيْن وأهلنا بالعَيْلَم

ولوجا فى الذى كرهت قريش ولو عجّت بمكتها عجيجا
أرجّى بالذى كرهوا جميعاً إلى ذى العرش إن سفلوا عُـروجا
وهل أمر السَّفالَة غير كفر بمن يختار من سمك البروجا
فإن يبقوا وَأبقَ تكن أمور يضج الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى من الأقدار مَتْلَفَةً حَرُوجا

وعنيزة اسم موضع ، وقال الفرزدق :

عشية سال المِربَدان كلاهما

وإنما هو مربد البصرة . وقولهم :

تسألني برامتين سلجما

وإنما هو رامة . وهذا كثير . وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت فى ذكر جنة وبستان ، فتسميها جنتين فى فصيح الكلام ، إشعاراً بأن لها وجهين ، وأنك إذا دخلتها ، ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قرة ، وصدرك مسرة ، وفى التنزيل : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية : جنتان عن يمين وشمال » إلى قوله سبحانه : « وبدلناهم بجنتيهم جنتين » وفيه : « جعلنا لأحدهما جنتين » الآية . وفى آخرها : « ودخل جنته » فأفرد بعد ما ثنى ، وهى هى ، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » والقول فى هذه الآية يتسع ، والله المستعان

معنى الضياء والنور فى شعر ورقة : فصل : وقال فى هذا الشعر : ويظهر فى البلاد ضياء نور . هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء ، وأن الضياء هو المنتشر عن النور ، وأن النور هو الأصل للضوء ، ومنه مبدؤه ، وعنه يصدر ، وفى التنزيل : « فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » . وفيه : « جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً » لأن نور القمر لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس ، ولا سيما فى طرفى الشهر . وفى الصحيح : « الصلاة نور ، والصبر ضياء » وذلك أن الصلاة هى عمود الإسلام ، وهى ذكر وقرآن ، وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات هو : الضياء الصادر عن هذا النور الذى هو القرآن ، والذكر . وفى أسماء البارى سبحانه « الله نور السموات والأرض » ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه ـ سبحانه ـ وقد أمليت فى غير هذا الكتاب من معنى نور السموات والأرض ما فيه شفاء ، والحمد لله .

بحث فى حذف نون الوقاية وإثباتها مع الحروف الناسخة فى شعر ورقة : وفى شعر ورقة : « فيا ليتى إذا ما كان ذا كم » بحذف نون الوقاية ، وحذفها مع ليت ردىء ، وهو فى لعل أحسن منه ؟ لقرب مخرج اللام من النون ، حتى لقد قالوا : لعل ولعن ولأن بمعنى واحد ، ولا سيما وقد حكى يعقوب أن من العرب من يخفض بلعل ، وهذا يؤكد حذف النون من لعلى ، وأحسن ما يكون حذف هذه النون فى إن وأن ولكن وكان لاجتماع النونات ، وحسنه فى لعل أيضاً كثرة حروف الكلمة ، وفى التنزيل : « لعلى أرجع إلى الناس » بغير نون ، ومجىء هذه الياء فى ليتى بغير نون مع أن ليت ناصبة ، يدلك على أن الاسم المضمر فى ضربنى هو الياء ، دون النون كما هو فى : ضربك ، وضربه حرف واحد ، وهو الكاف ، ولو كان الاسم هو النون مع الياء ـ كما قالوا فى المخفوض : منّى

رفعها وتسقيفها ، وذلك أن نفراً سرقوا كنزاً الكعبة ، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة ، وكان الذى وجد عنده الكنز دويكا مولى لبنى مليح بن عمرو من خزاعة . قال ابن هشام : فقطعت قريش يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك ، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّةَ لرجل من تجار الروم ، فتحطمت ،

الحجر فيها ، وذلك لحديث حدثته به خالته عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « ألم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة » ثم قال عليه السلام : « لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها ، وجعلت لها خلفاً وألصقت بابها بالأرض ، وأدخلت فيها الحجر » أو كما قال — عليه السلام — قال ابن الزبير : فليس بنا اليوم عجز عن النفقة ، فبناها على مقتضى حديث عائشة ، فلما قام عبد الملك ابن مروان ، قال . لسنا من تخليط أبى خبيث[1] بشىء ، فهدمها وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما فرغ من بنيانها جاءه الحارث بن أبى ربيعة المعروف بالقباع ، وهو أخو عمر ابن أبى ربيعة الشاعر ، ومعه رجل آخر ، فحدثاه عن عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالحديث المتقدم ، فندم ، وجعل يَنْكُتُ فى الأرض بمخصرة فى يده ، ويقول : وددت أنى تركت أبا خبيث ، وماتحمَّل من ذلك ، فهذه المرة الخامسة .

فلما قام أبو جعفر المنصور ، وأراد أن يبنيها على مابناها ابن الزبير ، وشاور فى ذلك ، فقال مالك بن أنس : أنشدك الله ياأمير المؤمنين ، وأن تجعل هذا البيت مَلْعَبَة للملوك بعدك ، لايشاء أحد منهم أن يغيره إلا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس ، فصرفه عن رأيه فيه ، وقد قيل : إنه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين ؛ لأن السيل كان قد صدع حائطه ، ولم يكن ذلك بنيانا على نحو ماقدمنا ، إنما كان إصلاحاً لما وهى منه ، وجداراً بنى بينه وبين السيل ، بناه عامر الجارود ، وقد تقدم هذا الخبر .

وكانت الكعبة قبل أن يبنيها شيث عليه السلام خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم ، ويأنس إليها ؛ لأنها أنزلت إليه من الجنة ، وكان قد حج إلى موضعها من الهند ، وقد قيل : إن آدم هو أول من بناها ، ذكره ابن إسحاق فى غير رواية البكائى . وفى الخبر أن موضعها كان غُثَاءَةً على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض ، فلما بدأ الله يخلق الأشياء خلق التُّرْبَةَ قبل السماء ، فلما خلق السماء ، وقضاهن سبع سموات دحا الأرض ، أى : بسطها ، وذلك قوله سبحانه : « والأرض بعد ذلك دحاها » وإنما دحاها من تحت مكة ؛ ولذلك سميت أم القرى . وفى التفسير أن الله سبحانه حين قال للسموات والأرض : « ائتيا طوعا أو كرها قالتا : أتينا طائعين » لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم ، فلذلك حرمها . وفى الحديث : « إن الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والأرض » فصارت حرمتها كحرمة المؤمن ، لأن المؤمن إنما حرم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه ، وأرض الحرم لما قالت : أتينا طائعين ، حرم صيدها وشجرها ، وخَلاها إلا الإذْخِر ، فلاحرمة إلا لذى طاعة ، جعلنا الله ممن أطاعه .

الملائكة أول من بنوا البيت وسبب ذلك : وروى فى سبب بنيان البيت خبر آخر ، وليس بمعارض لما تقدم ، وذلك أن الله سبحانه لما قال للملائكته : « إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها » . خافوا أن يكون الله عاتباً عليهم لاعتراضهم فى علمه ، فطافوا بالعرش سبعاً ، يسترضون ربهم ، ويتضرعون

---

(١) يقصد عبد الله بن الزبير رضى الله عنه .

إليه ، فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور فى السماء السابعة ، وأن يجعلوا طوافهم به ، فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ، ثم أمرهم أن يبنوا فى كل سماء بيتا ، وفى كل أرض بيتا ، قال مجاهد : هى أربعة عشر بيتا ، كل بيت منها منَا صاحبه ، أى : فى مقابلته ، لو سقطت لسقطت بعضها على بعض .

أخبار حول الكعبة وبنائها: روى أيضا أن الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الأرض إلى منتهاها ، وقذفت فيها حجارة أمثال الإبل، فتلك القواعد من البيت التى رفع إبراهيم وإسماعيل ، فلما جاء الطوفان رفعت ، وأودع الحجر الأسود أبا قبيس .

وذكر ابن هشام أن الماء لم يعلها حين الطوفان ، ولكنه قام حولها ، وبقيت فى هواء إلى السماء ، وأن نوحا قال لأهل السفينة ، وهى تطوف بالبيت : إنكم فى حرم الله ، وحول بيته ، فأحرموا لله ، ولا يمس أحد امرأة ، وجعل بينهم وبين النساء حاجزا ، فتعدى حام ، فدعا عليه نوح أن يسود لون بنيه ، فاسود كُوش بن حام ونسله إلى يوم القيامة ، وقد قيل فى سبب دعوة نوح على حام غير هذا ، والله أعلم .

وذكر فى الخبر عن ابن عباس ، قال : أول من عاذ بالكعبة حوت صغير ، خاف من حوت كبير ، فعاذ منه بالبيت ، وذلك أيام الطوفان . ذكره يحى بن سلام ، فلما نضب ماء الطوفان ، كان مكان البيت ربوة من مدرة وحج إليه هود وصالح ، ومن آمن معهما ، وهو كذلك .

إبراهيم عليه السلام يبنى الكعبة : ويذكر أن يعرب قال لهود عليه السلام : ألا نبنيه ؟ قال : إنما يبنيه نبي كريم يأتى من بعدى يتخذه الرحمن خليلا ، فلما بعث الله إبراهيم وشب إسماعيل بمكة أمر إبراهيم ببناء الكعبة ، فدلته عليه السكينة ، وظللت له على موضع البيت ، فكانت عليه كالحجفة ، وذلك أن السكينة من شأن الصلاة ، فجعلت علما على قبلتها حكمة من الله سبحانه ، وبناه عليه السلام من خمسة أجبل ، كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها ، وهى : طُور تَيْنَا ، وطور زَيْتا اللذين بالشام ، والجودى وهو بالجزيرة ، ولُبْنَان[1] وحراء وهما بالحرم ، كل هذا جمعناه من آثار مروية . وانتبه لحكمة الله كيف جعل بناءها من خمسة أجبل ، فشاكل ذلك معناها ؛ إذ هى قبلة للصلاة الخمس وعمود الإسلام ، وقد بنى على خمس ، وكيف دلت عليه السكينة ؛ إذ هو قبلة للصلاة ، والسكينة من شأن الصلاة . قال عليه السلام : « وأتوها وعليكم السكينة » فلما بلغ إبراهيم الركن جاءه جبريل بالحجر الأسود من جوف أبى قُبَيْس ، وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « أنزل الحجر الأسود من الجنة أشد بياضا من اللبن ، فسودته خطايا بنى آدم » ، وروى الترمذى أيضا من طريق عبدالله بن عمرو مرفوعا أن الركن الأسود والركن اليمانى ياقوتتان من الجنة ، ولولا ما طُمس من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب ، وفى رواية غيره : لأبرءا من استلمهما من الخرس والجذام والبرص . وروى غير الترمذى من طريق علىّ رحمه الله أن العهد الذى أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهرَه ألا يشركوا به شيئا كتبه فى صك ، وألقمه الحجر الأسود ؛ ولذلك يقول المستلم له : إيمانا بك ، ووفاء بعهدك ، وذكر هذا الخبر الزبير ، وزاد عليه أن الله سبحانه أجرى نهرا أطيب من اللبن ، وألين من الزبد ، فاستمد منه القلم الذى كتب العهد ، قال : وكان أبو قبيس يسمى : الأمين ؛ لأن الركن كان مودعا فيه ، وأنه نادى إبراهيمَ حين بلغ بالبنيان

(١) لبنان : تثنية لبن . جبلان قرب مكة .

فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قبطى نجار ، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعض مايصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كان يطرح فيها مايهدى لها كل يوم ، فتتشرق على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ،

إلى موضع الركن ، فأخبره عن الركن فيه ، ودله على موضعه منه ، وانتبه من ههنا إلى الحكمة فى أن سودته خطايا بنى آدم دون غيره من حجارة الكعبة وأستارها ، وذلك أن العهد الذى فيه هى الفطرة التى فطر الناس عليها من توحيد الله ، فكل مولود يولد على تلك الفطرة ، وعلى ذلك الميثاق ، فلولا أن أبويه يهودانه ويمجسانه ، حتى يسودّ قلبه بالشرك ، لما حال عن العهد ، فقد صار قلب ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق ، وصار الحجر محلا لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق ، فتناسبا فاسود من الخطايا قلب ابن آدم بعد ما كان ولد عليه من ذلك العهد ، واسود الحجر بعد ابيضاضه ، وكانت الخطايا سببا فى ذلك حكمة من الله سبحانه ، فهذا ماذُكر فى بنيان الكعبة ملخصا ، منه ماذكر الماوردى ، ومنه ماذكره الطبرى ، ومنه ماوقع فى كتاب التمهيد لأبى عمر ، ونبذ أخذتها من كتاب فضائل مكة لرَزين بن معاوية ، ومن كتاب أبى الوليد الأزرقى فى أخبار مكة ، ومن أحاديث فى المسندات المروية ، وسنورد فى باقى الحديث بعض ما بلغنا فى ذلك مستعينين بالله .

الركن اليمانى وسبب تسميته : وأما الركن اليمانى فسمى باليمانى - فيما ذكر القتبى - لأن رجلا من اليمن بناه اسمه : أُبَىّ بن سالم وأنشد :

لنا الركن من بيت الحرام وراثة   بقية ما أبقى أبى بن سالم

بناء المسجد الحرام : وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب ، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة ، وألصقوا دورهم بها ، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ، ولابد للبيت من فناء ، وإنكم دخلتم عليها ، ولم تدخل عليكم ، فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها ، وبنى المسجد المحيط بها ، ثم كان عثمان ، فاشترى دورا أخرى ، وأغلى فى ثمنها ، وزاد فى سعة المسجد فلما كان ابن الزبير زاد فى إتقانه ، لافى سعته ، وجعل فيه عمداً من الرخام ، وزاد فى أبوابه ، وحسّنها ، فلما كان عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع حائط المسجد ، وحمل إليه السوارى فى البحر إلى جُدةَ ، واحتملت من جدة على العجل إلى مكة ، وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباج ، وقد كنا قدمنا أن ابن الزبير كساها الديباج قبل الحجاج ، ذكره الزبير بن بكار ، وذكرنا أيضا أن خالد بن جعفر ابن كلاب ممن كساها الديباج قبل الإسلام ، ثم كان الوليد بن عبد الملك ، فزاد فى حليها ، وصرف فى ميزابها وسقفها ما كان فى مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ، وكانت قد احتملت إليه من طُلَيْطِلة من جزيرة الأندلس ، وكانت لها أطواق من ياقوت وزبرجد ، وكانت قد احتُمِلت على بغل قوى فتفسخ تحتها ، فضرب منها الوليد حلية للكعبة ، فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهدى زادا أيضا فى إتقان المسجد ، وتحسين هيئته ، ولم يحدث فيه بعد ذلك عمل إلى الآن . وفى اشتراء عمر وعثمان الدور التى زادا فيها دليل على أن رباع أهل مكة ملك لأهلها ، يتصرفون فيها بالبيع والشراء إذا شاءوا ، وفى ذلك اختلاف .

سراق كنز الكعبة : وذكر ابن إسحاق دويكا الذى سرق كنز الكعبة ، وتقدم أن سارقاً سرق من مالها فى زمن جرهم ، وأنه دخل البئر التى فيها كنزها فسقط عليه حجر فحبسه فيها ، حتى أخرج منها ، وانتزع المال منه ، ثم بعث الله حية لها رأس كرأس الجدى ، بيضاء البطن سوداء المتن ، فكانت فى بئر الكعبة خمسمائة عام فيما

وذلك أنه كان لايدنو منها أحد إلا احزألت وكشت، وفتحت فاها ، وكانوا يهابونها ، فبينا هى ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع ، بعث الله إليها طائراً فاختطفها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ماأردنا ، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية .

أبو وهب – خال أبى رسول الله – وما حدث له عند بناء الكعبة : فلما أجمعوا أمرهم فى هدمها وبنائها ، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم .

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم . فتناول من الكعبة حجراً ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه .

ذكر رزين ، وهى التى ذكرها ابن إسحاق ، وكان لايدنو أحد من بئر الكعبة إلا احزألت ، أى : رفعت ذنبها ، وكشت ، أى : صوتت .

خبر السفينة : وذكر ابن إسحاق أن سفينة رماها البحر إلى جدة ، فتحطمت ، وذكر غيره عن ابن منبه أن سفينة خجتها الريح إلى الشعيبة ، وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز ، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة . والشعيبة بضم الشين ذكره البكرى ، وفسر الخطابى خجتها : أى دفعتها بقوة ، من الريح الخجوج أى : الدّفوع .

النجار القبطى : قال ابن إسحاق : وكان بمكة نجار قبطى ، وذكر غيره أنه كان علجاً (١) فى السفينة التى خجتها الريح إلى الشعيبة ، وأن اسم ذلك النجار : ياقوم ، وكذلك روى أيضا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من طرفاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم .

العقاب والحية ودابة الأرض : وذكر خبر العقاب ، أو الطائر الذى اختطف الحية من بئر الكعبة ، وقال غيره : طرحها الطائر بالحجون ، فالتقمتها الأرض . وقال محمد بن الحسن المقرى هذا القول ، ثم قال : وهى الدابة التى تكلم الناس قبل يوم القيامة ، واسمها : أقصى فيما ذكر ، ومحمد بن الحسن المقرى هو النقاش ، وهو من أهل العلم — والله أعلم بصحة ماقال — غير أنه قد روى فى حديث آخر أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه الدابة التى تكلم الناس ، فأخرجها له من الأرض ، فرأى منظرا هاله وأفزعه ، فقال : أى رب : ردها ، فردها .

ذكر الحجر الطائر : وذكر ابن إسحاق حديث الحجر الذى أخذ من الكعبة ، فوثب من يد آخذه ، حتى عاد إلى موضعه ، وقال غيره : ضربوا بالمعول فى حجر من أحجارها ، فلمعت برقة كادت تخطف أبصارهم ، وأخذ رجل منهم حجرا ، فطار من يده ، وعاد إلى موضعه . وذكر ابن إسحاق قولهم : اللهم لم ترع ، وهى كلمة تقال عند تسكين الروع ، وإظهار اللين والبر فى القول ، ولاروع فى هذا الموطن فينفى ، ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها ، وعلى هذا يجوز التكلم بها فى الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الروع الذى هو محال فى حق البارى تعالى ، ولكن لما كان المقصود ماذكرنا ، جاز النطق بها ، وسيأتى فى هذا الكتاب إن شاء الله زيادة بيان عند قوله : فاغفر فداء لك ما اقتفينا .

ويروى أيضاً : اللهم لم نزغ ، وهو جلى لايشكل .

---

(١) العلج : الكافر من العجم .

فقال : يامعشر قريش ، لاتدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا ، لايدخل فيها مهر بغى ولابيع ربا ، ولامظلمة أحد من الناس . والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى عبدالله بن أبى نجيح المكى أنه حدث عن عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب ابن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى أنه رأى ابنا لجعدة بن هبيرة بن أبى وهب بن عمرو يطوف بالبيت ، فسأل عنه ، فقيل : هذا ابن لجعدة بن هبيرة ، فقال عبدالله بن صفوان عند ذلك : جد هذا ، يعنى : أبا وهب الذى أخذ حجراً من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يامعشر قريش : لاتدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا . لاتدخلوا فيها مهر بغى ، ولابيع ربا ، ولامظلمة أحد من الناس .

شعر فى أبى وهب : قال ابن اسحاق : وأبو وهب : خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان شريفا ، وله يقول شاعر من العرب :

ولو بأبى وهب أنخت مطيتى ... غدت من ندَاه رحلها غير خائب
بأبيضَ من فرعَىْ لؤى بن غالب ... إذا حُصّلت أنسابها فى الذوائب
أبىٍّ لأخذ الضيم يرتاح للندى ... توسَّط جَدّاه فروع الأطايب
عظيم رَماد القدر يملأ جفانه ... من الخبز يعلوهن مثل السبائب

نصيب قبائل قريش فى تجزئة الكعبة : ثم إن قريشا تجزأت الكعبة ، فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم ، وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وسهم ، ابنى عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وكان شقُّ الحِجْر لبنى عبدالدار بن قصى ، ولبنى أسد بن العزَّى ابن قصى ، ولبنى عدى بن كعب بن لؤى وهو الحطيم .

الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة : ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم فى هدمها ، فأخذ المعول ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم ترُعْ ـ قال ابن هشام : ويقال : لم نزغ ـ اللهم إنا لانريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شىء ، فقد رضى الله صنعنا ، فهدمنا !! فأصبح الوليد من ليلته

شرح حديث أبى وهب : وذكر قولهم : لاتدخلوا فى هذا البيت مهر بغى وهى الزانية ، وهى فَعُول من البغاء ، فاندغمت الواو فى الياء ، ولايجوز عندهم أن يكون على وزن فَعيل ، لأن فعيلا بمعنى : فاعل يكون بالهاء فى المؤنث كرحيمة وكريمة ، وإنما يكون بغير هاء إذا كان فى معنى : مفعول نحو : امرأة جريح وقتيل .

وقوله : ولابيع ربا ، يدل على أن الربا كان محرَّما عليهم فى الجاهلية ، كما كان الظلم والبغاء ـ وهو الزنا ـ محرما عليهم ، يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع إبراهيم عليه السلام ، كما كان بقى فيهم الحج والعمرة وشىء من أحكام الطلاق والعتق وغير ذلك . وفى قوله سبحانه : « وأحل الله البيع وحرم الربا » دليل على تقدم التحريم .

غاديا على عمله ، فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس : أساس إبراهيم عليه السلام أفضَوْا إلى حجارة خضر كالأسنمة آخذٍ بعضها بعضا .

امتناع قريش عن هدم الأساس وسببه : قال ابن إسحاق : فحدثني بعض من يروى الحديث : أن رجلا من قريش، ممن كان يهدمها ، أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها ، فانتهوا عن ذلك الأساس .

الكتاب الذى وجد فى الركن : قال ابن إسحاق : وحُدثت أن قريشاً وجدوا فى الركن كتاباً بالسريانية ، فلم يدروا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : « أنا الله ذو بكة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشباها ، مبارك لأهلها فى الماء واللبن » .

قال ابن هشام : أخشباها : جبلاها .

الكتاب الذى وجد فى المقام : قال ابن إسحاق : وحُدثت أنهم وجدوا فى المقام كتاباً فيه : « مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يُحلها أوّلُ مِنْ أهلها » .

حجر الكعبة المكتوب عليه العظة : قال ابن إسحاق : وزعم ليث بن أبى سُلَيم أنهم وجدوا حجراً فى الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة — إن كان ما ذكر حقاً — مكتوباً فيه : « من يزرع خيراً ، يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً ، يحصد ندامة . تعملون السيئات ، وتُجْزَوْن الحسنات ؟! أجل ، كما لا يجتنى من الشوك العنب » .

الاختلاف بين قريش فى وضع الحجر : قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حِدة ، ثم بنوْها ، حتى بلغ البنيان موضع الركن ، فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا وتحالفوا ، وأعدوا للقتال .

الحجر الذى كان مكتوبا فى الكعبة : وذكر الحجر الذى وجد مكتوباً فى الكعبة ، وفيه : أنا الله ذو بكة ... الحديث. روى مَعْمَرُ بن راشد فى الجامع عن الزهرى أنه قال : بلغنى أن قريشا حين بَنَوُا الكعبة ، وجدوا فيها حجرا ، وفيه ثلاثة صُفُوح ، فى الصفح الأول : أنا الله ذو بكة صُغْتها يوم صغت الشمس والقمر إلى آخر كلام ابن إسحاق، وفى الصفح الثانى : أنا الله ذو بكة ، خلقت الرحم ، واشتققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بَتَتُّهُ ، وفى الصفح الثالث : أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه . وفى حديث ابن إسحاق : لا يُحِلُّها أولُ من أهلها ، يريد ـ والله أعلم ـ ما كان مِنْ استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير ، وحُصَيْن بن نُمَيْر ، ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن أبى ربيعة :

ألا مَن لقلبٍ مُعَنّى غَزِلْ ... بحُبِّ المُحِلَّة أخت المُحِلّ

يعنى بالمحل : عبد الله بن الزبير ؛ لقتاله فى الحرم .

لعقة الدم : فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة ، فسموا : لعقة الدم ، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا .

أبو أمية بن المغيرة يجد حلا : فزعم بعض أهل الرواية : أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان عامئذ أسنّ قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ! اجعلوا بينكم — فيما تختلفون فيه — أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا .

الرسول (ص) يضع الحجر : فكان أول داخل عليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما رأوْه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : هَلُمَّ إلىَّ ثوبا ، فأُتى به ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا : حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه .

وكانت قريش تسمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن ينزل عليه الوحى : الأمين .

شعر الزبير فى الحية التى كانت تمنع قريشا من بنيان الكعبة : فلما فرغوا من البنيان ، وبنَوْها على ما أرادوا ، قال الزبير بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها :

عجبت لِما تَصَوَّبَتِ العُقَابُ ... إلى الثعبان وهْىَ لها اضطراب

وقد كانت يكون لها كَشِيش ... وأحياناً يكون لها وِثاب

إذا قمنا إلى التأسيس شدت ... تهيبنا البناء وقد تُهاب

فلما أن خشينا الرِّجز جاءت ... عقاب تَتَلَئِبُّ لها انصباب

فضمتها إليها ثم خلت ... لنا البنيان ليس له حجاب

فقمنا حاشدين إلى بناء ... لنا منه القواعد والتراب

حول الركن وقواعد البيت : وذكر اختلافهم فى وضع الركن ، وأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو الذى وضعه بيده ، وذكر غيره أن إبليس كان معهم فى صورة شيخ نجدى ، وأنه صاح بأعلى صوته : يا معشر قريش : أرضيتم أن يضع هذا الركن ـ وهو شرفكم ـ غلام يتيم دون ذوى أسنانكم ؟ فكاد يثير شرا فيما بينهم ، ثم سكنوا ذلك .

وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة فى أيام ابن الزبير ، فوضعه فى الموضع الذى هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وأبوه يصلى بالناس فى المسجد اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافس فى ذلك ، وخاف الخلاف ، فأقره أبوه . ذكر ذلك الزبير بن أبى بكر .

وذكر ابن إسحاق أيضاً أنهم أفضَوا إلى قواعد البيت ، وإذا هى خُضر كالأسنمة ، وليست هذه رواية السيرة : إنما الصحيح فى الكتاب : كالأسنة وهو وهم من بعض النَّقلة عن ابن إسحاق والله أعلم ، فإنه لا يوجد

غداة نُرَفِّع التأسيس منه ... وليس على مُسَوَّينا ثياب
أعز به المليك بنى لؤى ... فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدى ... ومُرة قد تقدمها كلاب
فَبَوَّأنا المليك بذاك عزاً ... وعند الله يُلتمس الثواب

قال ابن هشام : ويروى :

وليس على مَساوِينا ثياب

ارتفاع الكعبة وكسوتها : وكانت الكعبة على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثمانى عشرة ذراعاً ، وكانت تكسى القباطى ، ثم كسيت البرود ، وأول من كساها الديباج : الحجاج بن يوسف .

حديث الحمس

قريش تبتدع الحمس : قال ابن إسحاق : وقد كانت قريش ــ لا أدرى أقبل الفيل أم بعده ــ ابتدعت رأى الحُمْس رأيا رأوه وأداروه ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحرمة ، وولاة البيت ، وقطان مكة وساكنها . فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئا

فى غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدى ولا غيره ، وقد ذكر البخارى فى بنيان الكعبة هذا الخبر ، فقال فيه عن يزيد بن رومان : فنظرت إليها ، فإذا هى كأسنمة الإبل ، وتشبيهها بالأسنة لا يشبه إلا فى الزُّرقة ، وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى ، لعظمها ، ولما تقدم فى حديث بنيان الملائكة لها قبل هذا .

شرح شعر الزبير بن عبد المطلب : وذكر شعر الزبير بن عبد المطلب : عجبت لِمَا تَصَوَّبت العُقاب . إلى قوله : تَتَلَبَّبُ لها انصباب . قوله : تتلبب ، يقال : اتلأب على طريقه إذا لم يُعَرِّج يَمْنَة ولا يَسْرة ، وكأنه منحوت من أصلين كما تقدم فى مثل هذا من تلا : إذا تبع ، وألَبَّ : إذا أقام ، وأبَّ أيضاً قريب من هذا المعنى . يقال : أب إبابة ـ من كتاب العين ـ إذا استقام وتهيأ ، فكأنه مقيم مستمر على ما يتلوه ويتبعه مما هو بسبيله ، والاسم من اتلأبَّ : التَّلأبيبَة على وزن الطُّمأنينة والقُشَعْرِيرة ، قاله أبو عبيد .

وقوله : وليس على مُسَوَّينا ثياب . أى : مُسَوَّى البنيان . وهو فى معنى الحديث الصحيح فى نقلانهم الحجارة إلى الكعبة أنهم كانوا ينقلونها عراة ، ويرون ذلك دِينا ، وأنه من باب التشمير والجد فى الطاعة . وقول ابن هشام : ويروى : مَساوِينا ، يريد : السوءات ، فهو جمع مساءة ، مفعلة من السَّوْءَة والأصل مساوىء ، فسهلت الهمزة .

الحمس ومعناه : وذكر الحمس ، وما ابتدعته قريش فى ذلك ، والتحمس : التشدد ، وكانوا قد ذهبوا فى ذلك مذهب التزهد والتأله ، فكانت نساؤهم لا ينسجن الشعر ولا الوبر ، وكانوا لا يَسْلَئُون السمن ، وسلأ السمن أن يُطَبخ الزبد ، حتى يصير سمناً ، قال أبرهة :

إن لنا صِرْمَةً مُخَيَّسَة ... نشرب ألبانها ونسلؤها

من الحل كما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم . فتركوا الوقوف على عرفة ، والإفاضة منها ، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم — صلى الله عليه وسلم — ويَرَوْن لسائر العرب أن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهل الحرم ، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحُرمة ، ولا نعظِّم غيرها ، كما نعظمها نحن الحُمْس ، والحمس : أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن وَلدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم ، بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم .

القبائل التى آمنت مع قريش بالحمس : وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة النحوى : أن بنى عامر بن صعصعة معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم فى ذلك ، وأنشدنى لعمرو بن معديكرب :

أعباس لو كانت شِياراً جِيادُنا ... بتثليث ما ناصَبْتَ بعدى الأحامسا

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم . والشيار : الحسان . يعنى بالأحامس : بنى عامر بن صعصعة . وبعباس : عباس بن مرداس السُّلَمى ، وكان أغار على بنى زُبَيد بتثليث . وهذا البيت فى قصيدة لعمرو .

وأنشدنى للقيط بن زُرَارة الدَّارمى فى يوم جَبَلَة :

أجذم إليك إنها بنو عَبْس ... المَعْشَرُ الجِلَّةُ فى القوم الحمس

لأن بنى عبس كانوا يوم جَبلة حلفاء فى بنى عامر بن صعصعة .

يوم جبلة : ويوم جبلة : يوم كان بين بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وبين بنى عامر بن صعصعة ، فكان الظفر فيه لبنى عامر بن صعصعة على بنى حنظلة ، وقُتل يومئذ لقيط بن زُرارة بن عُدُس ، وأسر حاجب ابن زرارة بن عدس ، وانهزم عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة . ففيه يقول جرير للفرزدق :

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا ... وعمرو بن عمرو إذ دَعوْا : يالَدارمِ

وهذا البيت فى قصيدة له :

شرح بعض ألفاظ وردت في قصة الحمس : ذكر قول ابن معديكرب : أعباس لو كانت شياراً جيادنا . البيت . شيارا من الشارة الحسنة يعنى : سمانا حسانا وبعد البيت :

ولكنها قِيدَتْ بصعدة مَرَّةً ... فأصبحن ما يمشين إلا تَكارُسا

وأنشد أيضاً : أجذم إليك إنها بنو عَبْس . أجْذِمَ : زَجْرٌ معروف للخيل وكذلك : أرحب ، وهَبْ وهِقِطْ وهِقَط وهِقَبْ .

يوم جبلة وسبب تسميته : وذكر يوم جَبَلة ، وجبلة هضبة عالية ، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم ، وكان معهم فى ذلك اليوم رئيس نجران ، وهو ابن الجَوْن الكندى ، وأخ للنعمان بن المنذر ، أحسب اسمه : حسان بن وبرة ، وهو أخو النعمان لأمه ، وفي أيام جبلة كان مولد رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ

يوم ذى نجب : ثم التقوا يوم ذى نَجَب فكان الظفر لحنظلة على بنى عامر ، وقتل يومئذ حسان بن معاوية الكندى ، وهو أبو كَبْشة . وأسر يزيد بن الصَّعِق الكلابى ، وانهزم الطُّفَيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أبو عامر بن الطفيل . ففيه يقول الفرزدق :

ومنهن إذ نجَّى طُفَيل بن مالك   على قُرْزُل رَجْلا ركوض الهزائم
ونحن ضربنا هامة ابن خُوَيْلد   نزيد على أم الفراخ الجواثم

وهذان البيتان فى قصيدة له :

فقال جرير :

ونحن خضبنا لابن كبشة تاجه   ولاقى امرأ فى ضمة الخيل مِصْقَعا

وهذا البيت فى قصيدة له .

وحديث يوم جَبَلة ، ويوم ذى نَجَب أطول مما ذكرنا . وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرتُ فى حديث يوم الفجار .

ولثنتين وأربعين سنة من ملك أنو شروان بن قُبَاذ ، وكان مولد أبيه عبد الله لأربع وعشرين مضت من ملك أنوشروان المذكور ، فبينه — عليه السلام — وبين أبيه عبد الله نحو من ثمان عشرة سنة

عدس : وذكر زرارة بن عدس بن زيد ، وهو : عُدُس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة ، فإنه كان يفتح الدال منه ، وكل عدس فى العرب سواه فإنه مفتوح الدال .

الحلة : وذكر الحلة وهم ما عدا الحمس ، وأنهم كانوا يطوفون عراة إن لم يجدوا ثياب أحْمَس ، وكانوا يقصدون فى ذلك طرح الثياب التى اقترفوا فيها الذنوب عنهم .

الطلس : ولم يذكر الطُلْسَ من العرب ، وهم صنف ثالث غير الحلة والحمس ، كانوا يأتون من أقصى اليمن طُلْساً من الغبار ، فيطوفون بالبيت فى تلك الثياب الطُلْس ، فسموا بذلك . ذكره محمد بن حبيب .

اللقى : وذكر اللقى وهو الثوب الذى كان يطرح بعد الطواف فلا يأخذه أحد ، وأنشد :

كفى حزنا كَرِّى عليه كأنه   لقىً بين أيدى الطائفين حريم

حريم : أى محرم ، لا يؤخذ ، ولا ينتفع به ، وكل شىء مطرح ، فهو لقى ، قال الشاعر يصف فرخ قطا :

تروى لقىً أُلقِى فى صَفْصَفٍ   تصهره الشمس ، فما ينصهر

تروى بفتح التاء أى : تستق له ، ومن اللقى : حديث فاختة أم حكيم بن حزام ، وكانت دخلت الكعبة وهى حامل مُتِم بحكيم بن حزام ، فأجاءها المخاض ، فلم تستطع الخروج من الكعبة ، فوضعته فيها ، فلفت فى الأنطاع هى وجنينها ، وطرح مثبرها وثيابها التى كانت عليها ، فجعلت لقى لا تقرب ،

ما زادته قريش فى الحمس : قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا فى ذلك أموراً لم تكن لهم ، حتى قالوا : لا ينبغى للحمس أن يَأتَقِطوا الأقِطَ ، ولا يَسْلَئُوا السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتا من شَعَرٍ ، ولا يستظلوا — إن استظلوا — إلا فى بيوت الأدم ما كانوا حرما ، ثم رفعوا فى ذلك ، فقالوا : لا ينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حُجاجا أو عُمَّارا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا فى ثياب الحمس . فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراة .

اللقى عند الحمس : فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ، ولم يجد ثياب الحمس ، فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يمسها هو ، ولا أحد غيره أبدا .

وكانت العرب تسمى تلك الثياب : اللَّقَى ، فحملوا على ذلك العرب . فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عراة ، أما الرجال فيطوفون عراة . وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعا مُفَرَّجا عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب ، وهى كذلك تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بَعْضُهُ ، أو كله وما بدا منه فلا أحِلُّه

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحل ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه ، فلا يقربه — وهو يحبه :

كفى حَزناً كَرِّى عليها كأنها لقىً بين أيدى الطائفين حريم

يقول : لا تمس .

من هى المرأة الطائفة : وذكر قول المرأة : اليوم يبدو بعضه أو كله ، البيتين . ويذكر أن هذه المرأة هى : ضُباعة بنت عامر بن صعصعة ، ثم من بنى سلمة بن قشير .

وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خطبها ، فذكرت له عنها كِبرة ، فتركها ، فقيل : إنها ماتت كمدا وحزنا على ذلك . قال المؤلف : إن كان صح هذا ، فما أخرها عن أن تكون أما للمؤمنين ، وزوجا لرسول رب العالمين إلا قولها : اليوم يبدو بعضه أو كله . تكرِمة من الله لنبيه وعِلماً منه بغَيْرته ، والله أغير منه .

من نتائج العرى فى الطواف : ومما ذُكر من تعريهم فى الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك ، فانضم الرجل إلى المرأة تلذذاً واستمتاعا ، فلصق عضده بعضدها ، ففزعا عند ذلك ، وخرجا من المسجد ، وهما ملتصقان ، ولم يقدر أحد على فك عضده من عضدها ، حتى قال لهما قائل : توبا مما كان فى ضميركما ، وأخلصا لله التوبة ، ففعلا ، فانحل أحدهما من الآخر .

قرزل ومعناه : وأنشد للفرزدق :

ومنهن إذ نجى طفيل بن مالك على قُرْزُلٍ رجلا ركوض الهزائم

قرزل : اسم فرسه ، وكان طفيل يسمى : فارس قرزل ، وقرزل : القيد سمى الفرس به ، كأنه يقيد ما يسابقه ، كما قال امرؤ القيس :

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

الإسلام يبطل عادات الحمس : فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا - صلى الله عليه وسلم - فأنزل عليه حين أحكم له دينه ، وشرع له سنن حجّه : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله . إن الله غفور رحيم » يعنى قريشا ، والناس : العرب ، فرفعهم فى سنة الحجّ إلى عرفات ، والوقوف عليها والإفاضة منها ، وأنزل الله عليه فيما كانوا حرّموا على الناس من طعامهم ولُبوسهم عند البيت ، حين طافوا عراة ، وحرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا . إنه لا يحب المسرفين . قل : من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل : هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . كذلك نُفصّل الآيات لقوم يعلمون » فوضع الله تعالى أمر الحمس - وما كانت قريش ابتدعت منه - عن الناس بالإسلام ، حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

الرسول (ص) يخالف الحمس قبل الرسالة : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عثمان بن أبى سليمان بن جُبير بن مُطْعِم ، عن عمه نافع بن جُبَيْر عن أبيه جبير بن مطعم . قال : لقد رأيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل أن ينزل عليه الوحى ، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقا من الله له ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيراً .

طفيل : وطُفَيْل هذا هو : والد عامر بن الطفيل ، عدو الله وعدو رسوله ، وأخو طفيل هذا : عامر ملاعب الأسنة ، وسنذكر لم سُمّى ملاعب ، ونذكر إخوته وألقابهم فى الكتاب إن شاء الله .

أم الفراخ الجواثم : وقوله : على أم الفراخ الجواثم . يعنى : الهامة ، وهى البوم ، وكانوا يعتقدون أن الرجل إذا قتل خرجت من رأسه هامة تصيح : اسقونى اسقونى ، حتى يؤخذ بثأره . قال ذو الإصبع العدوانى :

أضْرِبْكَ حتى تقول الهامة اسقونى

شرح بيت جرير : وأنشد لجرير :

ونحن خضبنا لابن كبشة تاجه ۞ ولاقى امرأ فى ضمة الخيل مِصقعا

وجدت فى حاشية الشيخ أبى بحر هذا البيت . المعروف فى اللغة أن — المِصْقَع : الخطيب البليغ ، وليس هذا موضعه ، لكن يقال فى اللغة : صقعه : إذا ضربه على شىء مُصمت يابس ، قاله الأصمعى ، فيشبه أن يكون مصقع فى هذا البيت من هذا المعنى ، فيقال منه : رجل مصقع كما يقال : محرب وفى الحديث : «إن سعدا لمحرب» ، يعنى ابن أبى وقاص .

القرآن ينهى عن التحمس : وذكر ما أنزل الله تعالى فى أمر الحمس ، وهو قوله تعالى : «يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا » الآية . فقوله : وكلوا واشربوا إشارة إلى ما كانت الحمس حرمته من طعام الحج إلا طعامَ أَحْمَس ، وخذوا زينتكم : يعنى اللباس ، ولا تتعروا ، ولذلك افتتح بقوله : يا بنى آدم ، بعد أن قص خبر آدم وزوجه ، إذ يخصفان عليهما من ورق الجنة ، أى : إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم ، فآدم أبوكم ، ودينه : ستر العورة ، كما قال : ملة أبيكم إبراهيم ، أى : إن كانت عبادة الأصنام دين آبائكم ، فإبراهيم

إخبار الكهان من العرب، والأحبار من يهود والرهبان من النصارى

الكهان والأحبار والرهبان يتحدثون بمبعثه: قال ابن إسحاق: وكانت الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل مبعثه، لما تقارب من زمانه.

أما الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، فعمَّا وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه. وأما الكهان من العرب: فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع إذ كانت وهى لا تُحجَب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره، لا تُلْقى العرب لذلك فيه بالاً، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون، فعرفوها.

قذف الجن بالشهب دلالة على مبعثه (ص): فلما تقارب أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحضر مبعثه. حُجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرُمُوا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله فى العباد، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد

أبوكم، ولم يكن من المشركين، ومما نزل فى ذلك: «وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية». ففى التفسير أنهم كانوا يطوفون عراة، ويصفقون بأيديهم ويصفرون، فالمكاء: الصفير، والتصدية التصفيق، قال الراجز:

وأنا من غرو الهوى أصدِّى

ومما نزل من أمر الحمس: «وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها» لأن الحمس لا يدخلون تحت سقف، ولا يحول بينهم وبين السماء عتبة باب ولا غيرها، فإن احتاج أحدهم إلى حاجة فى داره تسنَّم البيت من ظهره، ولم يدخل من الباب، فقال الله سبحانه: «وأتوا البيوت من أبوابها، واتقوا الله لعلكم تفلحون».

وقوف النبى (ص) بعرفة قبل الهجرة والنبوة ومخالفته للحمس: وذكر وقوف النبى صلى الله عليه وسلم بعرفة مع الناس قبل الهجرة، وقبل النبوة توفيقا من الله، حتى لا يفوته ثواب الحج، والوقوف بعرفة. قال جبير بن مطعم حين رآه واقفا بعرفة مع الناس: هذا رجل أحمس، فما باله لا يقف مع الحمس حيث يقفون؟!

فصل فى الكهانة

حجب إبليس عن السماوات: رُوِى فى مأثور الأخبار أن إبليس كان يخترق السموات قبل عيسى، فلما بُعث عيسى، أو ولد، حجب عن ثلاث سموات، فلما ولد محمد حجب عنها كلها، وقذفت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش حين كثر القذف بالنجوم: قامت الساعة، فقال عتبة بن ربيعة: انظروا إلى العيوق فإن كان رمى به، فقد آن قيام الساعة، وإلا فلا، وممن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبى بكر.

رمى الشياطين قبل الإسلام وبعده: وذكر ابن إسحاق فى هذا الباب ما رميت به الشياطين، حين ظهر القذف بالنجوم، لئلا يلتبس بالوحى، وليكون ذلك أظهر للحجة، وأقطع للشبهة، والذى قاله صحيح: ولكن

ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين بعثه ، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حُجبوا عن السمع ، فعرفوا ما عرفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا : « قل : أُوحى إلى أنه استمع نفر من الجن . فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد ، فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحداً . وأنه تعالى جَدُّ رَبِّنا ، ما اتخذ صاحبة ولا ولداً . وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا ، وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا . وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ، فزادوهم رهقا » . . إلى قوله : « وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . وأنا لا ندرى أشَر أريد بمن فى الأرض ، أم أراد بهم ربُّهم رَشَداً » .

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما مُنعت من السمع قبل ذلك ، لئلا يُشْكل الوحى بشىء من خبر السماء ، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ، لوقوع الحجة ، وقطع الشبهة . فآمنوا وصدقوا ، ثم : « وَلَّوْا إلى قومهم منذرين . قالوا : يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أُنْزِلَ من بعد موسى مُصَدِّقا لما بين يديه ، يهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم » . . . الآية .

وكان قول الجن : « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ، فزادوهم رهقا » . أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم إذا سافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه ، قال : إنى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه .

القذف بالنجوم قد كان قديما ، وذلك موجود فى أشعار القدماء من الجاهلية . منهم : عوف بن الجزْع ، وأوس ابن حجر ، وبشر بن أبى خازم ، وكلهم جاهلى ، وقد وصفوا الرمى بالنجوم ، وأبياتهم فى ذلك مذكورة فى مشكل ابن قتيبة فى تفسير سورة الجن ، وذكر عبد الرزاق فى تفسيره عن مَعْمَر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمى بالنجوم : أكان فى الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنه إذ جاء الإسلام غُلِّظَ وشُدِّد . وفى قول الله سبحانه : « وأنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرساً شديدا وشهباً » ، ولم يقل : حُرست دليل على أنه قد كان منه شىء ، فلما بعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ملئت حرسا شديدا وشهباً ، وذلك لينحسم أمر الشياطين ، وتخليطهم ، ولتكون الآية أبين ، والحجة أقطع ، وإن وجد اليوم كاهن ؛ فلا يدفع ذلك بما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع ، فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة ، ثم بقيت منه ، أعنى من استراق السمع بقايا يسيرة ، بدليل وجودهم على الندور فى بعض الأزمنة ، وفى بعض البلاد . وقد سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الكهان فقال : « ليسوا بشىء ، فقيل : إنهم يتكلمون بالكلمة ، فتكون كما قالوا ، فقال : تلك الكلمة من الجن يحفظها الجنى ، فيُقَرُّها فى أذن وليه قر الزجاجة ، فيخلط فيها أكثر من مائة كذبة » ، ويروى : قَرَّ الدجاجة بالدال ، وعلى هذه الرواية تكلم قاسم بن ثابت فى الدلائل . والزجاجة بالزاى أولى ؛ لما ثبت فى الصحيح : فيقرها فى أذن وليه ، كما تقر القارورة ، ومعنى يقرها : يصبها ويفرغها ، قال الراجز :

لا تُفْرِغَنْ فى أذنى قَرَّها ما يَسْتَفِزُّ فأريك فقرها

وفى تفسير ابن سلام عن ابن عباس ، قال : إذا رمى الشهابُ الجنىَّ لم يخطئه ، ويحرق ما أصاب ولا يقتله ، وعن الحسن قال : فى أسرع من طرفة العين ، وفى تفسير ابن سلام أيضا عن أبى قتادة أنه كان مع قوم ، فرمى بنجم ، فقال : لا تتبعوه أبصاركم ، وفيه أيضا عن حفص أنه سأل الحسن : أيُتْبِعُ بصرَه الكوكبَ . فقال :

قال ابن هشام : الرهق : الطغيان والسَّفه . قال رؤبة بن العجَّاج .

إذ تَسْتَبى الهَيَّامة المُرَهَّقا

وهذا البيت فى أرجوزة له . والرهق أيضاً : طلبك الشىء حتى تدنو منه ، فتأخذه ، أو لا تأخذه قال رؤبة ابن العجاج يصف حمير وحش :

بَصْبَصْنَ واقْشَعَرَرْنَ من خوف الرَّهَقْ

وهذا البيت فى أرجوزة له . والرهق أيضاً : مصدر لقول الرجل : رَهِقت الإثم أو العُسْرَ الذى أرهقتنى رهقا شديداً ، أى : حملت الإثم أو العسر الذى حملتنى حملا شديدا ، وفى كتاب الله تعالى : « فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً » ، وقوله : « ولا ترهقنى من أمرى عسراً » .

ثقيف أول من فزعت برمي الجن : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث أن أول العرب فزع للرمى بالنجوم — حين رُمى بها — هذا الحى من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بنى عِلاج — قال : وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا — فقالوا له : يا عمرو : ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم . قال : بلى فانظروا ، فإن كانت معالم النجوم التى يهتدى بها فى البر والبحر ، وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يُصلح الناس فى معايشهم ، هى التى يرمى بها ، فهو والله طى الدنيا ، وهلاك هذا الخلق الذى فيها ، وإن كانت نجوماً غيرها ، وهى ثابتة على حالها ، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق ، فما هو ؟

قال سبحانه : « وجعلناها رجوما للشياطين » وقال : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » قال : كيف نعلم إذا لم ننظر إليه ، لأُتْبِعَنَّه بصرى .

الجن الذين نزل القرآن فيهم وأسماؤهم : وذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم القرآن والذين : « ولَّوْا إلى قومهم منذرين ، قالوا : يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى » . وفى الحديث أنهم كانوا من جن نصيبين . وفى التفسير أنهم كانوا يهوداً ، ولذلك قالوا : من بعد موسى ، ولم يقولوا من بعد عيسى ، ذكره ابن سلام . وكانوا سبعة ، قد ذُكروا بأسمائهم فى التفاسير والمسندات ، وهم : شاصر ، وماصر ، ومنشى ، ولاشى ، والأحقاب ، وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد .

ووجدت فى خبر حدثنى به أبو بكر بن طاهر الإشبيلى القيسى عن أبى على الغسانى فى فضل عمر بن عبد العزيز قال : بينا عمر بن عبد العزيز يمشى فى أرض فلاة فإذا حية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ، ودفنها فإذا قائل يقول : يا سُرَّق اشهد ، لسمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول لك : ستموت بأرض فلاة ، فيكفنك ويدفنك رجل صالح ، فقال : من أنت — يرحمك الله — فقال : رجل من الجن الذين تسمَّعوا القرآن من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يبق منهم إلا أنا وسُرَّقٌ ، وهذا سرق قد مات .

وذكر ابن سلام من طريق أبى إسحاق السبيعى عن أشياخه عن ابن مسعود أنه كان فى نفر من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يمشون فرُفع لهم إعصار ، ثم جاء إعصار أعظم منه ، ثم انقشع ، فإذا حية قتيل ، فعمد رجل منا إلى ردائه فشقه ، وكفن الحية ببعضه ودفنها ، فلما جَنَّ الليل إذا امرأتان تتساءلان : أيكم دفن عمرو بن جابر ؟ فقلنا : ماندرى من عمر بن جابر ؟ فقالتا : إن كنتم ابتغيتم الأجر فقد وجدتموه . إن فسقة

الرسول يسأل الأنصار عن قولهم فى رجم الجن بالشهب وتوضيحه الأمر : قال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، عن عبد الله بن العباس ، عن نفر من الأنصار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : « ماذا كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يُرمى به قالوا : يا نبى الله كنا نقول حين رأيناها يرمى بها : مات مَلِك ، مُلِّكَ مَلِكٌ ، ولد مولود ، مات مولود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك كذلك ، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى فى خلقه أمرا سمعه حملة العرش ، فسبحوا ، فسبح من تحتهم ، فسبح لتسبيحهم من تحت ذلك ، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا ، فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض : مِمّ سبحتم ؟ فيقولون : سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم ، فيقولون : ألا تسألون من فوقكم : مِمّ سبحوا ؟ فيقولون مثل ذلك ، حتى ينتهوا إلى حملة العرش ، فيقال لهم : مِمّ سبحتم ؟ فيقولون : قضى الله فى خلقه كذا وكذا ، للأمر الذى كان ، فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا ، فيتحدّثوا به ، فتسترقه الشياطين بالسمع ، على توهُّم واختلاف ، ثم يأتوا به الكهان ، من أهل الأرض فيحدثوهم به فيخطئون ويصيبون ، فيتحدث به الكهان فيصيبون ، بعضا ويخطئون بعضا . ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التى يقذفون بها ، فانقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن أبى جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة ، عن على بن الحسين بن على رضى الله عنه بمثل حديث ابن شهاب عنه .

الجن اقتتلوا مع المؤمنين منهم ، فقُتِل عمرو ، وهو الحية التى رأيتم ، وهو من النفر الذين استمعوا القرآن من محمد — صلى الله عليه وسلم — ثم وَلَّوْا إلى قومهم منذرين !!

ابن علاط يستمع إلى الجن : وأما ما ذكره فى معنى قوله سبحانه : « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن » الآية ؛ فقد روى فى معنى ذلك عن حجاج بن عِلاطٍ السَّلَمِى ، وهو والد نصر بن حجاج الذى قيل فيه :

أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج[1]

أنه قدم مكة فى ركب ، فأجَنَّهم الليل بواد مخوف موحش ، فقال له الركب : قم خذ لنفسك أمانا ، ولأصحابك ، فجعل يطوف بالركب ويقول :

أعيذ نفسى وأعيذ صحبى
من كل جِنّىٍّ بهذا النَّقْبِ
حتى أءوب سالما وركبى

---

(١) والقصة : أن عمر بينما كان يعس ليلا إذ سمع امرأة ـ فريعة بنت همام أم الحجاج ـ تقول شعرا أوله :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج

فأمر بالمرأة فضربها بالدرة ضربات ، وأمر بنصر فحلق شعره ونفاه إلى البصرة .

الغيطلة وصاحبها : قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن امرأة من بنى سهم يقال لها الغَيْطَلَة ، كانت كاهنة فى الجاهلية ، فلما جاءها صاحبها فى ليلة من الليالى ، فأنقَضَ تحتها ، ثم قال : أدْرِ ما أدْرِ ، . يوم عقر ونحر ، فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فأنقض تحتها ، ثم قال : شعوب ، ما شعوب ، تُصرع فيه كَعْبٌ لِجُنُوب : فلما بلغ ذلك قريشا ، قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن ، فانظروا ما هو ؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب ، فعرفوا أنه الذى كان جاء به إلى صاحبته .

فسمع قارئا : « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض » الآية . فلما قدم مكة خبر كفار قريش بما سمع ، فقالوا : أصبت يا أبا كلاب . إن هذا يزعم محمد أنه أنزل عليه ، فقال : والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معى ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وابتنى بها مسجداً فهو يعرف به .

انقطاع أخبار السماء عن الكهان : وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس وفيه : « كنا نقول إذا رأيناه : يموت عظيم أو يولد عظيم » وفى هذا دليل على ما قدمناه من أن القذف بالنجوم كان قديما ، ولكنه إذ بعث الرسول ـ عليه السلام ـ غُلِّظ وشُدِّد ــ كما قال الزهرى ــ وملئت السماء حرسا . وقوله فى آخر الحديث : وقد انقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة . يدل قوله : اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه ، والذى انقطع اليوم، وإلى يوم القيامة ، أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه فى الجاهلية الجهلاء ، وعند تمكنها من سماع أخبار السماء ، وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبر منهم عما يَرَوْنه فى الأرض ، مما لا نراه نحن كسرقة سارق ، أو خبيئته فى مكان خفى ، أو نحو ذلك ، وإن أخبروا بما سيكون كان تخرصاً وتظنِّياً ، فيصيبون قليلا ، ويخطئون كثيرا . وذلك القليل الذى يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة فى العنان ، كما فى حديث البخارى ، فيُطرَدُون بالنجوم ، فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة ــ كما قال عليه السلام ــ فى الحديث الذى قدمناه .

فإن قلت : فقد كان صاف بن صياد ، وكان يتكهن ، ويدعى النبوة ، وخَبَّأ له النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ خبيئاً ، فعلمه ، وهو الدخ ، فأين انقطاع الكهانة فى ذلك الزمان ؟ قلنا : عن هذا جوابان ، أحدهما ذكره الخطابى فى أعلام الحديث قال : الدخ نبات يكون من النخيل ، وخبأ له عليه السلام : « فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين » فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خبأ له النبى ــ صلى الله عليه وسلم .

الثانى : أن شيطانه كان يأتيه بما خفى من أخبار الأرض ، ولا يأتيه بخبر السماء لمكان القذف والرجم ، فإن كان أراد بالدُّخِّ الدخان بقوة جعلت لهم فى أسماعهم ليست لنا ، فألقى الكلمة عن لسان صافٍ وحدها ، إذ لم يمكن سماع سائر الآية ؛ ولذلك قال له النبى ـ عليه السلام : اخسأ فلن تعدو قدر الله فيك ، أى : فلن تعدو منزلتك من العجز عن علم الغيب ؛ وإنما الذى يمكن فى حقه هذا القدر دون مزيد عليه ، على هذا النحو فسره الخطابى .

نسب الغيطلة: قال ابن هشام: الغَيْطَلَةُ: من بنى مرة بن عبد مناة بن كنانة، إخوة مُدْلِج بن مرة، وهى أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب فى قوله:

لقد سَفُهَت أحلام قوم تبدلوا ... بنى خلف قَيْضاً بنا والغياطل

فقيل لولدها: الغياطل، وهم من بنى سهم بن عمرو بن هُصَيْص. وهذا البيت فى قصيدة له، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى.

كاهن جنب يذكر خبر الرسول (ص): قال ابن إسحاق: وحدثنى على بن نافع الجُرَشِىّ: أن جَنْبا بطناً من اليمن، كان لهم كاهن فى الجاهلية، فلما ذُكر أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانتشر فى العرب،

الغيطلة: نسبها وكهانتها: وذكر حديث الغَيْطَلة الكاهنة، قال: وهى من بنى مرة بن عبد مَناة بن كنانة أخى مُدْلج، وهى: أم الغياطل الذى ذكر أبو طالب، وسنذكر معنى الغيطلة عند شعر أبى طالب إن شاء الله. ونذكر هاهنا ما ألفيته فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر فى هذا الموضع. قال: الغيطلة بنت مالك بن الحارث ابن عمرو بن الصَّعِق بن شنوق بن مرة، وشنوق أخو مدلج، وهكذا ذكر نسبها الزبير.

وذكر قولها: شُعُوب وما شعوب، تُصرَع فيها كَعْبٌ لجُنُوب. كعب هاهنا هو: كعب بن لؤى، والذين صرعوا لجنوبهم ببدر وأحد من أشراف قريش، معظمهم من كعب بن لؤى، وشعوب هاهنا أحسبه بضم الشين، ولم أجده مقيدا، وكأنه جمع شعب، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال: فلم يُدْرَ ما قالت، حتى قتل من قتل ببدر وأحد بالشعب.

تابع الغيطلة وقوله: وذكر قول التابع: أدر ما أدر، وقيد عن أبى على فيه رواية أخرى: وما بَدْر؟ وهى أبين من هذه.

فاطمة النجارية وتابعها: وفى غير رواية البكائى عن ابن إسحاق أن فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع من الجن، وكان إذا جاءها اقتحم عليها فى بيتها، فلما كان فى أول البعث أتاها، فقعد على حائط الدار، ولم يدخل فقالت له: لم لا تدخل؟ فقال: قد بعث نبى بتحريم الزنا، فذلك أول ما ذُكر النبى - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة.

ثقيف ولهب والكاهن خطر: وذكر إنكار ثقيف للرمى بالنجوم، وما قاله عمرو بن أمية أحد بنى عِلاجٍ إلى آخر الحديث، وهو كلام صحيح المعنى، لكنّ فيه إبهاما لقوله: وإن كانت غير هذه النجوم فهو لأمر حدث، فما هو، وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لِهْبٍ عند فزعهم للرمى بالنجوم، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له: خطر، فبين لهم الخبر، وما حدث من أمر النبوة.

روى أبو جعفر العقيلى فى كتاب الصحابة عن رجل من بنى لهب يقال له: لِهْبٌ أو لُهَيْب. وقد تكلمنا على نسب لهب فى هذا الكتاب. قال لهيب: حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت عنده الكهانة، فقلت: بأبى وأمى: نحن أول من عرف حراسة السماء، وزجر الشياطين، ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم، وذلك أننا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له: خطر بن مالك، وكان شيخاً كبيرا، قد أتت عليه مائتا سنة

قالت له جَنْشب : انظر لنا فى أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له فى أسفل جبله ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائما متكئا على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلا ، ثم جعل يَنْـزُو ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومُكثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتد فى جبله راجعا من حيث جاء .

وثمانون سنة ، وكان من أعلم كهاننا ، فقلنا : يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التى يرمى بها ، فإنا قد فزعنا لها ، وخشينا سوء عاقبتها ؟ فقال :

إئتونى بسَحَر
أخبركم الخبر
أبخير أم ضرر
أو لأمنٍ أو حذر

قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد فى وجه السحر أتيناه ، فإذا هو قائم على قدميه ، شاخص فى السماء بعينيه ، فناديناه : أخطر يا خطر ؟ فأومأ إلينا : أن أمسكوا ، فانقض نجم عظيم من السماء ، وصرخ الكاهن رافعا صوته :

أصابَه إصابه خامَرَهُ عقابه
عاجله عذابه أحرقه شهابه
زايله جوابه
يا ويله ما حاله بَلْبَله بَلْبالُه
عاوده خَبَالُه تقطعت حباله
وغَيَّرت أحواله

ثم أمسك طويلا وهو يقول :

يا معشر بنى قحطان	أخبركم بالحق والبيان
أقسمت بالكعبة والأركان	والبلد المؤتمن السُّدَّان
لقد مُنع السمع عُتَاةُ الجان	بثاقب بكف ذى سلطان
من أجل مبعوث عظيم الشان	يبعث بالتنزيل والقرآن
وبالهدى وفاصل القرآن	تَبْطُل به عبادة الأوثان

قال : فقلنا : ويحك يا خطر إنك لتذكر أمراً عظيما ، فماذا ترى لقومك ؟ فقال :

أرى لقومى ما أرى لنفسى	أن يتبعوا خير نبي الإنس
برهانه مثل شعاع الشمس	يُبعثُ فى مكة دار الحُمْس

بمحكم التنزيل غير اللَّبْس

. . . .

فقلنا له : يا خطر ، ومن هو ؟ فقال : والحياة والعيش . إنه لمن قريش ، ما فى حلمه طيش ، ولا فى خلقه هيش[1] يكون فى جيش ، وأى جيش ! من آل قحطان وآل أيش ، فقات له : بين لنا : من أى قريش هو ؟ فقال : والبيت ذى الدعائم ، والركن والأحائم ، إنه لمن نجل هاشم ، من معشر كرائم ، يُبْعَث بالملاحم ، وقتل كل ظالم ، ثم قال : هذا هو البيان ، أخبرنى به رئيس الجان ، ثم قال : الله أكبر ، جاء الحق وظهر ، وانقطع عن الجن الخبر — ثم سكت وأغمى عليه ، فما أفاق إلا بعد ثلاثة ، فقال : لا إله إلا الله ؛ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : لقد نطق عن مثل نبوة ، وإنه ليبعث يوم القيامة أمة وحده .

أصل همزة إصابه : قال المؤلف : فى هذا الخبر قوله : أصابه إصابه ، هكذا قيدته بكسر الهمزة من إصابه على أبى بكر بن طاهر ، وأخبرنى به عن أبى على الغسانى ، ووجهه أن تكون الهمزة بدلا من واو مكسورة مثل وشاح وإشاح . والمعنى : أصابه وصابه جمع : وصب ، مثل : جمل و جمالة .

من هم آل قحطان ومعنى كلمة أيش : وقوله : من آل قحطان وآل أيْش ، يعنى بآل قحطان : الأنصار ؛ لأنهم من قحطان ، وأما آل أيش ، فيحتمل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين . ينسبون إلى أيْش ، فإن يكن هذا ، وإلا فله معنى فى المدح غريب ، تقول : فلان أيش هو وابن أيش ، ومعناه : أى شىء أى شىء عظيم فكأنه أراد من آل قحطان ، ومن المهاجرين الذى يقال فيهم مثل هذا ، كما تقول : هم ، وما هم ؟ وزيد وما زيد ، وأى شىء زيد ، وأيش فى معنى : أى شىء ، كما يقال وَيْـلُمِّـه فى معنى : ويل أمه على الحذف لكثرة الاستعمال ، وهذا كما قال : هو فى جيش أيما جيش ، والله أعلم .

وأحسبه أراد بآل أيش : بنى أُقَيش ، وهم حلفاء الأنصار من الجن ؛ لحذف من الاسم حرفا ، وقد تفعل العرب مثل هذا ، وقد وقع ذكر بنى أقيش فى السيرة فى حديث البيعة .

معنى الأحائم : وذكر الركن والأحائم يجوز أن يكون أراد : الأحاوم بالواو ، فهمز الواو لانكسارها ، والأحاوم : جمع أحوام والأحوام جمع حَوْم ، وهو الماء فى البئر . فكأنه أراد : ماء زمزم ، والحوم أيضاً : إبل كثيرة ترد الماء ، فعبر بالأحائم عن وُرّاد زمزم ، ويجوز أن يريد بها الطير وحمام مكة التى تحوم على الماء ، فيكون بمعنى الحوائم ، وقلب اللفظ ، فصار بعد فواعل : أفاعل ، والله أعلم .

جنب : وذكر أن جَنبًا وهم حى من اليمن اجتمعوا إلى كاهن لهم ، فسألوه عن أمر النبى — صلى الله عليه وسلم — حين رمى بالنجوم إلى آخر الحديث : جنب هم من مَذْحِج ، وهم : عَيِّذ الله ، وأنس الله ، وزيد الله ، وأوس الله ، وجُعْفِى ، والحكم ، وجِرْوة ، بنو سعد العشيرة بن مذحج ، ومذحج هو : مالك بن أُدَد ، وسموا : جنبا لأنهم جانبوا بنى عمهم صُدَاء ويزيد ابنى سعد العشيرة بن مذحج . قاله الدارقطنى . وذكر فى موضع آخر خلافا فى أسمائهم ، وذكر فيهم بنى غَلىّ بالغين ، وليس فى العرب غلى غيره ، قال مهلهل :

أنكحها فقدها الأراقم فى جَنْب ، وكان الحباء من أدم

---

(١) الهيش : القبح .

سواد بن قارب يحدث عمر بن الخطاب عن صاحبه من الجن : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفان ، أنه حدث : أن عمر بن الخطاب ، بينا هو جالس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل من العرب داخلا المسجد ، يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه ، قال : إن هذا الرجل لَعَلَى شِرْكه ما فارقه بعد ، أو لقد كان كاهنا فى الجاهلية . فسلم عليه الرجل ، ثم جلس ، فقال له عمر ـ رضى الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهنا فى الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتَ فِىَّ ، واستقبلتنى بأمر ما أراك قلته لأحد من

معنى خلت فى : وذكر حديث عمر ، وقوله للرجل : أكنت كاهناً فى الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين لقد خِلْتَ فىَّ ، واستقبلتَنى بأمر ما أراك استقبلت به أحداً منذ وليت ؟ ! وذكر الحديث ، وقوله : خلت فى هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خلت وظننت ، كقولهم فى المثل : من يسمع يَخَلْ ، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر ، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر ، فإذا حذفت الجملة كلها جاز ؛ لأن حكمها حكم المفعول ، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد ، فى قولهم : من يسمع يخل دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع ، وفى قوله ، خلت فى دليل أيضاً ، وهو قوله : فِىَّ ، كأنه قال : خلت الشر فى أو نحو هذا .

معنى شيعه : وقوله : قبل الإسلام بشهر أو شَيْعه أى : دونه بقليل ، وشيع كل شىء : ما هو تبع له ، وهو من الشِّياع وهى : حطب صغار تجعل مع الكبار تبعا لها ، ومنه : المُشَيِّعة ، وهى : الشاة تتبع الغنم ، لأنها دونها فى القوة .

جليح أم ذريح : والصوت الذى سمعه عمر من العجل : يا جليح سمعت بعض أشياخنا يقول : هو اسم شيطان ، والجليح فى اللغة : ما تطاير من رءوس النبات وخف ، نحو القطن وشبهه ، والواحدة : جليحة ، والذى وقع فى السيرة : يا ذريح ، وكأنه نداء للعجل المذبوح لقولهم . أحمر ذَرِيحِىٌّ ، أى : شديد الحمرة ، فصار وصفا للعجل الذبيح من أجل الدم : ومن رواه : يا جليح ، فمآله إلى هذا المعنى ؛ لأن العجل قد جُلح أى : كشف عنه الجلد ، فالله أعلم .

سواد أم سدوسى : وهذا الرجل الذى كان كاهنا هو سواد بن قارب الدوسى فى قول ابن الكلبى ، وقال غيره : هو سدوسى وفيه يقول القائل :

ألا لله علم لا يُجارَى ... إلى الغايات فى جنْبى سواد

أتينــــاه نسائله امتحانا ... فلم يَبْعَل ، وأخبر بالسداد

وهذان البيتان فى شعر وخبر ذكره أبو على القالى فى أماليه .

أخبار حول سواد وكهانته فى الجاهلية : وروى غير ابن إسحاق هذا الخبر عن عمر على غير هذا الوجه ، وأن عمر مازحه ، فقال : ما فعلت كهانتك يا سواد ؟ ! فغضب ، وقال : قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الأصنام وأكل الميتات ، أفتعير نى بأمر تبت منه ؟ ! فقال عمر حينئذ : اللهم غَفْراً .

وذكر غير ابن إسحاق فى هذا الحديث سياقة حسنة وزيادة مفيدة ، وذكر أنه حَدَّث عمر أن رئيه

رعيتك منذ وليتَ ما وليتُ ، فقال عمر : اللهم غفراً ، قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا ، نعبد الأصنام ، ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام ، قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنت كاهنا فى الجاهلية ، قال : فأخبرنى ما جاءك به صاحبك ، قال : جاءنى قبل الإسلام بشهر أو شَيْعه ، فقال : ألم تر إلى الجن وإبلاسها ، وإياسها من دينها ، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها .

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

قال عبد الله بن كعب : فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس : والله إنى لعند وثن من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن ننتظر قَسْمه ليقسم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أنفذ منه ، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شَيْعه ، يقول : يا ذريح ، أمر نجيح ، رجل يصيح ، يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال : رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يقول : لا إله إلا الله . وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر .

عجبت للجن وإبْلاسِهَا وشدِّها العِيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن كأنجاسها

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من الكهان من العرب .

جاء ثلاث ليال متواليات ، هو فيها كلها بين النائم واليقظان ، فقال : قم يا سواد ، واسمع مقالتى ، واعقل إن كنت تعقل ، قد بُعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وعبادته ، وأنشده فى كل ليلة من الثلاث الليالى : ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة :

عجبت للجن وتطلابها وشَدِّها العيس بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما صادق الجن كَكَذّابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قُدامَاها كأذنابها

وقال له فى الثانية :

عجبت للجن وإبلاسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما طاهر الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس ذُنَابا الطير من رأسها

وقال له فى الثالثة :

عجبت للجن وتَنْفَسارِها وشدها العيس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمن الجن ككفّارِها
فارحل إلى الآتقينَ من هاشم ليس قُدَاماها كأدبارها

وذكر تمام الخبر ، وفى آخر شعر سواد قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأنشده ما كان من الجنى رئِيِّه ثلاث ليال متواليات ، وذلك قوله :

أتانى نَجِيِّى بعد هَدْء ورقدة ... ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كلَّ ليلة ... أتاك نبي من لؤى بن غالب
فرفّعتُ أذيال الإزار وشمَّرَتْ ... بى العِرْمِسُ الوجنا هجول السباسب(١)
فأشهد أن الله لا شىء غيره ... وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة ... إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك من وحى ربنا ... وإن كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

خطبة سواد عند وفاة الرسول (ص) : ولسواد بن قارب هذا مقام حميد فى دوس حين بلغهم وفاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقام حينئذ سواد ، فقال : يا معشر الأزد ، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ، ومن شقائهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم ، ومن لم تنفعه التجارب ضرته ، ومن لم يَسَعْهُ الحق لم يسعه الباطل ، وإنما تسلون اليوم بما أسلتم به أمس ، وقد علمتم أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قد تناول قوما أبعد منكم فظفر بهم ، وأوعد قوما أكثر منكم فأخافهم ، ولم يمنعه منكم عُدة ولا عدد ، وكل بلاء مَنْسِى إلا ما بقى أثره فى الناس ، ولا ينبغى لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية ، وإنما كف نبى الله عنكم ما كفكم عنه ، فلم تزالوا خارجين مما فيه أهلُ البلاء ، داخلين بما فيه أهل العافية ، حتى قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خطيبكم ونقيبكم فعبر الخطيب عن الشاهد ، ونقَّب النقيب عن الغائب ، ولست أدرى لعله تكون للناس جولة ، فإن تكن فالسلامة منها : الأناة ، والله يحبها ، فأحبوها . فأجابه القوم وسمعوا قوله .

شعر لسواد : فقال فى ذلك سواد بن قارب :

جَلَّت مصيبتك الغداة سواد ... وأرى المصيبة بعدها تزداد
أبقى لنا فَقْدُ النبى محمد ... — صلى الإله عليه — ما يَعْتَاد
حزنا لعمرك فى الفؤاد مُخَامِراً ... أو هل لمن فقد النبى فؤاد ؟
كنا نَحُلُّ به جنابا مُمْرِعاً ... جف الجناب ، فأجدب الرواد
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا ... وتصدعت وجداً به الأكباد
قَلَّ المتاع به ، وكان عِيانه ... حلماً تضمن سكرتيه رقاد
كان العيان هو الطريف وحزنه ... باق لعمرك فى النفوس تِلاد
إن النبى وفاته كحياته ... الحق حق والجهاد جهاد
لو قيل : تفدون النبى محمداً ... بُذِلت له الأموال والأولاد
وتسارعت فيه النفوس ببذلها ... هذا له الأغياب والأشهاد
هذا ، وهذا لا يرد نبينا ... لو كان يفديه فداه سواد

(١) العرمس : الناقة الشديدة . الوجنا : أصلها الوجناء : عظيمة : الوجنتين . والهجول : أصلها الأراضى المطمئنة . السباسب : المفاوز من الأرض .

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

اليهود - لعنهم الله - يعرفونه ويكفرون به : قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه . قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه ، لما كنا نسمع من رجال يهود ، كنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا : إنه تقارب زمان نبي يُبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم .

فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه ، حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به . فبادرناهم إليه ، فآمنا به ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مُصَدِّقٌ لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » .

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضا : يتحاكمون ، وفي كتاب الله تعالى : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين » .

سلمة يذكر حديث اليهودي الذي أنذر بالرسول (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش — وكان سلمة من أصحاب بدر — قال : كان لنا جار من يهودَ في بني عبد الأشهل ، قال : فخرج علينا يوما من بيته ، حتى وقف على بني عبد الأشهل — قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً ، عليّ بُرْدةٌ لي ، مضطجع فيها بفناء أهلي — فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يَرَوْن أن بعثا كائن بعد الموت ، فقالوا له : ويحك يا فلان ! أو ترى هذا كائنا ، أن الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يُجزَون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يُحلَف به ، ويَوَدُّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تَنُّور في الدار ، يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه ، بأن ينجوَ من تلك النار غدا ، فقالوا له : ويحك يا فلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبي مبعوث من نحو هذه البلاد — وأشار بيده إلى مكة واليمن — فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلي ، وأنا من أحدثهم سنا ، فقال : إن يَستنفد هذا الغلام عمره يدركه .

أنّى أحاذر والحوادث جمة ... أمراً لعاصف ريحه إرعاد

إن حل منه ما يخاف فأنتم ... للأرض — إن رجفت بنا — أوتاد

لو زاد قوم فوق منية صاحب ... زدتم ، وليس لمنية مزداد

فأعجب القوم شعره ، وقوله : فأجابوا إلى ما أحب .

سوداء بنت زهرة كاهنة قريش : ومن هذا الباب خبر سوداء بنت زهرة بن كلاب ، وذلك أنها حين ولدت ورآها أبوها زرقاء شيماء أمر بوأدها ، وكانوا يئدون من البنات ما كان على هذه الصفة فأرسلها إلى الحجون لتدفن هناك ، فلما حفر لها الحافر ، وأراد دفنها سمع هاتفا يقول : لا تئدن الصبية ، وخلها في البرية ، فالتفت فلم ير شيئا ، فعاد لدفنها ، فسمع الهاتف يهتف بسجع آخر في المعنى ، فرجع إلى أبيها ، فأخبره بما سمع ، فقال : إن لها

قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث اللهُ محمدا رسولَه — صلى الله عليه وسلم — وهو حى بين أظهرنا ، فآمنا به ، وكفر به بغياً وحسداً . قال : فقلنا له . ويحك يا فلان ! ! ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ، ولكن ليس به .

ابن الهيبان اليهودى يتسبب فى إسلام ثعلبة وأسيد ابنى سعية وأسد بن عبيد : قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال : قال لى : هل تدرى عَمّ كان إسلام ثعلبة بن سَعْيَة وأسيد ابن سعية وأسد بن عبيد نفر من بنى هَدْل ، إخوة بنى قريظة ، كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم فى الإسلام . قال : قلت : لا ، قال : فإن رجلا من يهود من أهل الشام ، يقال له : ابن الهَيَّبَان ، قدم علينا قبيل الإسلام بسنين ، فحل بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قَحَطَ عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا ، فيقول . لا والله ، حتى تُقَدِّموا بين يدى مخرجكم صدقة ، فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعا من تمر : أو مُدَّيْن من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا ، فيستسقى الله لنا ، فوالله مايبرح مجلسه ، حتى تمر السحابة وتسقى ، قد فعل ذلك غير مرة ولامرتين ولاثلاث . قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت ، قال : يامعشر يهود ، ماترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إنك أعلم ، قال : فإنى إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبى قد أظل زمانه . وهذه البلدة مُهاجَره ، فكنت أرجو أن يُبعث ، فأتبعه ،وقد أظلكم زمانه ، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يامعشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء ، وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحاصر بنى قريظة ، قال هؤلاء الفتية ، وكانوا شبابا أحداثا : يابنى قريظة ، والله إنه للنبى الذى كان عهد إليكم فيه ابن الهَيَّبان ، قالوا : ليس به ، قالوا : بلى والله ، إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

لشأنا ، وتركها ، فكانت كاهنة قريش ، فقالت يوما لبنى زُهْرة : إن فيكم نذيرة ، أو تلد نذيراً ، فاعْرِضوا علىَّ بناتكم ، فعرضن عليها ، فقالت فى كل واحدة منهن قولا ظهر بعد حين ، حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب ، فقالت : هذه النذيرة ، أو تلد نذيرا ، وهو خبر طويل ذكر الزبير منه يسيرا ، وأورده بطوله أبو بكر النقاش ، وفيه ذكر جَهَنَّمَ — أعاذنا الله منها — ولم يكن اسم جهنم ، مسموعا به عندهم ، فقالوا لها : وما جهنم ، فقالت : سيخبركم النذير عنها .

حديث سلمة بن وقش : وذكر ابن إسحاق حديث سلمة بن سلامة بن وقش ، وما سمع من اليهودى حين ذكر الجنة والنار ، وقال : آية ذلك نبى : مبعوث قد أظل زمانه إلى آخر الحديث ، وليس فيه إشكال ، وابن وقش يقال فيه : وقش بتحريك القاف وتسكينها ، والوقش : الحركة .

ابن الهيبان وبنو سعية : وذكر حديث ابن الهيبان ، وما بشر به من أمر النبى — صلى الله عليه وسلم — وأن ذلك كان سبب إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن سعية ، وهم من بنى هدل ، والهيبان من المسمين بالصفات ، يقال : قُطْنٌ هَيَّبان أى : منتفش ، وأنشد أبو حنيفة :

حديث إسلام سلمان رضى الله عنه

سلمان - رضى الله عنه - يتشوف إلى النصرانية بعد المجوسية : قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر ابن قتادة الأنصارى . عن محمود بن لبيد ، عن عبدالله بن عباس ، قال : حدثنى سلمان الفارسى من فيه قال : كنت رجلا فارسيا من أهل إصْبَهَان من أهل قرية يقال لها : جَىّ ، وكان أبى دِهْقانُ قريته ، وكنت أحب خلق الله إليه ، لم يزل به حبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تُحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قَطَن النارْ الذى يوقدها لايتركها تخبو ساعة . قال : وكانت لأبى ضيعة عظيمة ، قال فشُغل فى بنيان له يوماً ، فقال لى : يابنى ، إنى قد شُغلت فى بنيانى هذا ليوم عن ضَيعتى فاذهب إليها . فاطّلعها — وأمرنى فيها ببعض مايريد — ثم قال لى : ولاتحتبس عنى ؛ فإنك إن احتبست عنى كنتَ أهم إلىّ من ضيعتى ، وشغلتنى عن كل شىء من أمرى . قال: فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدرى ماأمر الناس ، لحبس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم ، أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم ، أعجبتنى صلاتهم ، ورغبت فى أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فوالله مابرحتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبى فلم آتها ، ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . فرجعت إلى أبى ، وقد بعث فى طلبى ، وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : أى بنى أين كنت ؟ أو لم أكن عَهِدْتُ إليك ماعهدتُ ؟ قال : قلت له : ياأبت ، مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم ، فأعجبنى مارأيت من دينهم ، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس ، قال : أى بنى ، ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، قال : قلت له : كلا والله ، إنه لخير من ديننا . قال : فخافنى ، فجعل فى رجلى قيداً ؛ ثم حبسنى فى بيته .

سلمان يهرب إلى الشام : قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم . قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى ، فأخبرونى بهم ، فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم ، فآذنونى بهم : قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم ، أخبرونى بهم ، فألقيت الحديد من رجلى ، ثم خرجت معهم ، حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين علما ؟ قالوا : الأسقُفّ فى الكنيسة .

تُطير النَّعامَ الهَيَّبان ، كأنه جَنَى عُشَرٍ تنفيه أشداقها الهُدْل

والهَيَّبان أيضا : الجبان ، وقد قدمنا الاختلاف فى هدل .

أُسيد : وأما أسيد بن سعية ، فقال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدنى ، عن ابن إسحاق ، وهو أحد رواة المغازى عنه أُسيد بن سعية بضم الألف ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، وهو قول الواقدى وغيره أسيد بفتحها قال : الدار قطنى : وهذا هو الصواب ، ولايصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق ، وبنو سعية هؤلاء فيهم أنزل الله عز وجل : « من أهل الكتاب أمة قائمة » الآية ، وسَعْية أبوهم يقال له : ابن العريض ، وهو بالسين المهملة ، والياء المنقوطة باثنتين .

سلمان مع أسقف النصارى السيء : قال : لجئته ، فقلت له : إنى قد رغبت فى هذا الدين ، فأحببت أن أكون معك ، وأخدمك فى كنيستك ، فأتعلم منك ، وأصلى معك ، قال : ادخل ، فدخلت معه . قال : وكان رجل سوء ، يأمرهم بالصدقة ، ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ، ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب ووَرِق . قال . فأبغضته بغضا شديدا ، لما رأيته يصنع ، ثم مات ، فاجتمعت إليه النصارى ، ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجل سَوْء ، يأمركم بالصدقة ، ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها ، اكتنزها لنفسه ، ولم يعط المساكين منها شيئا . قال : فقالوا لى : وما علِمُك بذلك ؟ قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كنزه ، قالوا : فدلنا عليه ، قال : فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا . قال : فلما رأوها قالوا : والله لاندفنه أبداً . قال : فصلبوه ، ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر ، فجعلوه مكانه .

سلمان مع أسقف النصارى الصالح : قال : يقول سلمان : فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس ، أرى أنه كان أفضل منه ، وأزهد فى الدنيا ، ولاأرغب فى الآخرة ولا أدأب ليلا ولانهاراً منه . قال : فأحببته حبا لم أحبه شيئا قبله مثله . قال : فأقمت معه زمانا ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يافلان ، إنى قد كنت معك ، وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك ، وقد حضرك ماترى من أمر الله تعالى ، فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : أى بنى ، والله ماأعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناس ، وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلا بالموصل ، وهو على ما كنت عليه فالحق به .

سلمان يلحق بأسقف الموصل : فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب المَوْصل ، فقلت له : يافلان ، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك ، وأخبرنى أنك على أمره ، قال : فقال لى : أقم عندى ، فأقمت عنده ، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة ، قلت له يافلان : إن فلانا أوصى بى إليك ، وأمرنى باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ماترى ، فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : يابنى ، والله ماأعلم رجلا على مثل ما كنا عليه ، إلا رجلا بنَصِيبِين ، وهو فلان ، فالحق به .

سلمان يلحق بأسقف نصيبين : فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبرى ، وماأمرنى به صاحباى ، فقال : أقم عندى ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله مالبث أن نزل به الموت ، فلما حضِر ، قلت له : يافلان ! إن فلانا كان أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من توصى بى؟وبم تأمرنى؟ قال : يابنى ، والله ماأعلمه بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعَمُّورِيَّةَ من أرض الروم ، فإنه على مثل مانحن عليه ، فإن أحببت فأته ، فإنه على أمرنا .

زيد بن سعنة حبر اليهود وسبب إسلامه : وأما سُعْنَة بالنون ، فزيد بن سعنة حبر من أحبار يهود ، كان قد داين النبى — صلى الله عليه وسلم — فجاءه يتقاضاه قبل الأجل ، فقال : ألاتقضينى يا محمد ؟! فإنكم يا بنى عبد المطلب مُطُلٌ ، وما أردت إلا أن أعلم علمكم ، فارتعد عمر ، ودار ، كأنه فى فلك ، وجعل يلحظ يميناً وشمالا ، وقال : تقول هذا لرسول الله يا عدو الله ؟ ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا إلى غير هذا

سلمان يلحق بصاحب عمورية : فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبرى ، فقال : أقم عندى ، فأقمت عند خير رجل ، على هَدْى أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغُنَيْمة . قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حُضِر ، قلت له : يافلان ، إنى كنت مع فلان ، فأوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : أى بنى ، والله ماأعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبى ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مُهاجَرَه إلى أرض بين حَرَّتين ، بينهما نخل ، به علامات لاتخفى ، يأكل الهدية ، ولايأكل الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

سلمان يذهب إلى وادى القرى : قال : ثم مات وغُيِّب ، ومكثت بعمورية ماشاء الله أن أمكث ، ثم مر بى نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملونى إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه ، قالوا : نعم فأعطيتُهُموها ، وحملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى ، فباعونى من رجل يهودى عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ، ولم يحق فى نفسى .

سلمان يذهب إلى المدينة : فبينا أنا عنده ، إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ماهو إلا أن رأيتها ، فعرفتها بصفة صاحبى ، فأقمت بها ، وبُعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقام بمكة ماأقام ، لاأسمع له بذكر مع ماأنا فيه من شغل الرِّقّ ، ثم هاجر إلى المدينة .

سلمان يسمع بهجرة النبى (ص) إلى المدينة : فوالله إنى لفى رأس عَذْق لسيدى أعمل له فيه بعض العمل ، وسيدى جالس تحتى ، إذ اقبل ابن عم له ، حتى وقف عليه ، فقال : يافلان ، قاتل الله بنى قَيْلة ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقُبَاء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبى .

نسب قيلة : قال ابن هشام : قيلة : بنت كاهل بن عُذْرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سَوْد ابن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، أم الأوس والخزرج .

قال النعمان بن بشير الأنصارى يمدح الأوس والخزرج :

بهاليل من أولاد قَيْلة لم يجد ... عليهم خليط فى مخالطة عَتْباً
مساميح أبطال يُراحُون للندى ... يَرَوْن عليهم فعل آبائهم نَحْبًا

منك أحوج يا عمر : أن تأمرنى بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التَّبِعَة ، قم فاقضه عنى ، فوالله ما حل الأجل ، وزده عشرين صاعاً بما روعته .

وفى حديث آخر : أنه قال : دعه ، فإن لصاحب الحق مقالا ، ويذكر أنه أسلم لما رأى من موافقة وصف النبى عليه السلام لما كان عنده فى التوراة ، وكان يجده موصوفا بالحلم ، فلما رأى من حلمه ما رأى أسلم ، وتوفى غازيا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى غزوة تَبُوك ، ويقال فى اسمه : سَعْية بالياء كما فى الأول ، ولم يذكره الدارقطنى إلا بالنون .

وهذان البيتان فى قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، عن محمود بن لبيد ، عن عبدالله بن عباس ، قال سلمان : فلما سمعتها أخذتنى العُرواء . قال ابن هشام : العرواء : الرِّعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عرق فهى الرُّحَضاء ، وكلاهما ممدود ـ حتى ظننت أنى سأسقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ فغضب سيدى ، فلكمنى لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك ، قال : قلت : لاشىء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال .

سلمان يستوثق من رسالة محمد (ص) : قال : وقد كان عندى شىء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو بقُباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوُو حاجة ، وهذا شىء كان عندى للصدقة . فرأيتكم أحقّ به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده ، فلم يأكل . قال : فقلت فى نفسى : هذه واحدة . قال: ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئا ، وتحول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة ، ثم جئته به ، فقلت له : إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هَديَّة أكرمتك بها . قال: فأكل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها ، وأمر أصحابه ، فأكلوا معه . قال : فقلت فى نفسى : هاتان ثنتان ، قال : ثم جئت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ببقيع الغَرْقَد ، قد تبع جِنازة رجل من أصحابه ، علىّ شملتان لى ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى ، فلما رآنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استدبرته ، عرف أنى أستثبت فى شىء وُصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره . فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبله ، وأبكى ، فقال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: تحول ، فتحولت فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثى ، كما حدثتك يا ابن عباس ، فأعجب رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أن يسمع ذلك أصحابه. ثم شغل سلمان الرِّقّ حتى فاته مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدر وأحد .

سلمان يفتك نفسه من الرق بأمر رسول الله ومساعدته (ص) : قال سلمان : ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كاتب يا سلمان ، فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفَقِير ، وأربعين أوقية . فقال

حديث سلمان : وذكر حديث سلمان بطوله ، وقال : كنت من أهل إصبهان هكذا قيده البكرى فى كتاب المعجم بالكسر فى الهمزة ، وإصبَه بالعربية : فرس ، وقيل : هو العسكر ، فمعنى الكلمة : موضع العسكر أو الخيل ، أو نحو هذا وليس فى حديث سلمان على طوله إشكال ، ووقع فى الأصل فى هذا الحديث : فلما رآنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استدبرته ، ورأيت فى حاشية الشيخ : أستدير به ، وكذلك وقع فيه : أحييها له بالفقير ، وفى حاشية الشيخ : الوجه التَّفقِير .

أسماء النخلة فى أطوارها المختلفة : والفقير للنخلة . يقال لها فى الكرْمة : حَبِيَّة ، وجمعها : حبايا ، وهى

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فأعانونى بالنخل ، الرجل بثلاثين وَدِيَّة ، والرجل بعشرين ودية . والرجل بخمس عشرة ودية ، والرجل بعشر ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لى ثلثمائة ودية ، فقال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : اذهب يا سلمان فَفَقّر لها ، فإذا فرغت فأتنى ، أكن أنا

الحفيرة ، وإذا خرجت النخلة من النواة فهى : عَرِيسة ، ثم يقال لها : ودية ، ثم فَسِيلة ، ثم أشَاءَة ، فإذا فاتت اليد فهى : جَبَّارة ، وهى العضيد ، والكتيلة ، ويقال للتى لم تخرج من النواة ، لكنها اجتثت من جنب أمها : قلعة وجثيثة ، وهى الجثائث والهِراء ، ويقال للنخلة الطويلة : عَوانة بلغة عمان ، وعَيْدانة بلغة غيرهم ، وهى فيْعالة من عدن بالمكان(١) ، واختلف فيها قول صاحب كتاب العين ، فجعلها تارة : فَيْعالة من عدن ، ثم جعلها فى باب المعتل العين فَعْلانة .

ومن الفَسِيلة حديث أنس : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن قامت الساعة ، وبيد أحدكم فسيلة ، فاستطاع أن يغرسها قبل أن تقوم الساعة ، فليغرسها » من مصنف حماد بن سلمة . والذين صحبوا سلمان من النصارى كانوا على الحق على دين عيسى بن مريم ، وكانوا ثلاثين يَداولونه سيداً بعد سيد .

من أدب الرسول فى حديث سلمان : وذكر فى آخر الحديث أنه جمع شيئاً ، فجاء به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليختبره : أيأكل الصدقة ، أم لا ، فلم يسأله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحر أنت أم عبد ، ولا : من أين لك هذا ، ففى هذا من الفقه : قبول الهدية وترك سؤال المُهْدِى ، وكذلك الصدقة .

حكم الصدقة والهدية للنبى (ص) ومصدر مال سلمان : وفى الحديث : من قُدِّمَ إليه طعام فليأكل ، ولايسأل وذكر أبو عبيد فى كتاب الأموال حديث سلمان حجة على من قال إن العبد لايملك ، وقال لو كان لايملك ماقبل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صدقته ، ولاقال لأصحابه : كلوا صدقته . ذكر غير ابن إسحاق فى حديث سلمان الوجه الذى جمع منه سلمان ماأهدى للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : قال سلمان : كنت عبداً لامرأة ، فسألت سيدتى أن تهب لى يوما ، فعملت فى ذلك اليوم على صاع أو صاعين من تمر ، وجئت به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما رأيته لايأكل الصدقة ، سألت سيدتى أن تهب لى يوما آخر ، فعملت فيه على ذلك ، ثم جئت به هدية للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقبله وأكل منه ، فبيّن فى هذه الرواية الوجه الذى جمع منه سلمان ماذكر فى حديث ابن إسحاق .

رأى الأئمة فى حكم الصدقة على الرسول وآله : والصدقة التى قال النبي عليه السلام : لاتحل لمحمد ، ولا لآل هى المفروضة دون التطوع ، قاله الشافعى ، غير أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن تحل له صدقة الفرض ولا التطوع ، وهو معنى قول مالك .

وقال الثورى : لاتحل الصدقة لآل محمد فرضها ولانفلها ولا لمواليهم ، لأن مولى القوم من

---

(١) عدن بالمكان : أقام به .

أضعها بيدى . قال : ففقرت ، وأعانى أصحابى ، حتى إذا فرغت جئته ، فأخبرته ، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معى إليها ، فجعلنا نقرب إليه الودى ، ويضعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده ، حتى فرغنا ، فو الذى نفس سلمان بيده ، ما ماتت منها ودية واحدة .

قال : فأديت النخل ، وبقى على المال . فأُتِىَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمثل بيضة الدجاجة من ذهب، من بعض المعادن ، فقال : ما فعل الفارسى المُكاتَب ؟ قال : فدُعيت له ، فقال : خذ هذه ، فأدِّها مما عليك يا سلمان ، قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما على ؟ فقال : خذها ، فإن الله سيؤدى بها عنك . قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها - والذى نفس سلمان بيده - أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم منها ، وعتق سلمان . فشهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الخندق حراً ، ثم لم يفتنى معه مشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن رجل من عبد القيس عن سلمان : أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذى علىّ يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلبها على لسانه ، ثم قال : خذها فأوفهم منها ، فأخذتها ، فأوفيتهم منها حقهم كله ، أربعين أوقية .

حديث سلمان مع الرجل الذي بعمورية : قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حدثنى من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، قال : حُدثت عن سلمان الفارسى : أنه قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أخبره خبره : إن صاحب عمُّورِيَّة قال له : ائت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلا بين غيضتين ، يخرج فى كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزاً ، يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد منهم إلا شفى ، فاسأله عن هذا الدين الذى تبتغى ، فهو يخبرك عنه ، قال سلمان : فخرجت حتى أتيت حيث وصف

أنفسهم ، بذلك جاء الحديث . وقال مالك : تحل لمواليهم وقالت جماعة ، منهم أبو يوسف : لا تحل لآل محمد صدقة غيرهم ، وتحل لهم صدقة بعضهم على بعض ، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب .

أول من مات من أصحابه (ص) بالمدينة : وقول سلمان : فأتيت رسول الله وهو فى جنازة بعض أصحابه . صاحبه الذى مات فى تلك الأيام : كلثوم بن الهدم الذى نزل عليه النبي - صلى الله عليه وسلم . قال الطبرى : أول من مات من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم- بعد قدومه المدينة بأيام قليلة : كلثوم بن الهدم ، ثم مات بعده أسعد ابن زرارة .

البخاري يذكر بعضا من حديث سلمان : وذكر ابن إسحاق فى مكاتبة سلمان أنه فقر لثلاثمائة ودية أى : حفر ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وضعها كلها بيده ، فلم تمت منها ودية واحدة ، وذكر البخارى حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق . غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده ودية واحدة ، وغرس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سائرها ، فعاشت كلها إلا التى غرس سلمان . هذا معنى حديث البخارى .

الرجل الذى قابل سلمان بعمورية وهل هو المسيح ؟ وذكر عن داود بن الحصين قال: حدثنى من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز قال: قال سلمان للنبي -صلى الله عليه وسلم - وذكر خبر الرجل الذى كان يخرج مستجيزاً من غيضة إلى غيضة ، ويلقاه الناس بمرضاهم ، فلا يدعو لمريض إلا شفى ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إن كنت صدقتنى يا سلمان ، فقد رأيت عيسى ابن مريم . إسناد هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال : إن ذلك

لى، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى، فغشيه الناس بمرضاهم ، لا يدعو لمريض إلا شفى ، وغلبونى عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التى يريد أن يدخل ،إلا مِنكبه . قال : فتناولته . فقال : من هذا ؟ والتفت إلىّ ، فقلت : يرحمك الله ، أخبرنى عن الحنيفيَّة دين إبراهيم . قال : إنك لتسألنى عن شىء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبى يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فأته فهو يحملك عليه . قال : ثم دخل . قال : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لسلمان : لئن كنت صدقتنى يا سلمان ، لقد لقيت عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام .

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعبيد الله ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

تشككهم فى الوثنية : قال ابن إسحاق : واجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكِفُون عنده ، ويديرون به ، وكان ذلك عيداً لهم ، فى كل سنة يوما ، فخلص منهم أربعة نفر نَجِيّاً ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهم : ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى . وعُبيد الله بن جحش بن رئاب ابن يعمر بن صَبِرة بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خزيمة ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب . وعثمان بن الحُوَيْرِث بن أسد بن عبد العزى بن قصى . وزيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العزى بن عبد الله ابن قُرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى . فقال بعضهم لبعض : تعلَّموا والله ما قومكم على شىء ! لقد أخطئوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ؟ ! يا قوم التمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شىء ، فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين إبراهيم .

الرجل هو الحسن بن عمارة ، وهو ضعيف بإجماع منهم ، فإن صح الحديث ، فلا نكارة فى متنه ، فقد ذكر الطبرى أن المسيح عليه السلام نزل بعد مارفع ، وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذى فيه الصليب يبكيان ، فكلمهما ، وأخبرهما أنه لم يقتل ، وأن الله رفعه وأرسل إلى الحواريين ، ووجههم إلى البلاد ، وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارا ، ولكن لا يعلم أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء فى الصحيح والله أعلم ، ويروى أنه إذا نزل تزوج امرأة من جذام ، ويدفن إذا مات فى الروضة التى فيها النبى عليه السلام .

حديث الأربعة الرافضين للوثنية : وذكر حديث ورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان ابن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل وماتناجوا به .

تصحيح نسب زيد بن نفيل . وقال : زيد بن عمرو بن نفيل إلى آخر النسب ، والمعروف فى نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب : نفيل بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بتقديم رياح على عبدالله ، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر ، وزعم الدارقطنى أنه رزاح بالفتح ، وإنما رزاح بالكسر : رزاح بن ربيعة أخو قصى لأمه الذى تقدم ذكره .

تنصر ورقة وابن جحش : فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علما من أهل الكتاب . وأما عبيد الله بن جحش ، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مسلمة ، فلما قدمها تنصر ، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نصرانيا .

ابن جحش يغرى مهاجرى الحبشة على التنصر : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : كان عبيد الله بن جحش — حين تنصر — يمر بأصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهم هنالك من أرض الحبشة ، فيقول : فقَّحْنا وصَأْصَأْتُمْ ، أى : أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تبصروا بعد ، وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر ، صأصأ ؛ لينظر . وقوله : فقح : فتح عينيه .

رسول الله (ص) يخلف على زوجة ابن جحش بعد وفاته : قال ابن إسحاق : وخلف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن على بن حسين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها — إلى النجاشى — عمرو بن أمية الضَّمْرِىّ ، فخطبها عليه النجاشى ؛ فزوجه إياها ، وأصدقها عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أربعمائة دينار . فقال محمد بن على : ما نرى عبد الملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار إلا عن ذلك وكان الذى أملكها للنبى صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص .

رأى السهيلى فى الزواج من امرأة الأب فى الجاهلية : وأم زيد هى : الحيداء بنت خالد الفَهْمية ، وهى امرأة جده نُفيل ، ولدت له الخطاب فهو أخو الخطاب لأمه ، وابن أخيه ، وكان ذلك مباحا فى الجاهلية بشرع متقدم ، ولم تكن من الحرمات التى انتهكوها ، ولا من العظائم التى ابتدعوها ، لأنه أمر كان فى عمود نسب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكنانة تزوج امرأة أبيه خزيمة ، وهى برة بنت مر ، فولدت له النضر بن كنانة ، وهاشم أيضا قد تزوج امرأة أبيه واقدة فولدت له ضعيفة ، ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأنها لم تلد جدا له ، أعنى : واقدة ، وقد قال عليه السلام : أنا من نكاح لا من سفاح ، ولذلك قال سبحانه : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » أى : إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام : وفائدة هذا الاستثناء ألا يعاب نسب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وليعلم أنه لم يكن فى أجداده من كان لغية[1] ولا من سفاح . ألا ترى أنه لم يقل فى شىء نهى عنه فى القرآن : إلا ما قد سلف ، نحو قوله : « ولا تقربوا الزنا » ولم يقل إلا ما قد سلف : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله » ولم يقل إلا ما قد سلف ، ولا فى شىء من المعاصى التى نهى عنها إلا فى هذه ، وفى الجمع بين الأختين ؛ لأن الجمع بين الأختين قد كان مباحا أيضا فى شرع من قبلنا ، وقد جمع يعقوب بين راحيل وأختها لِيَا فقوله : إلا ما قد سلف التفاتة إلى هذا المعنى ، وتنبيه على هذا المغزى ، وهذه النكتة لَقِنْتُها من شيخنا الإمام الحافظ أبى بكر محمد بن العربى — رحمه الله — وزيد هذا هو : والد سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم بالجنة ، وأم سعيد : فاطمة بنت نَعْجَة بن خلف الخزاعى .

---

(١) لغية : أى لزنا .

شعر ابن الحويرث وقدومه على قيصر : قال ابن إسحاق : وأما عثمان بن الحويرث ، فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر ، وحسنت منزلته عنده . قال ابن هشام : ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث ، منعنى من ذكره ما ذكرت فى حديث حرب الفجار .

زيد يتوقف عن جميع الأديان : قال ابن إسحاق : وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف ، فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبد رب إبراهيم ، وبادى قومه بعيب ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه ، عن أمه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسنداً ظهره إلى الكعبة ، وهو يقول : يا معشر قريش ، والذى نفس زيد بن عمرو بيده : ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك عَبَدتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته .

تفسير ما أبهم من قول ابن جحش : وذكر قول عبدالله بن جحش حين تنصر بالحبشة : فقَّحنا وصَأصَأتم ، وشرح فقحنا بقوله : فقح الجِروُ : إذا فتح عينيه ، وهكذا ذكره أبو عبيد ، وزاد : جصص أيضا ، وذكر أبو عبيد : بصص بالباء حكاها عن أبى زيد ، وقال القالى : إنما رواه البصريون عن أبى زيد بياء منقوطة باثنتين ، لأن الياء تبدل من الجيم كثيرا كما تقول : أيل وأجل ، ولرواية أبى عبيد وجه ، وهو أن يكون بصص من البصيص ، وهو البريق .

حديث عثمان بن الحويرث مع قيصر : وذكر عثمان بن الحويرث مع زيد ، وورقة ، وعبيد الله بن جحش ، ثم قال : وأما عثمان بن الحُوَيْرث فإنه ذهب إلى الشام ، وله فيها مع قيصر خبر ، ولم يذكر ذلك الخبر ، وذكر البرقى عن ابن إسحاق أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر ، فقال له : إنى أجعل لك خَرْجا على قريش إن جاءوا الشام لتجارتهم ، وإلا منعتهم ، فأراد قيصر أن يفعل فخرج سعيد بن العاصى بن أمية وأبو ذئب ، وهو : هشام ابن شُعْبة بن عبدالله بن أبى قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر إلى الشام ، فأخذا فحبسا ، فمات أبو ذئب فى الحبس ، وأما سعيد بن العاصى ، فإنه خرج الوليد بن المغيرة ، وهو أمية فتخلصوه فى حديث طويل ، رواه ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس . وأبو ذئب الذى ذكر هو : جد الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب ، يُكَنَّى : أبا الحارث ، من فقهاء المدينة ، وأمه بُرَيْهَة بنت عبد الرحمن بن أبى ذئب ، وأما الزبير فذكر أن قيصر كان قد توج عثمان ، وولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا لملك ، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى : ألا إن مكة حَى لَقَاحٌ لا تدين لملك . فلم يتم له مراده ، قال : وكان يقال له : البطريق ، ولاعقب له ، ومات بالشام مسموما ، سمه عمرو بن جفنة الغسانى الملك .

قصة زيد بن نفيل : وذكر اعتزال زيد الأوثان وتركه طواغيتهم ، وتركه أكل ما نحر على الأوثان والنُّصُب . روى البخارى عن محمد بن أبى بكر ، قال : أخبرنا فضيل بن سليمان ، قال : أخبرنا موسى ، قال : حدثنى سالم

قال ابن إسحاق : وحُدثت أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب ، وهو ابن عمه ، قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنستغفر لزيد بن عمرو ؟ قال : نعم ، فإنه يبعث أمة وحده .

شعر زيد في فراق الوثنية : وقال زيد بن عمرو بن نفيل فى فراق دين قومه ، وما كان لقى منهم فى ذلك :

ابن عبدالله ، عن عبدالله بن عمر : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقى زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح[1] قبل أن ينزل على النبي ـ عليه السلام ـ الوحى ، فقُدّمت إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ، سفرة أو قدمها إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إنى لست آكل ماتذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ماذكر اسم الله عليه ، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض الكلأ ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ؟ ! إنكاراً لذلك ، وإعظاما له .

قال موسى بن سالم بن عبدالله : ولا أعلم إلا ماتُحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ، ويتبعه ، فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم ، وقال له : إنى لعلى أن أدين بدينكم ، فأخبرونى ، فقال : لاتكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ماأفر إلا من غضب الله ، ولاأحمل من غضب الله شيئاً أبداً . وأنى أستطيعه ، فهل تدلنى على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا ، قال : وماالحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهوديا ولانصرانيا ، ولايعبد إلا الله .

فخرج زيد فلقى عالما من النصارى ، فذكر مثله ، فقال : لن تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، .قال ما أفر إلا من لعنة الله ،ولا أحمل من لعنة الله ،ولامن غضبه شيئاً أبداً ، وأنَّى أستطيع ، فهل تدلنى على غيره ؟قال : ماأعلمه إلا أن يكون حنيفا ،قال: وما الحنيف ؛قال : دين إبراهيم، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، ولايعبد إلا الله ، فلمارأى زيد قولهم فى إبراهيم خرج ،فلما برز رفع يديه ، فقال : اللهم إنى أشهدك أنى على دين إبراهيم .

وقال الليث : كتب إلىّ هشام بن عروة عن أبيه ، عن أسماء بنت أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنها ـ قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسنداً ظهره إلى الكعبة ، يقول : يامعشر قريش ، والله مامنكم على دين إبراهيم غيرى ، وكان يحيى الموءودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لاتقتلها ، أكفيك مَئُونتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مئونتها . إلى هاهنا انتهى حديث البخارى .

وفيه سؤال يقال : كيف وفق الله زيداً إلى ترك أكل ماذبح على النصب ، ومالم يذكر اسم الله عليه ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية لما ثبت الله له ؟ فالجواب من وجهين ، أحدهما : أنه ليس فى الحديث حين لقيه ببلدح ، فقدمت إليه السفرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكل منها ، وإنما فى الحديث أن زيداً قال حين قدمت السفرة : لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه . الجواب الثانى : أن زيداً إنما فعل ذلك برأى رآه ، لابشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة ، لابتحريم ماذبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك فى الإسلام ، وبعض الأصوليين يقولون : الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة ، فإن قلنا بهذا ،

---

(١) بلدح مكان فى طريق التنعيم .

أربّاً واحداً ، أم ألف رب ... أدين إذا تُقُسِّمت الأمور
عزلتُ اللات والعزى جميعا ... كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ... ولا صَنَمَىْ بنى عمرو أزور
ولا هُبلا أدين ، وكان ربا ... لنا فى الدهر إذ حلمى يسير
عجبت وفى الليالى مُعْجَبات ... وفى الأيام يعرفها البصير
بأن الله قد أفنى رجالا ... كثيراً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببرّ قوم ... فَيَرْبِلُ منهمُ الطفل الصغير
وبيْنا المرء يعثر ثاب يوما ... كما يَتروّح الغصن المطير
ولكنْ أعبد الرحمن ربى ... ليغفر ذنبىَ الرب الغفور
فتقوى الله ربّكم احفظوها ... متى ما تحفظوها لا تبوروا

وقلنا: إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان يأكل مما ذبح على النصب ، فإنما فعل أمراً مباحا ، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال ، وإن قلنا أيضاً : إنها ليست على الإباحة ، ولا على التحريم ، وهو الصحيح ، فالذبائح خاصة لها أصل فى تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير ، ونحو ذلك ، مما أحله الله تعالى فى دين من كان قبلنا ، ولم يقدح فى ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعوه ، حتى جاء الإسلام ، وأنزل الله سبحانه : « ولا تأكلوا مما لم يُذْكر اسم الله عليه » ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ، ولم يقدح فى التحليل ما أحدثوه من الكفر ، وعبادة الصلبان ، فكذلك كان ما ذبحه أهل الأوثان مُحلَّلاً بالشرع المتقدم ، حتى خصه القرآن بالتحريم .

زيد وصعصعة وإحياء الموءودة : وذكر خبر الموءودة ، وما كان زيد يفعل فى ذلك ، وقد كان صعصعة ابن معاوية جد الفرزدق رحمه الله يفعل مثل ذلك ، ولما أسلم سأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم : هل لى فى ذلك من أجر ؟ فقال فى أصح الروايتين : لك أجره إذا منّ الله عليك بالإسلام . وقال المبرد فى الكامل عن النبى — صلى الله عليه وسلم — كلاما لم يصح لفظه ولا معناه ، ولا يشهد له أصل . والأصول تشهد له بهذه الرواية التى ذكرناها ؛ لما ثبت أن الكافر إذا أسلم ، وحسن إسلامه ، كتب له كل حسنة كان زَلَفها ، وهذا الحديث أخرجه البخارى ، ولم يذكر فيه : كل حسنة كان زلفها ، وذكرها الدارقطنى وغيره ، ثم يكون القصاص بعد ذلك : الحسنة بعشر أمثالها ، والموءودة مفعولة من وأده إذا أثقله . قال الفرزدق :

ومنا الذى منع الوائدا ... ت ، وأحيا الوئيد ، فلم يُوأدِ

يعنى : جده صَعْصَعَة بن معاوية بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع .

وقد قيل : كانوا يفعلون ذلك غيرة على البنات ، وما قاله الله فى القرآن هو الحق من قوله : « خشية إملاق » وذكر النقاش فى التفسير : أنهم كانوا يئدون من البنات ، ما كان منهن زرقاء أو بَرْشاءَ أو شَيْماءَ أو كشحاء تشاؤما منهم بهذه الصفات قال الله تعالى : « وإذا الموءودة سُئلت بأى ذنب قُتلت » .

العزى فى شعر زيد : وذكر شعر زيد بن عمرو وفيه :

عزلت اللات والعزى جميعاً

ترى الأبرار دارهُم جنان ۞ وللكفار حامية سعير

وخزى فى الحياة وإن يموتوا ۞ يلاقوا ما تضيق به الصدور

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً — قال ابن هشام : هى لأمية بن أبى الصلت فى قصيدة له . إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا . وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق :

إلى الله أُهْدِى مدحتى وثنائيا ۞ وقولا رصينا لا ينى الدهر باقيا

فأما اللات فقدتقدم ذكرها ، وأما العزى ، فكانت نخلات مجتمعة ، وكان عمرو بن لحى قد أخبرهم — فيما ذكر — أن الرب يُشَتِّى بالطائف عند اللات ، ويُصَيِّف بالعزى ، فعظموها وبنوا لها بيتاً ، وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة ، وهى التى بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خالد بن الوليد ليكسرها ، فقال له سادنها: ياخالد احذرها ؛ فإنها تجذع وتكنع(١) ، فهدمها خالد وترك منها جذمها(٢) وأساسها ، فقال قيمها : والله لتعودن ولتنتقمن ممن فعل بها هذا ، فذُكر — والله أعلم — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لخالد : هل رأيت فيها شيئاً ؟ فقال : لا ، فأمره أن يرجع ، ويستأصل بقيتها بالهدم ، فرجع خالد ، فأخرج أساسها ، فوجد فيها امرأة سوداء منتفشة الشعر تخدش وجهها ، فقتلها ، وهرب القيم ، وهو يقول : لا تُعبد العزى بعد اليوم . هذا معنى ماذكر أبو سعيد النيسابورى فى المبعث . وذكره الأزرقى أيضاً ورزين .

معنى يربل فى شعر زيد : وقوله . فَيَرْبُل منهم الطفل الصغير . ألفيت فى حاشية الشيخ أبى بحر ربل الطفل يربل إذا شب وعظم . يربل بفتح الباء أى يكبر وينبت ، ومنه أخذ تربيل الأرض . وقوله : كما يتروح الغصن : أى : ينبت ورقه بعد سقوطه .

رأى النحاة فى إعراب نعت النكرة المتقدم : وقوله : وللكفار حامية سعير . نصب حامية على الحال من سعير ؛ لأن نعت النكرة إذا تقدم عليها نصب على الحال ، وأنشد سيبويه فى مثله :

لمية ۞ موحشا ۞ طلل

وأنشد أيضا :

وتحت العوالى والقنا مستكنة ۞ ظِباءٌ أعارَتْها العيون الجآذرُ

والعامل فى هذا الحال : الاستقرار الذى يعمل فى الظرف ، ويتعلق به حرف الجر ، وهذا الحال على مذهب أبى الحسن الأخفش لا اعتراض فيها ؛ لأنه يجعل النكرة التى بعدها مرتفعة بالظرف ارتفاع الفاعل ، وأما على مذهب سيبويه ، فالمسئلة عسيرة جداً ؛ لأنه يلزمه أن يجعلها حالا من المضمر فى الاستقرار ؛ لأنه معرفة ، فذلك أولى من أن يكون حالا من نكرة ، فإن قدر الاستقرار آخر الكلام ، وبعد المرفوع كان ذلك فاسداً ؛ لتقدم الحال على العامل المعنوى ، وللاحتجاج له وعليه موضع غير هذا .

شرح بعض ما ورد فى شعر زيد : وأنشد أيضاً لزيد : إلى الله أُهدى مدحتى وثنائيا . وفيه : ألا أيها الإنسان إياك والردى . تحذير من الردى ، والردى هو الموت ، فظاهر اللفظ متروك ، وإنما هو تحذير مما يأتى به الموت ، ويبديه ويكشفه من جزاء الأعمال ؛ ولذلك قال : فإنك لا تخفى من الله خافياً . وفيه :

(١) تكنع : تشل . (٢) جذمها : أصلها .

إلى الملك الأعلى الذى ليس فوقه ... إله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الإنسان إياك والردى ... فإنك لا تخفى من الله خافيا
وإياك لا تجعل مع الله غيرَه ... فإن سبيل الرشد أصبح باديا
حَنَانَيْكَ إن الجن كانت رجاءهم ... وأنت إلهى ربنا ورجائيا
رضيت بك - اللهم - ربا فلن أرَى ... أدين إلها غيرك الله ثانيا
وأنت الذى من فضل مَنٍّ ورحمة ... بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له يا اذْهب وهارون فادْعوَا ... إلى الله فرعون الذى كان طاغيا
وقولا له: آأنت سَوَّيت هذه ... بلا وتد ، حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له : آأنت رفعْت هذه ... بلا عمد ، أرفق - إذاً - بك بانيا
وقولا له : آأنت سويت وسطها ... منيراً ، إذ ما جَنّه الليلُ هاديا
وقولا له: من يرسل الشمس غُدوةً ... فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا
وقولا له: من ينبت الحب فى الثرى ... فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويُخرج منه حبّه فى رءوسه ... وفى ذاك آيات لمن كان واعيا
وأنت بفضل منك نجيت يونسا ... وقد بات فى أضعاف حوت لياليا
وإنى ولو سبحت باسمك ربنا ... لأُكثر - إلا ما غفرت - خطائيا
فرب العباد ألق سَيْبا ورحمة ... علىَّ ، وبارك فى بنىّ وماليا

وإنى وإن سبحت باسمك رَبَّنا ... لأُكثِر إلا ما غفرت خطائيا

معنى البيت : إنى لأكثر من هذا الدعاء الذى هو باسمك ربنا إلا ما غفرت « وما » بعد إلا زائدة ، وإن سبحت : اعتراض بين اسم إن وخبرها ، كما تقول : إنى لأكثر من هذا الدعاء الذى هو باسمك ربنا إلا والله يغفر لى لأفعل كذا ، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة ، أى : لا أعتمد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياى .

معنى حنانيك : وقوله : حنانيك بلفظ التثنية ، قال النحويون : يريد حنانا بعد حنان ، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار ، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد . قال المؤلف رحمه الله : ويجوز أن يريد حنانا فى الدنيا ، وحنانا فى الآخرة ، وإذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طرفة :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فإنما يريد : حنان دَفْعٍ ، وحنان نَفْعٍ ؛ لأن كل من أمَّل ملكا ، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضيرا ، أو ليجلب إليه خيرا .

تعدية الفعل : وقوله : فلن أرى أدين إلها ، أى : أدين لإله ، وحذف اللام وعدى الفعل ؛ لأنه فى معنى : أعبد إلها .

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمى .

نسب الحضرمي : قال ابن هشام : واسم الحضرمى : عبد الله بن عباد أحد الصَّدِف ، واسم الصَّدِف : عمرو بن مالك أحد السَّكُون بن أشرس بن كِنْدى ، ويقال : كندة بن ثور بن مُرَتِّع بن عُفَيْر بن عدى ابن الحارث بن مرة بن أُدَدَ بن زيد بن مِهْسَع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويقال : مُرْتِع ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

زيد يعاتب زوجته لمنعها له عن البحث في الحنيفية : قال ابن إسحاق : وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة ، ليضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - فكانت صفية بنت الحضرمى كلما رأته قد تهيأ للخروج ، وأراده ، آذنت به الخطاب بن نُفَيل ، وكان الخطاب بن نفيل عمه وأخاه لأمه ، وكان يعاتبه على فراق دين قومه ، وكان الخطاب قد وكل صفية به . وقال : إذا رأيتيه قد هم بأمر فآذنينى به — فقال زيد :

اختلاف لفظ الجلالة عن الأسماء المبدوءة بأل : وقوله : غيرك الله برفع الهاء ، أراد : يا ألله ، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام ، إلا أن حكم الألف واللام فى هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها فى سائر الأسماء ، ألا ترى أنك تقول : يا أيها الرجل ، ولا ينادى اسم الله بيأيها ، وتقطع همزته فى النداء ، فتقول : يا ألله ، ولا يكون ذلك فى اسم غيره ، إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعرفة ، ولعل بعض ذلك أن يُذكر فيما بعد - إن شاء الله - وقد استوفيناه فى غير هذا الكتاب . وفيه بيت حسن لم يذكره ابن إسحاق ، وذكره أبو الفرج فى أخبار زيد وهو :

أدين إلهاً يُستجار ، ولا أرى أدين لمن لم يسمع الدهر داعياً

حذف المنادى مع بقاء حرف النداء : وفيه : فقلت : ألا يا اذهب[1] على حذف المنادى . كأنه قال : ألا يا هذا اذهب ، كما قرىء : ألا يا اسجدوا ، يريد : يا قوم اسجدوا ، وكما قال غيلان :

ألا يا اسلمى يا دارَ مَىٍّ على البِلى

العطف على الضمير بدون تأكيده : وفيه : اذهب وهارون ، عطفا على الضمير فى اذهب ، وهو قبيح إذا لم يؤكد ، ولو نصبه على المفعول معه لكان جيداً .

شرح السهيلي لبعض التعبيرات التى وردت في شعر زيد بن عمرو : وقوله : اطمأنت كما هيا ، وزنه افلعلت ، لأن الميم أصلها أن تكون بعد الألف ، لأنه من تطامن أى : تطاطأ ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التى هى عين الفعل من همزة الوصل ، فتكون أخف عليهم فى اللفظ ، كما فعلوا فى أشياء حين قلبوها فى قول الخليل وسيبويه

---

(١) الذى فى السيرة : فقلت له : يا اذهب .

لا تحبسيني في الهوا ن صفيَّ ما دابي ودابُه
إني إذا خفت الهوا ن مُشَيَّع ذلُل ركابه
دُعموص أبواب الملو ك وجائب للخرق نابه
قَطّاع أسباب تذل بغير أقران صعابه
وإنما أخذ الهوا ن العَيْرُ إذ يُوهى إهابه
ويقول : إني لا أذل بصك جنبيه صِلابه
وأخي ابن أمي ، ثم عمـــى لا يُواتيني خطابه
وإذا يعاتبني بسو ء قلت : أعياني جوابه
ولو أشاء لقلت : ما عندي مفاتحه وبابه

فرارا من تقارب الهمزتين . كما هيا . ما : زائدة لتكف الكاف عن العمل ، وتهيئها للدخول على الجمل ، وهي : اسم مبتدأ ، والخبر محذوف ، التقدير : كما هي عليه ، والكاف في موضع نصب على الحال من المصدر الذي دل عليه اطمأن ، كما تقول : سرت مثل سير زيد ، فمثل حال من سَيْرك الذي سرته .

وفيه : أرفق إذاً بك بانيا . أرفق تعجب ، وبك في موضع رفع لأن المعنى : رفقت ، وبانياً تمييز ، لأنه يصلح أن يجر بمن ، كما تقول : أحسن بزيد من رجل ، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب ، إذ قد علم أنك متعجب منه ، ولبسط هذا المعنى وكشفه موضع غير هذا ـ إن شاء الله ـ وبعد قوله :

وقد بات في أضعاف حوت لياليا

بيت لم يذكره ابن إسحاق ، ووقع في جامع ابن وهب وهو :

وأنبت يَقْطِيناً عليه برحمة من الله لولا ذاك أصبح ضاحياً

صفية بنت الحضرمي : وذكر صفية بنت الحضرمي ، واسم الحضرمي : عبد الله بن عمار ، وسيأتي ذكر نسبها عند ذكر أخيها بعد .

معنى الدعموص في شعر زيد بن عمرو : وقوله : دُعْموص أبواب الملوك . يريد : ولاّجاً في أبواب الملوك ، وأصل الدعموص : سمكة صغيرة كُحَيَّة الماء ، فاستعاره هنا ، وكذلك جاء في حديث أبي هريرة يرفعه : صغاركم دعاميص الجنة ، وكما استعارت عائشة العصفور حين نظرت إلى طفل صغير قد مات ، فقالت : طوبى له عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل سوءاً ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك ؟ إن الله خلق الجنة ، وخلق لها أهلا ، وخلق النار ، وخلق لها أهلا » أخرجه مسلم .

الخرم في شعر زيد بن عمرو : وفي هذه الأبيات خرم في موضعين ، أحدهما قوله :

ولو أشاء لقلت ما عندي مفاتحه وبابه

والآخر قوله :

وإنما أخذ الهوان الـ ـعير إذ يُوهى إهابه

وقد تقدم مثل هذا في شعر ابن الزِّبَعْرَى ، وتكلمنا عليه هنالك بما فيه كفاية .

قول زيد حين يستقبل الكعبة : قال ابن إسحاق : وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل : أن زيداً كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد ، قال : لبيك حقا حقا ، تعبداً ورقاً .

عُذت بما عاذ به إبراهيم مستقبلَ القبلة ، وهو قائم

إذ قال :

أنفى لك اللهم عانٍ راغمْ مهما تُجَشِّمْنى فإنى جاشم
البر أبغى لا الخال ، ليس مُهَجِّر كمن قال

قال ابن هشام : ويقال : البر أبقى لا الخال ، ليس مهجِّر كمن قال . قال وقوله : « مستقبل الكعبة » عن بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت له الأرض تحمل صخراً ثقالا
دحاها فلما رآها استوت على الماء ، أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمتْ له المزن تحمل عَذْبا زلالا
إذا هى سِيقَت إلى بلدة أطاعت ، فصبت عليها سِجالا

الخطاب يؤذى زيدا ويحاصره : وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حراء مقابل مكة ، ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم ، فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سراً منهم ، فإذا علموا بذلك ، آذنوا به الخطاب ، فأخرجوه ، وآذَوْه كراهية أن يفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على فِرَاقه . فقال ـ وهو يعظم حرمته على من استحل منه ما استحل من قومه :

لا َهُمَّ إنى محرم لا حِلَّهْ وإن بيتى أوسط المَحِلَّهْ
عند الصفا ليس بذى مَضَلَّهْ

وقوله : ويقول . إنى لا أذلُّ أى : يقول العير ذلك بِصَكٍّ جَنْبَيْه صِلابُهْ ، أى : صلاب ما يوضع عليه ، وأضافها إلى العير لأنها عِبْؤُه وحمله .

عود إلى شرح بعض الألفاظ التى وردت فى قصة زيد بن عمرو : وذكر قوله : البر أبغى لا الخال قال ابن هشام البرَّ أبغى : بالنصب ، والخال : الخُيَلاءُ والكبر .

وقوله : ليس مهجر كمن قال ، أى : ليس من هجَّر وتكيَّس ، كمن آثر القائلة والنوم ، فهو من : قال يقيل ؛ وهو ثلاثى ، ولكن لا يتعجب منه . لا يقال : ما أقيله !! قال أهل النحو : استغنَوْا عنه : بما أنومه ، ولذكر السر فى امتناع التعجب من هذا الفعل موضع غير هذا . وقول زيد : إنى محرم لا حِلَّة . محرم أى . ساكن بالحرم ، والحلة : أهل الحل . يقال للواحد والجميع : حلة .

وذكر لقاء زيد الراهب بميفعة هكذا تقيد فى الأصل بكسر الميم من ميفعة ، والقياس فيها : الفتح ؛ لأنه اسم لموضع أخذ من اليَفَاع ، وهو المرتفع من الأرض . وقوله : شام اليهودية والنصرانية ، هو فاعل من الشم كما قال يزيد بن شيبان حين سأل النَّسَّابة من قضاعة ، ثم انصرف ، فقال له النسابة : شامَمْتنا مشامَّة الذئب

زيد يرحل إلى الشام وموته: ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأحبار ، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجال الشام كله ، حتى انتهى إلى راهب بميفعة من أرض البلقاء ، كان ينتهى إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال : إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التى خرجت منها ، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحقْ بها ، فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شامّ اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئاً منهما ، فخرج سريعاً ، حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسط بلاد لخم ، عَدَوْا عليه فقتلوه .

ورقة يرثى زيدا: فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه :

رَشَدْتَ، وأنعمت ابن عمرو ، وإنما ... تجنبت تَنُّوراً من النـار حاميا
بدينك ربا ليس ربٌّ كمثله ... وتركك أوثان الطواغى كما هيا
وإدراكك الدين الذى قد طلبته ... ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مُقامُها ... تُعَلَّلُ فيها بالكرامة لاهيا
تلاقى خليل الله فيها ، ولم تكن ... من الناس جباراً إلى النار هاويا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ... ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

قال ابن هشام : يروى لأمية بن أبى الصلت البيتان الأولان منها ، وآخرها بيتا فى قصيدة له . وقوله : « أوثان الطواغى » عن غير ابن اسحاق .

النغم ، ثم تنصرف . فى حديث ذكره أبو على فى النوادر ، ومعناه : استَخْبَرَ ، فاستعاره من الشم ، فنصب اليهودية والنصرانية نَصْبَ المفعول ، ومن خفض جعل شامّ اسم فاعل من شَمَمْت ، والفعل أولى بهذا الموضع ، كما تقدم .

شرح ألفاظ وردت فى شعر ورقة: وقول ورقة : رشدت وأنعمت ابن عمرو ، أى : رشدت وبالغت فى الرشد ، كما يقال : أمعنت النظر وأنعمته ، وقوله : ولو كان تحت الأرض سبعين واديا بالنصب . نصب سبعين على الحال ، لأنه قد يكون صفة للنكرة ، كما قال : فلو كنت فى جب ثمانين قامة وما أصله صفة للنكرة يكون حالا من المعرفة ، وهو هنا حال من البعد ، كأنه قال : ولو بَعُدَ تحت الأرض سبعين . كما تقول : بَعُدَ طويلا ، أى : بُعداً طويلا ، وإذا حذفت المصدر ، وأقمت الصفة مقامه لم تكن إلا حالا ، وقد تقدم قول سيبويه فى ذلك فى مسئلة : ساروا رويداً . ونحو هذا : دارى خَلْفَ دارِك فرسخاً ، أى : تقرب منها فرسخاً إن أردت القرب ، وكذلك إن أردت البعد ، فالبعد والقرب مقدران بالفرسخ ، فلو قلت : دارى تقرب منك قربا مقدرا بفرسخ ، لكان بمنزلة من يقول : قربا كثيرا أو قليلا ، فالفرسخ موضوع موضع كثير أو قليل فإعرابه كإعرابه ، وكذلك قول الشاعر :

لا تعجبوا فلو أن طول قناته ... مِيلٌ إذا نظم الفوارس مِيلا

أى : نظمهم نظما مستطيلا ، ووضع ميلا موضع مستطيلا ، فإعرابه كإعرابه ، فهو وصف للمصدر ، وإذا أقيم الوصف مقام الموصوف فى هذا الباب لم يكن حالا من الفاعل ، لكن من المصدر الذى يدل الفعل عليه بلفظه نحو : ساروا طويلا ، وسقيتها أحسن من سَقْىِ إبلك ، ونحو ذلك .

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

يحنس الحوارى يثبت بعثة الرسول (ص) من الإنجيل: قال ابن إسحاق : وقد كان - فيما بلغنى عما كان وضَعَ عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما أثبت يُحَنّس الحوارى لهم ، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ، ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بَطِرُوا وظنوا أنهم يَعُزُّوننى ، وأيضا للرب ، ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس : أنهم أبغضونى مجانا ، أى : باطلا . فلو قد جاء المُنْحَمَنّا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب ، وروح القدس هذا الذى من عند الرب خرج ، فهو شهيد علىّ وأنتم أيضا ؛ لأنكم قديما كنتم معى فى هذا ، قلت لكم : لكيما لا تشكوا .

والمُنْحَمِنَّا بالسريانية : محمد : وهو بالرومية : البَرَقْلِيطِس ، صلى الله عليه وآله وسلم .

شرح بعض ألفاظ وردت فى قصة يحنس: وذكر يُحَنّس الحوارى وسيأتى فى آخر الكتاب ذكر الحواريين كُلّهم بأسمائهم . وذكر قوله : أبغضتمونى مجاناً ، أى : باطلا ، وكذلك جاء فى الحكمة : يا ابن آدم عَلّم مجاناً ، كما عُلّمت مجاناً ، أى : بلا ثمن ، وفى وصايا الحكماء : شاور ذوى الأسنان والعقول يعطوك من رأيهم مجاناً ما أخذوه بالثمن ، أى بطول التجارب ، ومن صفة النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول الله سبحانه : أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سَخّاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، فيفتح به عيونا عميا وآذانا صما ، وقلوباً غُلْفاً ؛ بأن يقولوا : لا إله إلا الله .

صفة النبى عند الأحبار: ومما وجد من صفته - صلى الله عليه وسلم - عند الأحبار ما ذكره الواقدى من حديث النعمان السَّبَئى . قال : وكان من أحبار يهود باليمن ، فلما سمع بذكر النبى - صلى الله عليه وسلم - قدم عليه ، فسأله عن أشياء ، ثم قال : إن أبى كان يختم على سِفْرٍ ، ويقول : لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبى قد خرج بيثرب ، فإذا سمعت به فافتحه . قال نعمان : فلما سمعت بك فتحت السِّفْر ، فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة ، وإذا فيه : ما تُحِلُّ وما تُحَرِّم ، وإذا فيه : إنك خير الأنبياء وأمتك خير الأمم ، واسمك : أحمد ، وأمتك الحامدون . قربانهم : دماؤهم ، وأناجيلهم : صدورهم ، وهم لا يحضرون قتالا إلا وجبريل معهم ، يتحنن الله عليهم كتحنن النَّسْر على فراخه ، ثم قال لى : إذا سمعت به فاخرج إليه ، وآمِنْ به ، وصدق به ، فكان النبى - صلى الله عليه وسلم - يحب أن يسمع أصحابُه حديثَه ، فأتاه يوما ، فقال له النبى - صلى الله عليه وسلم : يا نعمان حدثنا ، فابتدأ النعمان الحديث من أوله ، فرُئِى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ يتبسم ، ثم قال : أشهد أنى رسول الله ، وهو الذى قتله الأسود العَنْسِىُّ ، وقطعه عضوا عضوا ، وهو يقول : إن محمدا رسول الله ، وإنك كذاب مُفْتَرٍ على الله ، ثم حَرّقه بالنار .

مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

أخذ الله الميثاق على الرسل بالإيمان به (ص) : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال : فلما بلغ محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافّةً للناس بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدَّوْا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى لمحمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مُصَدِّقٌ لما معكم ، لَتُؤْمِنُنَّ به ولَتَنْصُرُنَّهُ ، قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى » : أى ثِقَل ما حمّلتكم من عهدى : « قالوا أقررنا ، قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدَّوْا ذلك إلى من آمن بهم ، وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

كتاب المبعث

تحديد زمن المبعث : ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام ، وهذا مروى عن ابن عباس ، وجُبَيْر بن مُطْعِم وقَبَاثِ بن أشْيَم ، وعطاء وسعيد ابن المسيب ، وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر .

وقد روى أنه نبىء لأربعين وشهرين من مولده ، وقيل لقباث بن أشيم : من أكبر ، أنت أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسول الله أكبر منى ، وأنا أسَنُّ منه ، وولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام الفيل ، ووقفت بى أمى على رَوْثِ الفيل ، ويروى : خَزْق الطير ، فرأيته أخضر مُحِيلاً ، أى : قد أتى عليه حَوْل ، وفى غير رواية البكائى من هذا الكتاب أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لبلال : لايفتك صيام يوم الاثنين ، فإنى قد ولدت فيه ، وبعثت فيه ، وأموت فيه .

إعراب لما آتيتكم واختلاف النحاة فيها : وذكر ابن إسحاق قول الله سبحانه : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » الآية . ومافى هذه الآية : اسم مبتدأ بمعنى : الذى ، والتقدير : للذى آتينا كم من كتاب وحكمة ، ولايصح أن تكون فى موضع نصب على إضمار فعل ، كما ينتصب مايشتغل عنه الفعل بضميره ، لأن مابعد اللام الثانية لايجوز أن يعمل فيما قبلها ، ومالا يجوز أن يعمل فيه ماقبله ، فلايجوز أن يكون تفسيراً لما يعمل فيه ، وقد قيل : إن ماهذه شرط . والتقدير : لمهما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به ، وهو ظاهر قول سيبويه ، لأنه جعلها بمنزلة : إن ، وقول الخليل : إنها بمنزلة الذى ، أى : إنها اسم لاحرف . ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا ، فتكون اسما ، وتكون شرطا ، ويحتمل أيضاً أن تكون على قول الخليل : خبرية فى موضع رفع بالابتداء ، ويكون الخبر : لتؤمنن به ولتنصرنه ، وإن كان الضميران عائدين على الرسول ، لا على الذى ، ولكن لما قال : « رسول مُصَدِّق لما معكم » ، ارتبط الكلام بعضه ببعض ، واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدأ ، وله نظير فى التنزيل ، منه قوله تعالى : « والذين يُتَوَفَّوْن منكم » خبره : « يتربصن بأنفسهن »

الرؤيا الصادقة أول مابدىء به رسول الله (ص) قال ابن إسحاق : فذكر الزهرى عن عُروة ابن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها أنها حدثته : أن أول ما بدىء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به : الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رؤيا فى نومه إلا جاءت كفلق الصبح . قالت : وحَبَّبَ الله تعالى إليه الخَلوة ، فلم يكن شىء أحب إليه من أن يخلوَ وحده .

سلام الحجر والشجر عليه (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الملك بن عُبَيْد الله بن أبى سفيان ابن العلاء بن جارية الثقفى ، وكان واعيةً ، عن بعض أهل العلم :

أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أراده الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى تَحَسَّرَ عنه البيوت ، ويفضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحجر ولا شجر ، إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال : فيلتفت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حوله ، وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة . فمكث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء فى شهر رمضان .

ولم يعد على المبتدأ شىء ، لتشبث الكلام بعضه ببعض ، وقد لاح لى بعد نظرى الكتابَ أن الذى قاله الخليل وقول سيبويه قول واحد ، غير أنه قال : ودخول اللام على ما ، كدخولها على إن ، يعنى : فى الجزاء ، ولم يرد أن يعمل ما جزاء ، وإنما تكلم على اللام خاصة والله أعلم .

أثقال النبوة : وذكر قول ابن إسحاق : والنبوة أثقال ومؤنة لايحملها ولايستطيعها إلا أهل القوة والعزم من الرسل ، ووقع فى رواية يونس عن ابن إسحاق فى هذا الموضع عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : سمعت وهب ابن منبه وهو فى مسجد منى ـ وذكر له يونس النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : كان عبداً صالحاً ، وكان فى خلقه ضيق ، فلما حُملت عليه أثقال النبوة ، ولها أثقال تَفَسَّخَ تحتها تَفَسُّخ الرُّبَع تحت الحمل الثقيل (١) ، فألقاها عنه وخرج هاربا .

أولو العزم من الرسل : وفى رواية عن ابن إسحاق : إن أولى العزم من الرسل منهم : نوح وهود وإبراهيم أما نوح فلقوله : « ياقوم إن كان كَبُر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله » ، وأما هود فلقوله : « إنى أُشهِد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون » ، وأما إبراهيم ، فلقوله هو والذين معه : « إنا بُرَآء منكم ومما تعبدون من دون الله » ، وأمر الله نبينا أن يصبر كما صبر هؤلاء .

رأى السهيلى فى تسليم الحجر وحنين الجزع : وذكر ابن إسحاق : مابدىء به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النبوة ، إذ كان لايمر بحجر ، ولا شجر إلا قال : السلام عليك يارسول الله ، وفى مصنف الترمذى ومسلم أيضاً أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عَلىَّ قبل أن يُنَزَّل عَلىَّ »

---

(١) الربع : الفصيل ينتج وقت الربيع .

نزول جبريل عليه (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثنى وهب بن كيسان ، مولى آل الزبير . قال : سمعت عبدَ الله بن الزبير وهو يقول لعُبَيد بن عُمَير بن قتادة الليثى : حدِّثنا يا عبيد ، كيف كان بدءُ ما ابتُدِىء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النبوة ، حين جاءه جبريل عليه السلام ؟ قال : فقال عبيد — وأنا حاضر يُحدِّث عبدَ الله بن الزبير ، ومن عنده من الناس : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور فى حِرَاء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تَحَنَّثَ به قريش فى الجاهلية . والتحنث : التبَرُّر .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وثَوْرٍ ومن أرسى ثَبِيراً مكانه وراقٍ ليرقى فى حِراءَ ونازِلِ

التحنث والتحنف : قال ابن هشام : تقول العرب : التحنث والتحنف ، يريدون الحَنِيفية فيبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جدف وجدث ، يريدون . القبر . قال رؤبة بن العَجَّاج :

وفى بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذى كان يسلم عليه هو الحجر الأسود ، وهذا التسليم : الأظهر فيه أن يكون حقيقة ، وأن يكون الله أنطقه إنطاقا كما خلق الحنين فى الجذع ، ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف : الحياة والعلم والإرادة ، لأنه صوت كسائر الأصوات ، والصوت : عَرَض فى قول الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النَّظَّام ، فإنه زعم أنه جسم ، وجعله الأشعرى اصطكاكاً فى الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفس الاصطكاك ، ولكنه معنى زائد عليه ، وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا ، ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر ، والصوت عبارة عنه ، لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ، والله أعلم أى ذلك كان ، أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمنا ، أو كان صوتا مجردا غير مقترن بحياة ؟ وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة . وأما حنين الجذع فقد سمى حنينا ، وحقيقة الحنين يقتضى شرط الحياة ، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافا فى الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، ويعمرونها ، فيكون مجازا من قوله تعالى : « واسئل القرية » ، والأول أظهر ، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التى ذكرناها فيها عَلَمٌ على نبوته ـ عليه السلام ـ غير أنه لا يسمى معجزة فى اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق ، فعجزوا عن معارضته .

التفعل ومدلوله : وذكر حديث عبيد بن عمير أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يجاور بغار حراء ويتَحَنَّثُ فيه ، قال : والتحنث : التَّبَرُّرُ . تفعل من البر ، وتفعل : يقتضى الدخول فى الفعل ، وهو الأكثر فيها مثل : تَفَقَّه وتعبد وتنسك ، وقد جاءت فى ألفاظ يسيرة تعطى الخروج عن الشىء واطراحه ، كالتأثم والتحرج . والتحنث بالثاء المثلثة ، لأنه من الحِنث وهو الحمل الثقيل ، وكذلك التقذر ، إنما هو تباعد عن القذر ، وأما التحنف بالفاء ، فهو من باب التبرر ؛ لأنه من الحنيفية دين إبراهيم ، وإن كان الفاء مُبدلة من الثاء ، فهو من باب التقذر والتأثم ، وهو قول ابن هشام ، واحتج بجدف وجدث .

لو كان أحجارى مع الأجداف

يريد : الأجداث : وهذا البيت فى أرجوزة له . وبيت أبى طالب فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول : فُم ، فى موضع : ثُم ، يبدلون الفاء من الثاء .

قال ابن إسحاق : حدثنى وهب بن كيسان قال: قال عبيد: فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين،فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره ، من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به ــ إذا انصرف من جواره ــ الكعبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التى بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر : شهر رمضان ، خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ،حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ بأمر الله تعالى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءنى جبريل ، وأنا نائم ، بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال فغتّنى به ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قال . قلت ما أقرأ ؟ قال :

الفاء من جدف أصل الثاء من جدث : وأنشد قول رؤبة : * لو كان أحجارى مع الأجداف * ، وفى بيت رؤبة هذا شاهد ورد على ابن جنى حيث زعم فى سر الصناعة أن جدف بالفاء لا يجمع على أجداف ، واحتج بهذا لمذهبه فى أن الثاء هى الأصل ، وقول رؤبة رد عليه ، والذى نذهب إليه أن الفاء هى الأصل فى هذا الحرف ؛ لأنه من الجدف وهو القطع ، ومنه مجداف السفينة ، وفى حديث عمر فى وصف الجن : شرابهم الجَدَفُ وهى الرّغْوَة ، لأنها تُجْدَف عن الماء ، وقيل : هى نبات يقطع ويؤكل . وقيل : كل إناء كشف عنه غطاؤه : جدف ، والجدف : القبر من هذا ، فله مادة وأصل فى الاشتقاق ، فأجدر بأن تكون الفاء هى الأصل والثاء داخلة عليها .

الفرق بين الجوار والاعتكاف : وقوله : يجاور فى حراء إلى آخر الكلام . الجوار بالكسر فى معنى المجاورة وهى الاعتكاف إلا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد ، والجوار قد يكون خارج المسجد ، كذلك قال ابن عبد البر ؛ ولذلك لم يُسَمَّ جواره بحراء اعتكافا ، لأن حراء ليس من المسجد ، ولكنه من جبال الحرم ، وهو الجبل الذى نادى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال له ثَبِيرُ وهو على ظهره : اهبط عنى ؛ فإنى أخاف أن تقتل على ظهرى فأعذب ، فناداه حراء : إلىَّ إلىَّ يا رسول الله .

الأحوال المختلفة للوحى : وذكر نزول جبريل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فى الحديث : فأتانى وأنا نائم ، وقال فى آخره : فهببت من نومى ، فكأنما كُتِبَتْ فى قلبى كتابا ، وليس ذكر النوم فى حديث عائشة ولا غيرها ، بل فى حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ ، كان فى اليقظة ؛ لأنها قالت فى أول الحديث : « أول ما بدىء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرؤيا الصادقة ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب الله إليه الخلاء ـ إلى قولها ـ حتى جاءه الحق ، وهو بغار حراء ،

فغتنى به ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا أقرأ ؟ قال : فغتنى به ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » . قال : فقرأتها ، ثم انتهى ، فانصرف عنى ، وهببت من نومى ، فكأنما كتبت فى قلبى كتابا . قال : فخرجت حتى إذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله ، وأنا جبريل، قال : فرفعت رأسى إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل . قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، قال : فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فمازلت واقفا ما أتقدم أمامى ، وما أرجع ورائى ، حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى ، فبلغوا أعلى مكة ، ورجعوا إليها ، وأنا واقف فى مكانى ذلك ، ثم انصرف عنى .

الرسول (ص) يخبر خديجة (رضه) بنزول جبريل عليه : وانصرفت راجعا إلى أهلى ، حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذها مضيفا إليها ، فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا لى ، ثم حدثتها بالذى رأيت ، فقالت : أبشر يا ابن عم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة .

فجاءه جبريل» ، فذكرت فى هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبى - عليه السلام - بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبى - صلى الله عليه وسلم - جاءه جبريل فى المنام قبل أن يأتيه فى اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعبؤها ثقيل ، والبشر ضعيف ، وسيأتى فى حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه .

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكل به إسرافيل ، فكان يتراءى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحى والشىء ، ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحى ، فعلى هذا كان نزول الوحى عليه - صلى الله عليه وسلم - فى أحوال مختلفة ، فمنها : النوم كما فى حديث ابن إسحاق ، وكما قالت عائشة أيضا : أول ما بدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرؤيا الصادقة وقد قال إبراهيم عليه السلام : « إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى » فقال له ابنه : « افعل ما تؤمر » فدل على أن الوحى كان يأتيهم فى المنام ، كما يأتيهم فى اليقظة .

ومنها : أن ينفث فى روعه الكلام نفثا ، كما قال عليه السلام : « إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت ، حتى تستكمل أجلها ورزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » . وقال مجاهد ، وأكثر المفسرين فى قوله سبحانه : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا » . قال هو أن ينفث فى روعه بالوحى .

ومنها أن يأتيه الوحى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه . وقيل : إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة ؛ فيكون أوعى لما يسمع ، وألقن لما يلقى .

ومنها : أن يتمثل له الملك رجلا ، فقد كان يأتيه فى صورة دحية بن خليفة ، ويروى: أن دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر(١) إلا خرجت تنظر إليه لفرط جماله . وقال ابن سلام فى قوله تعالى : « وإذا رأوا تجارة أو لهوا » قال : كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله .

---

(١) المعصر : المرأة إذا اكتملت أنوثتها .

خديجة (معه) تخبر ورقة بن نوفل : ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى بن قصى ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر ، وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قدوس قدوس ، والذى نفس ورقة بيده ، لئن كنتِ صدقتينى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبى هذه الأمة ، فقولى له : فليثبُتْ .

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف ، صنع كما كان يصنع : بدأ بالكعبة ، فطاف بها ، فلقيه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة : والذى نفسى بيده ، إنك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، وَلتُكَذَّبَنَّهْ ولتُؤْذَيَنَّهْ ، ولتُخْرَجَنَّهْ ، ولتُقَاتَلَنَّهْ ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه ، فقبل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى منزله .

ومنها : أن يترا.ى له جبريل فى صورته التى خلقه الله فيها ، له ستمائة جناح ، ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت .

ومنها : أن يكلمه الله من وراء حجاب : إما فى اليقظة كما كلمه فى ليلة الإسراء ، وإما فى النوم ، كما قال فى حديث معاذ الذى رواه الترمذى ، قال : أتانى ربى فى أحسن صورة ، فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى ، فقلت : لا أدرى فوضع كفَّه ، فوجدت بردها بين ثُنْدُوَتَىَّ [1] وتجلى لى علم كل شىء ، وقال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلى ، فقلت : فى الكفارات ، فقال : وماهن ! ؟ فقلت : الوضوء عند الكريهات ، ونقل الأقدام إلى الحسنات ، وانتظار الصلوات بعد الصلوات ، إن فعل ذلك عاش حميداً ، ومات حميداً ، وكان من ذنبه كمن ولدته أمه ، وذكر الحديث .

فهذه ستة أحوال ، وحالة سابعة قد قدمنا ذكرها ، وهى نزول إسرافيل عليه بكلمات من الوحى قبل جبريل ، فهذه سبع صور فى كيفية نزول الوحى على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم أر أحداً جمعها كهذا الجمع ، وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غُنية . وقد أملينا أيضاً فى حقيقة رؤيته عليه السلام ربه فى المنام على أحسن صورة ـ ويُرْوَى : على صورة شاب ـ مسئلةً بديعة كاشفة لقناع اللبس ، فلتُنْظر هنالك .

الكتاب الذى جاء به جبريل : وذكر فى الحديث أن جبريل أتاه بنَمَط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، قال بعض المفسرين فى قوله : « ألم . ذلك الكتاب لاريب فيه » إنها إشارة إلى الكتاب الذى جاءه به جبريل حين قال : اقرأ ، وفى الآية أقوال غير هذه ، منها : أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه : ألم ، لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معانى الكتاب كله ، فهى كالترجمة له .

معنى « اقرأ باسم ربك » : وقوله : ما أنا بقارىء ، أى : إنى أمى ، فلا أقرأ الكتب ، قالها ثلاثا فقيل له : اقرأ باسم ربك ، أى : إنك لاتقرؤه بحولك ، ولا بصفة نفسك ، ولا بمعرفتك ، ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك مستعينا به ، فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك علق الدم ، ومَغْمَزَ الشيطان بعد ما خلقه فيك ، كما خلقه فى كل إنسان . والآيتان المتقدمتان لمحمد ، والآخرتان : لأمته ، وهما قوله تعالى : « الذى علم بالقلم علم

---

(٢) جمع ثندوة : لحم الثدى .

تثبت خديجة (صه) من الوحى : قال ابن إسحاق : وحدثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير : أنه حُدث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى ابن عم ، أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرنى به . فجاءه جبريل عليه السلام ، كما كان يصنع ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لخديجة : يا خديجة ، هذا جبريل قد جاءنى ، قالت : قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى ، قال : فقام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟

الإنسان مالم يعلم ، لأنها كانت أمة أمية لا تكتب ، فصاروا أهل كتاب ، وأصحاب قلم ، فتعلموا القرآن بالقلم ، وتعلمه نبيهم تلقينا من جبريل نزّله على قلبه بإذن الله ، ليكون من المرسلين .

الاستفتاح باسم الله : وفى قوله : اقرأ باسم ربك من الفقه : وجوب استفتاح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ، غير أنه أمر مبهم لم يبين له بأى اسم من أسماء ربه يفتتح ، حتى جاء البيان بعد فى قوله « بسم الله مجريها » ثم قوله تعالى : « وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة ، وقد ثبتت فى سواد المصحف بإجماع من الصحابة على ذلك ، وماذكره البخارى من مصحف الحسن البصرى ، فشذوذ ، فهى على هذا من القرآن ، إذ لا يكتب فى المصحف ماليس بقرآن ، ولا يلتزم قول الشافعى أنها آية من كل سورة ، ولا أنها آية من الفاتحة ، بل نقول : إنها آية من كتاب الله تعالى ، مقترنة مع السورة ، وهو قول داود وأبى حنيفة ، وهو قول بيِّن القوة لمن أنصف ، وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبحت الجبال ، فقالت قريش : سحر محمد الجبال ، ذكره النقاش ، وإن صح ماذكره ، فلمعنى مّا سبّحت عند نزولها خاصة ، وذلك أنها آية أنزلت على آل داود ، وقد كانت الجبال تسبح مع داود ، كما قال الله تعالى : « إنا سخرنا الجبال معه يُسَبِّحن بالعَشِيّ والإشراق » ، وقال : « إنه من سليمان ، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » .

نمط الديباج وتأويله : وفى الحديث ذكر نمط الديباج من الكتاب ، وفيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم ، ويسلبونهم الديباج والحرير الذى كان زِيّهم وزينتهم ، وبه أيضا ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج . وفى سِيَر موسى بن عقبة ، وسير سليمان بن المعتمر زيادة ، وهو أن جبريل أتاه بدرنوك[1] من ديباج منسوج بالدر والياقوت ، فأجلسه عليه ، غير أن موسى بن عقبه قال : ببساط ، ولم يقل : دُرْنُوك ، وقال فى سير ابن المعتمر : إن الله تعالى أنزل عليه : « ألم نشرح لك صدرك » الآيات ، كأنه يشير به ، فسح جبريل صدره ، وقال : اللهم اشرح صدره ، وارفع ذكره ، وضع عنه وزره ، ويصحح مارواه ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه : « ألم نشرح لك صدرك » الآيات ، كأنه يشير إلى ذلك الدعاء الذى كان من جبريل ، والله أعلم .

معنى الغط : وقوله فى الحديث : فغطنى ، ويروى : فسأبنى ، ويروى : سأتنى ، وأحسبه أيضا يروى : فذعتنى وكلها بمعنى واحد ، وهو الخنق والغمّ ، ومن الذّعْت حديثه الآخر : أن الشيطان عرض له ، وهو يصلى

---

(١) نوع من البسط لها خمل .

قال : نعم ، قالت : فتحول ، فاجلس على فخذى اليمنى ، قالت : فتحول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجلس على فخذها اليمنى ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول فاجلس فى حجرى ، قالت : فتحول رسول الله

قال : فَذَعَتُّه ، حتى وجدت برد لسانه على يدى ، ثم ذكرت قول أخى سليمان : « رب هب لى مُلْكا لاينبغى لأحد من بعدى » الحديث ، وكان فى ذلك إظهار للشدة والجد فى الأمر ، وأن يأخذ الكتاب بقوة ، ويترك الأناة فإنه أمر ليس بالهُوَيْنَى ، وقد انتزع بعض التابعين وهو شريح القاضى من هذا : ألا يضرب الصبي على القرآن إلا ثلاثا كما غَطَّ جبريل عليه السلام محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثا ، وعلى رواية ابن إسحاق أن ذلك فى نومه كان ، يكون فى تلك الغطات الثلاث من التأويل ثلاث شدائد ، يُبْتَلى بها أولا ، ثم يأتى الفرج والرَّوْح ، وكذلك كان لَقِيَ هو وأصحابه ، شدة من الجوع فى شِعْب الخيف ، حين تعاقدت قريش ألا يبيعوا منهم ، ولا يتركوا ميرة تصل إليهم ، وشدة أخرى من الخوف والإيعاد بالقتل ، وشدة أخرى من الإجلاء عن أحب الأوطان إليه ، ثم كانت العاقبة للمتقين ، والحمد لله رب العالمين .

معنى : ما أقرأ : وقوله فى حديث ابن إسحاق : اقرأ ، قال : ماأقرأ ، يحتمل أن تكون ما استفهاما ، يريد : أى شىء أقرأ؟ ويحتمل أن تكون نفيا ، ورواية البخارى ومسلم تدل على أنه أراد النفى ، أى ما أحسن أن أقرأ ، كما تقدم من قوله : ماأنا بقارىء .

رؤيته (ص) جبريل : وذكر رؤيته لجبريل ، وهو صاف قدميه ، وفى حديث جابر أنه رآه على رفرف بين السماء والأرض ، ويروى : على عرش بين السماء والأرض ، وفى حديث البخارى الذى ذكره فى آخر الجامع أنه حين فتر عنه الوحى ، كان يأتى شواهق الجبال يهم بأن يلقى نفسه منها ، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض ، يقول له أنت رسول الله ، وأنا جبريل .

معنى اسم جبريل : واسم جبريل سريانى ، ومعناه : عبد الرحمن ، أو عبد العزيز . هكذا جاء عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا أيضاً ، والوقف أصله . وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله ، وهو : إيل ، وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم فى أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة ، وكذلك الإضافة فى كلام العجم ، يقولون فى غلام زيد : زيد غلام ، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد ، ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى ، ألاَ ترى كيفَ قال فى حديث ابن عباس : جبريل وميكائيل ، كما تقول : عبدالله وعبد الرحمن ، ألاترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد ، والأسماء ألفاظها مختلفة .

معنى إل : وأما إل بالتشديد من قوله تعالى : (إلاًّ ولاذمة) فحذار حذار من أن تقول فيه . هو اسم الله، فتسمى الله باسم لم يسم به نفسه ألا ترى أن جميع أسماء الله تعالى معرفة ، و « إلٌّ » نكرة ، وحاشا لله أن يكون اسمه نكرة ، وإنما الإل كل ماله حرمة وحق فَمِمَّا له حق ويجب تعظيمه : القرابة والرحم والجوار والعهد ، وهو من ألَلْت : إذا اجتهدت فى الشىء وحافظت عليه ، ولم تضيعه ، ومنه : الأل فى السير وهو الجد ، ومنه قول الكميت :

وأنت ماأنت فى غبراء مُجدِبة … إذا دعت ألَلَيْهَا الكاعب الفُضُل

يريد : اجتهدت فى الدعاء ، وإذا كان الألُّ بالفتح المصدر ، فالإل بالكسر : الاسم كالذِّبح من الذَّبح ،

- صلى الله عليه وسلم - فجلس فى حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قال : فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس فى حجرها ، ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا ، قالت يا ابن عم ، اثبت وأبشر ، فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان .

قال ابن إسحاق : وقد حدثتُ عبد الله بن حسن هذا الحديث ، فقال : قد سمعت أمى فاطمة بنت حسين

فهو إذاً الشىء المحافظ عليه ، وقول الصديق : هذا كلام لم يخرج من إلٍّ ولا برٍّ ، أى : لم يصدر عن ربوبية ، لأن الربوبية حقها واجب معظم ، وكذلك فسره أبو عبيد .

معنى آخر لاسم جبريل : واتفق فى اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه ، وإن كان أعجميا ، فإن الجبر هو إصلاح ما وَهَى ، وجبريل موكل بالوحى ، وفى الوحى إصلاح ما فسد ، وجبر ما وهى من الدين ، ولم يكن معروفا بمكة ولا بأرض العرب فلما أخبر النبى - صلى الله عليه وسلم - خديجة به انطلقت تسأل من عنده علم من الكتاب كعَدَّاس ونَسْطُور الراهب ، فقال لها : قدوس قدوس ! أنَّى لهذا الاسم أن يذكر فى هذه البلاد ، وقد قدمنا هذا الخبر عنها ، وهو فى سير التَّيْمِى لما ذكرناه قبل .

التسمى باسم جبريل : وفى كتاب المُعَيْطِى عن أشهب قال : سئل مالك عن التسمى بجبريل أو من يسمى به ولده فكره ذلك ، ولم يعجبه .

معنى الناموس : وقول ورقة : لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى . الناموس : صاحب سر الملك ، قال بعضهم : هو صاحب سر الخير ، والجاسوس : هو صاحب سر الشر ، وقد فسره أبو عبيد وأنشد :

فأبلغ يزيد إن عرضت ومُنْذِراً وعَمَّهُمَا والمُسْتَشِرَّ المُنَامِسَا

لم ذكر موسى ولم يذكر عيسى؟: وإنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى ، وهو أقرب ، لأن ورقة كان قد تنصر ، والنصارى لا يقولون فى عيسى : إنه نبى يأتيه جبريل ، إنما يقولون فيه : إن أقنوماً من الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح ، واتحد به على اختلاف بينهم فى ذلك الحلول ، وهو أقنوم الكلمة ، والكلمة عندهم : عبارة عن العلم ، فلذلك كان المسيح عندهم ، يعلم الغيب ، ويخبر بما فى غد ، فلما كان هذا من مذهب النصارى الكذبة على الله ، المدعين المحال ، عدل عن ذكر عيسى إلى ذكر موسى ، لعلمه أو لاعتقاده أن جبريل كان ينزل على موسى ، لكن ورقة قد ثبت إيمانه بمحمد - عليه السلام - وقد قدمنا حديث الترمذى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رآه فى المنام ، وعليه ثياب بيض إلى آخر الحديث .

هاء السكت : وقول ورقة : لتُكَذَّبَنَّهْ ، ولَتُؤْذَيَنَّهْ ، ولا ينطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت ، وليست بهاء إضمار .

أدركك ، أو يدركنى : وقوله : إن أدرك ذلك اليوم أنصرك نصراً مؤزرا ، وقال فى الحديث : إن يدركنى يومك وهو القياس ، لأن ورقة سابق بالوجود ، والسابق هو الذى يدركه من يأتى بعده ، كما جاء فى الحديث :

تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أني سمعتها تقول : أدخلتُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل ، فقالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : إن هذا لملك ، وما هو بشيطان .

أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حى ، ورواية ابن إسحاق أيضا لها وجه ، لأن المعنى : أنرى ذلك اليوم ، فسمى رؤيته إدراكا ، وفى التنزيل : « لاتدركه الأبصار » أى : لاتراه على أحد القولين . وقوله : مُؤَزَّراً من الأزْر وهو القوة والعون .

تصريف لفظ مخرجى : وفى حديث البخارى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لورقة : أوَ مُخْرِجِىَّ هم . لابد من تشديد الياء فى مخرجى ، لأنه جمع ، والأصل مخرجوى فأدغمت الواو فى الياء وهو خبر ابتداء مقدم ، ولو كان المبتدأ اسما ظاهرا لجاز تخفيف الياء ، ويكون الاسم الظاهر فاعلا لامبتدأ ، كما تقول : أضارب قومُك ، أخارج إخوتك فتفرد ، لأنك رفعت به فاعلا ، وهو حسن فى مذهب سيبويه والأخفش ، ولولا الاستفهام ماجاز الإفراد إلا على مذهب الأخفش ، فإنه يقول : قائم الزيدون دون استفهام ، فإن كان الاسم المبتدأ من المضمرات نحو : أخارج أنت ، وأقائم هو ؟ لم يصح فيه إلا الابتداء ، لأن الفاعل إذا كان مضمراً لم يكن منفصلا . لاتقول : قام أنا ، ولا ذهب أنت ، وكذلك لاتقول : أذاهب أنت على حد الفاعل ، ولكن على المبتدأ ، وإذا كان على حد المبتدأ ، فلابد من جمع الخبر ، فعلى هذا تقول : أمخرجى هم ، تريد : مخرجون ، ثم أضفت إلى الياء ، وحذفت النون ، وأدغمت الواو كما يقتضى القياس .

تصريف لفظ يافوخ : وذكر أن ورقة بن نوفل لقى النبى ـ عليه السلام ـ فقبل يافوخه . قد تقدم ذكر اليافوخ وأنه يفعول مهموز ، وأنه لايقال فى رأس الطفل يافوخ حتى يشتد ، وإنما يقال له : الغاذية ، وذكرنا قول العجاج :

ضرب إذا أصاب اليآفيخ حَفَر

ولو كان يافوخ فاعولا ، كما ظن بعضهم ، لم يجز همزه فى الواحد ، ولا فى الجمع .

الذهاب إلى ورقة : وفى رواية يونس عن ابن إسحاق بسنده إلى أبى ميسرة عمرو بن شُرَحْبِيل أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لخديجة : إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء ، وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر . قالت : معاذ الله ، ما كان الله ليفعل ذلك بك . فوالله إنك لتؤدى الأمانة وتصل الرحم . وتَصْدُقُ الحديث ، فلما دخل أبو بكر ، وليس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندها ثم ذكرت خديجة له ذلك ، فقالت : ياعتيق اذهب مع محمد إلى ورقة ، فلما دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ أبو بكر بيده . فقال : انطلق بنا إلى ورقة بن نوفل . فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة ، فانطلقا إليه ، فقصا عليه ، فقال : إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى : يامحمد يامحمد ، فأنطلق هارباً فى الأرض . فقال له : لاتفعل ، إذا أتاك فاثبت ، حتى تسمع مايقول لك . ثم ائتنى فأخبرنى ، فلما خلا ناداه : يامحمد قل : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . حتى بلغ : ولا الضالين . قل : لا إله إلا الله . فأتى ورقة ، فذكر ذلك له ، فقال له ورقة : أبشر ، ثم أبشر ، فأنا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم ، وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نبى مرسل ، وأنك ستُؤْمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن أدركنى ذلك لأجاهدن معك . فلما تُوفِّيَ ورقة قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : لقد

ابتداء تنزيل القرآن

متى نزل القرآن : قال ابن إسحاق : فابتُدِىء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتنزيل فى شهر رمضان ، بقول الله عز وجل : « شهر رمضان الذى أُنزلَ فيه القرآنُ هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان » وقال الله تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنَزَّلُ الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر » . وقال الله تعالى : « حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا مُنذرين . فيها يُفرَقُ كل أمر حكيم ، أمراً من عندنا إنا كنا مُرسلين » .

رأيت القَسَّ فى الجنة ، وعليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بى وصدقنى ، يعنى : ورقة ، وفى رواية يونس أيضا أنه عليه السلام قال لرجل سب ورقة : أما علمت أنى رأيت لورقة جنة أو جنتين ، وهذا الحديث الأخير قد أسنده البزار .

معنى : لقد خشيت على نفسى : وفى الصحيح أنه قال لخديجة : لقد خشيت على نفسى ، وتكلم العلماء فى معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة .

فذهب أبو بكر الإسماعيلى إلى أن هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم بأن الذى جاءه ملك من عند الله ، وكان أشق شىء عليه أن يقال عنه : مجنون ، ولم ير الإسماعيلى أن هذا محال فى مبدإ الأمر ؛ لأن العلم الضرورى قد لايحصل دفعة واحدة ، وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله ، فلاتدرى أنظم هو أم نثر ، فإذا استمر الإنشاد ، علمت قطعا أنه قُصِد به قَصْدُ الشعر ، كذلك لما استمر الوحى واقترنت به القرائن المقتضية للعلم القطعى ، حصل العلم القطعى ، وقد أثنى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال : « آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون » إلى قوله « وملائكته وكتبه ورسله » فإيمانه بالله وبملائكته إيمان كَسْبِى موعود عليه بالثواب الجزيل ، كما وعد على سائر أفعاله المكتسبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح .

وقد قيل فى قوله : لقد خشيت على نفسى ، أى : خشيت ألا أنهض بأعباء النبوة ، وأن أضعف عنها ، ثم أزال الله خشيته ، ورزقه الأَيْدَ والقوة والثبات والعصمة .

وقد قيل : إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه ، ولاغَرْوَ ، فإنه بشر يخشى من القتل والإذاية الشديدة مايخشاه البشر ، ثم يُهوِّن عليه الصبر فى ذات الله كلَّ خشية ، ويجلب إلى قلبه كل شجاعة وقوة . وقد قيل فى معنى الخشية أقوال غير هذه رغبت عن التطويل بذكرها .

متى وكيف نزل القرآن : وذكر قول الله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » إلى آخر الآية ، مستشهداً بذلك على أن القرآن أنزل فى شهر رمضان ، وفى ليلة القدر من رمضان ، وهذا يحمل تأويلين : أحدهما : أن يكون أراد بدء النزول وأوله ؛ لأن القرآن نزل فى أكثر من عشرين سنة فى رمضان وغيره ، والثانى : ماقاله ابن عباس : أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، فجُعل فى بيت العزة مكنوناً فى الصحف المكرمة ، المرفوعة المطهرة ، ثم نزلت منه الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة ، فى أجوبة السائلين ، والنوازل الحادثة ، إلى أن توفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا التأويل أشبه بالظاهر ، وأصح فى النقل والله أعلم .

وقال تعالى : « إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » . وذلك ملتقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمشركين ببدر .

تاريخ وقعة بدر : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو جعفر محمد بن على بن حسين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة . صبيحة سبع عشرة من رمضان .

قال ابن إسحاق : ثم تتام الوحى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم ، والنبوة أثقال ومؤنة ، لا يحملها ، ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يلقون من الناس ، وما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال : فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى .

رمضان أو شهر رمضان : وفى قوله تعالى : « شهر رمضان » فذكر الشهر مضافا إلى رمضان ، واختار الكتاب والموثقون النطق به بهذا اللفظ دون أن يقولوا : كتب فى رمضان ، وترجم البخارى والنسوى[1] على جواز اللفظين جميعاً وأوردا حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان ، وإذا جاء رمضان ، ولم يقل : شهر رمضان ، وقد بينت أن لكل مقام مقامه ، ولابد من ذكر شهر فى مقام ، ومن حذفه فى مقام آخر ، والحكمة فى ذكره إذا ذكر فى القرآن ، والحكمة أيضاً فى حذفه إذا حذف من اللفظ ، وأين يصلح الحذف ، ويكون أبلغ من الذكر ، كل هذا مبين فى كتاب « نتائج الفكر » ، فهناك أوردنا فيه فوائد تعجز عنها همم أهل هذا العصر . أدناها تساوى رحلة عند من عرف قدرها ، غير أنا نشير إلى بعضها ، فنقول :

قال سيبويه : ومما لايكون العمل إلا فيه كله : المحرم وصفر ، يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله ، وذلك إذا قلت : الأحد أو الاثنين ، فإن قلت يوم الأحد أو شهر المحرم كان ظرفا ، ولم يجر مجرى المفعولات ، وزال العموم من اللفظ ، لأنك تريد : فى الشهر وفى اليوم ، ولذلك قال عليه السلام : من صام رمضان ، ولم يقل شهر رمضان ، ليكون العمل فيه كله ، وهذه إشارة إلى بعض تلك الفوائد التى أحكمناها فى غير هذا الكتاب .

حب الوطن وبالذات إذا كان مكة : بقية من حديث ورقة ، وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لتكذبنه ، فلم يقل له النبى صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ثم قال : ولتؤذينه ، فلم يقل له شيئاً ، ثم قال : ولتخرجنه ، فقال : أو مخرجى هم ؟ ففى هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقته على النفس ، وأيضاً فإنه حرم الله وجوار بيته ، وبلدة أبيه إسماعيل ، فلذلك تحركت نفسه عند ذكر الخروج منه مالم تتحرك قبل ذلك ، فقال : أو مخرجى هم ؟ والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه ، وذلك أن الواو ترد إلى الكلام المتقدم ، وتشعر المخاطب بأن الاستفهام على جهة الإنكار ، أو التفجع لكلامه ، أو التألم منه .

---

(١) واحد من أصحاب المسانيد .

إسلام خديجة بنت خويلد

وقوفها بجانبه (ص) : وآمنت به خديجة بنت خُوَيلد ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره : وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدّق بما جاء منه ، فخفف الله بذلك عن نبيه - صلى الله عليه وسلم - لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رَدّ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها ، تثبته ، وتخفف عليه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

بشارة الرسول (ص) لها ببيت من قصب : قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة ابن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب » .

نسب عبدالله بن حسن : وذكر عبدالله بن حسن بن حسن بن على بن أبي طالب ، وقوله : حدثتني أمي فاطمة بنت الحسين أن خديجة أدخلته بين ثوبها . الحديث . عبدالله هذا هو : عبدالله بن حسن بن حسن بن على ابن أبي طالب ، وأمه : فاطمة بنت الحسين أخت سُكَيْنة ، واسمها : آمنة ، وسكينة لقب لها ، التي كانت ذات دعابة ومزح ، وفي سكينة وأمها الرباب يقول الحسين بن على — رضي الله عن جميعهم :

كأن الليل موصول بليل إذا زارت سكينة والرباب

أي : زارت قومها ، وهم : بنو عُلَيْم بن جناب ، من كلب ، ثم من بني كعب بن عليم ، ويعرف بنو كعب ابن عليم ببني زيد غير مصروف ؛ لأنه اسم أمهم ، وعبدالله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بني العباس ، وهم : محمد ويحيي وإدريس ، مات إدريس بإفريقية فارا من الرشيد ، ومات مسموماً في دلاعة[1] أكلها ، ووقع في كتاب الزبير بن أبي بكر قال : قال عبد الرحمن بن زيد : قال آدم عليه السلام : مما فضل به على ابني صاحب البعير أن زوجه كانت عوناً له على تبليغ أمر الله ، وأن زوجي كانت عوناً لي على المعصية .

حديث عبدالله بن جعفر عن خديجة : وذكر حديث عبدالله بن جعفر بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — أمر أن يبشر خديجة ببيت من قصب ، لاصخب فيه ولانصب . هذا حديث مرسل ، وقد رواه مسلم متصلا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ماغرت على أحد ماغرت على خديجة ، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاث سنين ، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة .

خديجة خير أمهات المؤمنين : وفي حديث آخر أن عائشة قالت : ماتذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت في الدهر ، قد أبدلك الله خيراً منها ، فغضب ، وقال : والله ماأبدلني الله خيراً منها ؛ آمنت بي حين كذبني الناس ، وواستني بمالها حين حرمني الناس ، ورزقت الولد منها ، وحرمته من غيرها .

وروى يونس عن عبد الواحد بن أيمن المخزومي ، قال : حدثنا أبو نجيح قال : أهدى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم جزور أو لحم ، فأخذ رسول الله — صلى الله عليه وسلم - عظماً منها ، فناوله الرسول بيده ؛ فقال . اذهب بهذا إلى فلانة ، فقالت عائشة : لم غَمَرْتَ يدك ؟ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم - مغضبا : إن خديجة أوصتني بها ، فغارت عائشة ، وقالت لكأنه ليس في الأرض امرأة إلا خديجة ، فقام رسول الله — صلى الله

---

(١) نوع من البطيخ .

قال ابن هشام : القصب ههنا : اللؤلؤ المجوّف .

عليه وسلم — مغضباً ، فلبث ماشاء الله ثم رجع ، فإذا أم رومان ، قالت يارسول الله : مالك ولعائشة ؟! إنها تحدَثة ، وإنك أحق من تجاوز عنها ، فأخذ بشدق عائشة ، وقال : ألست القائلة : كأنما ليس على الأرض امرأة إلا خديجة ، والله لقد آمنت بى إذ كفر قومك ، ورزقت منى الولد وحرمتموه .

خديجة خير نساء الأرض : وفى صحيح مسلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : خير نسائها : مريم بنت عمران ، وخير نسائها : خديجة ، والهاء فى نسائها حين ذكر مريم عائدة على السماء ، والهاء فى نسائها حين ذكر خديجة عائدة على الأرض ، وذلك أن هذا الحديث رواه وكيع وأبو أسامة وابن نمير فى آخرين ، وأشار وكيع من بينهم حين حدث بالحديث بإصبعه إلى السماء عند ذكر مريم ، وإلى الأرض عند ذكر خديجة ، وهذه إشارة ليست من رأيه ، وإنما هى زيادة فى حديثه عن النبى — صلى الله عليه وسلم — وزيادة العدل مقبولة ، ويحتمل أن يكون معنى إشارته إلى السماء والأرض عند ذكرهما ، أى : هما خير نساء بين السماء والأرض وهذا أثبت عندى بظاهر الحديث . ولعلنا أن نذكر اختلاف العلماء فى التفضيل بين مريم وخديجة وعائشة — رضى الله عنهم — وأزواج النبى — صلى الله عليه وسلم — ومانزع به كل فريق منهم .

بيت خديجة فى الجنة : وأما قوله : ببيت من قصب ، فقد رواه الخطابى مفسراً ، وقال فيه . قالت خديجة : يارسول الله ، هل فى الجنة قصب ؟ فقال : إنه قصب من لؤلؤ مُجَبّى . قال الخطابى : يجوز أن يكون معناه : مُجوَّباً من قولك : جبْت الثوب إذا خرقته ، فيكون من المقلوب ، ويجوز أن يكون الأصل مُجَبَّباً بباءين من الجبّ وهو القطع أى : قطع داخله ، وقلبت الباء ياء ، كما قالوا : تظنيت من الظن ، وتقصيت أظفارى .

وتكلم أصحاب المعانى فى هذا الحديث ، وقالوا : كيف لم يبشرها إلا ببيت ، وأدنى أهل الجنة منزلة من يعطى مسيرة ألف عام فى الجنة ، كما فى حديث ابن عمر ، خرجه الترمذى ، وكيف لم ينعت هذا البيت بشىء من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نفى الصخب وهو : رفع الصوت .

فأما أبو بكر الإسكاف ، فقال فى كتاب فوائد الأخبار له : معنى الحديث : أنه بشرت ببيت زائد على ماأعد الله لها مما هو ثواب لإيمانها وعملها ؛ ولذلك قال : لاصخب فيه ولانصب ، أى : لم تنصب فيه ، ولم تصخب . أى : إنما أعطيَتْه زيادة على جميع العمل الذى نصبت فيه .

قال المؤلف رحمه الله : لاأدرى ماهذا التأويل ، ولايقتضيه ظاهر الحديث ، ولايوجد شاهد يعضده .

وأما الخطابى ، فقال : البيت هاهنا عبارة عن قصر ، وقد يقال لمنزل الرجل : بيته ، والذى قاله صحيح ، يقال فى القوم : هم أهل بيت شرف وبيت عز ، وفى التنزيل « غير بيت من المسلمين » .

ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ ولقوله : ببيت ، ولم يقل : بقصر معنى لائق بصورة الحال ، وذلك أنها

جبريل يقرىء خديجة السلام من ربها : قال ابن هشام : وحدثني من أثق به ، أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أقرىء خديجة السلام من ربها ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريل يقرئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام .

كانت ربة بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت ، وأيضا فإنها أول من بنى بيتاً فى الإسلام بتزويجها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ورغبتها فيه ، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل ، وإن كان أشرف منه لما جاء : « من كسا مسلما على عُرى كساه الله من حلل الجنة ، ومن سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق » ، ومن هذا الباب قوله عليه السلام : « من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله فى الجنة» لم يرد مثله فى كونه مسجدا ، ولا فى صفته ، ولكن قابل البنيان بالبنيان ، كما بَنى يُبنى له ، كما قابل الكسوه بالكسوة والسقيا ، بالسُّقيا ، فهاهنا وقعت المماثلة ، لا فى ذات المَبْنِىّ أو المَكْسُوّ ، وإذا ثبت هذا ، فمن ههنا اقتضت الفصاحة أن يعبر لها عما بُشِّرت به بلفظ البيت ، وإن كان فيه مالا عين رأته ، ولا أذن سمعته ، ولاخطر على قلب بشر ، ومن تسمية الجزاء على الفعل بالفعل فى عكس ماذكرناه قوله تعالى : « نسوا الله فنسيهم » : « ومكروا ومكر الله » .

أما قوله : لاصخب فيه ، ولا نصب ، فإنه أيضاً من باب ماكُنّا بسبيله ، لأنه ـ عليه السلام ـ دعاها إلى الإيمان ، فأجابته عفواً ، لم تُحوجه إلى أن يصخب كما يصخب البعل إذا تعصت عليه حليلته ، ولا أن ينصب ، بل أزالت عنه كل نصب ، وآنسته من كل وحشة ، وهونت عليه كل مكروه ، وأراحته بمالها من كل كد ونصب ، فوصف منزلها الذى بُشرت به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته .

وأما قوله : من قصب ، ولم يقل : من لؤلؤ ، وإن كان المعنى واحداً ، ولكن فى اختصاصه هذا اللفظَ من المشاكلة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل أنها ـ رضى الله عنها ـ كانت قد أحرزت قصب السبق إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنسوان . والعرب تسمى السابق محرزا للقصب . قال الشاعر :

مشى ابن الزبير القهقرى ، وتقدمت أمية حتى أحرزوا القصبات

فاقتضت البلاغة أن يعبر بالعبارة المشاكلة لعملها فى جميع ألفاظ الحديث فتأمله .

الموزانة بين خديجة وعائشة وفاطمة : وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : «وهذا جبريل يقرئك السلام من ربك » . الحديث يذكر عن أبى بكر بن داود أنه سئل : أعائشة أفضل ، أم خديجة ؟ فقال : عائشة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهى أفضل .

قيل له : فمن أفضل ، أخديجة أم فاطمة ؟ فقال : إن رسول الله صلى ـ الله عليه وسلم ـ قال : إن فاطمة بضعة منى فلا أعدل ببضعة من رسول الله أحداً ، وهذا استقراء حسن ، ويشهد لصحة هذا الاستقراء أن أبا لبابة حين ارتبط نفسه ، وحلف ألا يحله إلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاءت فاطمة لتحله ، فأبى من أجل قسمه ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : إنما فاطمة مضغة منى ، فحلته وسنذكر الحديث بإسناده فى موضعه ، إن شاء الله تعالى .

ويدل أيضاً على تفضيل فاطمة قوله ـ عليه السلام ـ لها : « أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم» فدخل فى هذا الحديث أمها وأخواتها ، وقد تكلم الناس فى المعنى الذى سادت به فاطمة غيرها دون أخواتها ، فقيل :

. . . .

إنها ولدت سيد هذه الأمة ، وهو الحسن الذى يقول فيه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «إن ابنى هذا سيد » ، وهو خليفة ، وبعلها خليفة أيضاً .

وأحسن من هذا القول قول من قال : سادت أخواتها وأمها ، لأنهن متن فى حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكن فى صحيفته ، ومات أبوها وهو سيد العالمين ، فكان رزؤه فى صحيفتها وميزانها ، وقد روى البزار من طريق عائشة أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لفاطمة : هى خير بناتى ؛ إنها أصيبت بى ، فحق لمن كانت هذه حاله أن يسود نساء أهل الجنة ، وهذا حسن ، والله أعلم .

ومن سؤددها أيضاً أن المهدى المبشر به آخر الزمان من ذريتها ، فهى مخصوصة بهذا كله والأحاديث الواردة فى أمر المهدى كثيرة ، وقد جمعها أبو بكر بن أبى خيثمة فأكثر ، ومن أغربها إسناداً ما ذكره أبو بكر الإسكاف فى فوائد الأخبار مسنداً إلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : من كذب بالدجال فقد كفر ، ومن كذب بالمهدى فقد كفر ، وقال : فى طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب .

الله السلام – فى قول خديجة : وقول خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام ، علمت بفقهها أن الله سبحانه لا يرد عليه السلام ، كما يرد على المخلوق ؛ لأن السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها : الله السلام ، فكيف أقول عليه السلام ، والسلام منه يُسئل ، ومنه يأتى ؟ ولكن على جبريل السلام ، فالذى يحصل من هذا الكلام من الفقه أنه لا يليق بالله سبحانه إلا الثناء عليه ، فجعلت مكان رد التحية على الله ثناء عليه ، كما عملوا فى التشهد حين قالوا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان ، فقيل لهم : لا تقولوا هذا ، ولكن قولوا : التحيات لله ، وقد ذكرنا فى غير هذا الكتاب فوائد جمة فى معنى التحيات إلى آخر التشهد .

وقولها ومنه السلام ، إن كانت أرادت السلام التحية ، فهو خبر يراد به التشكر ، كما تقول : هذه النعمة من الله ، وإن كانت أرادت بالسلام السلامة من سوء ، فهو خبر يراد به المسئلة ، كما تقول : منه يسئل الخير .

الفرق بين السلام والسلامة : وذهب أكثر أهل اللغة إلى أن السلام والسلامة بمعنى واحد كالرَّضَاع والرَّضَاعة ؛ ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاء التأنيث من التحديد لرأوا أن بينهما فرقاناً عظيماً ، وأن الجلال أعم من الجلالة بكثير ، وأن اللذاذ أبلغ من اللذاذة ، وأن الرضاعة تقع على الرضعة الواحدة ، والرضاع أكثر من ذلك ، فكذلك السلام ، والسلامة ، وقس على هذا : تمرة وتمرا ، ولقاة ولقى ، وضربة وضربا ، إلى غير ذلك .

تسميته جل جلاله بالسلام : وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة ، وعمهم من السلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جار على نظام الحكمة ، وكذلك سلم الثقلان من جَوْر وظلم أن يأتيهم من قبله سبحانه ، فإنما الكل مُدَبَّر بفضل أو عدل ، أما الكافر فلا يجرى عليه إلا عدله ، وأما المؤمن فيغمره فضله ، فهو سبحانه فى جميع أفعاله سلام ، لا حيف ولا ظلم ، ولا تفاوت ولا اختلال ، ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم أنه تسمى به لسلامته من الآفات والعيوب ، فقد أتى بشنيع من القول ، إنما السلام من سُلِم منه ، والسالم من سَلِم من غيره وانظر إلى قوله سبحانه : « كونى برداً وسلاما » وإلى قوله : « سلام هي » ولا يقال في الحائط : سالم من العمي

فترة الوحى وتنزيل سورة الضحى : قال ابن إسحاق : ثم فتر الوحى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فترة من ذلك ، حتى شق ذلك عليه ، فأحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يُقسم له ربه ، — وهو الذى أكرمه بما أكرمه به — وما ودّعه وما قلاه ، فقال تعالى : « والضحى والليل إذا سَجَى . ما ودّعك ربك وما قلى » . يقول : ما صرمك فتركك ، وما أبغضك منذ أحبك . « وللآخرة خير لك من الأولى » : أى : لمَا عندى من مرجعك إلىّ ، خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا . « ولسوف يعطيك ربك فترضى » ، من الفلج فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة : « ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى » ، يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ، ومنّه عليه فى يتمه وعَيلته وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته .

تفسير مفردات سورة الضحى : قال ابن هشام : سجى : سكن . قال أمية بن أبى الصلت الثقفى :

إذ أتى مَوْهِنا وقد نام صحبى ... وسجا الليل بالظلام البهيم

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال للعين إذا سكن طرْفُها : ساجية ، وسجا طرفها .

قال جرير بن الخَطَفَى :

ولقد رَمَيْنَك — حين رُحْن — بأعين ... يقتلن من خَلَل الستور سَواجى

وهذا البيت فى قصيدة له .

والعائل : الفقير : قال أبو خِراش الهذلى :

إلى بيته يأوى الضَّريكُ إذا شتا ... ومستنبح بالِى الدّريسين عائل

ولا فى الحجر أنه سالم من الزكام ، أو من السعال ، إنما يقال : سالم فيمن تجوز عليه الآفة ، ويتوقعها ثم يسلم منها ، والقدوس سبحانه متعال عن توقع الآفات متنزه عن جواز النقائص ، ومن هذه صفته لا يقال : سلم ، ولا يتسمى بسالم ، وهم قد جعلوا سلاما بمعنى سالم ، والذى ذكرناه أول . هو معنى قولُ أكثر السلف ، والسلامة : خصلة واحدة من خصال السلام .

فترة الوحى ومدتها : وذكر فترة الوحى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم يذكر مقدار مدةُ الفترة ، وقد جاء فى بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة ، فمن هنا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مُكْثه بمكة كان عشر سنين ، وقول ابن عباس : ثلاث عشرة سنة ، وكان قد ابتدىء بالرؤيا الصادقة ستة أشهر فمن عد مدة الفترة ، وأضاف إليها الأشهر الستة ، كانت كما قال ابن عباس ، ومن عدها من حين حمى الوحى وتتابع كما فى حديث جابر كانت عشر سنين . ووجه آخر فى الجمع بين القولين أيضاً ، وهو أن الشعبى قال : وكل إسرافيل بنبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — ثلاث سنين ، ثم جاءه بالقرآن جبريل وقد قدمنا هذا الحديث ، ورواه أبو عمر فى كتاب الاستيعاب ، وإذا صح فهو أيضاً وجه من الجمع بين الحديثين ، والله أعلم .

شرح شعر أبى خراش : وذكر ابن إسحاق قول أبى خراش خويلد بن مرة الهذلى :

إلى بيته يأوى الضريكُ إذا شتا ... ومُستنبح بالى الدّريسين عائل

الضريك : الضعيف المضطر ، والمستنبح الذى يضل عن الطريق فى ظلمة الليل ، فينبح ليسمع نباح كلب ، والدريس : الثوب الخلق .

وجمعه : عالة وعُيَّل ، وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها فى موضعها — إن شاء الله — والعائل أيضا : الذى يعول العيال ، والعائل أيضاً : الخائف. وفى كتاب الله تعالى : « ذلك أدنى ألاّ تعولوا » وقال أبو طالب :

بميزان قسط لا يُخِسّ شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل

وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها — إن شاء الله — فى موضعها . والعائل أيضا : الشىء المُثْقِل المُعْيِى يقول الرجل : قد عالنى هذا الأمر : أى أثقلنى وأعيانى ، قال الفرزدق :

ترى الغر الجحاجح من قريش إذا ما الأمر فى الحدثان عالا

وهذا البيت فى قصيدة له .

« فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر » : أى لا تكن جبارا ولا متكبرا ، ولا فحاشا فَظًّا على الضعفاء من عباد الله . « وأما بنعمة ربك فحدث » : أى : بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث ، أى اذكرها ، وادع إليها ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكر ما أنعم الله به عليه ، وعلى العباد به من النبوة سِراً إلى من يطمئن إليه من أهله .

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها

وافتُرِضت الصلاة عليه ، فصلّى رسول الله - صلى الله عليه وسلم وآله ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته -

---

شرح شعر الفرزدق : وقول الفرزدق :

ترى الغر الجحَاجِحَ من قريش إذ ما الأمر فى الحدثان عالا

قياما ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالا

يعنى : سعيد بن العاصى بن أمية ، ويقال : إن مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد هذا البيت حسده ، فقال له : قل : قعودا ينظرون إلى سعيد ياأبا فراس فقال له الفرزدق: والله يا أبا عبد الملك: إلا قياما على الأقدام.

سبب نزول سورة الضحى : وذكر سبب نزول سورة الضحى ، وأن ذلك لفترة الوحى عنه ، وخرّج البخارى من طريق جندب بن سفيان أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اشتكى ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثا ، فقالت له امرأة : إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، فأنزل الله تعالى سورة الضحى .

فرض الصلاة

وذكر حديث عُروة عن عائشة : « فُرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، فزيد فى صلاة الحضر ، وأقرت صلاة السفر » ، وذكر المزنى أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس ، وصلاة قبل طلوعها ، ويشهد لهذا

افترضت الصلاة ركعتين ثم زيدت: قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: افترضت الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوّل ما افتُرضت عليه ركعتين ركعتين، كلّ صلاة، ثم إن الله تعالى أتمها فى الحضر أربعا، وأقرها فى السفر على فرضها الأول ركعتين.

جبريل يعلم الرسول (ص) الوضوء والصلاة: قال ابن إسحاق: وحدثني بعضُ أهل العلم: أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمَز له بعَقبه فى ناحية الوادى، فانفجرت منه عين. فتوضأ جبريل - عليه السلام - ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إليه، ليريَه كيف الطُّهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما رأى جبريل توضأ، ثم قام به جبريل فصلى به، وصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصلاته، ثم انصرف جبريل عليه السلام.

الرسول يعلم خديجة الوضوء والصلاة: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة، فتوضأ لها ليريَها كيف الطهور للصلاة، كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ثم صلى بها رسول الله - عليه الصلاة والسلام - كما صلى به جبريل، فصلت بصلاته.

القول قوله سبحانه: «وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار»، وقال يحيى بن سلام مثله، وقال: كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام، فعلى هذا يحتمل قول عائشة: فزيد فى صلاة الحضر، أى زيد فيها حين أكملت خمسا، فتكون الزيادة فى الركعات، وفى عدد الصلوات، ويكون قولها: «فرضت الصلاة ركعتين»، أى: قبل الإسراء، وقد قال بهذا طائفة من السلف، منهم: ابن عباس. ويجوز أن يكون معنى قولها: فرضت الصلاة: أى ليلة الإسراء، حين فرضت الخمس فرضت ركعتين ركعتين، ثم زيد فى صلاة الحضر بعد ذلك، وهذا هو المروى عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة، ومن رواه هكذا الحسن والشعبي، أن الزيادة فى صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام، أو نحوه، وقد ذكره أبو عمر.

وقد ذكر البخارى من رواية معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، ففرضت أربعا، هكذا لفظ حديثه.

وههنا سؤال يقال: هل هذه الزيادة فى الصلاة نسخ أم لا؛ فيقال: أما زيادة ركعتين أو ركعة إلى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة فنسخ؛ لأن النسخ رفع الحكم، وقد ارتفع حكم الإجزاء من الركعتين، وصار من سَلَّم منهما عامدا أفسدهما، وإن أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم، وتحدث عامدا لم يجزه إلا أن يستأنف الصلاة من أولها، فقد ارتفع حكم الإجزاء بالنسخ، وأما الزيادة فى عدد الصلوات حين أكملت خمسا بعد ما كانت اثنتين، فيسمى نسخا على مذهب أبى حنيفة، فإن الزيادة عنده على النص نسخ، وجمهور المتكلمين على أنه ليس بنسخ ولاحتجاج الفريقين موضع غير هذا.

تعليم الرسول الوضوء من جبريل: وذكر نزول جبريل عليه السلام بأعلى مكة حين همز له بعقبه، فأنبع الماء، وعلمه الوضوء، وهذا الحديث مقطوع فى السيرة، ومثله لا يكون أصلا فى الأحكام الشرعية، ولكنه قد روى بسند إلى زيد بن حارثة - يرفعه - غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد الله بن لهيعة وقد ضُعِّف

جبريل يبين للرسول (ص) أوقات الصلاة: قال ابن إسحاق: وحدثني عُتبة بن مسلم، مولى بني تميم، عن نافع بن جُبَير بن مُطْعِم - وكان نافع كثير الرواية - عن ابن عباس قال: لما افتُرِضت الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتاه جبريل - عليه السلام - فصلى به الظهر حين مالت الشمس، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثله، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر. ثم جاءه، فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول، ثم صلى به الصبح مسفراً غير مُشْرِق، ثم قال: يا محمد، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم، وصلاتك بالأمس.

ذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول ذكر أسلم

قال ابن إسحاق: ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصلى معه، وصدّق بما جاءه من الله تعالى: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم - رضوان الله وسلامه عليه - وهو يومئذ ابن عشر سنين.

ولم يخرج عنه مسلم ولا البخاري؛ لأنه يقال: إن كتبه احترقت، فكان يحدث من حفظه، وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول، ويقال إنه الذي روى عنه حديث بيع العربان في الموطأ مالك، عن الثقة عنده، عن عمرو بن شعيب، فيقال: إن الثقة ههنا ابن لهيعة، ويقال: إن ابن وهب حدث به عن ابن لهيعة، وحديث ابن لهيعة هذا أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد بن العربي قال: نا أبو المطهر سعد بن عبد الله بن أبي الرجاء، عن أبي نعيم الحافظ قال: نا أبو بكر أحمد بن يوسف العطار قال: نا الحارث بن أبي أسامة، قال: نا الحسن بن موسى، عن ابن لهيعة، عن عقيل بن خالد، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد، قال: حدثني أبي زيد بن حارثة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أول ما أوحي إليه أتاه جبريل عليه السلام، فعلمه الوضوء، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه.

وحدثنا به أيضاً أبو بكر محمد بن طاهر، عن أبي علي الغساني عن أبي عمر النَّمَرِيّ، عن أحمد بن قاسم، عن ابن قاسم بن أَصْبغ، عن الحارث بن أبي أسامة بالإسناد المتقدم، فالوضوء على هذا الحديث مكي بالفرض مدني بالتلاوة، لأن آية الوضوء مدنية، وإنما قالت عائشة: فأنزل الله تعالى آية التيمم، ولم تقل: آية الوضوء، وهي هي؛ لأن الوضوء قد كان مفروضا قبل، غير أنه لم يكن قرآنا يتلى، حتى نزلت آية المائدة.

إمامة جبريل للنبي (ص) ومواقيت الصلاة: وذكر حديث عبد الله بن عباس في إمامة جبريل للنبي - صلى الله عليه وسلم - وتعليمه إياه أوقات الصلوات الخمس في اليومين، وهذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الموضع؛ لأن أهل الصحيح متفقون على أن هذه القصة، كانت في الغد من ليلة الإسراء، وذلك بعد ما نبيء بخمسة أعوام، وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف، وقيل: بعام، فذكره ابن إسحاق في بدء نزول الوحي، وأول أحوال الصلاة.

أول من أسلم: وذكر أن أول ذكر آمن بالله علي - رضي الله عنه - وسيأتي قول من قال: أول من أسلم أبو بكر، ولكن ذلك - والله أعلم - من الرجال؛ لأن عليا كان حين أسلم صبيا لم يدرك، ولا يختلف أن خديجة هي أول من آمن بالله، وصدق رسوله، وكان علي أصغر من جعفر بعشر سنين، وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين

نعمة الله على علىّ بنشأته فى كنف الرسول: وكان مما أنعم الله على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، أنه كان فى حجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل الإسلام.

سبب هذه النشأة: قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح، عن مجاهد بن جبر بن أبى الحجاج، قال: كان من نعمة الله على علىّ بن أبى طالب، ومما صنع الله له، وأراده به من الخير، أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للعباس عمه، وكان من أيسر بنى هاشم: ياعباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلقْ بنا إليه، فلنخفف عنه عياله، آخذُ من بنيه رجلا، وتأخذ أنت رجلا، فنكلهما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لى عقيلا، فاصنعا ما شئتما.

قال ابن هشام: ويقال: عقيلا وطالبا.

فأخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليا، فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه، فلم يزل علىّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فاتبعه علىّ رضى الله عنه، وآمن به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العباس، حتى أسلم واستغنى عنه.

الرسول (ص) وعلى يخرجان إلى شعب مكة للصلاة واكتشاف أبى طالب لهما: قال ابن إسحاق: ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى مكة، وخرج معه علىّ ابن أبى طالب مستخفيا من أبيه أبى طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان، فقال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخى! ما هذا الدين الذى أراك تدين به؟ قال: أى عم هذا دين الله، ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم ـ أو كما قال صلى الله عليه وسلم ـ بعثنى الله به رسولا إلى العباد، وأنت أى عم، أحق من بذلتُ له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحقّ من أجابنى إليه، وأعاننى عليه، أو كما قال. فقال أبو طالب: أى ابن أخى، إنى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى، وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشىء تكرهه ما بقيتُ.

وذكروا أنه قال لعلى: أى بنى، ما هذا الدين الذى أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت بالله وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته. فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يَدْعُك إلا إلى خير فالزمه.

وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين، وكلهم أسلم إلا طالباً اختطفته الجن، فذهب ولم يعلم بإسلامه، وأم على: فاطمة بنت أسد بن هاشم، وقد أسلمت، وهى إحدى الفواطم التى قال فيهن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعلى رضى الله عنه «اقسمه بين الفواطم الثلاث»، يعنى ثوب حرير، قال القتبى يعنى: فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفاطمة بنت أسد، ولا أدرى من الثالثة، ورواه عبد الغنى بن سعيد: «اقسمه بين الفواطم الأربع» وذكر فاطمة بنت حمزة مع اللتين تقدمتا، وقال: لا أدرى من الرابعة، قاله فى كتاب الغوامض والمبهمات.

إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابن إسحاق : ثم أسلم زيد بن حارثة بن شُرَحْبِيل بن كعب بن عبد العُزى بن امرىء القيس الكلبي ، مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان أول ذكر أسلم ، وصلى بعد علي بن أبي طالب .

نسب زيد : قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزّى بن امرىء القيس بن النعمان ابن عامر بن عبد وُد بن عَوْف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب بن وبرة .

سبب تبني الرسول (ص) لزيد : وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق ، فيهم زيد بن حارثة وصيف . فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد ، وهي يومئذ عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لها : اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك ، فاختارت زيداً فأخذته ، فرآه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندها ، فاستوهبه منها ، فوهبته له ، فأعتقه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتبناه ، وذلك قبل أن يوحَى إليه .

شعر حارثة أبي زيد عندما فقده : وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحيٌّ فيرُجى أم أتى دونه الأجل

فوالله ما أدري ، وإني لسائل ... أغالكَ بعدي السهل ، أم غالك الجبل

ويا ليت شعري هل لك الدهر أوبة ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل

تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتَعرض ذكراه إذا غربها أفل

وإن هبت الأرواح هيّجن ذكره ... فيا طول ما حُزني عليه وما وجل

سأعمل نصّ العيس في الأرض جاهدا ... ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتيَ أو تأتي عليّ منيتي ... فكل امرىء فان ، وإن غره الأمل

إسلام زيد : وذكر حديث زيد بن حارثة ، وقال فيه : حارثة بن شرحبيل ، وقال ابن هشام : شراحيل ، قال أصحاب النسب : كما قال ابن هشام ، ورفع نسبه إلى كلب بن وبرة ، ووبرة هو : ابن ثعلب بن حلوان بن الحاف ابن قضاعة ، وأم زيد : سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طيء ، وكانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها ، فأصابته خيل من بني القَيْن بن جسر ، فباعوه بسوق حُباشة ، وهو من أسواق العرب ، وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام ثم كان من حديثه ما ذكر ابن إسحاق .

زيد يرد على والده : ولما بلغ زيداً قول أبيه * بكيت على زيد ، ولم أدر ما فعل * الأبيات . قال بحيث يسمعه الركبان :

أحن إلى أهلي وإن كنت نائيا ... بأني قعيد البيت عند المشاعر

فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم ... ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر

فإني بحمد الله في خير أسرة ... كرام معد كابرا بعد كابر

قدومه على الرسول يسأله رد ابنه: ثم قدم عليه وهو عند رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم: إن شئت فأقم عندى، وإن شئت فانطلق مع أبيك، فقال: بل أقيم عندك فلم يزل عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بعثه الله فصدقه وأسلم، وصلى معه، فلما أنزل الله عز وجل: «ادعوهم لآبائهم»، قال: أنا زيد بن حارثة.

إسلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه

نسبه: قال ابن إسحاق: ثم أسلم أبو بكر بن أبى قحافة، واسمه: عَتيق، واسم أبى قحافة: عثمان بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر.

اسمه ولقبه: قال ابن هشام: واسم أبى بكر: عبد الله، وعتيق: لقب لحسن وجهه وعتقه.

إسلامه: قال ابن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه: أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله.

اختيار زيد لرسول الله (ص): فبلغ أباه قوله، فجاء هو وعمه كعب، حتى وقفا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم بمكة، وذلك قبل الإسلام، فقالا له: يا ابن عبد المطلب، يا ابن سيد قومه، أنتم جيران الله، وتفكون العانى وتطعمون الجائع، وقد جئناك فى ابننا عبدك، لتحسن إلينا فى فدائه، فقال: أو غير ذلك؟ فقالا: وما هو؟ فقال: أدعوه وأخيره، فإن اختاركما فذاك، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى أحداً، فقالا له: قد زدت على النَّصَف، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما جاء قال: من هذان؟ فقال: هذا أبى حارثة بن شراحيل، وهذا عمى: كعب بن شراحيل، فقال: قد خيرتك: إن شئت ذهبت معهما، وإن شئت أقمت معى، فقال: بل أقيم معك، فقال له أبوه: يا زيد أتختار العبودية على أبيك وأمك وبلدك وقومك؟! فقال: إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئاً، وما أنا بالذى أفارقه أبداً، فعند ذلك أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده، وقام به إلى الملأ من قريش، فقال: اشهدوا أن هذا ابنى، وارثاً وموروثاً، فطابت نفس أبيه عنه ذلك، وكان يدعى: زيد بن محمد، حتى أنزل الله تعالى: «ادعوهم لآبائهم».

وفى الشعر الذى ذكره ابن إسحاق لحارثة بعد قوله:

حياتى وإن تأتى على منيتى ... فكل امرىء فان وإن غره الأمل
سأوصى به قيساً وعمراً كليهما ... وأوصى يزيد ثم أوصى به جَبَل

يعنى: يزيد بن كعب وهو ابن عم زيد وأخوه، ويعنى بجبل: جبلة بن حارثة أخا زيد، وكان أسن منه: سئل جبلة: من أكبر أنتَ أم زيْد؟ فقال: زيد أكبر منى، وأنا ولدت قبله، يريد أنه أفضل منه بسبقه للإسلام.

أبو بكر ولقبه وأمه: وذكر إسلام أبى بكر ونسبه، قال: واسمه: عبدالله، وسمى عتيقاً لعتاقة وجهه، والعتيق: الحسن كأنه أعتق من الذم والعيب - وقيل: سمى عتيقاً؛ لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد، فنذرت إن ولد لها ولد أن تسميه: عبدالكعبة، وتتصدق به عليها، فلما عاش وشب، سمى: عتيقاً، كأنه أعتق من الموت،

إيلاف قريش له ودعوته للإسلام : وكان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجراً ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ، ممن يغشاه ويجلس إليه .

ذكر الذين أسلموا بدعوة الصديق

عثمان : فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب .

الزبير : والزبير بن العوام بن خويلد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي

وكان يسمى أيضاً : عبد الكعبة إلى أن أسلم ، فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم : عبد الله ، وقيل : سمي : عتيقا ؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له حين أسلم : أنت عتيق من النار ، وقيل : كان لأبيه ثلاثة من الولد : مُعْتَق ومُعَيْتق وعَتيق ، وهو : أبو بكر . وسئل ابن معين عن أم أبي بكر فقال : أم الخير عند اسمها ، وهي أم الخير بنت صخر بن عمرو بنت عم أبي قحافة ، واسمها : سلمى ، وتكنى : أم الخير ، وهي من المبايعات .

أم أبيه : وأما أبوه عثمان أبو قحافة فأمه : قَيْلَةُ - بياء باثنتين منقوطة من أسفل - بنت أذاة بن رياح بن عبدالله بن قُرْط بن رزاح بن عدي بن كعب

امرأته : وامرأة أبي بكر أم ابنه عبد الله وأسماء : قَتْلَة بنت عبد العُزَّى بتاء منقوطة باثنتين من فوق . وقيل فيها : بنت عبد أسعد بن نصر بن حسل بن عامر وهو قول الزبير .

إسلام أبي بكر وسببه : وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عرض عليه الإسلام ، فما عكم عند ذلك ، أي ما تردد ، وكان من أسباب توفيق الله إياه - فيما ذكر - رؤيا رآها قبل ذلك ، وذلك أنه رأى القمر ينزل إلى مكة ، ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة وبيوتها ، فدخل في كل بيت منه شعبة ، ثم كأنه جمع في حجره ، فقصها على بعض الكتابيين ، فعبرها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه تتبعه ، وتكون أسعد الناس به ، فلما دعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام ، لم يتوقف .

مدح حسان له : وفي مدح حسان الذي قاله فيه ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم ينكره دليل على أنه أول من أسلم من الرجال ، وفيه :

خير البرية أتقاها ، وأفضلها … بعد النبي ، وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده … وأول الناس قدماً صدق الرسلا

إسلام أبي عبيدة : وذكر إسلام أبي عبيدة بن الجراح واسمه ، وقد اختلف فيه ، فقيل : عبدالله بن عامر ، وقيل : عامر بن عبد الله . وأمه : أميمة بنت غَنْم بن جابر بن عبد العُزَّى بن عامرة بن وديعة بن الحارث ابن فهر ، قاله الزبير .

إسلام سعيد بن زيد ونسبه : وذكر إسلام سعيد بن زيد ، وقد ذكرناه فيما مضى ، وذكر أمه فاطمة بنت بَعْجَة بن خلف الخزاعية ، وما وقع في نسبه من التقديم والتأخير ، ومن الفتح في رَزاح بن عدي والكسر ،

عبد الرحمن بن عوف: وعبد الرحمن بن عَوْف بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى .

سعد بن أبي وقاص: وسعد بن أبى وقاص ، واسم أبى وقاص : مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

طلحة: وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى .

فجاء بهم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين استجابوا له ، فأسلموا وصلّوا ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول فيم بلغنى : «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كَبْوة ، ونظر وتَردد ، إلا ما كان من أبى بكر بن أبى قحافة ، ما عكم عنه حين ذكرته له ، وما تَردد فيه» .

قال ابن هشام : قوله : «بدعائه» عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : قوله : عكم : تلبَّث . قال رؤبة بن العجاج :

وانصاع وثّاب بها وما عكم

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلّوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

وأن رزاح بن ربيعة هو الذى لم يختلف فى كسر الراء منه ، ويكنى سعيد : أبا الأعور ، توفى بأرضه بالعقيق ، ودفن بالمدينة فى أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة روى عنه ابن عمر ، وعمرو بن حريث ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة وجماعة من التابعين ، ولم يرو عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا حديثين أحدهما : «من غصب شبرا من أرض طُوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين» ، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بالجنة ، وأحد الذين رجف بهم الجبل ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : «اثبت حراء ، فإنما عليك نبى أو صديق أو شهيد» ويروى : اثبت أحد وأن القصة كانت فى جبل أحد ، ويروى أنها كانت فى جبل ثبير ذكره الترمذى ، وأنهم كانوا أربعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الخلفاء الأربعة ، ولعل هذا أن يكون مراراً ، فتصح الأحاديث كلها ، والله أعلم .

إسلام سعد بن أبي وقاص: وذكر فيمن أسلم بعد أبى بكر سعد بن أبى وقاص ، واسم أبى وقاص : مالك ابن أُهَيْب ، وأهيب : هو عم آمنة بنت وهب أم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والوقاص فى اللغة ، هو واحد الوقاقيص وهى شباك يصطاد بها الطير ، وهو أيضاً فَعّال من وَقَص إذا انكسر عنقه ، وأم سعد : حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ، يكنى : أبا إسحاق ، وهو أحد العشرة ، دعا له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يسدد الله سهمه ، وأن يجيب دعوته ، فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة . وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «احذروا دعوة سعد» مات فى خلافة معاوية .

إسلام عبد الرحمن بن عوف: وذكر عبد الرحمن بن عوف بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زهرة

اسلام أبي عبيدة: ثم أسلم أبو عبيدة ، واسمه : عامر بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبّة ابن الحارث بن فهر .

اسلام أبي سلمة: وأبو سلمة ، واسمه : عبد الله بن عبدالأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤى .

اسلام الأرقم: والأرقم بن أبى الأرقم ، واسم أبى الأرقم : عبد مناف بن أسد ـ وكان أسد يكنى : أبا جندب ـ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى .

اسلام عثمان بن مظعون وأخويه: وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤى، وأخواه : قدامة وعبد الله ابنا مظعون بن حبيب .

إسلام عبيدة بن الحارث: وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

اسلام سعيد بن زيد وامرأته: وسعيد بن زيد بن عمر بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط ابن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، وامرأته : فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط ابن رياح بن رَزَاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، أخت عمر بن الخطاب .

اسلام أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر وخباب بن الأرت: وأسماء بنت أبى بكر . وعائشة بنت أبى بكر ، وهي يومئذ صغيرة، وخباب بن الأرَت ، حليف بنى زهرة .

قال ابن هشام : خباب بن الأرت من بنى تميم ، ويقال : هو من خزاعة .

إسلام عمير وابن مسعود وابن القاري: قال ابن إسحاق : وعُمير بن أبى وقاص ، أخو سعد بن أبى وقاص . وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد هذيل حليف بنى زهرة ، ومسعود بن القارى ، وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة ابن غالب بن مُحلِّم بن سبيع بن الهون بن خزيمة من القارة .

شيء عن القارة: قال ابن هشام : والقارة : لقب ، ولهم يقال :

قد أنصف القارةَ مَنْ راماها

وكانوا قوما رماة .

اسلام سليط وأخيه وعياش وامرأته أسماء وخنيس وعامر: قال ابن إسحاق : وسليطُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر ، وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة

وهو أيضاً أحد العشرة يكنى: أبا محمد ، أمة : الشِّفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث وهي بنت عم عوف والد عبد الرحمن بن عوف . فأبوها : عوف عم عوف وأخو عبد عوف .

ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخربة التميمية . وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب لؤى بن . وعامر ابن ربيعة بن عنز بن وائل ، حليف آل الخطاب بن نفيل بن عبد العزى .

قال ابن هشام : عنز بن وائل أخو بكر بن وائل ، من ربيعة بن نزار .

إسلام بنى جحش وجعفر وامرأته وحاطب وأخوته ونسائهم والسائب والمطلب وامرأته : قال ابن إسحاق وعبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة . وأخوه . أبو أحمد بن جحش ، حليفا بنى أمية بن عبد شمس ، وجعفر بن أبى طالب ، وامرأته : أسماء بنت عميس بن النعمان ابن كعب بن مالك بن قحافة ، من خثعم ، وحاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة ابن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، وامرأته فاطمة بنت المجلل بن عبدالله أبى قيس بن عبد ود ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأخوه خطاب بن الحارث ، وامرأته فكيهة بنت يسار . ومعمر بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى . والسائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وامرأته : رملة بنت أبى عوف بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى .

إسلام نعيم : والنحام . واسمه : نعيم بن عبدالله بن أسيد ، أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى .

نسب نعيم : قال ابن هشام : هو نعيم بن عبدالله بن أسيد بن عبدالله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ابن كعب بن لؤي ، وإنما سمى النحام ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : لقد سمعت نحمه فى الجنة .

قال ابن هشام : نحمه : صوته وحسه .

إسلام نعيم : وذكر نعيم بن عبدالله النحام وقول النبى — صلى الله عليه وسلم : سمعت نحمه فى الجنة ، ولم يفسر النحم ما هو ، وهى سعلة مستطيلة ويقال للبخيل : نحام ؛ لأنه يسعل إذا سئل — يتشاغل بذلك — وأنشد الزبير :

مالك لاتنحم ياروحه إن النحيم للسقاه راحه

قال : ويقال النحمة : نحطة ، وقال غيره : النحطة فى الصدر ، والنحمة فى الحلق ، والنحام أيضا طائر أحمر فى عظم الإوز

إسلام عبدالله ابن مسعود : وذكر عبدالله بن مسعود بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل حليف بنى زهرة . وقال فى نسبه . كاهل ، وقيده الوقشى بفتح الهاء من كاهل ، كأنه سمى بالفعل من كاهل يكاهل ، كما قال — عليه السلام لرجل استأذنه فى الجهاد — واسمه جاهمة — فقال :

إسلام عامر بن فهيرة : قال ابن إسحاق : وعامر بن فـهيرة ، مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

نسبه : قال ابن هشام : عامر بن فُهيرة مُوَلَّد من مُوَلَّدى الأسد ، أسود اشتراه أبو بكر رضى الله عنه منهم .

إسلام خالد بن سعيد ونسبه وإسلام امرأته : قال ابن إسحاق : وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وامرأته أُمَيْنة بنت خلف بن أسعد ابن عامر بن بيَاضة بن سُبَيع بن جِعْثِمة بن سعد بن مُلَيح بن عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : هُمَينة بنت خلف .

إسلام حاطب وأبى حذيفة : قال ابن إسحاق : وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر

، هل فى أهلك من كاهل ، أى : من قوى على التصرف ، والاكتهال : القوة، وقال أبو عبيد : كاهل أى : أسن ، وقال ابن الأعرابى : إنما لفظ الحديث هل فى أهلك من كاهن، وغيره الراوى له ، فقال : من كاهل ، قال : وكاهن الرجال هو الذى يخلف الرجل فى أهله يقوم بأمرهم بعد ، يقال منه : كهن يكهن كهانة .

وذكر فى نسبه أيضاً شَمْخا وهو من شمخ بأنفه إذا رفعه عزة . وأم عبد الله هى : أم عبد بنت عبد وُدّ بن سُود بن قديم بن صاهلة هذلية .

إسلام مسعود القارى : وذكر مسعوداً القارى ، وهو : مسعود بن ربيعة ورفع نسبه إلى الهُون بن خزيمة وهم القارة ، وفيهم جرى المثل : قد أنصف القارة من راماها : قال الراجز :

قد علمت سلمى ، ومن والاها   أنا نرد الخيل عن هواها

نردها دامية كُلاها   قد أنصف القارة من راماها

إنا إذا ما فئة نلقاها   نرد أُولاها على أخراها

وسمى بنو الهون بن خزيمة قارة لقول الشاعر منهم فى بعض الحروب :

دعونا قارة لاتذعرونا   فنجفل مثل إجفال الظّليم

هكذا أنشده أبو عبيد فى كتاب الأنساب ، وأنشده قاسم فى الدلائل :

دعونا قارة لاتذعرونا   فتنشِبَك القرابة والدِّمام

وكانوا رُماةَ الحَدَق[1] ، فمن راماهم فقد أنصفهم، والقارة : أرض كثيرة الحجارة ، وجمعها قور ، فكأن معنى المثل عندهم : أن القارة لا تَنفذ حجارتها إذ رمى بها ، فمن راماها فقد أنصف .

إسلام أبى حذيفة : وذكر أبا حذيفة بن عتبة . قال ابن هشام : واسمه : مُهَشّم، وهو وَهْم عند أهل النسب،

---

(١) أى رماة مهرة .

ابن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأبو حذيفه ، واسمه : مِهْشَم - فيما قال ابن هشام - ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

إسلام واقد وشيء من خبره : وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف بنى عدى بن كعب .

قال ابن هشام : جاءت به باهلة ، فباعوه من الخطاب بن نفيل ، فتبناه ، فلما أنزل الله تعالى : « ادعوهم لآبائهم » قال : أنا واقد بن عبدالله ، فيما قال أبو عمرو المدنى .

إسلام بنى البكير: قال ابن إسحاق : وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب ابن غِيَرَة من بنى سعد بن لَيْث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بنى عدى بن كعب .

فإن مهشما إنما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشم وهشام ابنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأما أبو حذيفة بن عتبة فاسمه : قيس فيما ذكروا .

أسماء وأبوها عميس : وذكر أسماء بنت عُمَيس امرأة جعفر بن أبى طالب ، وعميس أبوها هو : ابن مَعْد ابن الحارث بن تَيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن زيد بن مالك بن نَسْر بن وهب بن شهران بن عِفرس بن خُلف بن أفتل ، وهو : جماعة خَثْعَم بن أنمار على الاختلاف فى أنمار هذا ، وقد تقدم وأمها : هند بنت عوف بن زهير بن الحارث من كنانة ، وهى أخت ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - أمهما واحدة ، وأخت لبابة أم الفضل امرأة العباس ، وكن تسع أخوات ، فيهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأخوات مؤمنات ، وكانت قبل جعفر عند حمزة بن عبد المطلب ، فولدت له أمة الله ، ثم كانت عند شداد بن الهاد ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن ، وقد قيل : بل التى كانت عند حمزة ، ثم عند شداد هى أختها : سلمى ، لا أسماء ، وتزوجها بعد حمزة أبو بكر الصديق ، فولدت له محمد بن أبى بكر ، وتزوجها بعده على بن أبى طالب ، فولدت له يحيى . قال الكلبى : ولدت له مع يحيى عونَ بن على ، ولم يختلف أنها ولدت لجعفر ابنا اسمه : عون ، وولدت له أيضاً عبد الله بن جعفر ، وكان جواد العرب فى الإسلام ، وبنات عميس : أسماء وسلامة وسلمى ، وهن أخوات ميمونة وسائر أخواتها لأم .

إسلام عبد الله بن قيس : وذكر ابن إسحاق فى السابقين إلى الإسلام من بنى سهم : عبدالله بن قيس بن الحارث بن عدى بن سعيد بن سهم ، وحيثما تكرر نسب بنى عدى بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إسحاق : سُعيد ، والناس على خلافه ، وإنما هو سعد ، وسيأتى فى شعر عبدالله بن قيس شاهد على ذلك ، وإنما سعيد بن سهم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بن سهم وفى سهم : سُعَيْدٌ آخر ، وهو ابن سعد المذكور ، وهو جد المطلب بن أبى وَدَاعَة ، واسم أبى وداعة : عوف بن صُبَيْرة ، بن سعيد بن سعد ، وقد قيل فى صبيرة : ضبيرة بالضاد المعجمة ، وهو الذى كان شابا جميلا يلبس حلة ، ويقول للناس : هل ترون بى بأسا ؛ إعجابا بنفسه ، فأصابته المنية بغتة ، فقال الشاعر فيه :

إسلام عمار : وعمار بن ياسر ، حليف بنى يقظة قال ابن هشام . عمار بن ياسر عنسى من مذحج .

إسلام صهيب : قال ابن إسحاق : وصُهَيب بن سنان ، أحد النَّمر بن قاسط ، حليف بنى تيم بن مرة .

نسب صهيب : قال ابن هشام : النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . ويقال : أفصى بن دُعْمِىّ بن جديلة بن أسد ، ويقال : صهيب : مولى عبد الله بن جدعان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم . ويقال : إنه رومى . فقال بعض من ذكر أنه من النَّمر بن قاسط : إنما كان أسيراً فى أرض الروم ، فاشترىَ منهم ، وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : صهيب سابق الروم .

(تم بعون الله الجزء الأول من السيرة النبوية ويليه الجزء الثانى إنشاء الله)

من يأمن الحدثان بعد صُبَيرةَ القرشى ماتا
سبقت منيتــه المشيب وكان منيته افلاتا

عامر بن ربيعة : وذكر عامر بن ربيعة ، وقال . هو من عنز بن وائل . عنز بسكون النون ، ويذكر عن على ابن المدينى أنه قال ، فيه عَنَز بفتح النون ، والسكون أعرف . ذكر أهل النسب أن وائلا كان إذا ولد له ولد ، خرج من خبائه ، فما وقعت عينه عليه سماه به ، فلما وُلد له بكر وقعت عينه على بَكر من الإبل ، فسماه به ، فلما ولد له تغلب رأى نفسين يتعالبان ، فسماه تغلب ، فلما ولد له عنز ، رأى عنزا ـ وهى الأنثى من المعز ـ فسماه عنزاً ، فلما ولد له الشُّخَيْص خرج فرأى شخصا على بعد صغيرا ، فسماه : الشخيص ، بهؤلاء الأربع ، هم قبائل وائل ، وهم معظم ربيعة ، وهو عامر بن ربيعة العنْزِىّ العدوى حليف لهم ، ويقال : هو عامر بن ربيعة بن كعب ابن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبدالله بن الحارث بن رُفَيدة بن عَنْز بن وائل بن قاسط . وقيل : عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حُجَير بن سلامان بن هنب بن أفصى بن دُعْمِى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

إسلام عامر بن فهيرة : وذكر عامر بن فهَيْرة مولى أبى بكر ، وفهيرة : أمه ، وهى تصغير فهر ، لأن الفهر مؤنثة ، وكان عبداً أسود للطُّفَيل بن الحارث بن سَخْبرةَ اشتراه أبو بكر فأعتقه ، وأسلم قبل دخول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ دار الأرقم ، وسيأتى فى الكتاب نُبَذ من أخباره ، منها : أنه قتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة ، فلما طعنه خرج من الطعنة نور ، وكان عامر يقول : مَنْ رَجلٌ لما طعنته رُفع ، حتى حالت السماء دونه ، هذه رواية البكائى عن ابن إسحاق ، وفى رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن عامراً سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قدم عليه ، وقال : يامحمد من رجل من أصحابك لما طعنته رفع إلى السماء ؟ فقال هو عامر بن فهيرة ، وروى هشام بن عروة عن أبيه : أن عامراً التمس فى القتلى يومئذ فلم يوجد ، فكانوا يرون أن الملائكة رفعته ، أو دفنته ـ ذكره ابن المبارك .

(تم بعون الله الجزء الأول من الروض الأنف ويليه الجزء الثانى إنشاء الله)

الفهارس

أولا : فهرست كتاب السيرة النبوية لابن هشام الموجود بأعلى الصفحات

الجزء الأول

تم فهرست السيرة

فهرست كتاب

الروض الأنف للسهيلي

الموجود أسفل الصفحات

الجزء الأول

تم الفهرس

شركة الطباعة الفنية المتحدة
١٥ شارع العباسية
تليفون ٨٣٧٤٦٧

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٥٧ / ١٩٧١